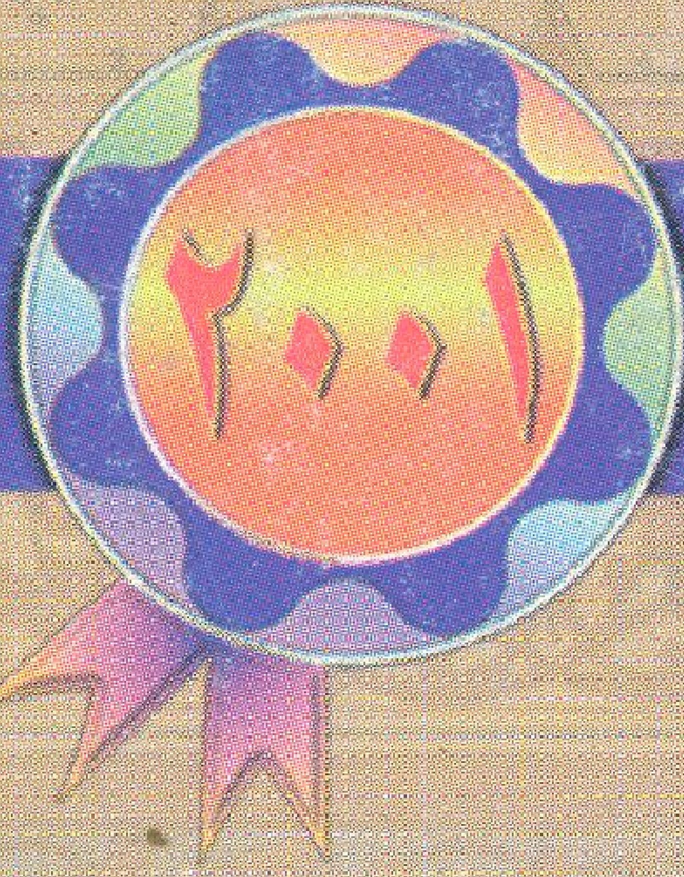
مهرجان القراءة للجميع



مكتبة الأسرة

د. عبد الرحمن عميرة

رجال ونساء أنزل الله فيهم قرآناً

الأعمال الدينية

المجلد الثالث



الهيئة المصرية
العامة للكتاب

رجال ونساء
أنزل الله فيهم قرآنا

المجلد الثالث

٩ - ١٢

لوحة الغلاف

اسم العمل : صفحة من القرآن الكريم

التقنية : ألوان وخامات مختلفة على رق

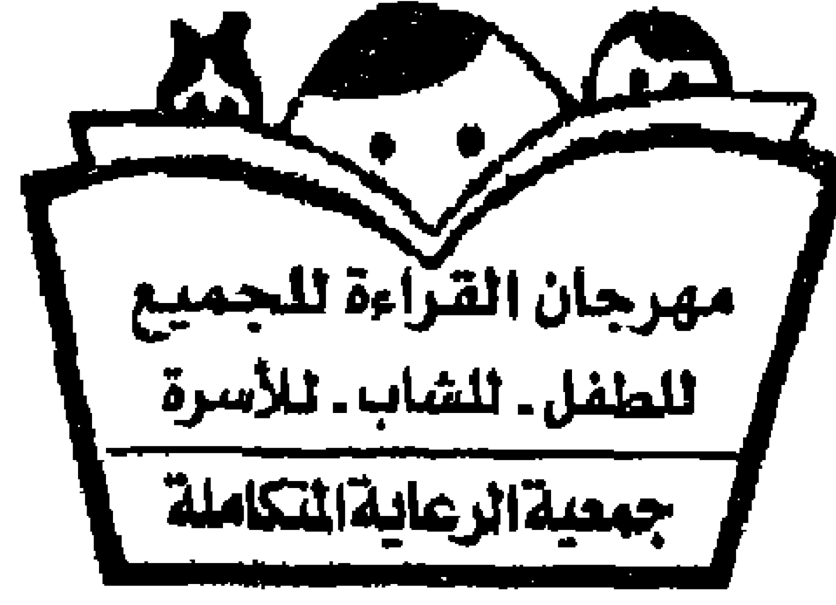
نقشت الحلية الكوفية فى تلك الصفحة من صفحات القرآن الكريم لتتوسط الأشكال المجردة، وهو الشكل الذى يميز الفنون الإسلامية آنذاك، ولهذا السبب كان هذا الطراز أحد أهم الأشكال الملائمة لتزويق الكتاب الكريم. والرسوم المجردة ظلت أكثر تأثيراً فى الغرب من رسووم الشخصيات، ذلك لأن أشكال التصميمات فى الكتب الغربية قد تأثرت واستفادت من تلك التصميمات، ويمكن مشاهدة هذا التأثير حتى فى آثار بعض المشاهير بعض من أساتذة عصر النهضة الأوربية، مثل لوحة العقدة السادسة فى أكاديمية ليوناردو دافنشى. وهذه الصفحات المزوقة تمثل أعلى أشكال التصوير الروحى، ومع أن الأقراص الحيوية والتراكيبات المتعددة الأضلاع، المشابهة للنجوم، كانت مشتركة بصفة عامة مع الشمس، فإن الفكرة الهندسية المجردة قد تجاوزت أبعاد الأشكال الجامدة للعالم المادى، لأن هذه التراكيب المصنوعة من خطوط مستقيمة، وقطع من دوائر، قد بلغت درجة أعلى من الشكل الأساسى لكمال الذوق والجمال.

محمود الهندى

رجال ونساء
أنزل الله فيهم قرآناً

الجزء التاسع

د. عبدالرحمن عميره



مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠١

مكتبة الأسـرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(الأعمال الدينية)

رجال ونساء أنزل الله فيهم قرآناً

المجـلد الثالث

د. عبد الرحمن عميره

الغـلاف

والإشراف الفني:

الفنـان : محمود الهندى

المشرف العام :

د . سـمير سرحـان

الجهات المشاركة :

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقـافـة

وزارة الإعـلام

وزارة التربية والتعليم

وزارة الإدارة المحلية

وزارة الشـباب

التنفيذ : هيئة الكتاب

على سبيل التقديم :

كان الكتاب وسيظل حلم كل راغب فى المعرفة واقتناؤه غاية كل متشوق للثقافة مدرك لأهميتها فى تشكيل الوجدان والروح والفكر، هكذا كان حلم صاحبة فكرة القراءة للجميع ووليدها «مكتبة الأسرة» السيدة سوزان مبارك التى لم تبخل بوقت أو جهد فى سبيل إثراء الحياة الثقافية والاجتماعية لمواطنيها.. جاهدت وقادت حملة تنوير جديدة واستطاعت أن توفر لشباب مصر كتاباً جاداً وبسعر فى متناول الجميع ليشبع نهمه للمعرفة دون عناء مادى وعلى مدى السنوات السبع الماضية نجحت مكتبة الأسرة أن تتربع فى صدارة البيت المصرى بثراء إصداراتها المعرفية المتنوعة فى مختلف فروع المعرفة الإنسانية.. وهناك الآن أكثر من ٢٠٠٠ عنواناً وما يربو على الأربعين مليون نسخة كتاب بين أيادى أفراد الأسرة المصرية أطفالاً وشباباً وشيوخاً تتوجها موسوعة «مصر القديمة» للعالم الأثرى الكبير سليم حسن (١٨ جزء). وتنضم إليها هذا العام موسوعة «قصة الحضارة» فى (٢٠ جزء).. مع السلاسل المعتادة لمكتبة الأسرة لترفع وتوسع من موقع الكتاب فى البيت المصرى تنهل منه الأسرة المصرية زاداً ثقافياً باقياً على مر الزمن وسلاحاً فى عصر المعلومات.

د. سمير سرحان

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى :

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا
لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾

صدق الله العظيم

[سورة الروم آية ٢١]

قال الرسول ﷺ :

«النساء شقائق الرجال»[1] .

(1) سنن الترمذي، حديث رقم ١١٣ [١ : ١٢٧]، حمص، دار الدعوة، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

كانت المرأة قديماً وحديثاً، وعلى مرّ العصور وفي مختلف الأزمان — ولا زالت — أماً تربي الطفولة وتصنع الرجولة.

وزوجة تجمل الحياة ببسمتها الحبيبة، ولمستها الرقيقة، وتخفف من وعورة الطريق، وأعباء العمل بكلمة معبرة حانية.

وأختاً تشارك الأسرة حلو الحياة ومرّها.

وابنة تملأ البيت هناءً وبهاءً، وتقرّ بها عين الأبوين.

... ولقد وقر في الأذهان أن العرب في الجاهلية كانوا يهينون الأنثى ويغمصون مكانتها، ولا يشركونها في حياتهم العامة.

ولقد ثبت ذلك بما قرره القرآن الكريم من كراهية العرب لولادة الأنثى الأمر الذي جعلهم يقتلونها طفلة ويوارونها تحت التراب.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ. يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[١].

وقال أيضاً: ﴿وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾[٢].

---

(١) سورة النحل. آية رقم ٥٨، ٥٩.

(٢) سورة التكوير آية رقم ٨، ٩.

نعم كان هناك قلة يفعلون ذلك. ويفتخرون به، ولكنه لا يؤخذ على أنه القاعدة العامة التي كانت سائرة بينهم، والحكم الذي لا يستثنى منه قبيلة أو مجموعة.

لأن التاريخ يحدثنا أن العربي كان شديد الاحترام للمرأة كثير الحدب عليها يغار عليها ويحرص على صيانتها.

وكان فرسانهم ينزلون إلى حومة الوغى وألسنتهم رطبة بذكر زوجاتهم أو أخواتهم أو أمهاتهم. وكانوا يطلبون منهن أن يشهدن شجاعتهم واقتحامهم غمرات الحرب في سبيل مجدهم ومفاخرهم. ومن أمثلة ذلك قول الشاعر عنترة العبسي:

هلا سألت الخيل يا ابنة مالك　　إن كنت جاهلة بما لم تعلمي
يخبرك من شهد الوقيعة أنني　　أغشى الوغى وأعف عند المغنم

وكانت قبائل برمتها، ورجال من أكابر القوم ينتسبون إلى الأمهات وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«أنا ابن العواتك من سليم»[1].

وهو يشير بذلك إلى نسوة من أصوله كل منهن تسمى عاتكة، وقد كان لبعض النسوة في الجاهلية أثرهن الكبير في كبريات الأحداث، وهذه معركة «ذي قار» وهي من أضخم أحداث الجاهلية تشب بسبب امرأة أرادها كسرى وأباها النعمان عليه.

وحرب الفجار نشبت من أجل امرأة أراد بعض الشباب كشف نقابها، وامتازت بعض البيوت العربية بإكرام البنت حتى لا تسمح بزواجها إلا برضاها،

---

(١) أخرجه الطبراني (٦٧٢٤) من طريق العباس بن الفضل الأسفاطي، حدثنا عمرو بن عون الواسطي، حدثنا هشيم، حدثنا يحيى بن سعيد، عن عمرو بن سعيد بن العاص، أخبرنا سيابة بن عاصم السلمي، أن رسول الله ﷺ قال يوم حنين: «أنا ابن العواتك» وأورده الهيثمي في «المجمع» ٨/ ٢١٩، وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح، ورواية أحمد: «من بني سليم».

كما حدث للخنساء إذ رفضت سيد بني دريد وسيد بني هوازن وحكيمها لتتزوج من رجل كانت تريده.

... والعرف العربي كان لا يجوز تعريض النساء للمخاوف والتهديد ويفرض حمايتهن وفداءهن بالروح ، ويحتقر كل من تهاون بصيانتهن أو تردد في الموت دونهن.

وكانت النساء لا يقابلن بالمثل إذا بدأن بضرب الرجال أو إهانتهم كما حدث مع حاتم الطائي عندما مرّ ببلاد عنزة في بعض الأشهر الحرم. فناداه أسير لهم يا أبا سفانة : أكلني الإسار.

فقال : ويحك أسأت إذ نوهت باسمي في غير بلاد قومي. فساوم القوم به ثم قال : أطلقوه واجعلوا يدي في القيد مكانه.

ففعلوا فجاءته امرأة ببعير ليفصده فقام فنحره فلطمت وجهه.

فقال : «لو غير ذات سوار لطمتني» يعني أنه لا يقتص من النساء.

واحترام العرب لنسائهم جاء ثمرة نضج الذكورة وعرفان الأنثى لوظيفتها الصحيحة.

ووظيفة ربة البيت من أشرف الوظائف في الوجود ، وما يحسنها إلّا من استكمل لها أزكى الأخلاق وأنقى الأفكار.

إن تصور المرأة في البيت إنساناً قاعداً لا شغل له جهل شنيع بمعنى الأسرة وتصور ربة البيت إنساناً يجيد الطهي والخدمة فقط ضرب من السلوك الحيواني الذي عرفته الأمم إبان انهيار حضارتها وسقوط مستواها العام. والقصة الآتية — التي حفظتها لنا كتب التاريخ — تدل دلالة قاطعة على أنه كان للمرأة كلمتها ومشورتها على زوجها ، وأخذ رأيها عند زوجها.

«قال الحارث بن عوف المري لخارجة بن سنان ، في إبان الحرب بين عبس وذبيان :

«أتراني أخطب إلى أحد فيردني؟»...

قال: نعم «أوس بن حارثة الطائي».

فقال الحارث لغلامه: «هيء لي مركباً» ثم ركب هو وغلامه، ومعهما خارجة وأتوا أوساً فوجدوه في داره فلما رأى الحارث رحب به، وسأله عن مجيئه. فقال: «جئتك خاطباً».

فقال أوس: لست هناك. أي رفض أن يزوجه.

فانصرف ولم يكلمه.

ثم دخل أوس على امرأته مغضباً وكانت من قبيلة عبس فقالت:

من رجل وقف عليك فلم تطل الكلام معه؟...

فقال: ذاك سيد من سادات العرب: الحارث بن عوف.

قالت: فما لك لم تستنزله؟..

قال: إنه استحمق جاءني خاطباً.

قالت: أفتريد أن تزوج بناتك؟..

قال: نعم.

قالت: فإذا لم تزوج سيد العرب فمن؟..

قال: لقد كان ذلك.

قالت: فتدارك ما كان منك فالحقه وقل له: إنك لقيتني مغضباً بأمر لم يتقدم فيه قول. فلم يكن عندي من الجواب إلّا ما سمعت. فانصرف معي ولك عندي كل ما أحببت، فإنه سيفعل.

فعمل أوس برأي زوجته، ورد حارثة ومن معه. فلما وصلوا إلى بيت أوس وجلسوا في مكان الضيافة، دخل أوس إلى زوجه وقال لها: إدعي لي فلانة «أكبر بناته سناً» فأتته.

قال : «يا بنية هذا الحارث بن عوف — سيد من سادات العرب — قد جاءني طالباً خاطباً، وقد أردت أن أزوجك منه».

فقالت : لا تفعل، لأني فتاة في وجهي ردة، وفي خلقي الحدة. ولست بابنة عمه فيرعى رحمي، وليس بجارك في البلد فيستحي منك، ولا آمن أن يرى مني ما يكره فيطلقني. فيكون عليّ في ذلك ما فيه.

قال : قومي بارك الله فيك.

ثم دعا الوسطى : فأجابته بمثل جواب أختها وقالت : إني خرقاء وليست بيدي صناعة، ولا آمن أن يرى ما يكره فيطلقني، فيكون عليّ في ذلك ما تعلم.

ثم دعا الثالثة — وهي أصغرهن — فلما عرض عليها قالت : «أنت وذاك».

فأخبرها بإباء أخواتها.

فقالت : لكنني والله الجميلة وجهاً، الصناع يداً، الرفيعة خلقاً، الحسيبة أبا فإن طلقني فلا أخلف الله عليه بخير.

فزوجها الحارث.

ولما وصل ديار قومها قالت : أتلزم المنزل والعرب يقتل بعضها بعضاً؟...

أخرج إلى هؤلاء القوم واصلح بينهم، ثم ارجع إلى أهلك.

فخرج الحارث مع خارجة بن سنان فأصلحا بين القوم، وحمل الديات وكانت ثلاثة آلاف بعير في ثلاث سنوات[1].

والمرء يعجب لعظمة هذا البيت العربي زوجة ترشد رجلها الى الصراط بعدما كاد يزيغ عنه.

وبنات يعرفن بدقة أوصافهن البدنية، وطبائع بيئتهن فيقدمن — دون أثرة — صغراهن لتكون زوجة لخاطب مقبل.

---

(١) ركائز الإيمان — الشيخ محمد الغزالي.

وعروس تأبى أن تسعد بزوجها حتى تضع الحرب أوزارها، وتقرّ السلام حولها.

أين من هذه الحلال الزاكية فتيات عصرنا المبهورات بفتنة الغرب؟... المتمردات على جو البيت؟... المخدوعات بأضواء الليل. الجانيات الشوك آخر المطاف من ترك وظيفتهن الأصيلة؟...

وجاء الإسلام... جاءت الرسالة خاتمة الرسالات السماوية إلى البشرية بعد أن وصلت إلى رشدها العقلي.

فقررت أن المرأة جزء من الرجل، وقطعة من كيانه قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾[1]. ورد عنها طغيان القساة من الرجال.

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهاً ولا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ﴾[2].

وحرر إنسانيتها روحاً وجسداً حين أتاح لها أن تتزود من العلم ما تشاء وحصن حقوقها المالية حتى لا تذهب بها أثرة الأقرباء أو الغرباء.

قال تعالى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ والأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ والأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَفْرُوضاً﴾[3].

وأيضاً: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ واسْأَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ. إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾[4].

---

(1) سورة النساء آية رقم ١.

(2) سورة النساء آية رقم ١٩.

(3) سورة النساء آية رقم ٧.

(4) سورة النساء آية رقم ٣٢.

وجعل دعائم الحياة الزوجية قائمة على المودة والرحمة.

قال تعالى:

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾[1].

وفي جو الأسرة المتآلفة المتوادة يسكن الإنسان نفسياً ويسكن روحياً ويسكن جسدياً.

هذا هو السكن الذي يقصده الإسلام. السكن الذي ترفرف عليه أجنحة المودة، وتجمل لحظاته شفافية الحب والعطف.

وفي ساحة السكن الجميل تنبت بذور الرحمة. وتتطاول فروعها وتلتف أغصانها فتخفف عن الزوجة ما تعانيه من تربية الطفولة ومن إعداد للرجولة. ومن تهيئة كاملة لمطالب الأسرة.

وتمتد حتى تتحول إلى يد حانية تمسح من على وجه الرجل المكافح حبات العرق المتطايرة من جرّاء ضربه في جنبات الأرض — بغية تأمين حياة الأسرة وتوفير أسباب الحياة لها.

إنّها المودة والرحمة التي فاض بها قلب زوجة الحطاب في عصر النبوة وكل زوجة صابرة مؤمنة ليكون جزاؤها الجنة كما أخبر رسول الله ﷺ أصحابه بأن زوجة الحطاب من أهل الجنة. وما كاد الرسول عليه السلام ينطق بهذه الكلمة حتى سرت في المجتمع الإسلامي سريان البرق على صفحة الكون. وتساءل الجميع ماذا فعلت زوجة الحطاب حتى كان جزاءها الجنة؟

وجاء جواب الزوجة المؤمنة وكأنه دستور للحياة الزوجية تخطّه لبنات جنسها ليسرن عليه مع أزواجهن فيسعدن في دنياهن وينعمن برضوان الله في آخرتهن.

---

(١) سورة الروم آية رقم ٢١.

قالت : إن زوجي رجل يقوم بقطع الأخشاب وجمع الحطب من الجبل ثم ينزل إلى السوق فيبيعه ويشتري ما يحتاج إليه بيتنا ، وأحس بالعناء الذي لقيه في سبيل رزقنا ، وأحس بحرارة عطشه في الجبل تكاد تحرق حلقي . فأعد له الماء البارد حتى إذا ما قدم وجده ، وقد نسقت متاعي وأعددت له طعامه ، ثم وقفت أنتظره في أحسن ثيابي فإذا ما ولج الباب استقبلته كما تستقبل العروس عروسها الذي عشقته مسلمة نفسي إليه . فإن أراد الراحة أعنته عليها ، وإن أرادني كنت بين ذراعيه كالطفلة الصغيرة يتلهّى بها أبوها »[1] .

نعم إن زوجة الحطاب في الجنة . وصدق رسول الله ﷺ ويؤيد هذه الواقعة ما يروى من أن أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية ذهبت إلى مجلس الرسول ﷺ وقالت :

«يا رسول الله إني رسول من ورائي من جماعة نساء المسلمين كلهن يقلن بقولي وعلى مثل رأيي » :

«إن الله بعثك إلى الرجال والنساء فآمنا بك واتبعناك ونحن معشر النساء مقصورات مخدرات قواعد بيوت ومواضع شهوات الرجال وحاملات أولادهم ، وإن الرجال فضلوا بالجمعات ، وشهود الجنائز والجهاد وإذا خرجوا للجهاد حفظنا لهم أموالهم ، وربينا أولادهم أفنشاركهم في الأجر؟...

فالتفت رسول الله ﷺ بوجهه إلى أصحابه وقال : هل سمعتم مقالة امرأة أحسن سؤالاً عن دينها من هذه؟...

فقالوا : بلى والله يا رسول الله .

فقال رسول الله ﷺ : انصرفي يا أسماء وأعلمي من وراءك من النساء أن حسن تبعّل إحداكن لزوجها وطلبها لمرضاته واتباعها لموافقته يعدل كل ما ذكرت للرجال » .

---

(١) المرأة في التصور الاسلامي — للأستاذ عبد المتعال محمد الجبري .

فانصرفت أسماء وهي تهلل وتكبر استبشاراً بما قال لها رسول الله ﷺ[1].

هذه هي وظيفة المرأة في صدر الإسلام.

راعية لشئون زوجها،

ومربية وحاضنة لأطفالها،

وملكة متوجة في مملكتها وبيتها.

لا الوظيفة التي اختارها الغرب الهابط للمرأة التي تمكنها من لقمة العيش بعد أن تستلب إنسانيتها في القرن العشرين.

فهي إما سكرتيرة للترفيه، أو «أرتيست» في مشارب الخمر ودور الرقص، أو عارضة أزياء لتظهر مفاتنها للشارين والشاريات أو عاملة في مصنع[2].

إن الإسلام لن يرضى للمرأة غير الانسجام الكامل مع قوانين الفطرة، هذه القوانين التي لا تُكرِه المرأة على ما لا يتفق مع كرامتها كإنسان ومع تركيبها كأنثى. وهو بذلك يفتح لها في هذا العصر أبواب التخصص الملائم، لتكون الطبيبة النسوية والخبيرة الاجتماعية والمربية المدرسية وما إلى ذلك من هذه الأعمال التي لا يكون نجاحها على حساب البيت والأمومة. إن مبادىء الإسلام استطاعت أن تربي الزوجة الفاضلة، والأم الحانية، والفتاة المؤمنة التي سجل تاريخها وسلوكها بأحرف من نور على جبهة التاريخ، لقد استطاعت الفتاة المسلمة أن تجعل القرآن دستورها، ومنهج الإسلام حياتها... وأن تقيم دعائم بيت الزوجية على ما سنه الرسول ﷺ لزوجاته ـــ وبنات المسلمين من بعده.

وهذا شريح القاضي يحدث الشعبي عن زوجته زينب ابنة جرير إحدى نساء بني حنظلة فيقول:

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب جـ ٤ ص ٣٢، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٢/ ١٥٣، ونسبه للبيهقي في «شعب الايمان».

(٢) تأملات في المرأة والمجتمع للشيخ محمد المجذوب.

«فلو رأيتني يا شعبي وقد أقبل نساؤهم يهدينها حتى أدخلت عليّ؟... فقلت إن من السنة إذا دخلت المرأة على زوجها أن يقوم فيصلي ركعتين فيسأل الله من خيرها، ويعوذ به من شرها قائلاً:

«اللهم إني أسألك خيرها وخير ما جبلتها عليه، وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلتها عليه»(١).

فصليت وسلمت. فإذا هي من خلفي تصلي بصلاتي، فلما خلا البيت ودنوت منها، ومددت يدي إلى ناحيتها قالت:

«على رِسْلك يا أبا أمية كما أنت» ثم قالت:

«الحمد لله أحمده وأستعينه، وأصلي على محمد وآله، إني امرأة غريبة لا علم لي بأخلاقك فبيّن لي ما تحب فآتيه، وما تكره فابتعد عنه، وقالت: إنه كان لك في قومك منكح وفي قومي مثل ذلك، ولكن إذا قضى الله أمراً كان، وقد ملكت فاصنع ما أمرَك الله به. إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولك.

قال شريح فأحوجتني والله يا شعبي إلى الخطبة في ذلك الموضع فقلت: «الحمد لله أحمده وأستعينه، وأصلي وأسلم على النبي وآله. وبعد فقد قلت كلاماً إن تثبتي عليه يكن ذلك حظك، وإن تدعيه يكن حجة عليك. أحب كذا وأكره كذا ونحن سواء فلا تخافي.

وما رأيت من حسنة فانشريها، أو سيئة فاستريها.

قالت وكيف محبتك لزيارة الأهل؟...

شريح: ما أحب أن يملني أصهاري.

---

(١) حديث حسن، أخرجه البخاري في أفعال العباد، ص: ٧٧، من طريق عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده وأخرجه أبو داود (٢١٦٠)، وابن ماجة (١٩١٨) و(٢٢٥٢) وصححه الحاكم ٢/ ١٨٥، ووافقه الذهبي، وأما صلاة الزوجين معاً ركعتين فهو ثابت عن بعض الصحابة، انظر «المصنف» لابن أبي شيبة ٧/ ٥٠/ آ و١٢/ ٤٣/ ب.

قالت : فمن تحب من جيرانك أن يدخل بيتك آذن له . ومن تكرهه فلا نقترب منه؟...

شريح : بنو فلان قوم صالحون. وبنو فلان قوم سوء.

قال شريح : فبت ليلتي أنعم بها ومكثت معي حولاً لا أرى إلّا ما أحب فلما كان الحول جئت من مجلس القضاء ، فإذا بعجوز تأمر وتنهي في البيت قلت : من هذه؟...

قالوا : فلانة حماتك. فسري عني ما كنت أجد.

فلما جلست أقبلت العجوز وقالت : السلام عليك يا أبا أمية

قلت : وعليك السلام من أنت؟...

قالت : أنا فلانة حماتك.

قلت : قربك الله.

قالت : كيف رأيت زوجتك؟...

قلت : خير زوجة.

فقالت : يا أبا أمية : إن المرأة لا تكون أسوأ حالاً منها في حالتين إذا ولدت غلاماً أو حظيت بقلب زوجها. فإن رابك ريب فعليك بالسوط. فوالله ما حاز الرجال في بيوتهم شراً من المرأة المدللة.

قلت : أما والله لقد أدبت فأحسنت الأدب ، ورُضْتِ فأحسنت الرياضة.

قالت : تحب أن يزورك أصهارك؟...

قلت : متى شاءوا.

قال شريح : فكانت تأتيني في رأس كل حول توصيني تلك الوصية فمكثت معها عشرين سنة لم أعتب عليها في شيء إلّا مرة واحدة كنت لها ظالماً[1].

---

(١) المرأة في التصور الاسلامي — عبد المتعال محمد الجابري.

من أجل هذا كانت الأسرة المسلمة لمعة مضيئة في ظلام الدجى واستطاعت هذه الأسرة أن تقدم الرجال الأبطال الذين حملوا مشعل الهداية في يد، وسيف الحق في اليد الأخرى وانداحوا في أربعة أركان الأرض ينشرون الأمن بعد الخوف والنور بعد الظلام والهدى بعد الضلال فاستقبلتهم الدنيا أحسن استقبال وأقامتهم على ظهرها قادة ومعلمين.

إن المرأة المطيعة لزوجها لهي أغلى الكنوز التي يجب أن يحرص عليها الرجل وأن يحيطها بكل الرعاية والحنان.

إن طاعة المرأة لزوجها هي قوام دعائم السعادة في الأسرة. ومن هنا كانت وصايا الرسول ﷺ والحث عليه بقوله:

« ثلاثة لا تمسهم النار:

« المرأة المطيعة لزوجها،

« والولد البار بوالديه،

والعبد القاضي حق الله وحق مولاه »[١].

وقال عليه الصلاة والسلام لأم المؤمنين « أم سلمة » إذا أدت المرأة فريضة ربها وأطاعت زوجها، وحركت المغزل كانت كأنها تسبّح لله »[٢].

وقيل له أيُّ النساء أفضل؟...

فقال عليه السلام: التي تطيع زوجها إذا أمر وتسره إذا نظر »[٣].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) لم نقف عليه، ويغلب على الظن أنه لا يصح من أجل الفقرة الأخيرة، ويغني عنه حديث أبي هريرة المرفوع: « إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحصنت فرجها، وأطاعت بعلها، دخلت من اي أبواب الجنة شاءت » أخرجه ابن حبان (١٢٩٦)، وهو حديث صحيح بشاهديه عن عبد الرحمن ابن عوف، وأنس بن مالك انظر « المجمع » ٤/ ٣٠٥، ٣٠٦.

(٣) حديث صحيح أخرجه أبو داود (١٦٦٤) عن ابن عباس، والنسائي ٦/ ٦٨ عن أبي هريرة، وابن ماجة (١٨٥٧) عن ابي أمامة.

والملامح النبيلة للمرأة المسلمة نراها في الخنساء التي جاهدت في حرب فارس ، وحضرت موقعة القادسية . واشتركت فيها بأبنائها الأربعة وقبل أن ينزلوا ساحة الوغى جمعتهم وقالت لهم :

« يا بني إنكم أسلمتم طائعين ، وهاجرتم مختارين ، والله الذي لا إله غيره إنكم بنو رجل واحد ، كما إنكم بنو امرأة واحدة ، ما خنت أباكم ، ولا فضحت خالكم ، ولا هجنت حسبكم ، ولا غيرت نسبكم. وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية يقول الله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا واتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[1] . فإذا أصبحتم غداً إن شاء الله سالمين فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين وبالله على أعدائه مستنصرين ، وإذا رأيتم الحرب شمرت عن ساقها ، واضطرمت فتيمموا وطيسها ، وجالدوا رئيسها عند احتدام خميسها ، تظفروا بالغنم والكرامة في دار الخلد والمقامة .

ولما كان الصباح احتدم وطيس الحرب . فتقدم أبناؤها الأربعة واشتدوا على عدوهم غير مبالين بالموت . حتى قضوا نحبهم جميعاً . ولما بلغ خبر استشهادهم إلى الخنساء ، لم تجزع بل قالت : الحمد لله الذي شرفني بهم .

لقد غربت الشمس بأبنائها الأربعة فلم تجزع لأنها تعلم أن شمسهم توشك على الشروق في آفاق الفردوس الأعلى . وأنهم سوف يقدمونها على بوارق أنهار الجنة وهي تختال بينهم وتفاخر باستشهادهم ... إن رائدات النهضة النسائية في بلادنا أقصر باعاً وأنزل رتبة من أن يقفن هذا الموقف.

فإحداهن تكره أن تكون أماً لأربعة ، ولو فرضت عليها الأقدار ، أمومة أربعة ما أحسنت حضانتهم وتربيتهم وتوصيهم حتى يبلغوا هذه الذروة.

إنها تريد أن تكون « رجلة »[2] تتولى عملاً في المجتمع من هذه الأعمال التي تليق

---

(١) سورة آل عمران ، الآية رقم ٢٠٠ .

(٢) ركائز الإيمان ـــ الشيخ محمد الغزالي.

بالجنس الخشن ولو أدركت ما ترجو ما نفعت نفسها ولا أمتها.

إننا في هذا الكتاب نقدم نماذج من الأمهات المسلمات. والزوجات المطيعات. والمؤمنات القانتات...

نقدم الزوجة التي تفانت في حب زوجها فرصدت حياتها له.

ونقدم الفتاة التي عرفت طريق الحق. فتركت الأب والأم والأخ والأخت وهاجرت إلى الله. وفرت بدينها.

نقدم المرأة التي صُبَّ عليها العذاب صبًّا لتفارق دينها. وتكفر بربها... فاحتملت العذاب صابرة حتى أنقذها الله مما هي فيه. إنهن النساء اللآتي أنزل الله فيهن قرآناً. وهدفنا في النهاية أن نقدم القدوة والمثل للفتاة المسلمة. حتى نعيد للأسرة كيانها وتماسكها. ووظيفتها الأساسية في صنع الرجال. فهل نحن فاعلون؟...

نرجو من الله العلي القدير أن يوفقنا إلى ذلك.

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمةً إنك أنت الوهاب.
٢٣/ ٤/ ١٣٩٨ هـ — ١/ ٤/ ١٩٧٨م.

د. عبد الرحمن عميرة

رئيس قسم العلوم الاسلامية
بجامعة السلطان قابوس

١ — صفر ١٤٠٨ هـ

عائشة أمّ المؤمنين

رَضِيَ ٱللَّهُ عَنهَا

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ
خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ
لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١١﴾ لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ
خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ ﴿١٢﴾ لَّوۡلَا جَآءُو عَلَيۡهِ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَۚ فَإِذۡ لَمۡ
يَأۡتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ
عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ لَمَسَّكُمۡ فِي مَآ أَفَضۡتُمۡ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ
﴿١٤﴾ إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ بِأَلۡسِنَتِكُمۡ وَتَقُولُونَ بِأَفۡوَاهِكُم مَّا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ
وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنٗا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٞ ﴿١٥﴾ وَلَوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ قُلۡتُم مَّا
يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبۡحَٰنَكَ هَٰذَا بُهۡتَٰنٌ عَظِيمٞ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن
تَعُودُواْ لِمِثۡلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٧﴾ ﴾

صدق الله العظيم

[سورة النور آيات من ١١ – ١٧]

أقوال العلماء في نزول الآيات

قال كثير من رجال التفسير والحديث نزلت هذه الآيات بسبب اتهام أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

قال ذلك الإمام القرطبي جـ ١٢ ص ١٩٧

وقاله الإمام ابن كثير في تفسيره جـ ٣ ص ٢٦٨

وقاله صاحب كتاب الدر المنثور جـ ٥ ص ٢٥

وقاله ابن حجر العسقلاني في فتح الباري جـ ٧ ص ٤٣١

وقاله الإمام الواحدي في كتابه «أسباب نزول القرآن» ص ١٨٢

فمن هي عائشة — رضي الله عنها — ؟...

عائشة أم المؤمنين
رضي الله عنها

عائشة زوج الرسول ﷺ وأحبّ نسائه إلى قلبه . والدها أبو بكر الصديق الذي قال فيه رسول الله ﷺ : «ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلّا كانت فيه عنده كبوة ونظر وتردد إلّا ما كان من أبي بكر بن قحافة ، ما عتم — أي ما تلبث — حين ذكرته له وما تردد فيه»[١] وهو صاحب الرسول في الغار ، ورفيقه في الهجرة قال تعالى : ﴿ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾[٢] .

وأمها : أم رومان بنت عامر ، كانت زوجة فاضلة ، وأماً بارة ، وسيدة حكيمة ، قال عنها رسول الله ﷺ :

«من سره أن ينظر إلى امرأة من الحور العين فلينظر إلى أم رومان»[٣] .

وأخوها : عبد الرحمن بن أبي بكر الذي قال لمعاوية بن أبي سفيان عندما طلب البيعة لابنه يزيد :

«أهرقلية إذ مات كسرى كان كسرى مكانه ... ؟ لا نفعل والله أبداً» .

وبعث إليه معاوية بمائة ألف درهم بعد أن أبى البيعة ليزيد فردها عليه وأبى أن يأخذها وقال :

«أبيع ديني بدنياي» .

فخرج إلى مكة فمات قبل أن تتم البيعة ليزيد بن معاوية»[٤] .

---

(١) أورده ، السيوطي في «تاريخ الخلفاء ص : ٣٥ من طريق ابن إسحاق ، حدثني محمد بن عبد الرحمن ابن عبدالله بن الحصين التميمي ، أن رسول الله ﷺ ... وهذا سند منقطع ، ومحمد بن عبد الرحمن لا يعرف بجرح ولا تعديل.

(٢) سورة التوبة آية رقم ٤٠ .

(٣) طبقات ابن سعد جـ ٨ ص ٢٧٧ ، وإسناده ضعيف ، فيه انقطاع وضعف.

(٤) الاستيعاب في معرفة الأصحاب جـ ٢ ص ٨٢٥.

وأختها : أسماء ذات النطاقين التي وقفت مع ابنها عبد الله بن الزبير وشدت من أزره أمام طغيان الحجاج.

وعندما قال لها : أخشى يا أماه إن ظفر بي بنو أمية أن يمثلوا بجثتي.

قالت : يا بني إن الشاة لا يضرها السلخ بعد الذبح ، فإن كنت على الحق فسر على بركة الله ؟ وإن كنت على الباطل فبئس العبد أنت أهلكت نفسك وأصحابك » .

كانت ولادة عائشة بمكة المكرمة ، تلك البقعة المباركة من أرض الله وكان والدها من كبار التجار في مكة ، ودرّت عليه التجارة الشيء الكثير فعاش في بحبوحة من العيش ، وفي رغد من الحياة.

وكان رجلاً كريماً باراً بأولاده وأسرته ، وكان سخي اليد في غير اسراف ، رحيماً في غير ضعف ، فيه رجولة واتزان ، وتدبير واتقان. واكتسبت منه زوجته هذه الصفات ، وسارت على نهجه في الحياة. فنشأ أولادهما على هذه الخصال الفاضلة والتربية السوية ، التي سيكون لها الأثر الكبير في حياة عائشة أم المؤمنين في مقبل الأيام.

لقد عاشت عائشة — رضي الله عنها — أحداث الدعوة الأولى مع أبيها — الذي فتح الله قلبه للإسلام — وتابع محمداً فيما دعا له. وتقدم بجميع ماله لنصرة هذا الدين والدفاع عن أتباعه — ضد تحجر القلوب وضلالات النفوس.

ولقد شبّت في هذا الجو الذي أخذ الكثير من الشد والجذب بين سدنة الأصنام وعبَّاد الواحد الأحد. فوعت على صغر سنها طبائع النفوس ، وسخائم الأفئدة وظلام البصيرة عند هؤلاء الناس الذين لا يؤمنون بالإله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلِد ولم يُولَد.

ولقد منحها الله سبحانه وتعالى — كل ما تتطلبه أنثى في الحياة ، من سلامة القوام ، وصباحة الوجه ، ونضارة الصبا ، وذكاء لماحاً. الأمر الذي جعل أحد سراة

مكة وهو المطعم بن عدي يتقدم لخطبتها على ابنه جبير وهي لم تتعد مرحلة الطفولة بعد.

ولكن الله سبحانه وتعالى أراد بها الخير، وادخر لها ما تتطاول إليه كل فتاة في هذه الحياة، وأعدها لتكون زوجة الرسول ﷺ.

ولكن كيف تم هذا؟...

وهل هناك من أسباب جعلت الرسول ﷺ يخطب عائشة؟...

تقول أوثق المصادر التاريخية التي بين أيدينا:

«لقد ماتت خديجة زوج الرسول ﷺ وعاش الرسول بعدها في وحشة الفراق والحزن. والصحابة يرقبون هذه الآثار على نبيهم فيشفقون عليه من تلك الوحدة. ويودون لو تزوج. لعل في الزواج ما يؤنس وحشته ويخفف بعض ما يعانيه بعد أم المؤمنين الراحلة.

لكن واحداً من الصحابة لم يجرؤ على التحدث إليه في موضوع الزواج... وإذا كان الرجال يجدون بعض الصعوبة والحرج في مثل هذه الأمور. فإن النساء بما لديهم من أساليب وحيل يقدرون طَرْقَ مثل هذه الموضوعات، والوصول بما لديهم من حاسة الأنثى إلى معرفة وكشف حقيقة الرجال.

لقد سعت خولة بنت حكيم السلمية الى بيت الرسول ﷺ وفاتحته فيما لم يستطع أن يفاتحه فيه الرجال، وقالت له:

«يا رسول الله كأني أراك قد دخلتك خلة لفقد خديجة»، فأجاب:

«أجل كانت أم العيال وربة البيت»[1].

فاقترحت عليه أن يتزوج.

فسأل محدثته في نبرة عتاب: ومن... بعد خديجة؟!!...

---

(١) موسوعة آل النبي ــ د. بنت الشاطىء.

قالت خولة على الفور، كأنما انتظرت هذا السؤال، وأعدت له الجواب:

«إن شئت يا رسول الله بكراً وإن شئت ثيباً».

فقال: من البكر ومن الثيب؟...

قالت: أما البكر فعائشة بنت أبي بكر، وأما الثيب فسودة بنت زمعة قد آمنت بك واتبعتك على الحق.

وسكت الرسول ﷺ إن عائشة يعرفها منذ طفولتها الباكرة وأنزلها من نفسه أعز ما تنزل ابنة غالية، وشاهدها تنمو بين عينيه ويتفتح صباها عن ملاحة أخاذة، وبديهة حاضرة مع فصاحة في اللسان، وشجاعة في القلب. وبلغ من اعزاز الرسول لها أن كان يوصي بها أمها قائلاً:

«يا أم رومان، استوصي بعائشة خيراً واحفظيني فيها»[1].

فإذا رآها يوماً غاضبة وقف في صفها وقال لأمها في عتاب رقيق: «يا أم رومان، ألم أوصلك بعائشة أن تحفظيني فيها؟»...

وأذن لها الرسول في خطبتها.

تقول خولة بنت حكيم: فأتيت أم رومان فقلت: يا أم رومان وماذا أدخل الله عليكم من الخير.

قالت: وما ذاك؟..

قلت: رسول الله ﷺ يذكر عائشة.

قالت: انتظري فإن أبا بكر آت قالت فجاء أبو بكر فذكرت ذلك.

فقال: أوتصلح له وهي ابنة أخيه؟

فعادت خولة إلى الرسول ﷺ فحدثته بما كان من أمر أبي بكر فردها الرسول ﷺ وقال: أما أنا أخوه وهو أخي، وابنته تصلح لي.

---

(١) أخرجه ابن سعد ٨/ ٧٨.

عندها قام ابو بكر واتجه إلى بيت المطعم بن عدي وقال له : ما تقول في أمر هذه الجارية يقصد عائشة وكان خطبها لابنه.

فقالت زوجة المطعم : لعلنا إن أنكحنا هذا الصبي إليك تُصْبيه وتدخله في دينك الذي أنت عليه؟...

فاتجه ابو بكر إلى المطعم وقال له : وأنت ما تقول؟..

فقال : أقول الذي قالته!!

فقام أبو بكر — رضي الله عنه — ليس في نفسه من الوعد شيء. وقال لخولة بنت حكيم : قولي لرسول الله ﷺ فليأت[1].

فجاء رسول الله ﷺ فعقد على عائشة وأصدقها أربعمائة درهم[2].

وكان ذلك بمكة في شوال قبل الهجرة بثلاث سنين وهي بنت ست سنين[3] وفي رواية أنها كانت بنت سبع سنين[4].

وسعد الرسول ﷺ بخطبة عائشة، وكان يتردد على بيت صاحبه في أوقات متقاربة.

ودخل الناس في دين الله أفواجاً وازدحمت دار الأرقم بن أبي الأرقم بالمسلمين الذين يتابعون محمداً فيما يدعو إليه.

وعندما اشتد أذى المشركين لهذه الفئة المؤمنة أمرهم رسول الله ﷺ بالهجرة إلى يثرب بعد أن كانوا يهاجرون إلى الحبشة.

---

(١) إسناده حسن كما قال الحافظ في «الفتح» ٧/ ١٧٦، وأورده الهيثمي في «المجمع» ٩/ ٢٢٥، وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن عمرو بن علقمة، وهو حسن الحديث، وانظر «المسند» ٦/ ٢١٠، ٢١١، وطبقات ابن سعد ٨/ ٥٧.

(٢) سيرة ابن هشام والسمط الثمين.

(٣) طبقات ابن سعد وسنن النسائي وصحيح البخاري وشرح الزرقاني على المواهب.

(٤) سيرة ابن هشام والمستدرك للحاكم ومسند الشافعي وجامع الأصول لابن الأثير وابن سعد ٨/ ٦١.

ورصد المشركون تحركات المسلمين وشاهدوهم وهم يحملون الذراري والأطفال إلى دار الأوس والخزرج ، وعرفوا أنها دار منعة.

فخافوا خروج رسول الله ﷺ إليها فاجتمعوا في دار الندوة ولم يتخلف أحد من أهل الرأي والحجى منهم وأجمعوا أمرهم على قتل محمد ﷺ وتفرقوا على ذلك.

وأتى جبريل رسول الله ﷺ فأخبره الخبر. وعقد الرسول أمره على الهجرة حيث هؤلاء الأنصار الذين بايعوه على أن يمنعوه وينصروه وجاء رسول الله ﷺ إلى منزل أبي بكر.

عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت :

«كان لا يخطىء رسول الله ﷺ أن يأتي بيت أبي بكر أحد طرفي النهار ، إما بكرة وإما عشية ، حتى إذا كان اليوم الذي أذن فيه لرسول الله ﷺ في الهجرة ، والخروج من مكة من بين ظهري قومه أتانا رسول الله ﷺ بالهاجرة في ساعة كان لا يأتي فيها. فلما رآه أبو بكر قال. ما جاء رسول الله ﷺ هذه الساعة إلّا لأمر حدث.

قالت : فلما دخل تأخر له أبو بكر عن سريره فجلس رسول الله ﷺ ، وليس عند أبي بكر إلّا أنا وأختي أسماء.

فقال رسول الله ﷺ. أخرج عني من عندك.

فقال يا رسول الله إنما هما ابنتاي ، وما ذاك؟... فداك أبي وأمي.

فقال : إن الله قد أذن لي في الخروج والهجرة.

فقال ابو بكر : الصحبة يا رسول الله.

قال : الصحبة.

قالت عائشة : فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحداً يبكي من الفرح حتى رأيت أبا بكر يبكي يومئذ.

ثم قال : يا نبي الله ، إن هاتين راحلتان قد كنت أعددتهما لهذا ، فاستأجرا عبد الله بن أريقط يدلها على الطريق.

هاجر الرسول ﷺ وصاحبه إلى المدينة وبقيت عائشة مع أمها وأخواتها يتنسمون الأخبار ، ويطلبون من الله سبحانه وتعالى أن يصل المهاجران إلى مأمنهما. حتى يتمكنوا من اللحاق بهما.

ومرت الأيام بطيئة متثاقلة ، وكأنها لا تمر ولا تتحرك. ولا حديث لها إلّا عن الهجرة واللحوق بأحب الناس إليها.

وما كاد الوسول ﷺ يستقر بالمدينة — هو وصاحبه أبو بكر حتى بعث زيد بن حارثة ومعه ابو رافع مولاه وأعطاهما بعيرين وخمسمائة الف درهم أخذها من أبي بكر ليحضرا بناته.

وبعث أبو بكر معهما عبد الله بن أريقط ببعيرين أو ثلاثة. وكتب إلى عبد الله بن أبي بكر يأمره أن يحمل أهله أم رومان وعائشة وأختها أسماء.

وما هي إلّا أيام حتى أقلعت القافلة من مكة مع زيد بن حارثة أم أيمن وابنه أسامة ، ومع أبي رافع أم كلثوم وسودة بنت زمعة ، ومع عبد الله بن أبي بكر أم رومان وأختيه ، وخرج معهم طلحة بن عبيد الله. حتى قدموا المدينة فنزلوا في دار بني الحارث بن الخزرج[1].

وأصبحت عائشة قريبة من رسول الله ﷺ حتى إذا تمّ بناء المسجد وآخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار. فكر في الدخول بعائشة.

فأين عائشة الآن؟... أتراها تستعد لهذا الحدث السعيد؟...

أم أنها طفلة صغيرة ، ولم تعد لهذا الأمر عدته؟..

إن الأخبار التي بين أيدينا تقول : إنها كانت تلعب مع صويحباتها تحت النخيل

(١) قصة الهجرة أخرجها البخاري ٧/ ١٨٣ ، وما بعدها ، وهي عند ابن هشام ١/ ٤٨٤ وابن سعد ١/ ٢٣٧.

فجاءت أمها فأنزلتها ثم مشت بها حتى انتهت إلى الماء فمسحت وجهها بشيء من ماء وفرقت جميمة كانت لها ثم دخلت على رسول الله ﷺ. فإذا نسوة من الأنصار في البيت فقلن على الخير والبركة وعلى خير طائر ، فأسلمتها إليهن فأصلحن من شأنها ، ثم بنى بها رسول الله ﷺ في بيتها الذي توفي فيه رسول الله[1] ، فكانت أحظى نسائه لديه وأحبهن.

(١) أخرجه البخاري ٧/ ١٧٥، وابن سعد ٨/ ٦٣.

عائشة حبيبة ومحبوبة...

عاشت عائشة رضي الله عنها في بيت النبوة حبيبة إلى رسول الله ﷺ قريبة إلى نفسه، شيقة إلى قلبه. لا يفارقها حتى يعود اليها ولا يظعن إلّا ويؤوب وملء فؤاده شوق وحنين.

وعلم المسلمون بحب رسول الله ﷺ لعائشة، فكان أحدهم إذا أراد أن يهدي هدية إلى رسول الله ﷺ أخرها حتى إذا ذهب الى بيت عائشة بعث بها إليه[1].

وعلمت أمهات المؤمنين بما حدث ويحدث في بيت عائشة فأرادوا منافستها في هذا الحب، ومشاركتها في هذا الود. ولكنهم لم يستطيعوا ذلك؟؟..

فأرسلوا أم سلمة لرسول الله ﷺ وقلن لها: إن الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة وإنا نريد الخير كما تريد عائشة. فكلمي رسول الله أن يأمر الناس أن يهدوا إليه حيث ما كان أو حيث ما دار.

وذكرت ذلك أم سلمة لرسول الله ﷺ فأعرض عنها ولم يقل لها شيئاً:

فسألنها فقالت: ما قال لي شيئاً.

فقلن لها كلميه حتى يكلمك.

فجاءته فكلمته فقال لها: يا أم سلمة لا تؤذيني في عائشة، فإنه والله ما نزل عليه الوحي في لحاف امرأة منكن غيرها[2].

(١) انظر البخاري ٧/ ٨٤، ومسلم (٢٤٤١) و(٢٤٤٢).

(٢) انظر البخاري ٥/ ١٥١، ١٥٢، و٧/ ٨٤.

فقالت : أتوب إلى الله من ذلك يا رسول الله.

وعلمت أمهات المؤمنين ما كان من سفارة أم سلمة. وما قاله رسول الله ﷺ ولكنهن لم يقنعهن ذلك. ولم يوافق مطلبهن.

فأرسلن فاطمة الزهراء ابنته — رضي الله عنها — علّه يستجيب لها.

وجاءت فاطمة — إلى منزل أبيها فوجدته مضطجعاً مع عائشة في مرطها فاستأذنته فأذن لها.

فقالت : يا رسول الله إن أزواجك أرسلنني إليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة، وعائشة ساكتة.

فقال لها رسول الله : أي بنية ألست تحبين ما أحب؟...

قالت : بلى.

قال : فأحبي هذه : فقامت فاطمة لما سمعت ذلك من رسول الله، فخرجت إلى أزواج النبي ﷺ فأخبرتهن بالذي قالت وبالذي قال[1] فقلن ما نراك أغنيت عنا من شيء فارجعي إلى رسول الله فقولي له :

«إن نساءك ينشدنك العدل وابنة أبي قحافة».

فقالت فاطمة : والله لا أكلمه فيها أبداً.

. هل اكتفين بذلك الذي حدث ورضيت أمهات المؤمنين بما قسم الله لهن؟... الحقيقة أنهن لم ييأسن من الطلب؟...

وكأنهن عزمن على المطالبة، بما يرونه حقاً لهن حتى يستجيب لهن رسول الله ﷺ.

واخترن من يكلم رسول الله، هذه المرة؟

(١) صحيح الإمام مسلم جـ ١٥ ص ٢٠٥.

أيذهبن إليه بمجموعهن؟.. أيرسلن إليه أحد الرجال؟... أينتظرن حتى يمر على كل واحدة منهن فتكلمه في هذا الأمر؟...

إن حيرتهن لم تطل فلقد قالت زينب بنت جحش أم المؤمنين أنا أذهب إليه وأحدثه بما عندنا وبما يغضبنا من هذا الأمر.

فوافقنها على ذلك... واتجهت زينب الى حجرة عائشة حيث يجلس الرسول ﷺ فاستأذنت عليه فأذن لها.

فقالت: يا رسول الله إن أزواجك أرسلنني إليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة.

ولم تكتف بذلك. ولكنها وقعت في عائشة واستطالت عليها، وعائشة ترقب طرف رسول الله ﷺ هل يأذن لها في الرد عليها أم لا؟...

أيرضى رسول الله ﷺ أن تتطاول إحدى نسائه على الأخرى في بيتها وفي حضرته؟...

إنه لا يقبل ذلك ولا يوافق عليه — وهذا ما لحظته عائشة رضي الله عنها من أنه لا يمانع أن تنتصر عائشة لنفسها ولا يكرهه.

فردت على زينب حتى أفحمتها[1] وهدأت العاصفة ورضيت زينب، وعادت إلى أمهات المؤمنين، لتطلب منهن أن يقنعن بما قسم الله لهن.

ومن محبته ﷺ لأم المؤمنين عائشة أنه كان بينها وبين النبي كلام فقال لها:

«من ترضين بيني وبينك؟ أترضين بعمر؟...

قالت: لا أرضى عمر قط. عمر غليظ.

قال: أترضين بأبيك بيني وبينك؟..

قالت: نعم.

(١) انظر البخاري ٥/ ١٥١، ١٥٢، ومسلم (٢٤٤٢).

فبعث رسول الله ﷺ رسولاً إلى أبي بكر فلما جاء قال رسول الله ﷺ إن هذه من أمرها كذا.

قالت عائشة : اتق الله ولا تقل إلّا حقاً.

فرفع أبو بكر يده فلطم أنفها فولت عائشة هاربة منه ، فلزقت بظهر النبي ﷺ حتى قال له رسول الله :

«أقسمت عليك لما خرجت فإنا لم ندعك لهذا».

فلما خرج ابو بكر قامت عائشة فتنحت عن رسول الله ﷺ فقال : «أدن مني» فأبت أن تفعل.

فتبسم رسول الله ﷺ وقال :

«لقد كنت قبل شديدة اللزوق بظهري»[1].

إن عائشة أم المؤمنين التي ملأت قلب الرسول ﷺ كان لها دور لا ينكر في حياة الرسول عليه السلام. وفي تخفيف بعض ما كان يعانيه من تبعات الدعوة ، وأمور المسلمين.

ولقد كانت عائشة رضي الله عنها تفخر على أزواج النبي ﷺ بعشر خصال لم يعطهن ذات خمار قبلها.

فكانت تقول : صورت لرسول الله ﷺ قبل أن أصور في رحم أمي ، وتزوجني بكراً ولم يتزوج بكراً غيري ، وكان ينزل عليه الوحي وهو بين سحري ونحري ، ونزلت براءتي من السماء ، وكنت أحب الناس إليه ﷺ وكان يصلي ، وأنا معترضة بين يديه ولم يكن يفعل ذلك بأحد من نسائه غيري ، ولم ينكح امرأة أبواها مهاجران غيري ، وكنت أغتسل أنا وهو من إناء واحد ولم يكن يصنع ذلك بأحد من نسائه ، وقبض الله نفسه وهو بين نحري وسحري . ومات الليلة التي كان يدور عليَّ فيها ، ودفن في بيتي[2].

---

(١) أخرجه الحافظ الدمشقي. راجع السمط الثمين ص ٥١.

(٢) أخرجه ابن سعد ٨/ ٦٣ ، ٦٤ ، والحاكم في «المستدرك» ٤/ ١٠ ، وصححه ، ووافقه الذهبي.

إن ما ذكرته السيدة عائشة — رضي الله عنها — هو من عوامل حب الرسول لها ودلائل وعلامات على هذا الحب الكبير — الذي كان يملأ قلب الرسول ﷺ وفاض على البشرية كلها.

ولقد كانت عائشة رضي الله عنها تحب الرسول حباً لا يعادله حب، وكانت الغيرة تسيطر عليها، فتدفعها إلى أمور تغضب رسول الله وتقلقه، ولكن الذي كان يبرر لها ذلك، هذا الاعزاز الكبير والحب الغامر الذي يملأ قلبها تجاه رسول البشرية.

قالت يوماً للنبي ﷺ وهو داخل عليها: أين كنت يا رسول الله؟

قال: كنت عند أم سلمة.

قالت: أما تشبع. فتبسم.

فقالت: يا رسول الله، لو مررت بعدوتين إحداهما عافية لم يرعها من الناس أحد وأخرى قد رعاها الناس، أيهما كنت تنزل؟..

قال: بالعافية التي لم يرعها الناس.

قالت: فلست كأحد من نسائك[1].

ولقد أرادت السيدة عائشة أن تقول للرسول ﷺ أنه تزوجها بكراً بخلاف بقية الزوجات فعليه أن يطيل عندها المكث ويخصها بما لم يخصص به الأخريات من نسائه رضوان الله عليهن.

إنها طبيعة المرأة التي أوجدها الله سبحانه وتعالى في جبلتها، ومنها الغيرة التي هي إحدى صفات المرأة التي لا تتخلى عنها ولا تستطيع إن أرادت ذلك وما أحرى الرجال أن يحسبوا حساب هذه الغيرة عند معاملتهم للنساء وأيضاً من دلائل هذا الحب الكبير لرسول الله ﷺ في قلب عائشة أن جاءها يوماً وقال لها:

---

(١) أخرجه بمعناه البخاري ٩/ ١٠٤ في النكاح: باب نكاح الأبكار، وابن سعد ٨/ ٨٠.

«سأعرض عليك أمراً فلا عليك أن لا تعجلي به حتى تشاوري أبويك. فقالت عائشة: وما هذا الأمر يا رسول الله؟

فتلا عليها النبي ﷺ قول الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جميلاً * وإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدنَ اللهَ وَرَسُولَهُ والدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْراً عظيماً﴾[1].

فقالت عائشة: في أي ذلك تأمرني أن أشاور أبوي وقد أعلم والله أن أبوي لم يكونا ليأمراني بفراقك. بل أريد الله ورسوله والدار الآخرة.

فسر النبي بذلك وأعجبه.

وقال: سأعرض على صواحبك ما عرضت عليك. فكان النبي ﷺ يقول لهن: كما قال لعائشة ثم يقول: قد اختارت عائشة الله ورسوله والدار الآخرة[2].

وكانت عائشة شديدة الغيرة. والغيرة في طبائع النساء ألوان. تغار المرأة على قلب الرجل الذي تحبه ولو شغلته الذكرى ولم تشغله المودة الحاضرة، لأنها تعلم من هذا أنها لم تشغل قلبه كله، وهي تأسى على كل ما يفوتها من شواغل ذلك القلب، ولو لم تكن ثمة منافسة.

وتغار المرأة من المرأة الجميلة وإن لم تنافسها على رجل تحبه، وتغار من شريكتها في رجلها كائناً ما كان حظها من الجمال، وتغار من كل مزية غير الجمال، ما كان فيها سبيل إلى الحظوة في القلب الذي تريده لها ولا تطيق المزاحمة عليه.

والأنثى الغيرى في جميع هذه الألوان من الغيرة النسائية ماثلة هناك في سيرة عائشة — رضي الله عنها — كما روتها هي وكما رواها غيرها، ما من فارق بينها وبين

(١) سورة الأحزاب، الآيتان، ٢٨، ٢٩.

(٢) أخرجه البخاري ٨/ ٣٩٩ في التفسير، ومسلم (١٤٧٥)، وابن سعد ٨/ ٦٨، ٦٩.

سائر النساء إلّا الأدب الذي ينبغي لها والحق النبوي الذي هي جاهدة جهدها أن توفره وترعاه.

كانت السيدة خديجة متوفاة منذ سنوات يوم بنى النبي بالسيدة عائشة، لكن السيدة عائشة كانت تغار منها غيرة لم تنطوِ على مثلها لشريكاتها اللواتي يعشن معها لأنها شغلت قلب النبي بعد وفاتها فلم يزل يذكرها ويحب لحبها من كان يزورها أو يراها.

وكان عليه السلام يبر بعض العجائز فسألته السيدة عائشة في ذلك فقال: «إن خديجة أوصتني بها»[1].

فقالت مغضبة: خديجة: خديجة: لكأنما ليس في الأرض امرأة إلّا خديجة. وعلى حلم رسول الله ربما غضب أحياناً من ثورتها على ذكرى خديجة فغضب في هذه المرة وتركها فترة ثم عاد وأمها — أم رومان — عندها. فقالت له أمها: يا رسول الله ما لك ولعائشة؟... إنها حديثة السن وأنت أحق من يتجاوز عنها.

وسألته مرة: ما تذكر من عجوز حمراء الشدقين قد بدلك الله خيراً منها؟... فأسكتها قائلاً: والله ما أبدلني الله خيراً منها. آمنت بي حين كذبني الناس، وواستني بمالها حين حرمني الناس، ورزقت منها الولد وحرمته من غيرها»[2].

وكانت تغار عليه أشد غيرة عرفتها امرأة على زوجها، وربما خرج من عندها في ليلتها فإذا هي تتبعه إلى حيث ذهب مخافة أن يلم ببيت زميلة من زميلاتها، ووجدته في ليلة من هذه الليالي قد ذهب إلى المقابر يصلي للشهداء ويستغفر لهم فعادت إلى بيتها تقول لنفسها: بأبي أنت وأمي... أنت في حاجة ربك وأنا في حاجة الدنيا ولكنها لبثت مكروبة الصدر مما خاطرها من خاطرها الأول ومن خطأ ظنها. فلما قفل عليه السلام إليها لحظ ما بها، فسألها... ما هذا النفس يا عائشة؟

---

(١) انظر «فتح الباري» ١٠/ ٣٦٥، و«المستدرك» ١/ ١٥، ١٦.

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» ٦/ ١١٧، ١١٨، ونسبه الحافظ في «الإصابة» ٢/ ٢١٧، ٢١٨ إلى كتاب «الذرية الطاهرة» للدولابي.

فقالت: بأبي أنت وأمي أتيتني فوضعت ثوبيك ثم لم تستتم أن قمت فلبستهما فأخذتني غيرة شديدة ظننت أنك تأتي بعض صويحباتي حتى رأيتك بالبقيع تصنع ما تصنع. وخرج مرة أخرى ثم عاد إليها، فإذا هي في مثل تلك الحالة الأولى. فقال: يا عائشة أغرت؟...

فقالت: وما لي لا يغار مثلي على مثلك.

وكانت عائشة تغار من اللواتي وهبن أنفسهن لرسول الله ﷺ تقول: تهب المرأة نفسها؟...

فلما أنزل الله عز وجل: ﴿ تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ ﴾ [1].

قالت: ما أرى ربك إلا يسارع لك في هواك يا رسول الله[2].

وخرجت عائشة مع رسول الله ﷺ في حجة الوداع وخرج معه نساؤه، وكان متاع عائشة فيه خف وكان على جمل ناج. وكان متاع صفية بنت حيي فيه ثقل وكان على جمل بطيء.

فقال رسول الله ﷺ: حولوا متاع عائشة على جمل صفية وحولوا متاع صفية على جمل عائشة حتى يمضي الركب.

فلما رأت عائشة ذلك قالت:

«يا لعباد الله غلبتنا هذه اليهودية على رسول الله ﷺ فقال رسول الله: يا أم عبد الله إن متاعك كان فيه خف، وكان متاع صفية فيه ثقل فأبطأ الركب فحولنا متاعها على بعيرك وحولنا متاعك على بعيرها.

فقالت عائشة: أليس تزعم أنك رسول الله؟..

---

(١) سورة الأحزاب آية رقم ٥١.

(٢) أخرجه البخاري ٨/ ٤٠٤، ٤٠٥ و٩/ ١٤١، ١٤٢، ومسلم (١٤٦٤) وأحمد ٦/ ١٥٨، وابن ماجه (٢٠٠٠)، والنسائي ٦/ ٥٤.

فتبسم وقال: أوفي شك أنت يا أم عبد الله؟.

فعادت فقالت: أولست تزعم أنك رسول الله فهلا عدلت؟..

فسمعها أبو بكر وكان فيه حدة فأقبل عليها ولطم وجهها.

فقال رسول الله ﷺ: مهلاً يا أبا بكر.

فقال: يا رسول الله أولم تسمع ما قالت؟..

فقال رسول الله ﷺ: إن الغيران لا تبصر أسفل الوادي من أعلاه[1].

وصدق رسول الله ﷺ إن الغيرة تعمي وتصم، إذا كانت بين الرجال فما بالك إذا كانت بين النساء.

فهل تلام عائشة على ذلك، إذا كانت غيرتها على الرسول الكريم الذي صفاه ربه من دنس الشرك والجاهلية، وأدبه فأحسن تأديبه — وأكمل خُلُقَه وخَلقه، وحمله رسالة ربه — وجعله خاتم النبيين، وحبيب العالمين. إن من حق عائشة أن تغار على زوجها ورجلها — وليس في ذلك غضاضة أو نقص، فعلماء النفس يقولون: إن الغيرة إحدى بنات الحب...

---

(١) أعلام النساء جـ ٣ ص ٢٠ وذكره صاحب السمط الثمين وقال خرجه الحافظ الدمشقي.

عائشة — رضي الله عنها — والعلم

كانت أم المؤمنين عائشة حاملة لواء العلم والمعرفة ، عارفة بأحداث عصرها الذي عاشت فيه ، خبيرة بشئون بيتها وما يجب أن تقوم به . وكيف لا تكون كذلك؟ .. وقد نشأت في بيت أبيها الذي كان أعلم الناس بأنساب العرب وأيامهم . وفقهت أمور دينها وتعلمت مبادىء الإسلام في مدرسة الرسول ﷺ وتلقت أصول الأدب والأخلاق على يد من أدّبه ربه فأحسن تأديبه . ومدحه في محكم آياته بقوله :

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[1] .

وكانت حياتها في بيت النبوة الذي نزل فيه الوحي ، ويتلى فيه القرآن آناء الليل وأطراف النهار .

من أجل هذا كانت عائشة — رضي الله عنها — على قدر كبير بفقه الإسلام ومبادئه ، ودراية بأنواع المعرفة وأبوابها .

قال عروة لعائشة : يا أمتاه لا أعجب من فقهك أقول : زوجة رسول الله ﷺ وابنة أبي بكر الصديق ، ولا أعجب من علمك بالشعر وأيام الناس أقول ابنة أبي بكر وكان من أعلم الناس .

ولكن أعجب من علمك بالطب كيف هو ومن أين هو؟ ..

قال : فضربت عائشة على منكبه وقالت :

«أبا عرية إن رسول الله ﷺ كان يسقم عند آخر عمره فكانت تقدم وفود العرب من كل وجه فتنعت له الأنعات وكنت أعالجه فمن ثم»[2] .

---

(١) سورة القلم آية رقم ٤.

(٢) أعلام النساء : عمر رضا كحالة جـ ٣ ص ١٠٥.

وقال الزهري : لو جمع علم عائشة بعلم جميع أزواج النبي ﷺ وجميع النساء كان علم عائشة أكثر، وفي رواية أفضل.

وكيف لا تكون كذلك ، وهي صاحبة عقلية لماحة وعين فاحصة الأمر الذي جعلها تعرف علم الطب ، وتعرف أدويته ، وتفهم في أساليبه ، من مرض الرسول ﷺ وما يوصف له من دواء.

وروت عن رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر بن الخطاب وفاطمة الزهراء وسعد ابن أبي وقاص ، وحمزة بن عمرة الأسلمي وجذامة بنت وهب «٢٢١٠» حديثاً ذكر لها في الصحيحين منها سبع وتسعون ومائتا حديث والمتفق عليه منها أربع وسبعون ومائة حديث. وبهذا يقول علماء الحديث : إن عائشة رضي الله عنها تعد من رواة الحديث المكثرين[1] .

وقال عروة سألت عائشة عن قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ فَمَنْ حَجَّ البَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾[2] .

فوالله ما على أحد جناح أن لا يطوف بين الصفا والمروة. قالت : بئس ما قلت يا ابن أختي إن هذه لو كانت كما أولتها كانت لا جناح ألا يطوف بهما. ولكنها أنزلت في الأنصار كانوا قبل أن يسلموا يهلون لمناة الطاغية التي كانوا يعبدونها عند المشلل[3] . وكان من أهل بها يتحرج أن يطوف بين الصفا والمروة. فلما أسلموا سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك. فقالوا : يا رسول الله إنا كنا نتحرج أن نطوف بين الصفا والمروة فأنزل الله عز وجل : ﴿ إِنَّ الصَّفَا والمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ ﴾ الآية.

وقالت عائشة : وقد مشى رسول الله ﷺ بينهما فليس لأحد أن يترك الطواف بينهما.

---

(١) المجتبى لابن الجوزي والكمال في معرفة الرجال للحافظ المقدسي.

(٢) سورة البقرة آية رقم ١٥٨.

(٣) المشلل : جبل يهبط منه إلى قديد من ناحية البحر.

فأخبرت أبا بكر عن عبد الرحمن فقال: إن هذا لعلم ما كنت سمعته، ولقد سمعت رجالاً من أهل العلم يذكرون أن الناس إلّا من ذكرت عائشة ممن كان يهل لمناة كانوا يطوفون كلهم بين الصفا والمروة. فلما ذكر الله تعالى الطواف بالبيت ولم يذكر الصفا والمروة في القرآن قالوا: يا رسول الله كنا نطوف بالصفا والمروة فأنزل الله عز وجل:

﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ﴾[1]. الآية.

قال أبو بكر: فأحسب هذه الآية نزلت في الفريقين كليهما. في الذين كانوا يتحرجون أن يطوفوا في الجاهلية بين الصفا والمروة، والذين كانوا يطوفون ثم تحرجوا أن يطوفوا بهما في الإسلام[2].

وكانت عائشة — رضي الله عنها — فصيحة اللسان بليغة المقال إذا حدثت ملكت على الناس مسامعهم. وإذا تكلمت أخذت بمجامع القلوب.

قال الأحنف بن قيس:

سمعت خطبة أبي بكر وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب والخلفاء هلم جراً إلى يومي هذا فما سمعت الكلام من فم مخلوق أفخم ولا أحسن منه في عائشة.

وقال موسى بن طلحة: ما رأيت أحداً أفصح من عائشة[3].

وقال معاوية: والله ما رأيت خطيباً قط أبلغ ولا أفصح من عائشة[4].

---

(١) سورة البقرة، الآية رقم ١٥٨.

(٢) أخرجه البخاري ٨/ ١٣٢ في التفسير، ومسلم (١٢٧٧) (٢٦٠) في الحج، وهو في «الموطأ» ١/ ٣٧٣.

(٣) أخرجه الترمذي وقال حسن صحيح.

(٤) المستدرك للحاكم وأخرجه الترمذي وقال: حسن.

ولما توفي أبو بكر — رضي الله عنه — وقفت عائشة على قبره فقالت:

«نضر الله وجهك يا أبت وشكر لك صالح سعيك فلقد كنت للدنيا مذلاً بإدبارك عنها وللآخرة معزاً بإقبالك عليها. ولئن كان أجل الحوادث بعد رسول الله ﷺ رزؤك وأعظم المصائب بعده فقدك، إن كتاب الله ليعد بحسن الصبر عنك حسن العوض منك، وأنا ابستنجز موعود الله تعالى بالصبر فيك وأستقضيه بالاستغفار لك أما لئن كانوا قاموا بأمر الدنيا فلقد قمت بأمر الدين لما وهي شعبه، وتفاقم صدعه، ورجفت جوانبه، فعليك سلام الله توديع غير قالية لحياتك ولا زارية على القضاء فيك»[1].

إنها حكيمة أخذت حكمتها من كتاب الله تعالى.

وبليغة أخذت بلاغتها من أدب الرسول ﷺ.

وفصيحة، لأنها عربية ونشأت بين بطاح مكة.

ومؤثرة، وكيف لا تكون كذلك، ولقد استقت من نبع الإسلام وتعلمت الكثير من آداب الرحمن.

---

(١) أعلام النساء. عمر رضا كحالة جـ ٣ ص ١١٤.

المرأة ووظيفتها عند أم المؤمنين

من تكون المرأة المسلمة في نظر عائشة — رضي الله عنها — وأي الأعمال تختار لها.

أهي المرأة التي تهجر بيتها وتترك أطفالها لتساهم في الحياة العامة ؟... أم أنها المرأة التي تدرس لتحصل على أرقى الشهادات وأكبر الدرجات العلمية متجاهلة وظيفتها الأساسية ، ورسالتها في الحياة؟..

أم أنها المرأة التي تجلس في بيتها لا تفكر في عمل ولا تساهم في حياة ، وتترك أعباء بيتها وأولادها على زوجها؟..

إن المرأة في نظر أم المؤمنين ليست هذه ولا تلك. ولكن المرأة هي التي تعرف حقيقة وضعها ، وتقوم بأعباء وظيفتها — وتساهم في حل مشكلة الحياة مع زوجها.

فنراها تقول :

«المغزل بيد المرأة أحسن من الرمح بيد المجاهد في سبيل الله»(١) .

ورأت أثر المغزل في يد امرأة فقالت لها :

«أبشري بما لك عند الله عز وجل لو رأيتم بعض ما أعد الله لكم معاشر النساء لما أقررتم ليلاً ولا نهاراً.

أما من امرأة غزلت لزوجها ولنفسها ولصبيانها إلا أعطاها الله عز وجل بكل طاقة نوراً حتى ملأت مغزلها فإذا ملأت مغزلها أعطاها الله عز وجل بيتاً في الجنة أوسع من المشرق إلى المغرب ، ولها بكل ثوب مائة ألف وعشرين ألف مدينة ، وما

---

(١) المصدر السابق ص ١١٨.

على ظهر الأرض تسبيح يعدل عند الله من صوت صرير يخرج من مغزل النساء حتى ينتهي إلى العرش له دوي كدوي النحل، ويعدل عند الله عز وجل منزلة كبيرة.

بلغوا عني النساء ما أقول: ما من امرأة غزلت حتى كسيت نفسها إلا استغفر لها سبع سموات وما فيهن من الملائكة.

إلى أن قالت: أبشروا معاشر النساء ما لكن عند الله عز وجل بطاعتكن لبعولتكن وخدمتكن لأولادكن أنتم المساكين في الدنيا والسابقون إلى الجنة مع أرواح الأنبياء يغفر الله لكنّ كل ذنب عملتهن ما خلا الكبائر»[1].

إن أم المؤمنين تهيب بالنساء المسلمات أن يعملن في داخل بيوتهن والعمل الذي يناسب وظيفتهن.

أما هذا التبذل الرخيص الذي نشاهده اليوم فهي تنهي عنه.

إن المرأة تستطيع عن طريق المغزل أو الوسائل الحديثة «كالتريكو» وخلافه أن تساهم في التخفيف عن ميزانية المنزل. وبذلك تحل الكثير من المشاكل. وهو عمل يقابله أجر كبير.

إن الملائكة تبارك هذا العمل.

والمؤمنون في كل عصر ومصر يشجعون عليه لأنه عند الله عبادة، وعند الزوج مشاركة، وعند الأبناء برٌ ووفاء وتسأل أم المؤمنين عن أفضل النساء فتقول:

«هي التي لا تعرف عيب المقال، ولا تهتدي لمكر الرجال، فارغة القلب إلّا من الزينة لبعلها، والابقاء في الصيانة على أهلها.

إن المرأة العاقلة التي تأدبت بأدب الإسلام لا تعرف فحش القول ولا سلاطة اللسان.

فهي عفيفة في قولها.

---

(١) أعلام النساء... عمر رضا كحالة ص ١١٩ جـ ٣.

صادقة في حديثها.

أمينة على عرضها.

وهي من قبل هذا ومن بعده، تهتم بزينتها من أجل زوجها، تسر بمظهرها كما تسر بمخبرها. هذه المرأة تعف نفسها وتصون زوجها، وتجمل الحياة بأخلاقها وحسن معاملتها لبعلها.

إنه الدستور الطيب الذي وضعته أم المؤمنين للنساء المسلمات وطالبتهن باتباعه، وتنفيذ بنوده. والاقتداء بتعاليم الإسلام... فهل تراهُنَّ مطيعات ومنفذات؟.. نرجو من الله ذلك.

أم المؤمنين والحياة العامة...

لقد كان لأم المؤمنين — بعد وفاة الرسول ﷺ دورها في حياة المسلمين، من ذلك مشاركتها في الدعوة إلى الله، وقيامها بالرواية عن رسول الله. والإجابة على أسئلة النساء المؤمنات، وتفقيهن في أمور دينهن وبالجملة فلم تكن في يوم من الأيام بمعزل عن حياة المسلمين في السلم أو الحرب.

وكان كبار الصحابة يستشير أم المؤمنين في كبريات الأمور التي تجابههم، ولا يقطعون فيها برأي.

من ذلك أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عندما طعنه أبو لؤلؤة المجوسي، بخنجره وأحس أنه عما قريب سيفارق الدنيا قال لابنه عبد الله:

«إذهب إلى عائشة وأقرئها مني السلام واستأذنها أن أقبر في بيتها مع رسول الله ومع أبي بكر»[1].

فأتاها عبد الله فأعلمها فقالت: نعم وكرامة، ثم قالت: يا بني أبلغ عمر سلامي وقل له لا تدع أمة محمد بلا راع استخلف عليهم ولا تدعهم بعدك هملاً فإني أخشى عليهم الفتنة».

فأتى عبد الله فأعلمه فقال: ومن تأمرني أن أستخلف لو أدركت أبا عبيدة بن الجراح باقياً استخلفته ووليته، فإذا قدمت على ربي فسألني وقال لي:

«من وليت على أمة محمد؟»..

قلت: أي رب سمعت عبدك ونبيك يقول: لكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح[2]. ولو أدركت معاذ بن جبل استخلفته فإذا قدمت على ربي فسألني من وليت على أمة محمد؟»...

(١) طبقات ابن سعد جـ ٣ ص ٣٦٣.

(٢) أخرجه البخاري ٧/ ٧٣، ومسلم (٢٤١٩)، وانظر «المستدرك» ٣/ ٢٦٨.

قلت : أي رب سمعت عبدك ونبيك يقول : إن معاذ بن جبل يأتي بين يدي العلماء يوم القيامة[1].

ولو أدركت خالد بن الوليد لوليته فإذا قدمت على ربي فسألني من وليت على أمة محمد؟.. قلت : أي رب سمعت عبدك ونبيك يقول :

«خالد بن الوليد سيف من سيوف الله سله على المشركين»[2].

ولكني سأستخلف النفر الذي توفي رسول الله وهو عنهم راض فأرسل إليهم فجمعهم ، وهم علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف.

إن أم المؤمنين تطالب عمر وهو في النزع الأخير. أن يعين للأمة خليفة من بعده حتى لا تتفرق بهم السبل ، أو تتناوشهم الأهواء ، ويصبح بأسهم بينهم شديداً ، وأراد الله بالمسلمين خيراً وتم اختيار عثمان بن عفان خليفة لهم واستراح المسلمون لذلك.

ومرت الأيام وكرت الليالي ، وأم المؤمنين عائشة — رضي الله عنها — ترقب أحوال الخليفة الجديد ، وترصد أعماله. فوجدت في بعض تصرفاته ما يخالف ما كان يأمر به الرسول ﷺ والخليفان من بعده ، فأرسلت إليه من يذكره ويحذره.

فكان نتيجة ذلك أن نقص عطاء السيدة عائشة عما كان مقدراً لها في عهد الخليفة عمر.

وهذا النقص قد يكون سائغاً إذا دعت إليه حاجة في خزانة الدولة ، ولكنه لا يسوغ ولا تستريح إليه النفس والأموال تتدفق على خزانة الدولة بالألوف التي يحار فيها الإحصاء ، وغنائم أفريقيا وحدها تبلغ مليونين ونصف مليون من الدنانير.

---

(١) أورده الهيثمي في «المجمع» ٩ / ٣١١ ونسبه للطبراني بلفظ : «معاذ بن جبل إمام العلماء برتوة».

(٢) أخرجه الترمذي (٣٨٤٥) في المناقب من حديث زيد بن أسلم ، عن أبي هريرة قال : نزلنا مع رسول الله ﷺ منزلاً ... فقال : من هذا فقلت : خالد بن الوليد. فقال : «نعم عبد الله خالد بن الوليد سيف من سيوف الله».

وجاء وفد من الكوفة يتهم الوليد بن عقبة أخا عثمان لأمه بشرب الخمر فتبرمت بهم حاشية الخليفة وبرأوا الوليد عنده مما اتهمه به أهل الكوفة.

فقال لهم: أكلما غضب رجل منكم على أميره رماه بالباطل؟.. لئن أصبحت لكم لأنكلن بكم، فاستجاروا ببيت النبي وعائشة فيه.

ثم أصبح عثمان، فسمع من البيت صوتاً وكلاماً فيه بعض الغلظة فقال مغضباً «أما يجد مراق أهل العراق وفساقهم ملجأ إلّا بيت عائشة»؟..

فسمعته فقيل إنها رفعت نعل رسول الله ﷺ وقالت:

«تركت سنة رسول الله صاحب هذا النعل»[1]؟...

وتسامع الناس فجاءوا حتى ملأوا المسجد، فمن قائل: أحسنت، ومن قائل ما للنساء وهذا؟..

حتى تصايحوا وتضاربوا بالنعال. ودخل رهط من أصحاب رسول الله على عثمان وناشدوه أن يعزل أخاه.

ومما يروى عنها — رضي الله عنها — أنها أخرجت ثوباً من ثياب رسول الله ﷺ فنصبته في منزلها وكانت تقول للداخلين اليها:

«هذا ثوب رسول الله ﷺ لم يبل وعثمان قد أبلى سنته»[2].

واستطاعت حاشية عثمان — رضي الله عنه — أن تعزله عن الرعية. وجعلوه يصم أذنيه عن نصح الناصحين، وتذكير الذاكرين، لما أن كان منها كما قيل إلّا أن أطلقت لسانها فيه. وأعلنت الحرب عليه، حرب التذكير. والنصح، ويقال أطلقت عليه «نعثلاً» وكانت تقول: اقتلوا نعثلاً قتل الله نعثلاً[3].

(1) أعلام النساء: رضا كحالة جـ ٣ ص ٣٢.

(2) تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٢٠٣ وراجع الأغاني جـ ٤ ص ١٧٨.

(3) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد جـ ٢ ص ٧٦ ونعثل رجل يهودي طويل اللحية شبهوا عثمان به لطول لحيته: ونحن نستبعد أن يصدر هذا القول من أم المؤمنين ولكنه من تزيد الرواة والله أعلم.

واستمر الحال على ذلك، حتى كانت الفتنة. الفتنة التي حذر منها رسول الله ﷺ بقوله: ستكون فتن كقطع الليل المظلم[1].

وقتل عثمان — رضي الله عنه —.

ووصل خبر مقتله عائشة رضي الله عنها فقالت: أبعده الله قتله ذنبه وأقاده الله عمله، يا معشر قريش لا يسومنكم قتل عثمان، كما سام أحمر ثمود قومه[2].

ولكن لم تمض الّا فترة قصيرة من الزمن حتى تردد في أرجاء الأمة الإسلامية أن أم المؤمنين عائشة تطالب بالقصاص من قتلة عثمان. وتحرّض الناس على عدم مبايعة الإمام عليّ.

كيف تمّ هذا؟... وما هي المبررات التي دفعت أم المؤمنين على أن تسلك هذا المسلك الوعر؟

إن رواية أبي مخنف لوط بن يحيى الأزدي تقول: إن عائشة — رضي الله عنها — لما بلغها قتل عثمان — وهي بمكة — أقبلت مسرعة وهي تقول:

«إيه ذا الأصبع لله أبوك أما إنهم وجدوا طلحة لها كفواً».

فلما انتهت إلى «سرف» استقبلها عبيد بن أبي سلمة الليثي فقالت له: ما عندك؟.. قال: قتل عثمان.

قالت: ثم ماذا؟..

قال: ثم صارت الأمور إلى خير فبايعوا علياً.

فقالت: لوددت أن السماء انطبقت على الأرض إن تمّ هذا ويحك انظر ماذا تقول؟..

قال: هو ما قلت لك يا أم المؤمنين، والله ما أعرف بين لابتيها أحداً أولى بها

(١) انظر «صحيح مسلم» (١١٨) في الإيمان، والترمذي (٢١٩٥) في الفتن.

(٢) انظر في تكذيب هذه الرواية رأي ابن تيمية في منهاج السنة جـ ٢ ص ١٨٨.

منه ، ولا أحق ، ولا أرى له نظيراً في جميع حالاته ، فلماذا تكرهين ولايته؟.. فما ردت جواباً عليه.

لقد كانت أم المؤمنين عائشة تعيب على عثمان مخالفته لسنة رسول الله ﷺ وتعيين أقاربه وأنصاره في الولايات العامة في الأمصار الإسلامية ، وخشيت أن تتحول الخلافة إلى وراثة. وطالبت بتنحية عثمان وعزله... فلما تم ذلك... وأسندت الخلافة إلى علي. لم تتقبل هذا الأمر... أتنكر على ابن عم الرسول ﷺ شيئاً في خلقه ودينه؟...

إنها أقرب الناس معرفة به وأقدرهم جميعاً للحكم له أو عليه. فلماذا الغضب على رجل هو أقرب الناس الى بيت النبي ﷺ وزوج ابنته وأبو حفيديه؟..

أيكون هذا الغضب يرجع بأسبابه إلى الكلمة التي قالها الإمام في حادث الإفك عندما سأله رسول الله عن رأيه في عائشة ، فقال له : يا رسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير[1].

فلا ريب أن علياً — رضي الله عنه — قد جانبه التوفيق في تلك النصيحة إذ لم يكن من الإنصاف أن تطلق عائشة لشبهة لغط بها المنافقون وطلاب الوقيعة بين النبي وأصحابه ، ولن يفهم الناس من تطليقها إلا أن النبي قد أدانها وأنف من معاشرتها ، ولن يصيبها ذلك وحدها بل يلصق بها وبأبيها وآلها وصمة لا تمحى في زمانها ولا بعد زمانها ، وقد يتعدى الأمر عائشة وآلها إلى الإسلام كله فيتخذ المنافقون من صدق حديثهم الذي أفكوا به مطعناً في صدق الدين ونبيه.

وهذا كله ما نحسب علياً رضي الله عنه قد سها عنه وهو ينصح إلى النبي بتلك النصيحة إلا لفرط الغيرة على تنزيه سمعة النبي وبيته.

وهذه الكلمة التي قالها الإمام علي لا تنسى ، لأن المرأة قد تنسى كل شيء إلّا شيئاً واحداً هو أن تحس أن هناك شخصاً آخر رجلاً كان أو امرأة يريد التفريق بينها وبين زوجها.

---

(١) ابن كثير جـ ٥ ص ٦٤.

ولكننا نستبعد أن يكون ذلك هو العامل الأساسي الذي من أجله خرجت السيدة عائشة — رضي الله عنها — لحرب الإمام علي أو تحريض المسلمين على عدم البيعة له...

وصاحب العقد الفريد يقدم لنا رواية مضمونها أن عائشة — رضي الله عنها — قالت كيف يقتل عثمان بعد أن استتاب، وعزل أقاربه وأنصاره. لقد تُرك عثمان كالثوب الأبيض نقياً من الدنس ثم عدوا عليه فقتلوه[1].

وعندما قال لها عبيد بن أبي سلمة:

«يا أمة إن أول من أمال حرفه لأنت»[2].

قالت: قد قلت وقالوا: وقولي الأخير خير من قولي الأول.

أم أنها كانت تريد للخلافة طلحة بن عبيد الله لأنه من بني عمومتها ومن بني تيم قبيلتها وقبيلة الخليفة الأول أبيها. وكان يؤازرها في هذا الأمر الزبير زوج أختها أسماء وابنه عبد الله ابنها الذي اختارته لكنيتها في بعض الروايات فكانت تكنّى من أجله بأم عبد الله.

وممّا يؤيّد هذه الرواية أنها عندما كانت في طريقها إلى مكة لقيت ابن عباس موفداً من قبيل عثمان ليتلو على الحجاج كتابه ويطلب النصفة بينه وبين الثائرين عليه فاقترحت عليه أن يخذل الناس عن عثمان وأن يشككهم فيه. ورشحت للخلافة طلحة بن عبيد الله. لأنه «اتخذ على بيوت الأموال والخزائن مفاتيح فإن يل الخلافة يسر بسيرة ابن عمه أبي بكر رضي الله عنه».

قال لها ابن عباس: يا أمة لو حدث — أي اعتزال عثمان ما فزع الناس إلّا إلى صاحبنا. قالت: إيهاً عنك لست أريد مكابرتك ولا مجادلتك[3].

(١) أنساب الأشراف للبلاذري جـ ٥ ص ١٠١.

(٢) تاريخ الطبري جـ ٣ ص ٤٧٧.

(٣) الطبري جـ ٣ ص ٤٣٤.

وتضطرب الروايات هنا أشد الاضطراب وتتباين أشد التباين ويكاد الوصول فيها إلى رأي أمثل يكون من قبيل المحال.

فلنتابع مع أم المؤمنين رحلتها التي انتهت بمعركة الجمل.

أم المؤمنين عائشة وموقعة الجمل...

أرادت عائشة — رضي الله عنها — ايقاع القصاص بقتلة عثمان، حتى لا يكون قتل الحكام والأمراء — سنة يلجأ إليها العامة، كلما خالفهم أمير أو حاكم. ولأن قتل الأمراء أو الخلفاء على هذه الصورة باب خطير يشيع الفتنة، ويدفع الأطراف جميعاً إلى رفع السلاح والدخول في معمعة القتال، الأمر الذي يفرق المسلمين ويشتت وحدتهم، ويضعف هيبتهم.

ولبّى دعوة عائشة أمهات المؤمنين وآزرنها في المطالبة بدم عثمان وإنزال العقوبة بقتلته، وكان رأيهن أن تقصد عائشة المدينة. فلما تحول رأيها إلى أهل البصرة آثرن البقاء على الخروج معها.

وأما حفصة ابنة عمر بن الخطاب — رضي الله عنها — فأرادت الخروج مع عائشة، وفاء للذكرى الجميلة التي ألفت بينهم وجمعتهم في بيت الرسول ﷺ وكانت حفصة دائماً معها تشاركها فيما يعن لها من أمور، وما تدبره من مواقف لأمهات المؤمنين الأخريات.

فعزم عليها أخوها عبد الله بن عمر أن تقعد فقعدت، وبعثت إلى عائشة تعتذر إليها لأن عبد الله حال بينها وبين الخروج.

فقالت عائشة: يغفر الله لعبد الله[1].

وأما أم سلمة فلما رأت صنع عائشة وعزمها على الخروج كتبت إلى عائشة: «أما بعد فإنك سُدة بين رسول الله ﷺ وبين أمته، وحجابك مضروب على حرمته، وقد جمع القرآن الكريم ذيلك فلا تبذليه، وسكن عقيرتك فلا تضيعيه.

الله من وراء هذه الأمة قد علم رسول الله مكانك لو أراد أن يعهد إليك وقد

(١) تاريخ الطبري جـ ٣ ص ٤٧٠.

علمتُ أن عمود الدين لا يثبت بالنساء إن مال، ولا يرأب بهن إن انصدع.

خمرات النساء غض الأبصار، وضم الذيول. ما كنت قائلة لرسول الله، وقد هتكت حجابه الذي ضربه عليك؟

ولو أتيتُ الذي تريدين ثم قيل لي أدخل الجنة لاستحييت أن ألقى الله هاتكة حجاباً قد ضربه عليّ، فاجعلي حجابك الذي ضرب عليك حصنك فابغيه منزلاً لك حتى تلقيه فإن أطوع ما تكونين إذا ما لزمته، وأنصح ما تكونين إذا ما قعدت فيه، ولو ذكرتك كلاماً قاله رسول الله ﷺ لنهشتني نهش الحية والسلام»[1].

وما كاد يصل هذا الخطاب إلى أم المؤمنين عائشة — رضي الله عنها — حتى ذهبت إلى أم سلمة في بيتها وقالت:

«ليس مسيري على ما تظنين ولنعم المطلع مطلع فرقت فيه بين فئتين متناجزتين فقالت أم سلمة رضي الله عنها:

«يا بنت أبي قحافة أنت أول مهاجرة من أزواج رسول الله ﷺ وأنت كبيرة أمهات المؤمنين — وكان رسول الله ﷺ يقسم لنا من بيتك، وكان جبريل أكثر ما يكون في منزلك.

فقالت عائشة: إن عبد الله أخبرني أن القوم استتابوا عثمان فلما تاب قتلوه صائماً في شهر حرام، وقد عزمت على الخروج على البصرة، ومعي الزبير وطلحة فاخرجي معنا لعل الله أن يصلح هذا الأمر على أيدينا وبنا.

فقالت أم سلمة: إنك كنت بالأمس تحرضين على عثمان وتقولين فيه القول، وما كان اسمه عندك إلا نعثلاً، وإنك لتعرفين منزلة علي بن أبي طالب عند رسول الله ﷺ أفأذكرك؟

قالت: نعم.

قالت: أتذكرين يوم أقبل عليه السلام ونحن معه، حتى إذا هبط من قديد ذات

(١) الفائق للزمخشري جـ ١ ص ٢٩٠ والعقد الفريد جـ ٣ ص ٩٦.

الشمال خلا بعلي بناحية فأطال فأردت أن تهجمين عليهما فنهيتك فعصيتني — فهجمت عليهما — فما لبثت أن رجعت باكية.

فقلت ما شأنك؟..

فقلت: إني هجمت عليهما وهما يتناجيان فقلت لعلي:

« ليس لي من رسول الله ﷺ إلّا يوم من تسعة أيام أفما تدعني يا ابن أبي طالب ويومي؟..

فأقبل رسول الله ﷺ وهو غضبان محمر الوجه فقال: « ارجعي وراءك والله لا يبغضه أحد من أهل بيتي ولا من غيرهم من الناس إلّا وهو خارج من الإيمان ».

فرجعت نادمة ساقطة.

قالت عائشة: نعم أذكر ذلك[1].

قالت: وأذكرك أيضاً كنت أنت وأنا مع رسول الله ﷺ وأنت تغسلين رأسه وأنا أحيس له حيساً، وكان الحيس[2] يعجبه، فرفع رأسه وقال « يا ليت شعري أيتكن صاحبة الجمل الأذنب تنبحها كلاب الحوأب[3] فتكون ناكبة عن الصراط، فرفعت يدي من الحيس فقلت: أعوذ بالله ورسوله من ذلك، ثم ضرب على ظهرك وقال:

« إياك أن تكونيها » ثم قال:

« إياك أن تكونيها يا حميراء أما أنا فقد أنذرتك ».

قالت عائشة: نعم أذكر هذا[4].

---

(١) شرح نهج البلاغة جـ ٢ ص ٧٨ وذكره أيضاً صاحب أعلام النساء جـ ٣ ص ٣٧.

(٢) الحيس: الخلط وهو طعام يتخذ من تمر يخلط بسمن وأقط.

(٣) أخرج أحمد في « المسند » ٦/ ٥٢ و٩٧ عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ قال ذات يوم: « كيف بإحداكن تنبح عليها كلاب الحوأب » وإسناده صحيح: وصححه ابن حبان (١٨٣١)، والحاكم ٣/ ١٢٠، ووافقه الذهبي، وأورده الحافظ في « فتح الباري » ١٣/ ٤٥، وقال الحافظ ابن كثير في « البداية » ٦/ ٢١٢ بعد أن ذكره من طريق أحمد: وهذا إسناد على شرط الشيخين ولم يخرجوه.

(٤) شرح نهج البلاغة جـ ٢ ص ٧٨.

قالت : وأذكر أيضاً كنت أنا وأنت مع رسول الله ﷺ في سفر له وكان علي يتعاهد نعلي رسول الله ﷺ فيخصفها ويتعاهد أثوابه فيغسلها ، فنقبت له نعلاً ، فأخذها يومئذ يخصفها وقعد في ظل شجرة وجاء أبوك ومعه عمر فاستأذنا عليه فقمنا إلى الحجاب ودخلا يحادثانه فيما أرادا ثم قالا :

« يا رسول الله إنا لا ندري قدر ما تصحبنا فلو أعلمتنا من يستخلف علينا ليكون لنا بعدك مفزعاً » .

فقال لهما : أما إني قد أرى مكانه ولو فعلت لتفرقتم عنه ، كما تفرقت بنو اسرائيل عن هارون بن عمران. فسكتا ، ثم خرجا.

فلما خرجنا إلى رسول الله ﷺ قلت له : وكنت أجرأ عليه منا — من كنت يا رسول الله مستخلفاً عليهم ؟ ..

فقال : خاصف النعل.

فنزلنا فلم نرَ أحداً إلّا علياً.

فقلت يا رسول الله ما أرى إلّا عليًّا.

فقال : هو ذاك.

فقالت عائشة : نعم أذكر ذلك.

فقالت : فأي خروج تخرجين بعد هذا ؟ ..

فقالت : إنما أخرج للإصلاح بين الناس وأرجو فيه الأجر إن شاء الله.

فقالت : أنت ورأيك.

فانصرفت عائشة عنها وكتبت أم سلمة بما قالت.

ثم ماذا ؟ .. حملت عائشة أم المؤمنين في هودج قد ألبس جلود النمر ثم ألبس فوق ذلك دروع الحديد.

ثم نادى المنادي : إن أم المؤمنين وطلحة والزبير شاخصون إلى البصرة فمن كان يريد اعزاز الإسلام وقتال المحلين ، والطلب بثأر عثمان فليتبعنا ثم خرجت عائشة أم المؤمنين فتبعها أمهات المؤمنين إلى ذات عرق فلم يرَ يوم كان أكثر باكياً على الإسلام أو باكياً له من ذلك اليوم ، حتى دعي ذلك اليوم بيوم النحيب[1] .

وأمّرت عائشة على الصلاة عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد فكان يصلي بهم في الطريق وبالبصرة حتى قتل. وخرج معها مروان بن الحكم وسائر بني أمية إلّا من خشع وأخذوا معهم دليلاً يقال له العُرني فسار معهم فكان لا يمر على واد ولا ماء إلّا سألوه عنه حتى طرقوا «ماء الحوأب» فنبحتهم كلابها.

فقالوا : أي ماء هذا؟..

قال : ماء الحوأب.

فصرخت عائشة بأعلى صوتها ثم ضربت عضد بعيرها فأناخته ثم قالت : «أنا والله صاحبة كلاب الحوأب طروقاً ، ردوني تقول ذلك ثلاثاً فأناخت وأناخوا حولها وهم على ذلك وهي تأبى حتى كانت الساعة التي أناخوا فيها من الغد.

فجاءها ابن الزبير فقال : النجاء النجاء فقد أدرككم والله علي بن ابي طالب فارتحلوا وشتموا الدليل وصرفوه»[2] .

والتقى الجمعان ، وتقاتلوا قتالاً شديداً وكانت الدائرة على جيش طلحة والزبير ونصر الله جيش علي بن أبي طالب ــ رضي الله عنه ــ وكان أول عمل قام به أن أصدر أمره بالمحافظة على «هودج» أم المؤمنين عائشة ــ رضي الله عنها[3] .

ثم جهز على عائشة بكل شيء ينبغي لها من مركب أو زاد أو متاع وأخرج معها كل من نجا ممن خرج معها إلّا من أحب المقام. واختار لها أربعين امرأة من ذوات

---

(١) تاريخ الطبري جـ ٣ ص ٤٧٨.

(٢) تاريخ الطبري جـ ٣ ص ٤٧٥ وراجع شرح نهج البلاغة جـ ٢ ص ٨٠.

(٣) اليعقوبي جـ ٢ ص ٢١٣.

الذين من عبد القيس وهمدان وألبسهن العمائم وقلدهن السيوف وقال لهن : لا تعلمن عائشة أنكن نسوة وأنتن اللاّتي تلين خدمتها وحملها فلما أتت المدينة قيل لها : كيف رأيت مسيرك؟

قالت : كنت بخير. والله لقد أعطى علي بن أبي طالب فأكثر، ولكنه بعث معي رجالاً. فعرفها النسوة أمرهن فسجدت لله شكراً وقالت :

«ما ازددت والله يا ابن أبي طالب إلّا كرماً وودت أني لم أخرج وإن أصابني كيت وكيت وإنما قيل لي تخرجين فتصلحين بين الناس. فكان ما كان»[1] .

وتمر الأيام، وتكر الليالي، وتحاول أم المؤمنين عائشة أن تكفر عن هذا العمل الذي قامت به، وتتوب إلى الله آناء الليل وأطراف النهار، وحاولت أن تعتزل الحياة، وتفر من الناس، وأن تعيش لعبادتها والتقرب إلى ربها، حتى كان يوم دخل عليها بعض النسوة يخبرنها بقتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، غدت إلى قبر رسول الله ﷺ فلم يبقَ في المسجد أحد من المهاجرين إلّا استقبلها يسلم عليها[2] ، وهي لا تسلم ولا ترد السلام، ولا تطيق الكلام من غزرة الدمعة، وغمرة العبرة وتتعثر في أثوابها والناس من خلفها حتى أتت إلى الحجرة فأخذت بعضادتي الباب ثم قالت :

«السلام عليك يا نبي الهدى، السلام عليك يا أبا القاسم، السلام عليك يا رسول الله، وعلى صاحبيك. يا رسول الله أنا ناعية اليك أحظى أحبابك وذاكرة لك أكرم أوداثك عليك، قتل والله حبيبك المجتبى وصفيك المرتضى قتل والله من زوجته خير النساء. قتل والله من آمن ووفى، وإني لنادبة ثكلاء وعليه باكية حراء. فلو كشف عنك الثرى لقلت إنه قتل أكرمهم عليك وأحظاهم لديك»[3] .

واشتاقت عائشة — رضي الله عنها — إلى الأحبة الذين سبقوها إلى الدار

(١) مروج الذهب جـ ٢ ص ١١ والطبري جـ ٣ ص ٥٤٧.

(٢) العقد الفريد وراجع أعلام النساء عمر رضا كحالة جـ ٣ ص ١٠٣.

(٣) تاريخ الطبري والمصدر السابق جـ ٣ ص ١٠٣.

لآخرة ، وتوعكت فلزمت فراشها — واشتد عليها المرض ، وجاء عبد الله بن عباس ستأذن عليها قبيل موتها ، وعند رأسها ابن أخيها عبد الله بن عبد الرحمن فقال لها : هذا عبد الله بن عباس يستأذن عليك.

فقالت : دعني من ابن عباس فإنه لا حاجة لي به ولا بتزكيته.

فقال : يا أمتاه إن ابن عباس من صالحي بنيك يسلم عليك ويودعك.

قالت : فأذن له ، فدخل فلما أن سلم وجلس ، قال :

«أبشري». قالت : «بم»؟..

قال : «ما بينك وبين أن تلقي محمداً ﷺ والأحبة إلّا أن تخرج الروح من الجسد. كنت أحب نساء رسول الله إلى الله ولم يكن رسول الله يحب إلّا طيباً. وسقطت قلادتك ليلة الابواء فأصبح رسول الله ليطلبها حين يصبح فأصبح الناس ليس معهم ماء ، فأنزل الله أن يتمموا صعيداً طيباً. فكان ذلك من سبيلك ، وما أذن الله لهذه الأمة من الرخصة فأنزل الله براءتك من فوق سبع سموات جاء بها الروح الأمين فأصبح ليس مسجد من مساجد الله يذكر فيه إلّا هي تتلى فيه آناء الليل والنهار».

فقالت : «دعني منك يا ابن عباس فوالذي نفسي بيده لوددت أني كنت نسياً[1] منسياً وبلغ الكتاب أجله ، وفارقت روحها جسدها في ١٧ رمضان سنة ٥٧هـ وهي ابنة ست وستين سنة وأمرت أن تدفن من ليلتها.

رضي الله عنها ، وأفسح لها في جناته. إنه سميع قريب مجيب الدعاء ، وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

(١) أخرجه أحمد في «المسند» ١/ ٢٧٦ و٣٤٩ ، وابن سعد ٨/ ٧٥ ، وأبو نعيم في «الحلية» ٢/ ٤٥ من طرق عن عبد الله بن خثيم ، عن ابن أبي مليكة ، عن ذكوان بنحوه ، وصححه الحاكم ٤/ ٨ ، ٩ ووافقه الذهبي.

أسباب نزول الآيات

قال الإمام أحمد رضي الله عنه :

« ذكروا أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت : «كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج لسفر أقرع بين نسائه ، فأيتهن خرج سهمها ، خرج بها رسول الله ﷺ معه . قالت عائشة — رضي الله عنها — فأقرع بيننا في غزوة غزاها ، فخرج فيها سهمي وخرجت مع رسول الله ﷺ وذلك بعدما نزل الحجاب فأنا أحمل في هودجي وأنزل فيه ، فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك وقفل ، ودنونا من المدينة ، آذن ليلة بالرحيل فقمت حين آذن بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش . فلما قضيت شأني أقبلت إلى رحلي فلمست صدري ، فإذا عقد لي من جذع ظفار قد انقطع فرجعت فالتمست عقدي ، فحبسني ابتغاؤه وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلونني فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب ،وهم يحسبون أني فيه . قالت : وكان النساء إذ ذاك خفافاً لم يثقلن ولم يغشهن اللحم ، إنما يأكلن العلقة من الطعام ، فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه ، وكنت جارية حديثة السن ، فبعثوا الجمل وساروا ووجدت عقدي بعدما استمر الجيش ، فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب ، فتيممت منزلي الذي كنت فيه ، وظننت ان القوم سيفقدونني فيرجعون إليَّ ، فبينما أنا جالسة في منزلي غلبتني عيناي فنمت .

وكان صفوان بن المعطل السلمي ، ثم الذكواني قد عرس من وراء الجيش فأدلج فأصبح عند منزلي ، فرأى سواد إنسان نائم فأتاني فعرفني حين رآني وقد كان رآني قبل الحجاب ، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني ، فخمرت وجهي بجلبابي ، والله ما كلمني كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حين أناخ راحلته ، فوطىء على

يدها فركبتها ، فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة ، فهلك من هلك في شأني .

وكان الذي تولّى كبره عبد الله بن أبي بن سلول .

فقدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمناها شهراً والناس يفيضون في قول أهل الإفك ، ولا أشعر بشيء من ذلك ، وهو يريبني في وجعي ولا أرى من رسول الله ﷺ اللطف الذي أرى منه حين اشتكى ، إنما يدخل رسول الله فيسلم ثم يقول : كيف تيكم ؟ ..

فذلك الذي يريبني ولا أشعر بالشر حتى خرجت بعدما نقهت ، وخرجت معي أم مسطح قبل المناصع — وهي متبرزنا — ولا نخرج إلّا ليلاً إلى ليل وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريباً من بيوتنا ، وأمرنا أمر العرب في التنزه في البرية ، وكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها في بيوتنا .

فانطلقت أنا وابنة أبي رهم بن عبد المطلب بن عبد مناف وهي أم مسطح بن أثاثة بن عباد بن عبد المطلب ، وحين فرغنا من شأننا أقبلنا نحو بيتي فعثرت أم مسطح في مرطها ، فقالت :

« تعس مسطح » .

فقلت لها : بئسما قلت تسبين رجلاً شهد بدراً ؟ ..

فقالت : أي هنتاه ألم تسمعي ما قال ؟ ..

قلت : وماذا قال ؟ ..

قالت : فأخبرتني بقول أهل الإفك فازددت مرضاً إلى مرض ، فلما رجعت إلى بيتي دخل عليّ رسول الله ﷺ فسلم ، ثم قال : « كيف تيكم » ؟ ..

فقلت له : « أتأذن لي أن آتي أبوي » ؟ ..

قالت : « وأنا حينئذ أريد أن أتيقن الخبر من قبلها ، فأذن لي رسول الله ﷺ فجئت أبوي فقلت لأمي :

«يا أمتاه لماذا يتحدث الناس به»؟.

فقالت: أي بنية هوني عليك، فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها إلّا أكثرن عليها.

قالت: فقلت: سبحان الله وقد تحدث الناس بها؟؟.. فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا اكتحل بنوم، ثم أصبحت أبكي. قالت: فدعا رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب، وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي يسألها ويستشيرهما في فراق أهله.

قالت: فأما أسامة بن زيد فأشار على رسول الله ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله وبالذي يعلم في نفسه لهم من الود.

فقال أسامة: يا رسول الله أهلك ولا نعلم إلّا خيراً».

وأما علي بن أبي طالب فقال:

«يا رسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تصدقك الخبر».

قالت: فدعا رسول الله ﷺ بريرة فقال:

«أي بريرة رأيت من شيء يريبك من عائشة»؟

فقالت له بريرة: والذي بعثك بالحق إن رأيت منها أمراً قط أغمصه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن، تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن فتأكله».

فقام رسول الله ﷺ من يومه فاستعذر من عبد الله بن أبي بن سلول، قالت: فقال رسول الله ﷺ وهو على المنبر: «يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهلي، فوالله ما علمت على أهلي إلّا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلّا خيراً، وما كان يدخل على أهلي إلّا معي».

فقام سعد بن معاذ الأنصاري رضي الله عنه فقال:

«أنا أعذرك منه يا رسول الله إن كان من الأوس ضربنا عنقه ، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك.

قالت : فقام سعد بن عبادة — وهو سيد الخزرج — وكان رجلاً صالحاً ولكن احتملته الحمية فقال لسعد بن معاذ :

«كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله ، ولو كان من رهطك ما أحببت أن يقتل» .

فقام أسيد بن حضير — وهو ابن عم سعد بن معاذ — فقال لسعد بن عبادة «كذبت لعمر الله لنقتلنه ، فإنك منافق تجادل عن المنافق» .

فتثاور الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله ﷺ على المنبر ، فلم يزل رسول الله يخفضهم حتى سكتوا وسكت رسول الله ﷺ .

قالت : وبكيت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ، وأبواي يظنان أن البكاء فالق كبدي.

قالت : فبينما هما جالسان عندي — وأنا أبكي — إذ استأذنت عليّ امرأة من الأنصار فأذنت لها فجلست تبكي معي . فبينما نحن على ذلك إذ دخل علينا رسول الله ﷺ فسلم ثم جلس.

قالت : ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل ، وقد لبث شهراً لا يوحى إليه في شأني شيء .

قالت : فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس ثم قال : «أما بعد يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا ، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله ، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي اليه ، فإن العبد إذا اعترف بذنبه وتاب ، تاب الله عليه» .

قالت : فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته ، قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة ، فقلت لأبي : أجب عني رسول الله.

فقال : والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ .

فقلت لأمي : أجيبي رسول الله ﷺ .

فقالت : والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ .

قالت : فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن والله لقد علمت ، لقد سمعتم بهذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به ، فلئن قلت لكم أني بريئة ، والله يعلم أني بريئة لا تصدقونني ، ولئن اعترفت بأمر والله يعلم أني منه بريئة لتصدقني ، فوالله ما أجد لي ولكم مثلاً إلّا كما قال أبو يوسف : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ واللهُ المسْتَعانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ (١).

قالت : ثم تحولت فاضطجعت على فراش. قالت : والله أعلم حينئذ أني بريئة وأن الله تعالى مبرئي ببراءتي ، ولكن والله ما كنت أظن أن ينزل في شأني وحي يتلى ، ولشأني كان أحقر في نفسي من أن يتكلم الله في بأمر يتلى ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله بها.

قالت : فوالله ما رام رسول الله ﷺ مجلسه ولا خرج من أهل البيت أحد حتى أنزل الله تعالى على نبيه فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء عند الوحي ، حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق ، وهو في يوم شاتٍ من ثقل القول الذي أنزل عليه.

قالت : فسري عن رسول الله ﷺ وهو يضحك فكان أول كلمة تكلم بها أن قال :

«أبشري يا عائشة أما الله عز وجل فقد برأك».

قالت : فقالت لي أمي : قومي إليه. فقلت :

«والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلّا الله عز وجل هو الذي أنزل براءتي وأنزل الله عز وجل».

﴿ إنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بالإفكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ ﴾ (٢) الخ.

(١) سورة يوسف رقم ١٨. (٢) سورة النور الآية رقم ١١.

فلما أنزل الله هذا في براءتي قال أبو بكر رضي الله عنه ـــ وكان ينفق على مسطح ابن أثاثة لقرابته منه وفقره : والله لا أنفق عليه شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة. فأنزل الله تعالى :

﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الفَضْلِ مِنْكُمْ والسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي القُرْبَى ﴾ إلى قوله ﴿ أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ واللهُ غَفورٌ رَحِيمٌ ﴾[1] .

فقال أبو بكر : بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي فرجع الى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه ، وقال : والله لا أنزعها منه أبداً »[2] .

---

(١) سورة النور آية رقم ٢٢.

(٢) أخرجه بطوله البخاري ٥/ ١٩٨ و٢٠١ ، و٧/ ٣٣٣ ، ٣٣٥ و٨/ ٣٤٣ ، ٣٦٧ ، ومسلم (٢٧٧٠) وأحمد ٦/ ١٩٤ ، ١٩٦ ، والترمذي (٣١٧٩) ، وعبد الرزاق في «المصنف» (٩٧٤٨) ، وانظر «السيرة» لابن هشام ٢/ ٢٩٧ ، ٣٠٧ ، «والبداية» لابن كثير ٣/ ١٦٠ ، ١٦٤ ، وتفسيره ٣/ ٢٦٨ ، ٢٧٢.

تذييل...

سؤال يطرح نفسه أو نطرحه نحن. فنقول:

هل من حق المرأة أن تشتغل بالسياسة؟..

وهل في مقدورها أن تكون نائبة تمر على بيوت الناخبين والناخبات وتستقبل في بيتها مؤيديها وطلاب الحاجات؟..

وهل من حقها أن تتصعد في مناصب الدولة حتى تتربع على كرسي الوزارة وتدير شئون الديوان؟..

وفي النهاية هل يجوز لها أن تكون حاكمة تملك زمام الحكم في الداخل وتجيش الجيوش وتقود المعارك في الخارج؟...

ولعل قائلاً يقول: أليس هذا هو المشاهد في دنيانا المعاصرة؟..

أليست هي الآن نائبة ترفع صوتها في مجلس الأمة؟..

ووزيرة تدير شئون الوزارة.

وملكة تتربع على كرسي العرش؟..

وإذا كان ذلك كذلك فكل هذه المناصب من حقها لأنها اكتسبتها، وهي قادرة على أدائها والقيام بها لأنها مارستها.

ونقول: هناك فرق كبير بين أن تكون نائبة هنا ووزيرة هناك في أمور تبلغ حد الندرة ولا تتجاوز عدد الأصابع في الغالب وبين أن يكون هذا هو القاعدة المطردة التي لا تتخلف، والدستور القائم الذي لا محيص عنه ولا مفر من التسليم به.

وقبل أن نجيب على هذه الأسئلة نرى أن نوضح الفروق بين الرجل والمرأة في الخلقة والطباع ثم نبين نوع العلاقة بينهما. وعن طريق ذلك نتعرف على اختصاصات كل منهما، والوظيفة التي أناطه الله بها... لقد خلق الله الناس ذكراً وأنثى زوجين على أساس القاعدة الكلية في بناء هذا الكون، وجعل من وظائف المرأة أن تحمل

وتضع وترضع وتكفل ثمرة الاتصال بينها وبين الرجل ، وهي وظائف ضخمة أولاً وخطيرة ثانياً ، وليست هينة ولا يسيرة بحيث تؤدّي بدون إعداد عضوي ونفسي وعقلي عميق غائر في كيان الأنثى. فكان عدلاً كذلك أن ينوط بالشطر الثاني الرجل.

الرجل الذي يقوم بتوفير الحاجات الضرورية ، وتوفير الحماية كذلك للأنثى كي تتفرغ لوظيفتها الخطيرة من حمل ووضع ورضاعة. وكان عدلاً كذلك أن يمنح الرجل من الخصائص في تكوينه العضوي والعصبي والعقلي والنفسي ما يعينه على أداء وظائفه هذه ، وأن تمنح المرأة في تكوينها العضوي والعصبي والعقلي والنفسي ما يعينها على أداء وظيفتها تلك.

وكان هذا فعلاً... ولا يظلم ربك أحداً.

ومن ثم زودت المرأة فيما زودت به من الخصائص — بالرقة والعطف وسرعة الانفعال والاستجابة العاجلة لمطالب الطفولة — بغير وعي ولا سابق تفكير لأن الضرورات الإنسانية كلها — حتى في الفرد الواحد — لم تترك لأرجحة الوعي والتفكير — بل جعلت الاستجابة لها غير إرادية لتسهل تلبيتها فوراً وفيما يشبه أن يكون قسراً ، ولكنه قسر داخلي غير مفروض من الخارج ، ولذيذ ومستحب في معظم الأحيان لتكون الاستجابة سريعة من جهة ومريحة من جهة أخرى — مهما يكن فيها من المشقة والتضحية — صنع الله الذي أتقن كل شيء.

وهذه الخصائص ليست سطحية ، بل هي غائرة في التكوين العضوي العصبي والعقلي والنفسي للمرأة ، بل يقول كبار العلماء المختصين إنها غائرة في تكوين كل خلية. لأنها عميقة في تكوين الخلية الأولى.

وكذلك زود الرجل — فيما زود به من الخصائص — بالخشونة والصلابة وبطء الانفعال والاستجابة ، واستخدام الوعي والتفكير قبل الحركة والاستجابة لأن وظائفه كلها من أول الصيد الذي كان يمارسه في أول عهده بالحياة إلى القتال الذي يمارسه دائماً لحماية الزوج والأطفال إلى تدبير المعاش إلى سائر تكاليفه في الحياة لأن وظائفه كلها تحتاج إلى قدر من التروي قبل الإقدام وإعمال الفكر والبطء في الاستجابة بوجه عام ، وكلها عميقة في تكوينه عمق خصائص المرأة في تكوينها..

ويرى الاستاذ العقاد: أن المرأة تختلف عن الرجل في الكثير من الظواهر والبواطن. في مادة الدم ونبضات القلب، وعوارض التنفس، وفي سحنة الوجه وحجم الدماغ وهندام الجسم ونغم الصوت. ولا يزعم أن المرأة هي الرجل، والرجل هو المرأة إلّا من ينكر الحس ويناقض البداهة، فالبداهة والخبرة ترسمان مجالاً للمرأة... هو القيام على النسل، وما هو بالعمل الهين ولا بالحقير.

وترسمان للرجل مجالاً هو عراك الحياة وشئون السلطان وما هو بالعمل الكبير عليه. ولا هو بالنصيب الذي يحسد من أجله.

فهل بعد ذلك نقول إن المرأة من حقها أن تشتغل بالسياسة؟ إننا نقدم هذا المثال من الغرب الذي يعتبر قبلة المخنثين من الرجال والذين يثيرونها «هوجة» مطالبين بحقوق المرأة السياسية.

جاء في رسالة من باريس أن الفتاة التي تدعى «استانسيبوف» البلغارية قد عينت في وظيفة بالوكالة البلغارية السياسية في واشنطن، وكان لهذه الآنسة شقيق يدرس الشريعة في جامعة «السربون» بباريس فلما بلغه النبأ أبرق إليها قائلاً:

«إن البيت مركز المرأة وشغلها هو تربية الأولاد.

لا المجادلات السياسية.

وتنظيم الموائد والأسرة.

لا إبرام المعاهدات والمفاوضات.

والخياطة والتطريز.

لا عقد المؤتمرات والندوات.

ولذلك فإني بدلاً من أن أهنئك بوظيفتك — أنحي عليك باللائمة عن إخلاص نية. وبروح الرفق والحنان.

... إن الجزائر المسلمة بعد تحريرها أصبحت المرأة الجزائرية متقدمة متحررة ولا تقل عن الرجل في شيء.

وفي أحد الأيام جاءت (قاضية) الأحداث متأخرة إلى المحكمة فوجه إليها وكيل النيابة اللوم على تأخرها فردت عليه:

«لا تنس إني امرأة وقد كنت عند «الكوافير» ..

لا تنس إني امرأة، فهن لا ينسين هذه الحقيقة... فلماذا يتجاهلها الرجال؟.. ويهرجون مع المهرجات ويطبلون مع «العابثات»؟..

.. إن السياسة تشغل المرأة عن وظيفتها الأساسية وظيفة حضانة الأولاد وتربيتهم. ولهذا نرى ويشاركنا في رأينا هذا كثير من المنصفين المعتدلين. الذين يأخذون الحياة مأخذ الجد والواقع لا المراهقات الفكرية التي يعيش فيها بعض من يتولون المناصب القيادية أو الإشراف على كثير من وسائل الإعلام في بلادنا العربية والإسلامية...

إن الجهاد... وهو أحد أركان الإسلام لم يكتب على المرأة ولم يحرم عليها لم يكتب الجهاد على المرأة لأنها تلد الرجال الذين يجاهدون، وهي مهيأة لميلاد الرجال بكل تكوينها العضوي والنفسي، ومهيأة لاعدادهم للجهاد وللحياة سواء — وهي أنفع بالنظر الواسع إلى مصلحة الأمة على المدى الطويل — فالحرب حين تحصد الرجال وتستبقي الإناث تدع للأمة مراكز الإنتاج للذرية تعوض الفراغ. والأمر ليس كذلك حين تحصد النساء والرجال، أو حتى حين تحصد النساء وتستبقي الرجال — فرجل واحد في النظام الإسلامي — وعند الحاجة إلى استخدام كل رخصه وامكانياته — يمكن أن يجعل نساء أربعاً ينجبن ويملأن الفراغ الذي تتركه المقتلة بعد فترة من الزمان، ولكن ألف رجل لا يملكون أن يجعلوا امرأة تنتج أكثر مما تنتج من رجل واحد لتعويض ما وقع في المجتمع من اختلال، وليس ذلك إلا باباً واحداً من أبواب الحكمة الإلهية في إعفاء المرأة من فريضة الجهاد[1].

لقد صدقت أم المؤمنين عائشة عندما سئلت عن أفضل النساء فقالت: «هي التي لا تعرف عيب المقال، ولا تهتدي لمكر الرجال، فارغة القلب إلّا من الزينة لبعلها، والإيقاء في الصيانة على أهلها».

وهناك حكمة صينية تقول:

«البيت الذي تزاول فيه الدجاجة عمل الديك يصير إلى خراب».

---

(١) الحجاب... للمودودي. وفي ظلال القرآن — سيد قطب. والمرأة في التصور الإسلامي. عبد المتعال الجابري.

فاطمة الزهراء

رضي الله عنها

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى :

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ
وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾

صدق الله العظيم

[سورة الأحزاب آية رقم ٣٣]

أقوال العلماء في نزول الآيات

قال بعض رجال التفسير وكتاب السير والتاريخ نزلت هذه الآية في: فاطمة بنت محمد ﷺ، وزوجها وأولادها.

قال ذلك الإمام الواحدي في كتابه أسباب النزول ص ٢٣٩.

وذكره الإمام القرطبي في تفسيره جـ ١٤ ص ١٨٣.

وذكره صاحب الدر المنثور في تفسيره جـ ٥ ص ١٩٨.

وقاله ابن كثير في تفسيره جـ ٥ ص ٤٥٤ — ٤.

وذكره الإمام مسلم في صحيحه جـ ١٥ ص ١٩٥.

لمن هي فاطمة..

فاطمَة الزهراء
رَضِي الله عنها

بنت رسول الله وزوجة الإمام ، وأم الشهداء .

وأمها خديجة بنت خويلد ، أم المؤمنين ، الزوجة المؤمنة الصابرة الحكيمة التي وقفت بجوار زوجها تشد من أزره ، وتخفف من همومه ، وتقدم له كل ما تملك من ثروة ومال . وعندما نزل عليه جبريل عليه السلام في غار حراء ، وعاد إليها يقص ما حدث ويقول : لقد خشيت على نفسي » .

استقبلت هذا الخبر بالحكمة والعقل والتدبر ، وأخذت تخفف عنه وتواسيه وقالت له :

« الله يرعانا يا أبا القاسم ، ابشر يا ابن العم واثبت ، فوالذي نفس خديجة بيده ، إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة ، والله لا يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحمل الكل ، وتقري الضيف وتعين على نوائب الدهر »[1] .

وزوجها الإمام علي بن أبي طالب — رضي الله عنه — الذي قال له الرسول ﷺ أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلّا أنه لا نبي بعدي »[2] .

وأم الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة والذي كان الرسول ﷺ يقول عنهما. هذان ابناي وابنا ابنتي ، اللهم إني أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما »[3] .

ولدت — رضي الله عنها — وقريش تجدد بناء الكعبة قبل مبعث الرسول[4]

---

(١) من قولها : والله لا يخزيك الله أبداً... أخرجه البخاري ٨/ ٥٤٩ ، و١/ ٢١ ، ٢٦ ، و١٢/ ٣١١ ، ٣١٦.

(٢) صحيح مسلم (٢٤٠٤) (٣٢).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٧٨٢) وهو حديث صحيح.

(٤) موسوعة آل النبي ﷺ د. بنت الشاطىء ص ٥٥٩.

ﷺ بخمس سنين، وفتحت عينيها على أمر عظيم — أمر الرسالة التي حملها والدها للبشرية كلها، وتحمل في سبيل ذلك الشيء الكثير من أذى قريش، والسخرية به، والتنكيل بأتباعه، وحصاره وذويه وأقاربه في شعب من شعاب مكة قرابة الثلاث سنوات..

لقد وعت فاطمة — رضي الله عنها — في طفولتها المبكرة الحرب التي شنتها قريش على أبيها، فكانت تتبعه إذا خرج، وترافقه إذا عاد، ثم حدث حادث لا تنساه. لقد كان والدها ساجداً في الحرم وحوله ناس من مشركي قريش، فجاءه عقبة بن أبي معيط بسلى جزور فقذفه على ظهره، فلم يرفع ﷺ رأسه حتى تقدمت فاطمة، فأخذت السلى، ودعت على من صنع ذلك، وإذ ذاك رفع النبي رأسه وقال:

«اللهم عليك الملأ من قريش، اللهم عليك ابا جهل بن هشام، وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة، وعقبة بن ابي معيط، وابي بن خلف»[1].

فخشع المشركون لدعائه، وغضوا بأبصارهم حتى انتهى من صلاته، وانصرف إلى بيته، تصحبه ابنته فاطمة.

وتوالت الأحداث، وركبت قريش رأسها، وصبت جام غضبها على المسلمين وأذن الرسول ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى الحبشة، وتمزقت القلوب والأفئدة، وتشتت الأحباب.

وفاطمة ترقب كل ذلك، ويحاول عقلها الصغير أن يرتب الحوادث، ويتفهم النتائج ويرصد جهاد الرسول ﷺ.

حتى كان يوم فقدت فيه القلب الكبير الذي يعطف، واليد الحنون التي تربت والفم الباسم الذي كان دائماً يخفف من جفاف الحياة، ومن قسوة الأعداء ويحيل الدنيا إلى جنة فواحة بالعطر، زاخرة بالأرج.

---

(١) انظر «فتح الباري» ٦/ ٢٠٢، و٧/ ١٢٧، ومسلم (١٧٩٤) وأحمد ١/ ٣٩٣ و٤١٧.

لقد ماتت أمها خديجة في وقت أشد ما تكون هي في حاجة إليها وكذلك والدها وأحست فاطمة أن أباها فقد بموتها الشيء الكثير.

إن خديجة لم تكن بالنسبة لأبيها زوجة فحسب، أو امرأة ككل النساء، ولكنها كانت الزوجة الوفية التي تقدر زوجها وتعرف ما عليها من واجبات.

وكانت الأم الحنون العطوف التي يسعدها سعادة أبنائها وتوفيقهم في أعمالهم وكانت الصديقة المخلصة، التي يلجأ إليها كلما ضاقت به الحياة، أو آلمه جهل الآخرين ولؤمهم. وكانت.. وكانت..

فهل تستطيع فاطمة أن تقوم بهذا العبء، وتملأ الفراغ الذي تركته والدتها؟.. انها تقدر ظروف أبيها، وتعرف مقدار التبعة الملقاة على عاتقه، فلتكن في هذا البيت الذي خلا بموت خديجة زهرة فواحة بالعطر — تجفف الدمعة وتطيب القلب وتشارك في أعباء الجهاد..

ولكن الرسول ﷺ بعد موت خديجة، لم يعد يأوي إلى بيته إلّا في فترات خاطفة، ولم تجد فاطمة فسحة من الوقت لتجلس معه أو تخفف عنه ما يعانيه، ومع هذا أحست أن هناك أمراً يدبره ويعد العدة له فما هذا الأمر؟.. ولماذا لم يخبرها به؟..

إن البشر يكاد يملأ وجهه، والبسمة الحانية عادت ترف على شفتيه كما كانت. أأذعنت قريش لما يدعوه لها من نبذ الأصنام وعبادة الرحمن؟.. أيمكن أن تستجيب لكلمة التوحيد؟..

من يدري إن الله سبحانه وتعالى إذا أراد شيئاً هيأ له الأسباب.. ولما لم تصل فاطمة إلى نهاية في تفكيرها انهمكت فيما هي فيه، من عمل البيت واعداد الطعام، حتى إذا فرغت مما في يديها أخذتها اغفاءة من النوم فلم تستيقظ إلّا على صوت طرقات على الباب.. وفتحت عينيها فرأت نور الصباح يملأ الكون، ولم يكن والدها في مخدعه الذي اعتاد أن يبيت به، وعندما استفسرت من الطارق؟..

جاءها صوت عليٍّ رضي الله عنه من خلف الباب ، يخبرها فيه ، بهجرة الرسول ﷺ إلى يثرب ، وعليها وأختها أن يعدا أمرهما للحاق به بعد يوم أو يومين...

وهاجرت فاطمة إلى المدينة ، واستقرت مع أبيها وسط قوم بذلوا أموالهم وأرواحهم رخيصة في سبيل نصرة الرسول ﷺ ونصرة دينه وأخذت الحياة تصفو بعض الوقت..

واستعادت فاطمة صحتها وقوتها ، وبدأ شبابها ينمو ، وأنوثتها تكتمل ، وغدت مطمع الرجال الراغبين في الزواج.

ويتقدم أبو بكر الصديق — رضي الله عنه — لصاحبه رسول الله ، يطلب منه فاطمة لتكون زوجة له[1]..

فقال الرسول ﷺ يا أبا بكر انتظر بها القضاء.

فذكر ذلك أبو بكر لعمر.

فقال له عمر: ردك يا أبا بكر... ثم إن أبا بكر قال لعمر:

«اخطب فاطمة إلى النبي ﷺ فخطبها ، فقال له مثل ما قال لأبي بكر: انتظر بها القضاء.

فجاء عمر إلى أبي بكر فأخبره.

فقال له: ردك يا عمر.

ثم إن أهل علي — رضي الله عنه — قالوا: لعلي بن أبي طالب: اخطب فاطمة الى رسول الله ﷺ.

فقال: بعد أبي بكر وعمر؟..

فذكروا له قرابته من النبي ﷺ[2].

فأتى رسول الله ﷺ فسلم عليه.

فقال: ما حاجة ابن أبي طالب؟..

---

(١) السمط الثمين — محب الطبري ص ١٧١.

(٢) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» ٨/ ١٩، ورجاله ثقات إلّا أنه منقطع.

قال : ذكرت فاطمة بنت رسول الله ﷺ.

قال : مرحباً وأهلاً. لم يزده عليهما فخرج عليّ على أولئك الرهط من الأهل والأنصار الذين ينتظرونه.

قالوا : ما وراءك؟..

قال : ما أدري غير أنه قال لي : مرحباً وأهلاً.

قالوا : يكفيك من رسول الله إحداهما ، أعطاك الأهل ، وأعطاك المرحب[1] . وتمت خطبة فاطمة إلى علي — رضي الله عنه —. وما لبث أن قدّم مهرها ، درعاً حطمية كان أعطاها له الرسول ﷺ[2] وباع بعيراً بثمانين وأربعمائة درهم.

فقال ﷺ اجعلوا ثلثين في الطيب ، وثلثاً في الثياب[3] وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له : «انطلق وادع لي أبا بكر وعمر ، وعثمان وطلحة والزبير وبعض الأنصار». قال فانطلقت فدعوتهم ، فلما أخذوا مجالسهم قال ﷺ.

«والحمد لله المحمود بنعمته المعبود بقدرته ، المطاع لسلطانه ، المهروب إليه من عذابه ، النافذ أمره في أرضه وسمائه ، الذي خلق الخلق بقدرته ونيرهم بأحكامه وأعزهم بدينه ، وأكرمهم بنبيه محمد ﷺ إن الله عزّ وجلّ جعل المصاهرة نسباً لاحقاً وأمراً مفترضاً ، وحكماً عادلاً وخيراً جامعاً أوشح بها الأرحام وألزمها الأنام فقال الله عزّ وجل :

﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيراً ﴾[4] .

وأمر الله يجري الى قضائه ، وقضاؤه يجري إلى قدره ، ولكل أجل كتاب ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾[5] .

(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» ٨/ ٢١ ، ورجاله ثقات عدا عبد الكريم بن سليط فلم يوثقه غير ابن حبان.

(٢) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» ٨/ ٢٠ ، ٢١ من طرق متعددة ، وأخرجه أحمد في «المسند» ١/ ٨٠ ، وأبو داود (٢١٢٥) ، والنسائي ٦/ ١٢٩ و١٣٠.

(٣) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» ٨/ ٢١ ، ٢٢ ، ورجاله ثقات لكنه منقطع.

(٤) سورة الفرقان آية ٥٤. (٥) سورة الرعد آية ٣٩.

ثم إن الله تعالى أمرني أن أزوج فاطمة من عليّ وأشهدكم أني زوجت فاطمة من علي ، على أربعمائة مثقال فضة إن رضي بذلك على السنة القائمة والفريضة الواجبة ، فجمع شملهما وبارك لهما وأطاب نسلهما ، وجعل نسلهما مفاتيح الرحمة ، ومعادن الحكمة ، وأمن الأمة ، أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم »[1] .

قال أنس : وكان عليّ عليه السلام غائباً في حاجة لرسول الله ﷺ قد بعثه فيها .. ثم أمر لنا بطبق فيه تمر فوضع بين أيدينا . فقالوا : « انتبهوا » . فبينما نحن كذلك إذ أقبل عليٌّ فتبسم إليه رسول الله ﷺ وقال :

« يا علي . إن الله أمرني أن أزوجك فاطمة ، وإني زوجتكها على أربعمائة مثقال فضة » .

فقال عليّ : رضيت يا رسول الله .

ثم إن علياً خر ساجداً شكراً لله ، فلما رفع رأسه قال رسول الله ﷺ : بارك الله لكما وعليكما وأسعد جدكما وأخرج منكما الكثير الطيب »[2] . وزفت فاطمة إلى علي رضي الله عنه ..

وكان زفافاً مباركاً هادئاً لم تعلق فيها الثريات ، ولم تعزف فيه الموسيقى ، ولم تتناقله وسائل الإعلام والصحافة ، ولم تقدم إليهما مئات التهاني والبرقيات كما يحدث في زماننا هذا ، ولم يتخم منزلهما بالتحف النادرة ، أو الرياش الفاخرة ، أو الأثاث الثمين المطعم بالذهب والفضة ، والأصداف الغالية ، وإنما كان بيتاً بسيطاً معبراً .

تحدثت أم أيمن رضي الله عنها — تعدد أثاث فاطمة ، وما حمل لها من جهاز فقالت : كان جهازها خملة ووسادة أدم حشوها ليف ، ورحايتين ، وسقاء وجرتين »[3] .

ومن أول يوم وطئت فيه فاطمة رضي الله عنها منزل زوجها ، أحست أن عليها واجباً كبيراً إزاء زوجها ، فهي تعرف ظروفه الاقتصادية ، وتعلم دخله ، وما تتطلبه

(١) طبقات ابن سعد جـ ٨ ص ١٥ .

(٢) المصدر السابق جـ ٣ ص ١٦ .

(٣) طبقات ابن سعد جـ ٨ ص ٢٣ .

الحياة من أعباء وتكاليف. ولم يستطع زوجها أن يستأجر لها خادماً تعينها على ما تقوم به من العمل الشاق. فحاول أن يساعدها في بعض أعمال البيت ما مكنته ظروفه من ذلك.

حتى ناء كلاهما بما يحمل، فانتهز علي كرم الله وجهه عودة النبي ﷺ من إحدى غزواته الظافرة بغنائم وسبايا وقال:

«يا فاطمة لقد شقوت حتى أسليت صدري وقد جاء أبوك بسبي فاذهبي إليه فالتمسي واحدة تخدمك»..

فأجابته وهي تنحي الرحى جانباً في تعب وكلال: أفعل إن شاء الله.. ثم قامت فتلفعت بخمارها وخرجت تسعى إلى بيت أبيها بخطوات بطيئة وانية فلما رآها رسول الله ﷺ هش لها وسأل:

ما جاء بك يا بنية؟..

أجابت:

جئت لأسلم عليك.

ومنعها الحياء أن تسأله فيما جاءت من أجله.

ثم عادت من حيث أتت لتنبيء زوجها أنها استحت أن تطلب من أبيها شيئاً.

فقام علي رضي الله عنه وصحبها مرة أخرى — الى بيت رسول الله — ﷺ وتولى السؤال عنها فقال:

«يا رسول الله أدارت فاطمة الرحى حتى أثرت في يدها، وحملت القربة حتى أثرت في نحرها، فلما أن جاءك الخدم، أمرتها أن تأتيك فتستخدمها خادماً تقيها حر ما هي فيه».

لقد مست هذه الشكوى قلب الأب الحنون وشغلته عن كل شيء حوله. ولكن أيعطي ابنته ما طلبت ويحرم فقراء المسلمين؟..

إن فاطمة من أقرب الناس إلى قلبه، بل هي قطعة منه كما كان يردد دائماً، وهو أعلم الناس بما تعانيه.

ولكن بجوار هذا مجموعة الفقراء من أهل الصفة الذين حبسوا أنفسهم في سبيل الله، وانقطعوا للعبادة، ونزل وحي السماء يطلب من النبي الكريم ألا يتحول عنهم، أو يهمل مطالبهم، أو يغفل عن حق من حقوقهم قال تعالى:

﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾[1].

﴿ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾[2].

إذن هؤلاء أحق من فاطمة ومن علي.

واستراح الرسول ﷺ لهذه النتيجة عندها قال لها: «لا والله لا أعطيكما وادع أهل الصفة تتلوى بطونهم لا أجد ما أنفق عليهم، ولكن أبيع وأنفق عليهم بالثمن».

وانصرفت فاطمة وعليّ — رضي الله عنهما — وأحس الرسول ﷺ أن قلبه ينسحب معهما، ويتبعهما حيث يتجهان، حتى إذا جن المساء، ولف الكون ظلام دامس، اتجه رسول الله ﷺ إلى منزل الحبيبين — ودلف عليهما من الباب، فوجد الزوجين قد اتجها إلى فراشهما وأوشك الكرى أن يأخذ بمعاقد أجفانهما — وما كادا يشاهدان الرسول ﷺ حتى هبَّا للقائه فابتدرهما ﷺ قائلاً: «مكانكما».

ثم أضاف في رفق وهو يقدر حالهما:

«ألا أخبركما بخير مما سألتماني؟..

أجابا معاً: بلى يا رسول الله.. قال:

«كلمات علمنيهن جبريل: تسبحان الله في دبر كل صلاة عشراً وتحمدان عشراً، وتكبران عشراً، وإذا أويتما إلى فراشكما، تسبحان ثلاثاً وثلاثين وتحمدان ثلاثاً وثلاثين، وتكبران ثلاثاً وثلاثين»[3].

---

(١) سورة الأنعام آية رقم ٥٢.

(٢) سورة الكهف الآية رقم ٢٨.

(٣) أخرجه البخاري ٧/ ٥٩ في فضائل أصحاب النبي، ومسلم (٢٧٢٧) في الذكر والدعاء والترمذي (٣٤٠٥) في الدعوات، وأبو داود (٢٩٨٩) في الخراج والامارة.

ثم ودعها ومضى ، بعد أن زودهما بهذا المدد الإلهي ، ولقنهما هذه الرياضة النفسية التي تغلب المصاعب ، وتهزم المتاعب .

ولقد سُمع الإمام علي بعد أكثر من ثلث قرن يذكر كلمات الرسول ويقول : « فوالله ما تركتهن منذ علمنيهن » .

سأله رجل من أصحابه : ولا ليلة صفين » ؟ ..

فأجاب مؤكداً : ولا ليلة صفين[1] .

ثم ماذا ؟ .. هل مرت حياة الزوجين رخية هانئة ؟ ..

أكان السرور يرفرف على جنبات البيت الصغير ؟ .. البيت الذي يعاني فيه علي وفاطمة الكثير من شظف العيش ، وضيق ذات اليد ؟ ؟ .

البيت الذي تعمره زوجة مرهقة بتبعاته وأعماله ، ويدبر شئونه الاقتصادية رجل تملأ قلبه هموم كبار ينوء بها أصلب الرجال ؟ ..

الحقيقة — التي يرويها التاريخ — ان رياح الخلاف أوشكت أن تطيح بأمن هذا البيت وسعادته .

لماذا ؟ .. لأن فاطمة رضي الله عنها كانت — كما يصفها الرواة — صغيرة الجسم .. نحيلة العود ، رقيقة الإحساس ، مرهفة الشعور .

وكان الإمام علي — رضي الله عنه — فيه شدة أقرب إلى أن تكون صرامة وخشونة أوشكت أن تكون غلظة ، وحزماً كاد يتحول إلى صلابة ، وهذه صفات لا تعيب الرجل وهو يضرب في بيداء الحياة ، ويصارع تبعاتها الجسام أما في البيت : فالمرأة في حاجة من رجلها إلى يد حانية ، تزيل التعب وتخفف الآلام — وخصوصاً مع زوجة مثل فاطمة لاقت في مستهل حياتها الكثير من المتاعب والصدمات .

حدثوا أنه ﷺ رئي ذات مساء وهو يسعى الى دار بنته فاطمة بادي الهم

---

(١) هو في مسلم (٢٧٢٧) وطبقات ابن سعد جـ ٨ ص ٢٥ .

والقلق ، فأمضى وقتاً هناك ثم خرج ووجهه الكريم ينبض بشراً فقال قائل من الصحابة :

«يا رسول الله دخلت وأنت على حال ، وخرجت ونحن نرى البشرى في وجهك؟.. فأجاب عليه الصلاة والسلام :

«وما يمنعني وقد أصلحت بين أحب اثنين إليّ»[1] ؟..

وحدث مرة — كما يذكر الرواة — أن ضاقت الزهراء بما تجد من شدة زوجها وصلابته فقالت :

«والله لأشكونك إلى رسول الله ﷺ فانطلقت وانطلق عليٌّ بأثرها ، فقام حيث يسمع كلامهما.

فشكت إلى رسول الله غلظة علي وشدته عليها فقال :

«يا بنيه اسمعي واستمعي واعقلي».

قال علي : فكففت عما كنت أصنع وقلت : والله لا آتي شيئاً تكرهينه أبداً»[2] .

ولكن هل برَّ علي بما وعد؟..

وهل حرص على ارضاء زوجه فاطمة؟.. ووطن نفسه على احتمال ما كانت تأتيه مما لم يوافق هواه؟..

تقول الروايات التاريخية إن الإمام علي أراد الزواج من ثانية ، وفي حسبانه أنه يجري على مألوف عادة قومه في الجمع بين زوجتين أو أكثر ، وهو في نفس الوقت يفعل ما أباحه الإسلام من تعدد الزوجات..

ولكن من تكون الزوجة الثانية التي فكر الإمام علي — رضي الله عنه — في مشاركتها في بيت واحد مع بنت الرسول ﷺ ؟

---

(١) طبقات ابن سعد جـ ٨ ص ٢٠.

(٢) المصدر السابق جـ ٨ ص ٢٦.

أهي ابنة رجل من السابقين إلى الإسلام الملبين داعي الله؟.

أم أن والدها كان من هؤلاء الذين استشهدوا دفاعاً عن نصرة الحق؟.. أو تكون كريمة أحد الرجال الذين بذلوا أموالهم وأرواحهم رخيصة في سبيل نصرة الدين واعلاء كلمة الله؟..

الحقيقة أنها لم تكن ابنة أحد من هؤلاء؟؟..

ولكنها كانت ابنة عدو الإسلام الأول.. إنها كريمة أبي جهل..

نعم العدو الأول للدعوة، والذي كان إذا سمع برجل أسلم وتابع محمداً فيما يدعو إليه أنبه وأخزاه وقال:

«تركت دين أبيك وهو خير منك؟.. لنسفهن حلمك، ولنقبحن رأيك، ولنضعن شرفك» وإن كان الذي أسلم تاجراً قال: «والله لنكسدن تجارتك، ولنهلكن مالك؟.. وإن كان ضعيفاً ضربه وأغرى به.

أتكون ابنة هذا الرجل شريكة لفاطمة في زوجها؟..

إن هذا لن يكون..

ووصل الخبر الى مسامع الزهراء رضي الله عنها.. فانكسر قلبها، وتألمت نفسها واتجهت إلى أبيها لتضع أمامه جملة حالها وقالت:

«يزعم قومك أنك لا تغضب لبناتك، وهذا عليّ ناكح بنت أبي جهل»[1].

وما كادت فاطمة تنتهي من كلامها حتى دلف على رسول الله ﷺ بنو هشام ابن المغيرة يستأذنون رسول الله ﷺ في تزويج ابنتهم من علي؟..

وانطلق ﷺ إلى المسجد منضباً حتى بلغ المنبر فخطب في جماعة المسلمين فقال:

---

(١) صحيح الامام مسلم جـ ١٦ ص ٤.

«إن بني هشام بن المغيرة استأذنوني أن ينكحوا ابنتهم عليّ بن أبي طالب فلا آذن لهم ثم لا آذن لهم ثم لا آذن لهم. اللهم إلّا أن يحب ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم، فإن ابنتي بضعة مني يريبني ما أرابها ويؤذيني ما آذاها، وإني أتخوف ان تفتن في دينها». ثم ذكر ﷺ صهره أبا العاص —وهو من بني عبد شمس لا من بني عبد المطلب كعلي— فأثنى عليه في مصاهرته إياه أحسن الثناء فقال:

«حدثني فصدقني، ووعدني فأوفى لي، وإني لست أحرم حلالاً ولا أحل حراماً، ولكن والله لا يجمع بنت رسول الله وبنت عدو الله بيت واحد أبداً»(١).

«أترى علياً قد أراد الزواج من بنت عدو الإسلام»؟..

كيف هان عليه جهاده الطويل الباسل في سبيل الدعوة المحمدية؟..

بل كيف هان عليه أن يروع أمن الحبيبة بنت الحبيب، ويكسر قلبها بزواج كهذا لا يمكن أن يؤول إلّا بالرغبة في متاع حس مادي لا يجده لديها؟.. لقد كان لزواج «محمد» ﷺ، من نسائه مبرراته الخاصة وظروفه الملجئة، وإلّا فما باله ﷺ قد اكتفى بخديجة خمساً وعشرين سنة فلم يتزوج عليها حتى ماتت، وقد بلغ الخمسين من عمره وحين كانت الأحداث الكبار تشغل باله، والجهاد في سبيل الدين الجديد يملأ وقته؟..

ألا فلتكن بنت أبي جهل من حظ غيره، أما هو، فليس بالذي يحبط جهاده الباسل، فيستبدل بالنبي، أبا جهل بن هشام صهراً.. وليس هو بالذي يؤذي نبيه وأباه وابن عمه، في أحب بناته إليه، ولن يكون أبو العاص بن الربيع قبل اسلامه، أبر منه ببنت محمد، ابن عمه عبد الله بن عبد المطلب ولا أرعى في مصاهرته للنبي ذماماً.

---

(١) أخرجه البخاري ٧/ ٦٧، ٦٨، ومسلم (٢٤٤٩)، وأبو داود (٢٠٦٩) و(٢٠٧٠) و(٢٠٧١) والترمذي (٣٨٦٦).

وينتهي به المسرى إلى البيت، حيث يجد الزهراء في وحدتها تجتر أحزانها وتسامر همومها، فيدنو منها حتى يأخذ مكانه إلى جانبها صامتاً لا يدري ماذا يقول..

وإذ رآها تبكي هَمَسَ معتذراً:

«هبيني أخطأت في حقك يا فاطمة، فمثلك أهل للعفو والمغفرة»...

ومضت قطعة من الليل قبل أن تجيب غفر الله لك يا ابن العم[1]..

فلثم أطراف أناملها، ثم راح يروي لها ما كان من حديث المسجد، ويصف لها مشاعره، حين سمع ابن عمه يتحدث عن ضيقه بالأذى يلحق ابنته فاطمة، وانكاره ان يتزوج علي من بنت أبي جهل مع الزهراء. وقسمه ألا يجمع بنت رسول الله وبنت عدو الله بيت واحد أبداً..

واغرورقت مقلتا «فاطمة» بالدموع تأثراً بحب أبيها وانفعالاً بموقفه ثم قامت للصلاة[2].

ومرت الأيام بالزوجين الحبيبين هادئة ناعمة، وتخلصت فاطمة الزهراء مما كانت تعانيه، وتلاشت المسحة الحزينة التي كانت تملأ حياتها، وتجعل حياة البيت مهددة بالبوار والانفصال، وأقبل الإمام على زوجته يسكب بين يديها كل صنوف المحبة والوفاء.

ولم يمض عام على حادث الجفوة الذي تمثل في رغبة علي في الزواج من أخرى حتى كانت الزهراء تضع مولودها الأول الحسن. وسعى البشير إلى أبيها النبي بالنبأ السعيد. فخف إليه مشوقاً فرحاً وحمل وليدها بين ذراعيه وتلا الأذان في مسمعه.

وعمت المسلمين فرحة غامرة بمولد الحسن، وأَمَرَ جَدُّهُ ﷺ أن يُتَصَدَّق على الفقراء من أهل المدينة بزنة شعره فضة[3].

---

(١) موسوعة آل النبي ص ٥٩٢.

(٢) موسوعة آل النبي د. عائشة عبد الرحمن ص ٥٩٢.

(٣) انظر «مسند» أحمد ٦/ ٣٩٠، ٣٩٢، والطبراني (٩١٧) و(٢٥٧٦) وذكره الهيثمي في «المجمع» ٤/ ٥٧، وقال: وهو حديث حسن. وأورده ابن عبد البر في «الاستيعاب» ١/ ٣٦٩.

وكان لوجود هذا الزائر الجديد في منزل فاطمة أثره الكبير في تدعيم حياة الزوجين والتقائهما دائماً معاً على بكائه وسروره، نومه ويقظته تدليله وتطبيبه. وما كاد يمضي على هذا النبأ السعيد نبأ مولد الحسن عام أو بعض عام حتى ولدت فاطمة رضي الله عنها «الحسين» وسر الرسول ﷺ بهذين الحفيدين يملآن حضن أمهما الزهراء، ويدخلان الفرحة والأمل في قلب علي وكان الرسول يدعوهما دائماً ابنيه فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه ﷺ كان يقول لفاطمة — رضي الله عنها: ادعي لي ابنيَّ. فإذا ما جاءا إليه شمهما وضمهما.

وعن أسامة بن زيد أنه قال:

«طرقت باب النبي ﷺ في بعض الحاجة، فخرج رسول الله وهو مشتمل على شيء لا أدري ما هو؟.. فلما فرغت من حاجتي قلت: ما هذا الذي أنت مشتمل عليه يا رسول الله؟..

«فكشفه فإذا الحسن والحسين. وقال: هذان ابناي وابنا ابنتي، اللهم إني أحبهما فأحبهما، وأحب من يحبهما»(١).

ومن أجل هذا الحب الكبير الذي ملأ قلب الرسول ﷺ كان دائماً يذهب إلى بيت فاطمة ويوصيها بهما خيراً.

وحدث في إحدى المرات أن ألفى ابنته وزوجها قد غلبهما النعاس، والحسن يبكي ويطلب طعاماً فلم يهن على الأب أن يوقظ العزيزين النائمين، بل أسرع الى غنمة كانت تقف في ساحة الدار، فحلبها وسقى «الحسن» من لبنها حتى ارتوى.. صدق ربي في وصف رسوله الكريم:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾(٢) إن بكاء الطفل آلمه، ووجد الوالدين نائمين ولا يوقظهما بكاء الطفل، فهما إذن في تعب شديد، جراء ما يقومان به طوال يومهما من كد وتعب، وهو نبي الرحمة: كما عبر عن نفسه: إنما أنا رحمة مهداة نعم

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٧٧٢) في المناقب: باب مناقب الحسن والحسين وهو حديث حسن، وصححه ابن حبان والحاكم.

(٢) سورة القلم الآية رقم ٤.

رحمة أهداها الله سبحانه وتعالى في صورة هذا النبي الكريم. وهذه الرحمة تمسح دمعة على خد الصغير، وتواسي القلوب المحرومة من لقمة تسد الرمق، أو خرقة تستر الجسد.. وتخفف عن المكروبين والمصابين بعض ما يقع عليهم من قسوة الحياة وهي أشد ما تكون رحمة وحنواً لهؤلاء الأطفال الصغار الذين لم يعرفوا بعد من أمر شئونهم شيئاً.

حتى إذا مر مرة أخرى ببيت علي وهو متعجل، فبلغ مسمعه صوت بكاء الحسين فدخل مسرعاً ليقول لابنته معاتباً.

«أو ما علمت أن بكاءه يؤذيني»[1]؟..

وشب الحسن والحسين، وكان المسلمون كثيراً ما يشاهدون الرسول ﷺ حاملاً أحد حفيديه على كتفه، حتى إذا بلغ المسجد وقام للصلاة وضعه الى جانبه في رفق وأقبل يؤم القوم، حتى كان يوم أطال الرسول ﷺ السجود على غير عادته. فلما قضيت الصلاة قيل له:

«يا رسول الله إنك سجدت سجدة أطلتها حتى ظننا أنه قد حدث أمر أو أنه يوحى إليك»..

فقال: كل ذلك لم يكن. ولكن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته»[2].

وفي يوم وقف الرسول ﷺ يخطب في المسلمين، فجاءه الحسن والحسين. عليهما قميصان أحمران، يمشيان ويعثران. فنزل النبي ﷺ من المنبر، فحملهما ووضعهما بين يديه ثم قال يخاطب القوم: صدق الله ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾[3] نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران، فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما[4].

---

(١) أخرجه الطبراني (٢٨٤٧) وقال الهيثمي في «المجمع» ٩/ ٢٠١: إسناده منقطع.

(٢) هو في «المسند» ٣/ ٤٩٣ و٤٩٤، والنسائي ٢/ ٢٢٩، ٢٣٠.

(٣) سورة الأنفال آية رقم ٢٨.

(٤) هو في «المسند» ٥/ ٣٥٤، وسنن أبي داود (١١٠٩)، والترمذي (٣٧٧٤) والنسائي ٣/ ١٩٢، وابن ماجه (٣٦٠٠).

ولم ينس المسلمون صورة الرسول ﷺ وهو آخذ بكتفي الحسين وقدماه على قدمه ﷺ يرقصه قائلاً: «ترق، ترق» فما يزال الصبي يرقى حتى يضع قدميه على صدر جده، فيقول له: افتح فاك فيفتحه ويقبله ﷺ وهو يقول: «اللهم أحبه فإني أحبه»[1].

أو صورته، وقد خرج يوماً في نفر من صحابته إلى طعام دعوا إليه، فإذا بالحسين في الطريق يلعب مع غلمان من أترابه، فتقدم الرسول — أمام القوم وبسط يده محاولاً أن يمسك بحفيده، والغلام يفر ها هنا وها هنا، فما زال — عليه الصلاة والسلام — يضاحكه حتى أخذه، فوضع إحدى يديه تحت قفاه والأخرى تحت ذقنه، ثم قبله وقال:

«حسين مني وأنا من حسين. أحب اللهم من أحب حسيناً»[2].

ثم ماذا؟.. ولدت فاطمة في العام الخامس طفلتها الأولى فسماها رسول الله ﷺ «زينب».

وفي العام السابع ولدت طفلتها الثانية فسماها رسول الله ﷺ «أم كلثوم».

وعاش البيت السعيد عيشة هنيئة طيبة، الزوج يحرص على سعادة زوجته، والأخرى تبادله نفس الإحساس، وتشاركه فيما يعن له من أمور وتقوم بأعمال بيتها على خير قيام.

حتى كان يوم وفاطمة في بيتها ترعى أطفالها، وترتب شئون مملكتها الصغيرة وتنتظر عودة عليّ الذي خرج لبعض حاجته.

وإذا برسول من قبل أبيها يقول: إن رسول الله ﷺ يريد فاطمة. فخرجت مسرعة إلى بيت أبيها.

---

(١) صحيح الإمام مسلم بشرح النووي جـ ١٥ ص ١٩٥.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٧٧٧) في المناقب، وابن ماجه (١٤٤) في المقدمة، والحاكم في «المستدرك» ٣/ ١٧٧ وصححه ووافقه الذهبي، وصححه ابن حبان (٢٢٤٠).

«تقول عائشة رضي الله عنها : كل أزواج النبي ﷺ عنده لم يغادر منهن واحدة ، فأقبلت فاطمة تمشي ما تخطىء مشيتها من مشية رسول الله ﷺ شيئاً فلما رآها رحب بها فقال : مرحبا يا ابنتي ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله ، ثم سارَّها فبكت بكاء شديداً ، فلما رأى جزعها سارَّها الثانية فضحكت.

فقلت لها : خصك رسول الله ﷺ من بين نسائه بالسرار ثم أنت تبكين.

فلما قام رسول الله ﷺ سألتها ما قال لك رسول الله ﷺ؟..

قالت : ما كنت أفشي على رسول الله ﷺ سره[1].

قالت : فلما توفي رسول الله ﷺ قلت : عزمت عليك بما لي عليك من الحق لما حدثتني ما قال لك رسول الله ﷺ؟

فقالت : أما الآن فنعم أما حين سارَّني في المرة الأولى. فأخبرني أن جبريل كان يعارضه القرآن في كل سنة مرة أو مرتين، وأنه عارضه الآن مرتين وإني لا أرى الأجل إلّا قد اقترب فاتقي الله واصبري ، فإنه نعم السلف أنا لك ، قلت فبكيت بكائي الذي رأيت. فلما رأى جزعي سارني الثانية. فقال : يا فاطمة أما ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمة؟..

قالت : فضحكت ضحكي الذي رأيت[2].

ثم انصرفت فاطمة إلى دارها. وقلبها لا يطاوعها على فراق أبيها ، ولكن شجعها هو على ذلك لترعى أطفالها. وتباشر أمور بيتها ، وأنه الآن أصبح صحيحاً معافى..

ثم مرت الأيام بطيئة سوداء وذهبت لعيادته فرأته يتحامل على نفسه ويتجمل بالصبر ، ويدور على نسائه أمهات المؤمنين كمألوف عادته. ولكن ما كاد يبلغ بيت «أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالية» حتى اشتد به الوجع ، فدعا زوجاته إليه واستأذنهم في أن يمرض في بيت عائشة.

(١) صحيح الإمام مسلم بشرح النووي جـ ١٦ ص ٧٢٦.

(٢) أخرجه البخاري ٦/ ٤٦٢ في الأنبياء، و١١/ ٦٧ في الاستئذان، ومسلم (٢٤٥٠) في فضائل الصحابة.

أتستطيع فاطمة أن تفارق أباها وهو في هذه الحالة؟..

أيطاوعها قلبها على ذلك؟..

إنها حتى لو أراد لها الرسول ﷺ ذلك، فإنها لا تستطيع وأقامت بجواره تمرضه وتعنى بشئونه، وتتكلف الصبر، وتدعو الله خالصة مؤمنة أن يخفف عن أبيها مما هو فيه.

ولكن صبرها نفد عندما اشتد الوجع به، ورأته يأخذ الماء بيده ويجعله على رأسه، وهو يقول: «واكرباه».

فقالت بصوت يقطع الأفئدة ويدمي القلوب «واكربي لكربك يا أبتاه».

فرد عليها وهو يرنو إليها في عطف وحنو، لا كرب على أبيك بعد اليوم. وبلغ الكتاب أجله، ولحق محمد ﷺ بالرفيق الأعلى في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

إن وفاة الرسول ﷺ هزت نفوس المسلمين هزاً عنيفاً وأثرت فيهم تأثيراً قوياً.

ولا أدل على ذلك من قول عمر رضي الله عنه عندما بلغه الخبر: إن رسول الله ﷺ لم يمت ولكن إنما عُرج بروحه كما عُرج بروح موسى، لا لا يموت رسول الله ﷺ حتى يقطع أيدي أقوام وألسنتهم. يقول ابن عباس: إن أبا بكر خرج وعمر يكلم الناس فقال اجلس، فأبى عمر أن يجلس. فقال اجلس، فأبى أن يجلس.

فتشهد أبو بكر فمال الناس إليه وتركوا عمر.

فقال: أما بعد فمن كان منكم يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حي لا يموت.

قال الله: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَد خَلَتْ مِنْ قَبلِهِ الرُّسُلُ، أَفَإِنْ مَاتَ أو قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أعقابِكُمْ، وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شيئاً وسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ ﴾[1].

---

(١) سورة آل عمران آية رقم ١٤٤.

قال : والله لكأن الناس لم يكونوا يعلمون أن الله أنزل هذه الآية إلّا حين تلاها أبو بكر — رضي الله عنه.

قال : فتلقاها منه الناس كلهم فما تسمع بشراً إلا يتلوها.

قال الزهري : وأخبرني سعيد بن المسيب : أن عمر بن الخطاب قال : والله ما هو إلّا أن سمعت أبا بكرَ تلاها فعقِرْت حتى والله ما تُقِلني رجلاي وحتى هويت إلى الأرض وعرفت حين سمعته تلاها أن رسول الله ﷺ قد مات.

وكأن هذا الحادث المفجع ، رجهم من الداخل رجاً عنيفاً واختلف المسلمون في حقيقته بين مصدق ومكذب..

أمات رسول الله ﷺ؟..

أتنتهي حياته بهذه السهولة؟.

إنَّ هَذِهِ نهاية كل حي. وسبحان الحي الباقي. والله سبحانه وتعالى يقول ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخالِدونَ﴾[1].

لقد بلغ محمد بن عبد الله رسالة ربه ، وأدى ما عليه من أمانة تجاه أمته ونزول قول الله تعالى :

﴿الْيَوْمَ أكمَلتُ لَكُمْ دينَكم وَأتممتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ، وَرَضيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دينا﴾[2]. ولكن أين حجى العقول الذي نزل بها هذا المصاب وفي وسعها أن تفكر؟.. وأين استقر الإيمان الذي كان يملأ القلوب حتى يوقظ ويثبت في هذا الفادح الكبير؟..

لقد استمر المسلمون على ذلك حتى خرج عليهم الرجل الذي أمره الرسول

(١) سورة الأنبياء آية رقم ٣٤.

(٢) سورة المائدة، الآية رقم ٣.

ﷺ أثناء مرضه ، أن يؤم المسلمين ، وكأن هذا إيذاناً من الله ورسوله . أن أبا بكر هو الرجل الذي بمقدوره أن يرد المسلمين الى صوابهم ويعيد الشاردين إلى ساحة الإيمان ، ويوقي الجزيرة العربية من الهلاك والبوار.

وبويع أبو بكر بالخلافة ، وشغلته أحداث الردة عن نفسه ، وعن أقرب الناس إليه ، واتجه بكليته إلى الله ، وأعلن الحرب على هؤلاء المارقين الخارجين من ربقة الإيمان.

وأرسلت فاطمة إلى أبي بكر — رضي الله عنه — تسأله ميراثها من رسول الله ﷺ مما أفاء الله عليه بالمدينة وفدك ، وما بقي من خمس خيبر.

فقال أبو بكر ، إن رسول الله ﷺ قال : نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة ، إنما يأكل آل محمد في المال»[1] .

وإني والله لا أغير شيئاً من صدقة رسول الله ﷺ عن حالها التي كان عليها في عهد رسول الله ﷺ ولأعملن فيها بما عمل به رسول الله ﷺ ولست تاركاً شيئاً كان رسول الله ﷺ يعمل به إلّا عملت به ، فإني أخشى إن تركت شيئاً من أمره أن أزيغ .

ولما أجمع أبو بكر على منع فاطمة بنت رسول الله ﷺ من فدك وبلغ ذلك فاطمة ، لاثت خمارها على رأسها . وجاءت لأبي بكر قائلة :

الآن تزعمون أن لا إرث لنا . ﴿ أَفَحُكْمَ الجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِقَومٍ يُوقِنُونَ ﴾[2] .

فأجابها أبو بكر فقال :

«يا ابنة رسول الله لقد كان ﷺ بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً وعلى الكافرين عذاباً أليماً .

---

(١) انظر البخاري ٦ / ١٣٩ ، ١٤١ ، و٧ / ٢٥٩ ، و١٢ / ٤ ، ومسلم ١٣٥٩ .

(٢) سورة المائدة آية رقم ٥٠ .

وأنتم لا يحبكم إلا العظيم السعادة، ولا يبغضكم إلّا الرديء الولادة وأنتم عترة الله الطيبون وخيرة الله المنتخبون على الآخرة أدلتنا وباب الجنة لسالكنا، وأما منعك ما سألت، فلا ذلك لي. وأما فدك وما جعل لك أبوك فإن منعتك فأنا ظالم، وأما الميراث فقد تعلمين أنه ﷺ قال:

«لا نورث ما تركنا صدقة»[1].

قالت: إن الله يقول عن نبي من أنبيائه:

﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾[2].

وقال: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾[3].

فهذان نبيان، وقد علمت أن النبوة لا تورث، وإنما يورث ما دونها فما لي أمنع إرث أبي؟.. أأنزل الله في الكتاب إلا فاطمة بنت محمد فتدلني عليه فأقتنع به؟!!..

فقال: يا بنت رسول الله أنت عين الحجة ومنطق الرسالة لا يد لي بجوابك ولا أدفعك عن صوابك، ولكن هذا أبو الحسن بيني وبينك هو الذي أخبرني بما تفقدت وأنبأني بما أخذت وتركت.

قالت: فإن يكن ذلك كذلك فصبراً لمر الحق والحمد لله إله الحق»[4].

.. وفي شرح ابن أبي الحديد «ان فاطمة لما كلمت أبا بكر بكى ثم قال: يا بنت رسول الله والله ما ورث أبوك ديناراً ولا درهماً وأنه قال: إن الأنبياء لا يورثون».

فقالت: إن فدك وهبها لي رسول الله ﷺ.

---

(١) صحيح مسلم ٣: ١٣٧٩.

(٢) سورة مريم آية رقم ٦.

(٣) سورة النمل آية رقم ١٦.

(٤) بلاغات النساء وراجع فتح البلدان للبلاذري.

قال: فمن يشهد بذلك؟..

فجاء علي بن أبي طالب فشهد، وجاءت أم أيمن فشهدت أيضاً. فجاء عمر ابن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف فشهدا أن رسول الله ﷺ كان يقسمها.

فقال أبو بكر: صدقتِ يا ابنة رسول الله ﷺ وصدق علي وصدقت أم أيمن، وصدق عمر، وصدق عبد الرحمن بن عوف وذلك أن مالك لأبيك كان رسول الله يأخذ من فدك قوتكم ويقسم الباقي، ويحمل منه في سبيل الله فما تصنعين بها؟..

قالت: أصنع بها كما كان يصنع بها أبي.

قال: فلك على الله أن أصنع كما يصنع فيها أبوك.

قالت: الله لتفعلن.

قال: الله لأفعلن.

قالت: اللهم اشهد. وكان أبو بكر يأخذ غلتها فيدفع إليهم منها ما يكفيهم ويقسم الباقي. وكان عمر كذلك ثم كان عثمان كذلك ثم كان علي كذلك[1].

ولكن الكثيرين من الرواة ينكرون رواية ابن أبي الحديد، ويقولون إن فاطمة خرجت مغضبة.. ومما يؤيد ذلك، هذه الرواية التي بين أيدينا وخلاصتها أن عمر قال لأبي بكر انطلق بنا إلى فاطمة، فإنا قد أغضبناها، فانطلقا جميعا فاستأذنا على فاطمة، فلم تأذن لهما فأتيا عليا فكلماه فأدخلهما عليها. فلما قعدا عندها حولت وجهها إلى الحائط فسلما عليها فلم ترد عليهما السلام.

فتكلم أبو بكر فقال:

«يا حبيبة رسول الله، والله إن قرابة رسول الله، أحب إلي من قرابتي، وانك لأحب إلي من عائشة ابنتي، ولوددت يوم مات أبوك أني مت، ولا أبقى بعده، أفتراني أعرفك، وأعرف فضلك وشرفك، وأمنعك حقك، وميراثك، من رسول الله، إلا إني سمعت أباك رسول الله ﷺ يقول: لا نورث ما تركناه فهو صدقة».

---

(١) نهج البلاغة شرح ابن أبي الحديد.

فقالت : أرأيتكما إن حدثتكما حديثا عن رسول الله ـــ تعرفانه وتفعلان به.

قالا : نعم.

قالت : ناشدتكما الله ، ألم تسمعا رسول الله يقول : رضاء فاطمة من رضائي وسخط فاطمة من سخطي. فمن أحب فاطمة ابنتي فقد أحبني ، ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني ، ومن أسخط فاطمة فقد اسخطني[1].

قالا : نعم. سمعناه من رسول الله ﷺ.

قالت : فاني أشهد الله وملائكته أنكما اسخطتماني ، وما أرضيتماني ، ولان لقيت النبي لأشكونكما إليه.

فقال أبو بكر : أنا عائذ بالله تعالى من سخطه ، وسخطك يا فاطمة ، ثم انتحب أبو بكر يبكي ، حتى كادت نفسه تزهق وهي تقول : « والله لأدعون الله عليك في كل صلاة أصليها » ، ثم خرج أبو بكر باكيا فاجتمع عليه الناس. فقال لهم :

« يبيت كل رجل منكم معانقا حليلته مسروراً بأهله ، وتركتموني ، وما أنا فيه ، لا حاجة لي في بيعتكم ، أقيلوني بيعتي.

قالوا : يا خليفة رسول الله. بعد ما سمعت ورأيت من فاطمة »[2].

ثم ماذا حدث بعد ذلك..؟ وماذا كان موقف أبي بكر وعمر منها...؟

لقد مرضت فاطمة واشتد عليها المرض ، وبقيت في بيتها فترة لا ترى. ولكن أخبار مرضها ، وصلت إلى أسماع خليفة رسول الله ﷺ فاسرع يستأذن عليها.

فقال لها الإمام علي رضي الله عنه : هذا أبو بكر على الباب ، فإن شئت أن تأذني له. قالت : « وذلك أحب اليك..؟ »

قال : نعم

فدخل عليها واعتذر إليها وكلمها فرضيت عنه[3].

---

(١) وفي صحيح مسلم بشرح النووي : فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها جـ ١٦ ص ٣.

(٢) كتاب أعلام النساء ص ١٢٣ ـــ ١٢٤.

(٣) أعلام النساء : ص ١٣٠ وطبقات ابن سعد جـ ٨ ص ٢٧.

وفاة فاطمة رضي الله عنها

اشتد المرض على الزهراء رضى الله عنها وشكت إلى أسماء بنت عميس تحول جسمها. وقالت :

أتستطيعين أن تواريني بشيءٍ..؟

قالت : إني رأيت الحبشة يعملون السرير للمرأة ويشدون النعش بقوائم السرير. فأمرتهم بذلك وعمل لها نعش قبل وفاتها. فنظرت إليه وقالت : « سترتموني ستركم الله ».

وقالت قبيل وفاتها : يا أمه اسكبي لي غسلاً فسكبتها فاغتسلت كأحسن ما كانت تغتسل. ثم قالت :

«إيتيني بثيابي الجدد، فأتتها بها فلبستها ثم قالت :

« يا أمه إني مقبوضة الساعة وقد اغتسلت فلا يكشفن لي أحد كفناً »[1]. ثم توفيت رحمها الله وكان ذلك ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من رمضان سنة ١١ هـ. وهي ابنة تسع وعشرين سنة أو نحوها[2].

إلى جنة الخلد يا حبيبة رسول الله. ويا ابنة اكرم الخلق على الله.

---

(١) طبقات ابن سعد جـ ٨ ص ٢٧

(٢) الأستيعاب في معرفة الأصحاب جـ ٤ ص ١٨٩٩

أسباب نزول الآيات

روى الإمام أحمد بسنده عن أنس بن مالك — رضي الله عنه — قال: إن رسول الله ﷺ كان يمرّ بباب فاطمة — رضي الله عنها — ستة أشهر إذا أخرج إلى صلاة الفجر يقول:

«الصلاة يا أهل البيت، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً»(١).

وروى الإمام أحمد أيضاً بسنده عن شداد بن عمار قال: دخلت على واثلة بن الأسقع — رضي الله عنه — وعنده قوم فذكروا علياً رضي الله عنه فشتموه فشتمته معهم، فلما قاموا قال لي: شتمت هذا الرجل..؟

قلت: قد شتموه فشتمته معهم، قال ألا أخبرك بما رأيت من رسول الله ﷺ..؟

قلت: بلى، قال: أتيت فاطمة رضي الله عنها أسألها عن علي رضي الله عنه، فقالت: توجه الى رسول الله ﷺ. فجلست انتظره حتى جاء رسول الله ﷺ ومعه علي وحسن وحسين رضي الله عنهم، آخذاً كل واحد منهما بيده، حتى دخل فأدنى علياً وفاطمة رضي الله عنهما، وأجلسهما بين يديه، وأجلس حسناً وحسيناً رضي الله عنهما كل واحد منهما على فخذه، ثم لفّ عليهم ثوبه، أو قال كساءه، ثم تلا ﷺ هذه الآية:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾(٢).

وقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي، وأهل بيتي أحق»(٣). وقال ابن جرير بسنده

---

(١) أخرجه أحمد ٣ / ٢٥٩، وإسناده ضعيف لضعف علي بن زيد بن جدعان ومع ذلك فقد حسنه الترمذي (٣٢٠٦).

(٢) الأحزاب آية ٣٣. (٣) أخرجه أحمد في «المسند» ٤ / ١٠٧ وهو حديث صحيح لشواهده.

عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة عن أم سلمة — رضي الله عنها — قالت : جاءت فاطمة رضي الله عنها إلى رسول الله ﷺ ببرمة لها قد صنعت فيها عصيدة ، تحملها على طبق ، فوضعتها بين يديه ﷺ فقال :

«أين ابن عمك وابناك..؟ »

فقالت —رضي الله عنها —: في البيت.

فقال ﷺ : ادعيهم.

فجاءت إلى علي — رضي الله عنه — فقالت : أجب رسول الله ﷺ أنت وابناك ، قالت أم سلمة — رضي الله عنها —: فلما رآهم مقبلين معاً مدّ رسول الله ﷺ يده إلى كساء كان على المنامة ، فمده وبسطه وأجلسهم عليه ، ثم أخذ بأطراف الكساء الأربعة بشماله فضمه فوق رؤوسهم وأومأ بيده اليمنى إلى ربه فقال : «اللهم هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً»(١).

وقال الإمام أحمد بسنده : ان أم سلمة — رضي الله عنها — حدثته قالت : بينما رسول الله ﷺ في بيتي يوماً إذ قالت الخادم : إن فاطمة وعلياً — رضي الله عنهما — بالسدة.

قالت : فقال لي رسول الله ﷺ قومي فتنحي عن أهل بيتي.

قالت : فقمت فتنحيت في البيت قريباً ، فدخل علي وفاطمة ومعهما الحسن والحسين — رضي الله عنهم — وهما صبيان صغيران ، فأخذ الصبيين فوضعهما في حجره فقبلهما ، واعتنق علياً رضي الله عنه باحدى يديه ، وفاطمة رضي الله عنها باليد الأخرى ، وقبل فاطمة وقبل علياً. وأغدق عليهم خميصة سوداء وقال : اللهم إليك لا إلى النار ، أنا وأهل بيتي.

قالت : فقلت وأنا يا رسول الله..؟

---

(١) انظر: سنن الترمذي، وتفسير ابن كثير، في تفسير الآية رقم ٣٣ من سورة الأحزاب.

قال ﷺ : وأنت.

وقال ابن جرير بسنده عن أم سلمة ـــ رضي الله عنها ـــ قالت : إن هذه الآية نزلت في بيتي ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ، وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾[1] .قالت وأنا جالسة على باب البيت. فقلت : يا رسول الله ألست من أهل البيت ؟ فقال : ﷺ إنك إلى خير، أنت من أزواج النبي ﷺ قالت : وفي البيت رسول الله ـــ وعلي وفاطمة والحسن والحسين ـــ رضي الله عنهم[2] .

(١) سورة الأحزاب الآية رقم ٣٣.

(٢) هو في «المسند» من طريق شهر بن حوشب ٦ / ٢٩٨ و ٣٠٤ ، والطبراني (٢٦٦٤) و (٢٦٦٥) ، والطبري في «تفسيره» ٢٢ / ٦.

تذييل . . .

كيف نحافظ على دعائم الأسرة المسلمة فلا تتصدع..؟

وعلى سعادتها فلا تتبدد..؟

وعلى أمنها فلا يتبخر..؟

الحقيقة أن السعادة لن توجد بالكامل إلا إذا تلقت الفتاة في بيت أبيها حسن معاملة زوجها ، وشاهدت بعينها أسس الاحترام المتبادل بين أبيها وأمها . هذا أولا .

وثانياً : أن يتلقى الزوج المبادئ الأولية لحسن معاملة الزوج لزوجته . على يد والده عندما يشاهده يحسن معاملة زوجته يعودها إن مرضت أو ضجرت ويخفف عنها إن تعبت او تألمت ويشاركها في أعمال بيتها ورعاية أبنائها إن ثقلت عليها الأعباء أو كثرت عليها المطالب .

ثالثاً : أن يلتزم كل من الزوجين بتعاليم الاسلام تجاه الآخر وأن يقتدي الرجل باعمال الرسول ﷺ في بيته وأن تتبع الزوجة منهج أمهات المؤمنين في معاملة الرسول ﷺ .

ومن الأشياء التي لا تبلى ولا يمكن أن تنسى على مر الايام تلك الوصية الغالية التي قدمتها امرأة عوف بن محلم الشيباني إلى ابنتها عندما زفت إلى ملك كندة .

قالت الأم : أي بنية إنك فارقت بيتك الذي منه خرجت ، وعشك الذي فيه درجت إلى وكر لم تعرفيه ، وقرين لم تألفيه ، فكوني له أمة يكن لك عبداً . واحفظي له عشر خصال يكن لك ذخراً .

أما الأولى والثانية : فالصحبة بالقناعة والمعاشرة بحسن السمع والطاعة .

وأما الثالثة والرابعة : فالتعهد لموقع عينيه ، والتفقد لموضع أنفه ، فلا تقع عينه

منك على قبيح ولا يشم منك إلا أطيب ريح والكحل أحسن الحسن ، والماء والصابون أطيب الطيب المفقود.

وأما الخامسة والسادسة : فالتفقد لوقت طعامه ، والهدوء عند منامه فإن حرارة الجوع ملهبة ، وتنغيص النوم مغضبة.

وأما السابعة والثامنة : فالعناية ببيته وماله. والرعاية لنفسه وحشمه وعياله. وملاك الأمر في المال حسن التدبير.

وأما التاسعة والعاشرة : فلا تفشي له سراً ولا تعصي له أمراً فإنك إن أفشيت سره لم تأمني غدره ، وإن عصيت أمره أوغرت صدره.

ثم اتقي مع ذلك الفرح إن كان حزينا ، والاكتئاب عنده إن كان فرحاً فإن الخصلة الأولى من التقصير والثانية من التكدير. وكوني أشد ما تكونين له إعظاماً ، يكن أشد ما يكون لك اكراماً. وأشد ما تكونين له موافقة يكن أطول ما يكون لك مرافقة. واعلمي أنك لا تصلين إلى ما تحبين حتى تؤثري رضاه على رضاك. وهواه على هواك فيما أحببت وكرهت والله يخير لك.

إن هذه الوصية في الحقيقة تعتبر بحق دستوراً للأسرة لو سارت عليها كل فتاة.. إنها لم تترك صغيرة ولا كبيرة في الحياة الزوجية إلا وأشارت إليه.

لقد أمرتها بطاعة زوجها والاستماع له. وقد حث الرسول ﷺ على هذه الطاعة بقوله :

«ثلاثة لا تمسهم النار :

المرأة المطيعة لزوجها

والولد البار بوالديه

والعبد القاضي حق الله وحق مولاه».

وقال عليه الصلاة والسلام لأم المؤمنين « أم سلمة » إذا أدت المرأة فريضة ربها وأطاعت زوجها ، وحركت المغزل ، كانت كأنها تسبح لله سبحانه وتعالى».

وأمرتها أن تتزين لزوجها.. وأن تتجمل له، وبينت لها أساليب الجمال ووسائله قالت:

«الكحل أحسن الحسن، والماء والصابون أطيب الطيب».

والرسول ﷺ يقول:

— «جهاد المرأة حسن التبعل» أي طاعة البعل والتزيّن له[1]. وقيل له ﷺ: أيّ النساء أفضل.؟.

فقال عليه السلام: التي تطيع زوجها إذا أمر وتسره إذا نظر»[2]. وأمرتها بالقناعة: والقناعة في الأسرة دعامة من دعائم السعادة ومرهم يزيل الجروح التي تتعرض لها أيام أزماتها المالية والاقتصادية ويقال: إن رجلاً صالحاً هم بالسفر فكره جيرانه سفره، فقالوا لزوجته: لم ترضين بسفره ولم يدع لك نفقة..؟

فقالت: زوجي — منذ عرفته — عرفته أكالاً، وما عرفته رزاقاً، ولي رب رزاق، يذهب الأكال ويبقى الرزاق.

وأمرتها بالمحافظة على ماله والحرص عليه. والرسول ﷺ يقول:

«لا يحل لها أن تطعم من بيته إلا باذنه إلا الرطب من الطعام الذي يخاف فساده، فإن أطعمت — عن رضاه — كان لها مثل أجره، وإن أطعمت — بغير إذنه — كان له الأجر وعليها الوزر»[3].

وقالت امرأة يا رسول الله: إنا كلٌ على آبائنا وأبنائنا وأزواجنا فما يحل لنا من أموالهم..؟

قال: الرطب تأكلنه وتُهدينه»[4].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) عند النسائي [٦ : ٨٦]، ومسند الامام أحمد بن حنبل [٣ : ٢٥١]: «أي النساء خير؟ قال: التي تسرّه إذا نظر، وتطيع إذا أمر، ولا تخالفه في نفسها ولا مالها بما يكره».

(٣) رواه البيهقي بنحوه من حديث ابن عمر ٤ / ١٩٤ في الزكاة.

(٤) رواه أبو داود (١٦٨٦) في الزكاة.

ولقد كانت السيدة فاطمة الزهراء مثال الزوجة المطيعة الصابرة عملت في بيتها حتى كلت يداها. وكان زوجها يلاحظها وهي تقوم بأشق الاعمال وأرهق الأمور.. ولم يستطع أن يحضر لها خادماً تشاركها في أعباء البيت.

ولم يقل أحد أنها شكت أو تألمت..

ولم يحدثنا التاريخ أنها تذمرت، أو حدثت أباها بما تعانيه في بيت زوجها.

حقاً إنها ذهبت إلى أبيها تطلب منه أن يعطيها إحدى السبايا ولكن ذلك كان بايحاء من زوجها علي. وحتى بعد أن ذهبت إلى الرسول ﷺ لم تستطع أن تلقي أمامه بشكايتها — فعادت من حيث أتت.

وكانت أماً فاضلة. ربّت فأحسنت التربية، وقامت النهار وسهرت الليل حتى قدمت للانسانية خيرة شباب أهل الجنة الحسن والحسين رضوان الله عليهما..

فرضي الله عن الزهراء ابنة رسول الله ﷺ ورضي الله عنها زوجة مطيعة صابرة ورضي الله عنها أماً قامت على تربية أولادها وحسن تنشئتهم وما أجدر المؤمنات المسلمات في كل عصر ومصر أن يسرن سيرتها ويسلكن مسالكها في حسن التبعل لزوجها وفي المحافظة على ابنائها وفق الله الجميع الى ما فيه خير الامة الاسلامية — وهدى نساءها الى الطريق السليم — طريق القرآن — ونهج الرسول ﷺ.

أُمّ المؤمنين زينب بن جحش

رَضِيَ ٱللَّهُ عَنهَا

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى :

﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ﴾

صدق الله العظيم

[سورة الأحزاب آية ٣٧ ، ٣٨]

أقوال العلماء في نزول الآيات

قال بعض رجال التفسير وكتاب السير والتاريخ نزلت هذه الآية في زينب بنت جحش أم المؤمنين رضي الله عنها.

قال ذلك الإمام الطبري في تفسيره جـ ٢١ ص ١٢

وذكره الإمام القرطبي في تفسيره جـ١٤ ص ١٨٧

وذكره صاحب الدر المنثور في تفسيره جـ٥ ص ٢٠٠

وقاله ابن سعد في طبقاته جـ٨ ص ١٠٣

وذكره صاحب كتاب الاستيعاب في معرفة الاصحاب جـ٤ ص ١٨٤٩

فمن هي زينب بنت جحش..؟

أم المؤمنين زينب بنت جحش

حفيدة عبد المطلب بن هاشم سيد قريش وابنة جحش بن رباب بن يعمر يصمت التاريخ فلا يتحدث عنه من قريب أو بعيد.

وأمها: أميمة بنت عبد المطلب التي أطعمها رسول الله ﷺ أربعين وسقاً من تمر خيبر (١).

وخالها: حمزة بن عبد المطلب الذي قال عنه رسول الله ﷺ: «حمزة سيد الشهداء ولولا أن تجد صفية لتركت دفنه حتى يحشر في بطون الطير والسباع» (٢).

وأخوها: عبد الله بن جحش، حامل أول لواء عقده الرسول ﷺ لحرب المشركين. وقيل: إن عبد الله أول من سن الخمس من الغنيمة للنبي ﷺ من قبل أن يفرض الخمس، ثم أنزل الله تعالى:

﴿واعلَمُوا أَنَّما غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ للهِ خُمسَهُ وَللرَّسُولِ وَلِذِي القُرْبَى واليَتامَى والمساكِينِ وابْنِ السَّبيلِ إنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ باللهِ وَما أَنْزَلْنا عَلَى عَبْدِنَا يَومَ الفُرْقَانِ يَومَ التَقَى الجَمْعانِ واللهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٣).

وصفتها كتب التاريخ بأنها كانت بيضاء سمينة من أتم نساء قريش، وكانت معتزة بهذا الجمال. كما كانت معتزة بنسبها الرفيع، حتى لقد سُمعت تقول «أنا سيدة أبناء عبد شمس» (٤).

(١) طبقات ابن سعد جـ ٨ ص ٤٦

(٢) الاستيعاب في معرفة الاصحاب جـ ١ ص ٣٧٢، وأسد الغابة ٢ / ٥٣.

(٣) سورة الأنفال آية رقم ٤١

(٤) السمط الثمين للطبري ص ١٠٧

سمعت بدعوة الإسلام من أخيها عبدالله بن جحش ، فآمنت وحسن إسلامها وتخلّصت من عادات الجاهلية جملة ، واتجهت إلى ربها خالصة مؤمنة. وعاشت حياتها ، تفقه نفسها وتتزود من تعاليم ربها . وتردد خلف أخويها بعض آيات القرآن الكريم ــ التي كان ينزل الوحي بها الفينة بعد الفينة ــ طيبة الخاطر ، هادئة النفس ، خالصة القلب ، للنور الغامر الذي انطلق من دعوة الإسلام . وأخذ يلف أرجاء مكة ، فتلقفته القلوب ، وعاشت له النفوس المؤمنة .

حتى كان يوم ، أمر فيه الرسول ﷺ أصحابه بالهجرة إلى يثرب قاعدة الإسلام الجديدة ، فتأهبت زينب للهجرة مع أخويها عبدالله وأحمد للفرار بدينها مع الصحبة المؤمنة إلى مدينة الإسلام الجديدة . . .واستقر المقام بالمؤمنين حول رسولهم الكريم بالمدينة ، بعد أن آخى الرسول بينهم وبين الأنصار ، وتم بناء المسجد النبوي ، تلك الجامعة العتيقة التي خرَّجت فقهاء الصحابة ، وقادة المسلمين في كل شئون الحياة . . . فأين زينب بنت جحش في هذه الحياة الزاخرة بالأمل . الفواحة بالعطر ، الداعية إلى نشر دين الله في أرجاء المعمورة . . ؟

أكانت بمعزلٍ عن تلك الحياة...؟

أكانت بعيدة عن الصف الإسلامي الأول وهم يطوعون حياتهم الجديدة لحمل المهمة الكبيرة ــ مهمة نشر الإسلام وتوضيح معانيه ، وترجمة مبادئه إلى أفعال حية وسلوك قائم يعمر دنيا الناس . ويملأها بالطمأنينة والأمن..؟

الحق يقال أنها لم تكن بمعزل عن تلك الحياة . . .

وكيف يكون ذلك ، والرسول ﷺ اختار لها دوراً مهماً في إقامة دعائم الإسلام في دنيا الناس .

نعم لقد اختيرت فتاة بني هاشم لتكون عاملاً جوهرياً في تحطيم الفوارق الموروثة في الجماعة المسلمة .ليعود الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى .

... وكان الموالي وهم الرقيق المحرر طبقة أدنى من طبقة السادة، ومن هؤلاء كان زيد بن حارثة[1] مولى رسول الله ﷺ الذي تبنّاه وعاش حياته معه، وفضّله على أبيه وأهله.

فأراد الرسول ﷺ أن يحقق المساواة الكاملة بين الناس وأن يضرب المثل العملي في ذلك، بتزويج أقرب الناس إليه — لمولاه زيد بن حارثة — حتى يسقط تلك الفوارق الطبقية بنفسه في أسرته.

وكانت هذه الفوارق من العمق والعنف بحيث لا يحطمها إلا فعل واقعي من رسول الله ﷺ تتخذ منه الجماعة المسلمة أسوة حسنة وتسير البشرية كلها على هداه في هذا الطريق.

وانطلق الرسول ﷺ ليخطب على فتاة زيد، فدخل على زينب وأحاطها بما يريد[2].

وأخذت الفتاة بما سمعت من رسول الله.

أيمكن أن يحدث هذا..؟ إنها أسلمت لربها والتزمت بتعاليمه التي تدعو إلى إزالة الفوارق بين الناس. وهذا كله حق وصدق، ومع هذا فلكل فتاة أمنيات تملأ حياتها، وتعيش في وجدانها، وتنتظر يوماً تتحقق فيه تلك الأمنيات.

ولم يكن زيد من أمنياتها في يوم من الأيام...

وتساءلت — مرة أخرى بينها وبين نفسها أتتزوج زيداً؟

إن الإسلام يشترط التكافؤ في الزواج.. أيكون هذا المولى كفواً لها..؟

دارت كل هذه الخواطر المتضاربة بمخيلتها والرسول ﷺ واقف أمامها... ينتظر كلمتها.

---

(١) راجع زيد بن حارثة في الجزء الأول من كتابنا رجال أنزل الله فيهم قرآناً.

(٢) راجع تفسير ابن كثير عند قوله تعالى: (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم) سورة الأحزاب آية رقم ٣٦.

ونطقت أخيراً فقالت: يا رسول الله لست بناكحته»؟؟

لقد كرهت زينب هذا الزواج، وأكدت رفضها للرسول ﷺ بقولها: لا أتزوجه أبداً وأنا سيدة أبناء عبد شمس»[1].

ولكن الرسول ﷺ قال: بل فانكحيه».

قالت: يا رسول الله أؤامر في نفسي..؟

وبينما هما يتحدثان أنزل الله هذه الآية على رسول الله ﷺ ﴿ومَا كَانَ لمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُه أمراً أَنْ يكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُبِيناً﴾[2].

قالت: قد رضيته يا رسول الله منكحا..؟

قال: نعم.

قالت: إذن لا أعصي رسول الله ﷺ قد أنكحته نفسي».

ويرى بعض المفكرين الإسلاميين: أن الموافقة كانت مبنية على أساسين:

الأول: امتثال أمر الله وطاعة رسوله ﷺ فيما رغب فيه وأمر به.

الثاني: أن زيد بن حارثة كان يدعى زيد بن محمد فخفف ذلك عنها إلى حد كبير إذ قالت: ومن أعز من زيد بن محمد..؟

ولهذا استمرت العشرة بينهما في بداية الأمر حتى أبطل الله التبني فصار يقال لزيد: زيد بن حارثة بدلاً من زيد بن محمد. ومن هنا نشأت بينهما جذور الخلاف، وأخذت تترفع على زيد، وقد فطن زيد لهذا الأمر بلباقة ولم تكن نفسه الكريمة هينة عليه، فحاول التخلص منها وعدَّ إزعاجها أو إمساكها على غير رضى أو عشرة

(١) طبقات ابن سعد جـ ٨ ص ١٠١

(٢) سورة الأحزاب آية رقم ٣٦.

زوجية حميدة أخذا بآداب الإسلام ﴿ فَأَمْسِكُوهُنَّ بمعروفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بمعروفٍ وَلَا تُمسِكوهُنَّ ضِراراً ﴾ — ولقد ذكر ابن كثير في تفسيره أنّ زينب مكثت عند زيد ما يقرب من سنة ثم ساءت العلاقة بينهما فذهب زيد إلى رسول الله ﷺ يستشيره في طلاقها ويشكو إليه أمرها وأبدى رسول الله نصحه لزيد أن يمسك زينب لعلّ العلاقة معها تتحسن فقال له : « يا زيد[1] أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ »[2] .

ولكن إرادة الله غالبة ، وهو الذي بيده مصائر الأمور فلا بد أن تجري الأمور وفق التوجيه الرباني لأن زواج زيد بن حارثة بزينب كان في باطن الأمر تشريعا ، ويستأنس بذلك بالآية السابقة وهي قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إذا قَضَى اللهُ ورَسولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الخيرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾[3] .

وقد أصبحت حياة الزوجين — زيد وزينب — لا تطاق ولم يكن لها بد من الفراق ، وصمم زيد على فراق زوجته فطلقها . وانفصمت العلاقة بينهما بعد أن قضى منها وطره ، ولم يبق له رغبة في إقامة العلاقة الزوجية معها ، لأنه كان كريم النفس ولا يريد أن يبني سعادته على تعاسة الآخرين .

وقد لمس من زينب أنها تعيش في قلق واضطراب في حياتها الزوجية ، ولهذا صمم على الفراق ، وعدم الإضرار بها ، وانتهى زواج زيد بن حارثة بزينب بنت جحش على هذا الوضع دون أي تدخل خارجي بينهما مما يسبب فساد العلاقة الزوجية »[4] .

وزينب ليست الأولى من زوجات زيد ولا الأخيرة ، فقد تزوج قبلها بأم أيمن

---

(١) تفسير ابن كثير جـ٣ ص ٤٩١

(٢) سورة الأحزاب آية ٣٧

(٣) سورة الأحزاب آية رقم ٣٦

(٤) مع المفسرين والمستشرقين في زواج النبي ﷺ بزينب بنت جحش — د. زاهر عواض الألمعي ص ٦٩

مولاة رسول الله ﷺ فولدت له أسامة بن زيد وتزوج بعد زينب من كرائم نساء قريش، وقد أورد الحافظ ابن حجر في الإصابة في ترجمة زيد بن حارثة ما نصه:

«وقال ابن الكلبي عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عباس لما تبنى رسول الله ﷺ زيداً زوجه زينب بنت جحش وهي بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب، وزوجه النبي ﷺ قبلُ ذلك مولاته أم أيمن فولدت له أسامة.

ثم لما طلق زينب زوجه أم كلثوم بنت عقبة وأمها أروى بنت كريز وأمها البيضاء بنت عبد المطلب ثم طلقها وتزوج هند بنت العوام أخت الزبير»[1].

(١) الإصابة لابن حجر جـ١ ص ٥٤٤٦.

خطبة النبي ﷺ زينب لنفسه

روى الإمام أحمد ومسلم والنسائي عن أنس قال : لما انقضت عدة زينب قال رسول الله ﷺ لزيد اذكرها عليّ .قال : فانطلقت. فقلت : يا زينب أبشري أرسل رسول الله ﷺ يذكرك.

فقالت : ما أنا بصانعة شيئاً حتى أؤامر ربي وقامت إلى مسجدها(١) .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : وهذا أيضا من أبلغ ما وقع في ذلك وهو أن يكون الذي كان زوجها هو الخاطب لئلا يظن أحد أن ذلك وقع قهراً بغير رضاه ، وفيه أيضاً اختبار ما كان عنده منها ، هل بقي منه شيئ أم لا . . ؟»(٢) .

ويقول ابن سعد : أخذت رسول الله ﷺ غشية فسُرّي عنه وهو يبتسم ويقول :

«من يذهب إلى زينب يبشرها أن الله قد زوجنيها من السماء . . ؟ وتلا رسول الله ﷺ(٣) :

﴿ وإذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ وتُخفي في نَفْسِكَ ما اللهُ مُبدِيهِ وتَخْشى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشاهُ فَلمَّا قَضَى زَيدٌ مِنها وَطَراً زوجْناكَها لِكَيْ لَا يَكونَ على المؤمِنينَ حَرَجٌ في أَزْواجِ أَدْعِيائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً وَكَانَ أمرُ اللهِ مَفْعُولاً ﴾(٤) .

قالت عائشة : فأخذني ما قرب وما بعد لما يبلغنا من جمالها ، وأخرى هي أعظم الأمور وأشرفها ما صنع لها زوجها الله من السماء.

---

(١) أخرجه أحمد ٣/ ١٩٥ ، ومسلم(١٤٢٨) في النكاح ، والنسائي ٦ / ٧٩ في النكاح أيضاً.

(٢) فتح الباري جـ ٨ ص ٤٠٤

(٣) طبقات ابن سعد جـ ٨ ص ١٠٢

(٤) سورة الأحزاب آية رقم ٣٧

فخرجت سلمى خادم رسول الله ﷺ تشتد فحدثتها بذلك فأعطتها أوضاحاً عليها.

وجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها. وروي أنه لما دخل بها قال لها ما اسمك..؟ قالت: برة. فسماها رسول الله ﷺ زينب[1].

وما كاد يتم هذا الحدث السعيد، حتى وجد المنافقون في المدينة باباً يلجون منه، ويتكلمون فيه، للنيل من الإسلام وأهله. وقالوا كيف ينهانا محمد عن زوجات الأبناء، ويتزوج هو زوجة ابنه زيد فأنزل الله تعالى ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾[2].

وكان رسول الله تبناه وهو صغير فلبث حتى صار رجلاً ويقال له زيد بن محمد فأنزل الله عز وجل:

﴿ ادعُوهُمْ لِآبائِهِمْ هوَ أقسَط عندَ اللهِ فإنْ لَم تَعلَمُوا آباءَهُمْ فإخْوانُكُمْ في الدِّين وَمَوالِيكُمْ ﴾[3].

عندما شرع الإسلام في تنظيم الأسرة على الأساس الطبيعي لها ويحكم روابطها ويجعلها صريحة لا غلط فيها ولا تشويه.. أبطل عادة التبني التي كانت منتشرة في الجاهلية، ورد علاقة النسب إلى أسبابها الحقيقية علاقات الدم والأبوة والنبوة الواقعية وقال:

﴿ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ ﴾[4] والكلام لا يغير واقعاً ولا ينشىء علاقة غير علاقة الدم، وعلاقة الوراثة للخصائص التي تحملها النطفة، وعلاقة المشاعر الطبيعية الناشئة من كون الولد بضعة حية من جسم والده الحي.

﴿ وَاللهُ يَقُولُ الحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴾[5].

---

(١) البخاري ١٠ / ٤٧٥، ومسلم (٢١٤١).
(٢) سورة الأحزاب آية رقم ٤٠.
(٣) سورة الأحزاب آية رقم ٥.
(٤) سورة الأحزاب آية رقم ٤.
(٥) سورة الأحزاب آية رقم ٤.

ذكر نزول الحجاب بسبب زينب رضي الله عنها

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال لما تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش رضي الله عنها دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون فإذا الرسول ﷺ تهيأ للقيام فلم يقوموا، فلما رأى ذلك قام فلما قام انصرف الجميع وبقي ثلاثة نفر.

فجاء مرة أخرى ليدخل على أهله فإذا القوم جلوس. فرجع من حيث أتى ثم إنهم انصرفوا، فانطلقت فأخبرت النبي ﷺ أنهم انطلقوا فجاء حتى دخل. فذهبت لأدخل فألقى الحجاب بيني وبينه فأنزل الله عزّ وجلّ ﴿يَا أَيُّها الذِينَ آمَنوا لَا تَدخُلوا بيوتَ النَّبيِّ إلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعامٍ غَيْرَ ناظِرِينَ إناهُ وَلكنْ إذا دُعيتُمْ فادخُلوا فَإِذَا طَعِمتُم فَانتَشِروا ولا مُستَأنِسينَ لِحَديثٍ إنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يؤذي النَّبيَّ فَيستَحي مِنكُمْ واللهُ لاَ يَستحي مِنَ الحقِّ وإذا سألتُمُوهُنَّ متاعاً فاسألُوهُنَّ مِن وَراءِ حِجابٍ ذلِكُمْ أطهَرُ لِقُلوبِكُمْ وَقُلوبِهِنَّ﴾[1].

وعنه أيضا رضي الله عنه:

«لما تزوج رسول الله ﷺ بزينب بنت جحش رضي الله عنها جاء بخبز ولحم فأرسلت على الطعام داعياً فيجيئ قوم يأكلون ويخرجون ثم يجيئ قوم فيأكلون ويخرجون، ثم يجيء قوم فيأكلون ويخرجون، فدعوت حتى ما أجد أحداً أدعوه فقلت: يا نبي الله ما أجد أحداً أدعوه. فقال: «ارفعوا طعامكم».

وبقي ثلاثة رجال يتحدثون في البيت فخرج النبي ﷺ فانطلق إلى حجرة عائشة رضي الله عنها فقال: السلام عليكم يا أهل البيت ورحمة الله وبركاته».

فقالت: وعليكم السلام ورحمة الله. كيف وجدت أهلك..؟ بارك الله فيها.

---

(١) سورة الأحزاب آية رقم ٥٣.

وذهب إلى حجر نسائه كلهنّ يقول لهنّ ما يقول لعائشة رضي الله عنها ، ويقلن له كما قالت عائشة رضي الله عنها.

ثم رجع النبي ﷺ فإذا الثلاثة يتحدثون ، وكان النبي ﷺ شديد الحياء. فخرج منطلقاً نحو حجرة عائشة رضي الله عنها. فما أدري أخبرته أو أخبر أن القوم قد خرجوا..؟ فرجع حتى إذا وضع رجله في داخل الباب وأخرى خارجه ، أرخى الستر بيني وبينه وأنزلت آية الحجاب»(1).

نزلت آية الحجاب ، لتعلم الناس ألا يدخلوا بيوت النبي بغير إذن فإذا دعوا إلى الطعام دخلوا ، فأما إذا لم يدعوا فلا يدخلون يرتقبون نضجه ، ثم إذا طعموا خرجوا ، ولا يبقوا بعد الطعام للسمر والأخذ بأطراف الحديث وما أحوج المسلمين اليوم إلى هذا الأدب الذي نزل به القرآن.

هذا جانب من حياة أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها والتي نزلت بعض آيات القرآن لتقرر زواجها من الرسول ﷺ. ومن أجل ذلك كانت تفخر على ازواج النبي ﷺ تقول: «زوجكن آباؤكن وزوجني الله من فوق سبع سموات»(2). ولقد كانت صوّامة قوّامة أوّاهة.

عن عبد الله بن شداد أن رسول الله ﷺ قال لعمر بن الخطاب:

«إن زينب بنت جحش أوّاهة».

فقال رجل: يا رسول الله ما الأواه..؟

فقال: الخاشع المتضرع ثم قرأ ﴿ أنَّ إبرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴾(3).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت يرحم الله زينب بنت جحش ، لقد نالت في

---

(1) أخرجه البخاري ٨ / ٤٠٦ وما بعدها ، ومسلم (١٤٢٨) ، وراجع السمط الثمين ص ١٢٦

(2) انظر البخاري ١٣ / ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، وطبقات ابن سعد ٨ / ١٠٣.

(3) إسناده ضعيف لضعف شهر بن حوشب رواية عن عبدالله بن شداد ، ثم هو مرسل ، وراجع السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين — للمحب الطبري ص١٢٩ والآية من سورة هود رقم ٧٥.

هذه الدنيا الشرف الذي لا يبلغه شرف، إن الله زوجها نبيه ﷺ، في الدنيا ونطق به القرآن. وإن رسول الله قال لنا ونحن حوله: «أسرعكن بي لحوقاً أطولكن باعاً فبشرها رسول الله بسرعة لحوقها به، وهي زوجته في الجنة»[1].

فهل كانت أم المؤمنين زينب أطول نسائه يداً...؟

الحقيقة أنها لم تكن كذلك، ولكنها كانت كريمة متصدقة، تبذل مالها في سبيل الخير، وإعطاء المحتاجين والغارمين. والذين لا يجدون قوت يومهم.

عن عبد الله بن رافع عن برزة بنت رافع قالت:

«لما خرج العطاء أرسل عمر إلى زينب بنت جحش بالذي لها. فلما دخل عليها قالت: غفر الله لعمر، غيري من إخوتي كان أقوى عن قسم هذا مني.

قالوا هذا كله لك.

قالت: سبحان الله! واشترت منه بثوب، وقالت: صبوه واطرحوا عليه ثوباً. ثم قالت لي: أدخلي يدك فاقبضي منه قبضة فاذهبي بها إلى بني فلان وبني فلان من أهل رحمها وأيتامها، حتى بقيت منه تحت الثوب.

فقالت لها برزة بنت رافع: غفر الله لك يا أم المؤمنين والله لقد كان لنا في هذا حق.

فقالت: فلكم ما تحت الثوب.

فوجدنا تحته خمسة وثمانين درهماً. ثم رفعت يدها إلى السماء فقالت: «اللهم لا يدركني عطاء لعمر بعد عامي هذا. فكانت أول أزواج النبي ﷺ، لحوقاً به»[2].

تقول عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: «لما قال النبي ﷺ لأزواجه: يتبعني أطولكن يداً».

---

(١) طبقات ابن سعد جـ ٨ ص ١٠٨ من طريق الواقدي وهو ضعيف، لكن المرفوع من صحيح أخرجه مسلم في صحيحه (٢٤٥٢).

(٢) المصدر السابق جـ ٨ ص ١٠٩

فكنا إذا اجتمعنا في بيت إحدانا بعد النبي ﷺ نمد أيدينا في الجدار نتطاول. فلم نزل نفعل ذلك حتى توفيت زينب بنت جحش، وكانت امرأة قصيرة — يرحمها الله — ولم تكن أطولنا، فعرفنا حينئذ أن النبي ﷺ إنما أراد بطول اليد الصدقة.

قالت: وكانت زينب امرأة صناع اليد فكانت تدبغ وتخرز وتتصدق في سبيل الله»(1).

لقد عرفت أم المؤمنين زينب أن هذه الدنيا لا تساوي عند الله جناح بعوضة فتركتها لطلابها. وعاشت حياتها متبتلة عابدة، وخصوصاً بعد وفاة الرسول ﷺ.

إن العمل الحقيقي الذي يجب أن يتجه إليه المسلمون هو ألا تلهينا الدنيا بزخارفها عما ينتظرنا في الحياة الآخرة. إن المؤمن الخاشع لربه — المنفذ لتعاليم مولاه — يجعل الدنيا مزرعة للآخرة. ويعيش فيها ويسعى في مناكبها ويبحث عن رزقه ورزق أولاده، ولكن لا تغره الدنيا — ولا تجعله ينسى الموت لحظة، بل يتذكر نهاية أجله في كل آونة — وهذا ما كان عليه السلف الصالح. عمروا دنياهم واتجهوا لاخراهم.

لقد ماتت أم المؤمنين زينب رضي الله عنها وبكتها أم المؤمنين عائشة أحر البكاء وشاركها المسلمون في ذلك ولكن لكل أجل كتاب.

عن الزهري عن عروة قال:

« لما توفيت زينب بنت جحش جعلت أم المؤمنين عائشة تبكي وتذكر زينب وترحّم عليها فقيل لعائشة في بعض ذلك. فقالت: « كانت امرأة صالحة ».

ويقول ابن سعد: لما ماتت زينب بنب جحش — وكانت أول نساء النبي ﷺ لحوقاً به. أمر عمر منادياً فنادى: ألا يخرج على زينب إلا ذو رحم من أهلها. فقالت بنت عميس: يا أمير المؤمنين ألا أريك شيئاً رأيت الحبشة تصنعه لنسائهم..؟

(1) الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر جـ ٤ ص ١٨٥١.

فجعلت نعشاً وغطته بثوب . فلما نظر إليه قال : ما أحسن هذا ما أستر هذا . فأمر منادياً فنادى أن اخرجوا على أمكم[1] .

وصل عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — عليها فكبر أربع تكبيرات . وقال لأمهات المؤمنين : مَن يدخلها قبرها ..؟ في حياتها . فأدخلها رجلان من أهل بيتها .

فأرسل إليه من كان يحلّ له الولوج عليها .

رحم الله .أم المؤمنين. ووفق نساء المسلمين على الاقتداء بها في ما كانت تأتي به في حياتها من التزامها بكتاب ربها وسنة رسوله ﷺ .

---

(١) طبقات ابن سعد جـ ٨ ص ١١٢.

أسباب نزول الآيات

عن عمر بن أبي سلمة عن أبيه قال : حدثني أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال : كنت في المسجد فأتاني العباس وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما ، فقالا : يا أسامة استأذن لنا على رسول الله ﷺ قال : فأتيت رسول الله فأخبرته فقلت : علي والعباس يستأذنان.

فقال : ﷺ أتدري ما حاجتهما . . ؟

قلت : لا يا رسول الله.

قال ﷺ : « لكني أدري » فأذن لهما.

قالا : يا رسول الله جئناك لتخبرنا أي أهلك أحب إليك . . ؟

قال ﷺ : أحب أهلي إليَّ فاطمة بنت محمد . قالا : يا رسول الله ما نسألك عن فاطمة.

قال ﷺ : فأسامة بن زيد بن حارثة الذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه(1).

وكان رسول الله ﷺ قد زوجه بابنة عمته زينب بنت جحش الأسدية رضي الله عنها ، وأمها أميمة بنت عبد المطلب ، وأصدقها عشرة دنانير وستين درهماً ، وخماراً وملحفة ودرعاً ، وخمسين مداً من طعام وعشرة أمداد من تمر. فمكثت عنده

---

(1) أخرجه الترمذي (٣٨١٩) ، والطبراني (٣٦٩) والحاكم ٣ / ٥٩٦ وضعفه الذهبي فقال : عمرو بن أبي سلمة ضعيف.

قريباً من سنة أو فوقها ، ثم وقع بينهما ، فجاء زيد يشكوها إلى رسول الله ﷺ فجعل رسول الله يقول له : ﴿ أمسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ واتَّقِ اللهَ ﴾[1].

قال تعالى ﴿ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ واللهُ أَحَقُّ أنْ تخشاهُ ﴾[2].

وقد روى الإمام أحمد حديثاً من رواية حماد بن زيد عن أنس رضي الله عنه وقد روى البخاري أيضاً بعضه مختصراً فقال : ان هذه الآية : «وتخفي في نفسك ما الله مبديه». نزلت في شأن زينب بنت جحش وزيد بن حارثة رضي الله عنهما.

قال الإمام أحمد رضي الله عنه عن ثابت عن أنس رضي الله عنه قال : لما انقضت عدة زينب رضي الله عنها قال رسول الله ﷺ لزيد بن حارثة اذهب فاذكرها علي ، فانطلق حتى أتاها وهي تخمر عجينها ، قال : فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما أستطيع أن أنظر إليها وأقول إن رسول الله ﷺ ذكرها ، فوليتها ظهري ونكصت على عقبي ، وقلت : يا زينب أبشري أرسلني رسول الله ﷺ يذكرك

قالت : ما أنا بصانعة شيئاً حتى أؤامر ربي عز وجل ، فقامت إلى مسجدها ونزل القرآن ، وجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن ، ولقد رأينا حين دخلت على رسول الله ﷺ وأطعمنا عليها الخبز واللحم . فخرج الناس وبقي رجال يتحدثون في البيت بعد الطعام فخرج رسول الله ﷺ واتبعته فجعل يتتبع حجر نسائه يسلّم عليهن ويقلن :

« يا رسول الله كيف وجدت أهلك..؟

فما أدري أنا أخبرته أن القوم قد خرجوا أو أخبر ، فانطلق حتى دخل البيت

(١) سورة الأحزاب آية ٣٧

(٢) سورة الأحزاب آية ٣٧.

فذهبت أدخل معه، فالقى الستر بيني وبينه ونزل الحجاب ووعظ القوم بما وعظوا به»[1].

﴿لاَ تَدْخُلوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إلاَّ أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾[2].

(١) تقدم تخريجه في الصفحة (١٢٥) ت (١).

(٢) سورة الأحزاب الآية رقم ٥٣.

تذييل . . .

ما المقصود من اللباس عند الأمم والشعوب في عصرنا الراهن . . ؟ وما المقصود به في شريعة الإسلام . . ؟

إن المتتبع للنظام الاجتماعي ، والدارس لطبيعة التمدن عندهم يرى أن اللباس يستعمل لمجرد الزينة أو الوقاية من عوارض الطبيعة وتقلباتها ولم يكن أبداً للستر أو حجب العورات .

ولكن الاسلام في نظامه الشامل اكثر ما يهمه من اللباس هو الستر دون الزينة . ومن هنا كانت أوامره للرجل والمرأة أن يسترا من جسديهما كل الأجزاء التي فيها جاذبية للصنف الآخر .

والعري في منهج الإسلام من الجاهلية الأولى التي تحول البشر إلى قطيع من الانعام أو هم أضل سبيلا .

والاسلام لا يحب حتى للزوجين أن يتجرد أحدهما أمام الآخر . . يقول الرسول ﷺ «إذا أتى أحدكم أهله فليستتر ، ولا يتجرد تجرُّد العيرين »[1] .

وقالت عائشة ــ رضي الله عنها ــ ما نظرت إلى عورة رسول الله ﷺ[2] .

والإسلام أيضاً يمنع الفرد أن يتجرد من ملابسه وهو في خلوته ــ لأن الله سبحانه وتعالى ــ أحق أن يستحيا منه[3] .

وجاء في الحديث : إياكم والتعري فإن معكم من لا يفارقكم إلا عند الغائط وحين يفضي الرجل إلى أهله فاستحيوهم وأكرموهم »[4] .

---

(١) رواه ابن ماجه في باب التستر عند الجماع (١٩٢١) .

(٢) شمائل الترمذي . باب ما جاء في حياء رسول الله ﷺ .

(٣) قوله : «الله أحق أن يستحى منه» أخرجه البخاري تعليقاً ١ / ٣٣٠ ووصله أحمد ٥ / ٣ ، ٤ ، وأبو داود (٤٠١٧) ، والترمذي (٢٧٧٠) ، وابن ماجة (١٩٢٠) وإسناده حسن وحسنه الترمذي ، وصححه الحاكم .

(٤) أخرجه الترمذي (٢٨٠٠) في الأدب باب ما جاء في الاستتار عند الجماع .

واللباس الذي يشف عن الجسم ويفضح العورات ليس بلباس في نظر الاسلام قال رسول الله ﷺ.

«.. ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات ، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها»[1].

والعري : عادة جاهلية قديمة جاء الإسلام لإبطالها . لأن رجال الجاهلية ونساءها كانوا لا يرون لزوم الاستتار عند الغسل أو قضاء الحاجة . وكانوا يطوفون بالكعبة عراة ، ويعتقدونه من أفضل العبادات حتى النساء كن يتعرين عند الطواف ، وكن يلبسن في عامة الأحوال لباساً يكشف عن بعض الصدور وعن جانب من الذراعين والكشح والساقين وهي حالة توجد اليوم بعينها في دول الغرب ، وبعض دول الاسلام التي تسير في فلكها[2].

فلما جاء الإسلام كان من نداءاته للبشرية كلها قول الله تعالى : ﴿ يا بَني آدمَ قَدْ أَنْزَلْنا عَلَيْكُم لِبَاساً يُواري سَوْءاتِكُمْ وَرِيشاً ﴾[3] ففرض بهذه الآية ستر الجسم على كل رجل وامرأة . وشدد النبي ﷺ في النهي عن كشف العورة والنظر إليها فقال :

«ملعون من نظر الى سوأة أخيه»[4].

وخرج ذات مرة إلى إبل الصدقة فرأى راعيها تجرد في الشمس فعزله وقال « لا يعمل لنا من لا حياء له »[5].

وإذا كان ذلك كذلك فلماذا الدعوة إلى العري .. ؟ ومن المستفيد من انسلاخ المرأة من ملابسها وتعريتها من حيائها وعفتها .. ؟

(١) رواه الإمام مسلم (٢١٢٨) في اللباس والزينة . وأحمد ٢ / ٣٥٦ عن أبي هريرة .
(٢) الحجاب : لأبي الأعلى المودودي .
(٣) سورة الأعراف آية رقم ٢٦
(٤) أحكام القرآن للجصاص .
(٥) المبسوط جـ١٠ ص ١٥٥ .

إن المتتبع لحلقات التاريخ وأدواره يرى أن الدعوة إلى كشف المرأة كانت في بداية أمرها دعوة من اليهود.

وكان ذلك على وجه التحديد في مدينة الرسول ﷺ ويحدثنا ابن هشام فيقول:

« إن امرأة من العرب قدمت « بجلب »[1] لها فباعته في سوق بني قينقاع وجلست إلى صائغ بها فجعلوا يريدونها على كشف وجهها فأبت، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها. فلما قامت انكشفت سوأتها فضحكوا بها فصاحت. فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله. وكان يهودياً فشدت اليهود على المسلم فقتلوه فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع.

فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على حكمه »[2]

واستمر اليهود بعد ذلك في محاولاتهم التي بدأوها في مدينة الرسول ﷺ واستعملوا في سبيل نجاح مقاصدهم كل وسيلة وكلّ حيلة. وقرر علماؤهم أن الجنس هو دستور الحياة، وعنصر الوجود وفي سبيل ذلك وغيره، حرفوا كتاب الله — وتقولوا على أنبيائهم الأقاويل وسار المنهزمون من المسلمين على مسيرتهم، واستمعوا لأقوالهم وقاموا على تنفيذ مخططاتهم في مدارسهم ومعاهدهم.

وفي ظل الاستعمار البريطاني وحمايته طالب مرقص فهمي في مصر المرأة المسلمة بالتجرد من الحجاب والانسلاخ من شرائع الاسلام.

وتلقف هذه الدعوة أحد أبناء المسلمين هذه المرة — إنه قاسم أمين الذي طالب بتحرير المرأة المسلمة لتكون شبيهة بأختها في الغرب. وروج لدعوته اليهود وأنصارهم، من أبناء المسلمين — وكل من في قلبه مرض.

لقد طالب اليهودي بنزع حجاب المرأة المسلمة فكلفه ذلك حياته. وعندما طالب اليهود بذلك في هذا العصر، استجاب لهم حكام المسلمين وأنصارهم.

---

(١) الجلب: كل ما يجلب الى السوق.

(٢) سيرة ابن هشام جـ ٢ ص ٤٢٧.

فعل ذلك سعد زغلول عندما نزع حجاب هدى شعراوي وهي تستقبله بعد عودته من منفاه، فاقتدت النساء المصريات بذلك.

وطالب كمال أتاتورك بنزع الحجاب، واستصدر لذلك قانوناً، وانتشر رجاله لتنفيذ أوامره.

وفعل ذلك أيضاً رضا بهلوي في ايران وتبعه محمد أمان في أفغانستان وأحمد زوغو في ألبانا

ومن ينظر إلى دعاة سفور المرأة وخروجها على أحكام الشريعة يرى أنهم رجال ونساء ليسوا قدوة كريمة في الدين والتزام أحكامه، وليسوا قدوة في متانة الأخلاق والبعد عن مواضع الفتنة والتهمة.

لقد كشفت المرأة عن وجهها ولم تكتف بذلك بل انحسرت ملابسها عن أجزاء كثيرة من جسمها. فعلت المرأة ذلك في هذا العصر. العصر المريض الدنس الهابط الذي تهيج فيه الفتن وتثور فيه الشبهات، وترف فيه الأطماع. فكيف بالمسلمين المتمسكين بدينهم، المراقبين لربهم في هذا الجو الذي كل شيء فيه يثير الفتنة، ويهيج الغريزة، ويوقظ السعار الجنسي المحموم...

إن المرأة في هذا العصر لم تكتف بكشف وجهها وانحسار ملابسها عن مواطن العفة ولكننا نرى نساء يتخنثن في نبراتهن، ويتميعن في أصواتهن ويجمعن كل فتنة الأنثى، وكل هتاف الجنس، وكل سعار الشهوة، ثم يطلقنه في نبرات ونغمات..؟

والإسلام يهدف من إقامة الحجاب.. ومن ستر المرأة إلى إقامة مجتمع نظيف، مجتمع لا تهاج فيه الشهوات في كل لحظة، ولا تستثار فيه دفعات اللحم والدم في كل حين.

فعمليات الاستثارة المستمرة تنتهي إلى سعار شهواني لا ينطفئ ولا يرتوي. فالنظرة الخائنة والحركة المثيرة، والزينة المتبرجة، والجسم العاري.. تتعاون على اشعال ذلك السعار الحيواني المجنون ونتيجة ذلك إما أن يفلت زمام الأعصاب والإرادة فيكون الافضاء الفوضوي الذي لا يتقيد بقيد، وإما الأمراض العصبية

والعقد النفسية الناشئة من الكبح بعد الاثارة. ولهذا كان من دستور الاسلام في التربية قول الله تعالى: ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصارِهِمْ، وَيَحْفَظُوا فُروجَهُمْ، ذَلِكَ أَزْكى لَهُمْ، إِنَّ اللهَ خَبيرٌ بِما يَصْنَعونَ. وَقُلْ لِلْمُؤْمِناتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُروجَهُنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ ما ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيوبِهِنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعولَتِهِنَّ أَوْ آبائِهِنَّ أَوْ آباءِ بُعولَتِهِنَّ، أَوْ أَبْنائِهِنَّ أَوْ أَبْناءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوانِهِنَّ أَوْ بَني إِخْوانِهِنَّ أَوْ بَني أَخَواتِهِنَّ أَوْ نِسائِهِنَّ أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُنَّ أَوْ التابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجالِ أَوِ الطِّفْلِ الذينَ لَمْ يَظْهَروا على عَوْراتِ النِّساءِ وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ ما يُخْفِينَ مِنْ زَيِنَتِهِنَّ وتوبوا إلى اللهِ جَميعاً أَيُّهَ المُؤْمِنونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحون ﴾ (١).

ويطيب لنا أن نتعرف على رأي صاحب الظلال في تفسيره لهاتين الآيتين..
غض البصر من جانب الرجال أدب نفسي، ومحاولة للاستعلاء على الرغبة في الاطلاع على المحاسن والمفاتن في الوجوه والأجسام، كما أن فيه إغلاقاً للنافذة الأولى من نوافذ الفتنة والغواية، ومحاولة عملية للحيلولة دون وصول السهم المسموم.

وحفظ الفرج هو الثمرة الطبيعية لغض البصر، أو هو الخطوة التالية لتحكيم الإرادة ويقظة الرقابة والاستعلاء على الرغبة في مراحلها الأولى ذلك أزكى لهم. فهو أطهر لمشاعرهم، وأضمن لعدم تلوثها بالانفعالات الشهوية في غير موضعها المشروع النظيف، وعدم ارتكاسها إلى الدرك الحيواني الهابط، وهو أطهر للجماعة وأصون لحرماتها وأعراضها وجوها الذي تتنفس فيه.

والله هو الذي يأخذكم بهذه الرقابة، وهو العليم بتركيبهم النفسي وتكوينهم الفطري، الخبير بحركات نفوسهم وحركات جوارحهم.

﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِناتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُروجَهُنَّ ﴾.

فلا يرسلن بنظراتهن الجائعة المتلصصة أو الهاتفة المثيرة. تستثير كوامن الفتنة في

(١) سورة النور آية رقم ٣٠ — ٣١.

صدور الرجال ، ولا يبحن فروجهن إلا في خلال طيب ، يلبي داعي الفطرة في جو نظيف ، لا يخجل الاطفال الذين يجيئون عن طريقه عن مواجهة المجتمع والحياة .

﴿وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إلا ما ظَهَرَ مِنْهَا﴾ .

والزينة حلال للمرأة تلبية لفطرتها . فكل أنثى مولعة أن تكون جميلة وأن تبدو جميلة ، والزينة تختلف من عصر إلى عصر أساسها في الفطرة واحد ، هو الرغبة في تحصيل الجمال أو استكماله ، وتجليته للرجال والإسلام لا يقاوم هذه الرغبة الفطرية ، ولكنه ينظمها ويضبطها ويجعلها تتبلور في الاتجاه بها إلى رجل واحد — هو شريك الحياة — يطلع منها على ما لا يطلع أحد سواه .

﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ على جُيُوبِهِنَّ﴾ .

والجيب فتحة الصدر في الثوب والخمار غطاء الرأس والنحر والصدر ليداري مفاتنهن فلا يعرضها للعيون الجائعة ، ولا حتى لنظرة الفجاءة ، التي يتقي المتقون أن يطيلوها أو يعاودوها ، ولكنها تترك كميناً في أطوائهم بعد وقوعها على تلك المفاتن لو تركت مكشوفة .

والمؤمنات اللواتي تلقين هذا النهي . وقلوبهن مشرقة بنور الله لم يتلكأن في الطاعة على الرغم من رغبتهن الفطرية في الظهور بالزينة والجمال ، وقد كانت المرأة في الجاهلية — كما هي اليوم في الجاهلية الحديثة — تمر بين الرجال مفسحة بصدرها لا يواريه شيء ، وربما أظهرت عنقها وذوائب شعرها وأقرطة أذنيها . فلما أمر الله النساء أن يضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها استجبن لأمر الله تعالى . . . لقد رفع الإسلام ذوق المجتمع الإسلامي ، وطهر إحساسه بالجمال فلم يعد الطابع الحيواني للجمال هو المستحب ، بل الطابع الإنساني المهذب وجمال الكشف الجسدي جمال حيواني يهفو إليه الإنسان بحس الحيوان مهما يكن من التناسق والاكتمال . فأما جمال الحشمة فهو الجمال النظيف الذي يرفع الذوق الجمالي ويجعله لائقا بالإنسان ويحيطه بالنظافة والطهارة في الحس والخيال .

ولما كانت الوقاية هي المقصودة بهذا الاجراء، فقد مضت الآية تنهى المؤمنات عن الحركات التي تعلن عن الزينة المستورة.

﴿ولاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ ما يُخْفِينَ مِنْ زينَتِهِنَّ﴾.

وإنها لمعرفة عميقة بتركيب النفس البشرية وانفعالاتها واستجاباتها. فإن الخيال ليكون أحياناً أقوى في إثارة الشهوات من العيان، وكثيرون تثير شهواتهم رؤية حذاء المرأة أو ثوبها، أو حليها، اكثر مما يثيرها رؤية جسد المرأة ذاته. كما أن كثيرين يثيرهم طيف المرأة يخطر في خيالهم اكثر مما يثيرهم شخص المرأة بين أيديهم.

إن سماع وسوسة الحلي، أو شم شذا العطر من بعيد يثير حواس رجال كثيرين، ويهيج أعصابهم ويفتنهم فتنة جارفة لا يملكون لها رداً والقرآن يأخذ الطريق على هذا كله، لأن منزله هو الذي خلق، وهو الذي يعلم من خلق، وهو اللطيف الخبير[1]

فمتى تأخذ نساؤنا المؤمنات بهذا الأدب..؟

ومتى يتحلين بهذه الصفات..؟

حتى نرى المجتمع الإسلامي النظيف كما وضع قواعده وأسسه رب السموات والأرض. إنا لمنتظرون.

---

(١) في ظلال القرآن للمرحوم سيد قطب بتصرف جـ ٦ ص ٩٥ — ٩٦.

أُمّ المؤمنين حفصة بنت عُمر

رَضِيَ اللهُ عَنهَا

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى :

﴿ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ
عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ
نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَٰهَرَا
عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ
ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ
مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾ ﴾

صدق الله العظيم

[سورة التحريم آيات من ٣ : ٥]

أقوال العلماء في نزول الآيات

قال بعض رجال التفسير نزلت هذه الآية في أم المؤمنين حفصة بنت عمر.

قال ذلك الإمام القرطبي جـ ١٢ ص ١٨٦

وقاله صاحب الدر المنثور جـ ٦ ص ٢٣٩

وقاله ابن كثير في تفسيره جـ ٦ ص٥٢٠

وذكره الإمام البخاري ٦ : ٤٠ استانبول، المكتبة الاسلامية.

وذكره الطبري في تفسيره جـ ٢٨ ص ١٥٩

فمن هي حفصة..؟

أم المؤمنين حفصة بنت عمر

أم المؤمنين العابدة القوامة. زوجة الرسول ﷺ في الجنة كما أخبر بذلك جبريل.

وابنة عمر بن الخطاب رضي الله عنه — الذي تولى خلافة المسلمين — فكان يبكي حتى تخضل لحيته — ويقول لمن يكفه عن البكاء — أخشى لو عثرت بغلة في طريق العراق — لحاسب الله عليها عمر لأنه لم يسو لها الطريق.

وأمها زينب بنت مظعون بن حبيب أخت الصحابى الجليل عثمان بن مظعون الذي حرم على نفسه الخمر في الجاهلية. وقال:

« لا أشرب شراباً يذهب عقلي، ويضحك بي، من هو أدنى مني، ويحملني على أن أنكح كريمتي »[1].

وأخت المتبتل العابد عبد الله بن عمر الذي قال عنه رسول الله ﷺ لزوجه حفصة بنت عمر:

« إن أخاك عبد الله رجل صالح لو كان يقوم من الليل ».

يقال: فما ترك ابن عمر بعدها قيام الليل[2].

فهي إذن من هذه الأسرة العابدة القانتة التي كانت ترى في الشرك انتقاصاً يزري بالرجل، وترك النفس لشهواتها، ورغباتها، يحط من كرامة الإنسان الشريف.

ولدت رضي الله عنها — وقريش تبني الكعبة — قبل مبعث النبي ﷺ بخمس سنين.

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب جـ ٣ ص ١٠٥٣

(٢) أخرجه البخاري ٣ / ٥، ٦ و ٣٥ بلفظ: « نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل » فكان بعد لا ينام من الليل إلا قليلاً. ومسلم (٢٤٧٩) (١٤٩).

ودرجت على بطحاء مكة ، حيث الجبال المرتفعة ، والطبيعة الصامتة — والحياة الرتيبة المملة — التي لا تغري بعمل ، ولا تدفع إلى نشاط — هذا إذا استثنينا أيام الحجيج التي كان يأتي فيها الوافدون من أنحاء الجزيرة العربية إلى البيت العتيق يطوفون ، ويبيعون ويشترون ، ويستمعون إلى أشعار الشعراء ومفاخر القبيلة في أسواق عكاظ ومجنة وذي المجاز. ويفاضلون بينها ويزرون ببعضها حتى يعلق الجيد المحلق منها على أستار الكعبة.

وعندما وصلت إلى مرحلة الشباب ، وأخذت بوادر النضج والأنوثة تظهر عليها ، سمعت والدها يعلن إسلامه ، وينضم إلى أتباع محمد ﷺ. وقبل أن يعلن عمر — رضي الله عنه — عن هجرته إلى المدينة ويلقي على مسامع القرشيين كلماته الخالدة التي حفظتها أذن التاريخ.

«من أراد أن يثكل زوجه أو ييتم ولده فليتبعني وراء هذا الوادي»[1]. تقدم لخطبة حفصة — رضي الله عنها — خنيس بن حذافة بن قيس ، وكان خنيس هذا ليس معروفاً في أندية مكة ومجالسها.

ولم يكن من سراتها ولا تجارها الممولين.

وأيضاً لم يكن من فرسانها الذين تعرفهم ظهور الخيل ورحى المعارك. ولكنه ، كان يملك عقلاً ذكياً وذهناً ألمعياً. هدياه إلى الإسلام. وهذا هو الذي رشحه في نظر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليزوجه حفصة.

... وعندما اشتد أذى المشركين بالمؤمنين — هاجر إلى الحبشة وفر بدينه في أرض الله — ثم عاد مرة أخرى إلى مكة ، وأخذ زوجته حفصة وهاجرا معاً إلى المدينة موطن الإسلام. وقلعة الإيمان.

واشترك خنيس في معركة بدر الكبرى — وشاهد انتصار المسلمين واندحار عصابة الكفر.

(١) عمر بن الخطاب — د محمد حسين هيكل.

وفي غزوة أحد — أصيب بجراحات عدة — أخذ يطبب منها. ولكن جاء أجله فمات بالمدينة رضوان الله عليه.

مات ابن حذافة وترملت المرأة العابدة. وعاشت في بيت أبيها تجتر أحزانها وتعيش آلامها لا يحلو لها مطعم ولا تطيب لها حياة وأخذت زهرة شبابها تذبل ونضرتها تضوي.

وكان عمر رضي الله عنه، يلحظ بعينه اللماحة، وقلبه الكبير ما تعانيه ابنته من قلق وضيق، ومن حزن وألم — بعد أن فقدت رجلها وعاشت تجتر أيامها السابقة أيام كانت ملكة في بيتها. تناغي زوجها إذا حضر وتنتظر إيابه إذا ذهب.

فخرج عمر يبحث عن السعادة لابنته — ولكن كيف..؟

إنه يقدر ما تعانيه هذه الإنسانة المترملة، بعد أن تعودت على الحياة الزوجية..؟

إن ذهب العالم وفضته لا يمكن أن يعوضا المرأة شيئاً عندما تفقد زوجها. ولكن يمكن لرجل آخر أن يعيد لها السعادة، ويوجد لها الأمل ويجمل أيامها ولياليها. إذن لا بد من زواج حفصة... إن رجلا آخر يمكن أن يعيد لها السعادة ويريح قلب عمر.

وعندما وصل عمر رضي الله عنه إلى هذا استراح قلبه واطمأن خاطره — إن زواج حفصة ليس بمشكلة، سيعرضها بنفسه على أحد المسلمين. نعم ولم لا..؟

أليس في هذا حل لمشكلته ومشكلتها أيضاً...؟

إن قلبه يكاد يتقطع كلما دخل بيته ووجد حفصة — على هذه الصورة الكئيبة الحزينة التي لا تفارقها.

وبينما ينقل عمر خطواته في إحدى الطرق الممتدة داخل المدينة وقعت عينه على عثمان بن عفان رضي الله عنه. فاقترب منه — وبادله التحية وجلسا يتكلمان وبينما هما في ذلك. لمعت الفكرة السابقة في ذهن عمر. فقال بكل ما يحمله قلب الإنسان من حب لابنته ورغبة في إسعادها: يا عثمان.

فأجابه: نعم يا عمر.

فقال: أتتزوج حفصة يا عثمان..؟؟

فأخذت المفاجأة عثمان. لأنه ما فكر في هذا الأمر. ولم يكن لديه جواب.

فقال: يا أخي يا عمر: ما لي في النساء حاجة[1].

ولكن عمر لم ييأس... ولم يرَ أن في ذلك عيباً ينقص من قدره، أو يزري بمروءته إن ابنته تعاني من وحدتها الشيءَ الكثير، فهل يلام إذا كان يبحث لها عن السعادة ويعيد لها النضارة..؟والتقى بأبي بكر الصديق رضي الله عنه. وما قاله لعثمان قاله لأبي بكر أتتزوج حفصة يا أبا بكر..؟ولكن أبا بكر لأمر في نفسه: سكت ولم يحر جواباً.

فغضب عمر. وكيف لا يغضب، وهؤلاء إخوته في الإسلام لا يتقدمون لمساعدته في مشكلته. ولا يخففون عنه بعض ما يعانيه..؟

فاتجه الى الرسول ﷺ ليضع أمامه جملة حاله. ويشكو له هؤلاء الذين تخلوا عنه في مشكلته. وعندما مثل أمامه قال:

«يا رسول الله ألا تعجب من عثمان: إني عرضت عليه حفصة فأعرض عني».

فقال الرسول ﷺ. يا عمر:

«قد زوج الله عثمان خيراً من ابنتك، وزوج ابنتك خيراً من عثمان»[2].

وأشرقت في خاطره لمحة مضيئة أيتزوج رسول الله ﷺ من ابنته..؟ إن هذا لشرف لم تتطاول إليه أمانيه.

---

(١) طبقات ابن سعد جـ ٨ ص ٨٢، والاستيعاب في معرفة الأصحاب جـ ٤ ص ١٨١١

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب جـ ٤ وراجع طبقات ابن سعد جـ ٨ ص ٨٣.

أتتزوج أم كلثوم بنت الرسول ﷺ من عثمان — نعم فهذه هي خير من حفصة وصدق رسول الله.

وتتزوج حفصة رسول الله ﷺ فهذا خير من عثمان ونهض إلى الرسول يصافحه متهللاً وقد زال عنه ما كان يجد من مهانة الرفض وخرج مسرعاً يزف إلى ابنته و إلى أبي بكر، وعثمان، وإلى المدينة كلها بشرى الخطبة المباركة.

وكان أبو بكر أول من لقيه، فما نظر إليه حتى أدرك على الفور سر تهلله وفرحته فمد يده مهنئاً معتذراً بقوله:

«لا تجد علي يا عمر، فإن رسول الله ﷺ ذكر حفصة فلم أكن لأفشي سر رسول الله ﷺ ولو تركها لتزوجتها»[1].

وعاشت حفصة في بيت الرسول ﷺ مع «سودة» و «عائشة» رضي الله عنهما. وكان بينها وبين عائشة بعض النفور، ولكن ما لبث أن كثرت أمهات المؤمنين في بيت الرسول ﷺ.

ورأت عائشة رضي الله عنها أن تستعين بحفصة بما تفعله في الزوجات الأخريات وانحازت حفصة لجانب عائشة رضي الله عنها.

وكان عمر يرقب موقف ابنته في قلق وآلمه أن تساير صاحبتها وليس لها مثل حظها من حب الرسول ومكانته.

فأقبل على ابنته يحذرها مما هي فيه من مسايرة عائشة رضي الله عنها وتدللها على رسول الله وقال لها:

«أين أنت من عائشة؟ وأين أبوك من أبيها..؟»[2].

فهل استجابت حفصة لأوامر أبيها..؟ وهل أذعنت لما قال..؟

(١) أخرج الخبر بطوله البخاري ٩ / ١٥٢، ١٥٣ في النكاح. وابن سعد ٨ / ٨٢ وراجع السمط الثمين ٩٦.

(٢) راجع تفسير ابن كثير عند تفسير قوله تعالى: يا أيها النبي لم تحرم ما أحلّ الله لك تبتغي مرضاة أزواجك.

يروى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : كان رسول الله ﷺ قلّ يوم إلا وهو يطوف على نسائه فيدنو من أهله فيضع يده ويقبل كل امرأة من نسائه حتى يأتي على آخرهن . فإن كان يومها قعد عندها وإلا قام. فكان إذا دخل بيت أم سلمة يحتبس عندها .

فقلت أنا وحفصة : ما نرى رسول الله يمكث عندها إلا أنه يخلو معها ، قالت : واشتد ذلك علينا ، حتى بعثنا من يطلع لنا ما يحبسه عندها فإذا هو إذا صار إليها أخرجت له عكة من عسل فتحت له فمها فيلعق منه لعقاً ، وكان العسل يعجبه .

فقالتا : ما من شيء نكرّهه إليه حتى لا يلبث في بيت أم سلمة . . ؟

فقالتا : ليس شيء يكرهه إليه من أن يقال له نجد منك ريح شيْ. فإذا جاءك فدنا منك فقولي : إني أجد منك ريح شيء ، فإنه يقول من عسل أصبته عند أم سلمة .

فقولي له : أرى نحله أكل عرفطاً .

فلما دخل على عائشة فدنا منها قالت : إني لأجد منك شيئاً ، ما أصبت . . ؟

فقال : عسل من بيت أم سلمة. فقالت : يا رسول الله أرى نحله أكل عرفطاً . ثم خرج من عندها فدخل على حفصة فدنا منها فقالت مثل الذي قالت عائشة فلما قالتاه جميعاً اشتد عليه على أم سلمة بعد ذلك فأخرجت له العسل فقال : أخرجيه عني لا حاجة لي فيه . فقالت : فكنت والله أرى أن قد أتينا أمراً عظيماً . منعنا رسول الله شيئاً كان يشتهيه[1] .

وهكذا شاركت حفصة في أساليب الغيرة ،وما يترتب عليها في بيت النبوة وساهمت مع عائشة في طريقة ابعاد الرسول ﷺ عن بعض زوجاته .

---

(١) المذكور في كتب السنة أن التي كان تحبس عندها رسول الله صلى الله عليه وسلم هي زينب ، وفي رواية أنها حفصة ، ولم يذكر أحد أنها أم سلمة ، وانظر البخاري ٩ / ٢٣١ — ٣٣٣ و ١٢ / ٣٠٢ ، ومسلم (١٤٧٤) ، ومسند أحمد ٦ / ٥٩ ، وسنن أبي داود (٣٧١٤) ، وطبقات ابن سعد ٨ / ٨٥.

إن المرأة دائماً تحب أن يكون زوجها لها وحدها ، فإذا شاركتها امرأة أخرى فيه ، أكلت الغيرة قلبها ، وانتهزت أول فرصة ، للانتقاص من غريمتها أو إيقاع الضرر بها.

...لقد كانت السيدة عائشة تفعل ذلك مع الرسول ﷺ بغية أن يخلو لها وحدها. ولكن ذلك كان من المحال. لأن الرسول ﷺ كان يتزوج نساءه لحكمة أرادها الله سبحانه وتعالى فلماذا تورطت حفصة مع عائشة..؟

ولماذا شاركتها في هذا الطريق الوعر..؟ بعد أن حذرها والدها من ذلك وطلب منها أن تلتزم حدها. ولا تتجاوز ما ليس لها..؟

إن حفصة لم تفعل ذلك فحسب ، ولكنها كانت تراجع رسول الله ﷺ وترد عليه.

فقد روى جابر بن عبدالله ، عن أم مبشر أنها سمعت النبي ﷺ يقول عند حفصة :

«لا يدخل إن شاء الله النار أحد من أصحاب الشجرة الذين بايعوا تحتها» قالت : بلى يا رسول الله. فانتهرها.

فقالت حفصة : ﴿ وإن مِنكُمْ إلَّا وارِدُها ﴾(١)

فقال : النبي ﷺ : قد قال تعالى :

﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذينَ اتَّقوْا وَنَذَرُ الظَّالِمينَ فِيها جِثِياً ﴾(٢).

وانتشرت هذه الواقعة بين نساء المدينة ، وعلمت بذلك نساء الصحابة رضوان الله عليهم.

وفي يوم تكلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع زوجته ، فما أن كان منها إلا أن

---

(١) سورة مريم آية رقم ٧١

(٢) سورة مريم آية رقم ٧٢. صحيح مسلم ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي : حديث رقم٢٤٩٦ جـ ٤ ص ١٩٤٢.

اعترضت عليه. فأكبر ذلك عمر من زوجته فقالت له: ليست وحدها التي تراجع زوجها ولكن ابنته أيضاً حفصة تراجع الرسول ﷺ فما كاد يسمع ذلك حتى انطلق إليها من فوره يسألها إن كان ما سمعه حقاً..؟

فلما أجابت أن نعم.

صاح فيها وزجرها وقال لها: تعلمين أني أحذرك عقوبة الله وغضب رسوله، يا بنية لا يغرنك هذه التي أعجبها حسنها وحب رسول الله ﷺ لها والله لقد علمت أن الرسول لا يحبك، ولولا أنا لطلقك»[1].

ثم يمضي عمر عن حفصة، وتستجيب لما أمرها له، وتطيع زوجها وتؤدي ما عليها تجاه زوجها وربها.

إنها المؤمنة الصابرة. الراضية القانعة، وقد حقق الله لها كل ما تريد بزواجها من الرسول ﷺ فعليها أن تسمع وتطيع حتى يتم الله عليها نعمته، ويبارك لها في حياتها وأيامها.

ولكن حدث ما لم تستطع حفصة أن تصبر عليه، من ذلك أن الرسول ﷺ خلا (بمارية) في بيت حفصة، فعادت إلى أحزانها وتمثل لها أبوها يقول: «والله لقد علمت أن رسول الله لا يحبك ولولاي لطلقك».

فلما انصرفت «مارية» دخلت حفصة حجرتها، وقالت للرسول: لقد رأيت من كان عندك، والله لقد سببتني، وما كنت لتصنعها لولا هواني عليك». ثم استعبرت باكية.

ووقعت كلمتها من الرسول موقعاً أليماً، فأقبل عليها يترضاها، وهان عليه أن يُسر إليها أن مارية حرام عليه فلتتناس حفصة ما كان ولتعتبره كأن لم يكن ورضيت حفصة.

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ٧ ص ٥٤

وسعدت ليلتها بقرب الرسول وعطفه ، حتى إذا مضى عنها الغداة ولمحت عائشة قريبة منها لم تستطع أن تكتم عنها ما تطوي من سر خطير ، فنبأت به صاحبتها التي انتهزت الفرصة لتنال من غريمتها «الأمة القبطية»[1] .

ولم تقدر حفصة وهي تذيع السر لعائشة ، أنها بسبيل اشعال نار في بيت الرسول فإن عائشة لم تهدأ حتى جمعت نساء النبي في مظاهرة ثائرة بمارية مصرة على ألا يبقى لها في مدينة الرسول مكان.

واندفعت عائشة تستثير ضرائرها فما زالت بهنّ حتى انضممن إليها وقد تناسين غيرتهن منها وكانت كلمتهن :

«صبرن على ايثار الرسول لابنة أبي بكر ، وما بقي إلا تلك الأمة القبطية فأي هوان» .

ولجت عائشة في غيرتها والنساء يظاهرنها على زوجهن الرسول غيظاً من مارية التي حملت دونهن بضعة من رسول الله ، وترفق الرسول بهن ما استطاع مقدراً بواعث هذا التظاهر ، لكنهن تمادين في اللجاج إلى حد الشطط ، مستمرئات عطف الرسول ورفقه بهن .

وما كان ﷺ فارغ البال إذ ذاك لهذا العبث النسوي المسرف ، ولا كان يستطيع أن يرضي لعائشة وحفصة والباقيات أكثر مما فعل فاعتزلهن في صراحة لم يألفنها ، وأعلن في حزم وتصميم أنه منقطع عنهن»[2] .

وأشيع أن الرسول ﷺ طلق حفصة ، أو طلق زوجاته جميعاً.

وعندما سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : ما يعبأ الله بعمر وابنته بعدها فنزل جبريل من الغد على النبي ﷺ فقال : «أرجع حفصة فإنها صوامة قوامة ، وأنها زوجتك في الجنة»[3] .

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ٧ ص ٥٧

(٢) موسوعة آل النبي ص ٢٧١

(٣) حديث مراجعة النبي ﷺ لحفصة أخرجه أبو داود (٢٢٨٣) ، والنسائي ٦ /٢١٣ ، وابن ماجة (٢٠١٦) والحاكم ٤ /١٥ ، وذكره الهيثمي في «المجمع» ٩ /٢٤٤ ، وقال : رواه الطبراني في الأوسط.

ودخل عمر رضي الله عنه وقال : يا رسول الله ما يشق عليك من أمر النساء. . ؟ إن كنت طلقتهن فإن الله معك وملائكته وجبريل وميكائيل ، وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك.

فقال له الرسول ﷺ إنما هجرتهن شهراً.

وانطلق عمر إلى المسجد فنادى بأعلى صوته :

«لم يطلق رسول الله ﷺ نساءه».

ونزل قول الله تعالى : ﴿ يا أَيُّها النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ ما أَحَلَّ اللهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضاةَ أَزْواجِكَ وَاللهُ غَفورٌ رَحيمٌ قَدْ فَرَضَ اللهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمانِكُمْ واللهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ الْعَليمُ الْحَكيمُ ﴾[1].

وعاشت حفصة في بيت الرسول ﷺ ولم تفكر مرة أخرى أن تفعل ما يغضب الله ورسوله.

فلما انتقل الرسول ﷺ إلى جوار ربه ، كانت حفصة من بين زوجاته عليه السلام هي التي اختيرت لتحتفظ بالنسخة الخطية للقرآن الكريم.

وبقي المصحف عندها حتى أخذه أمير المؤمنين ، عثمان بن عفان في خلافته فنسخ منه النسخ الأربع التي وزعت على الأمصار.

ودخل عمر رضي الله عنه على حفصة في بيتها بعد وفاة الرسول ﷺ فقدمت إليه مرقاً وخبزاً وصبت في المرق زيتاً.

فقال : أدمان في إناء واحد. . . ؟ لا أذوقه حتى ألقى الله عز وجل. فقالت حفصة : يا أبت ، إنه قد أوسع الله الرزق وفتح عليك الأرض وأكثر من الخير ، فلو طعمت طعاماً ألين من طعامك ولبست لباساً ألين من لباسك فقال عمر :

(١) سورة التحريم آية رقم ١ — ٢ في «صحيح مسلم١٤٧٩» : ونزلت هذه الآية : (عسى ربه ان طلقكن ان يبدله أزواجاً خيراً منكن) و (وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير).

يا حفصة سأخاصمك إلى نفسك أما تذكرين ما كان رسول الله ﷺ يلقى من الشدة في العيش..؟ فما زال يذكرها حتى أبكاها ثم قال: إني قد قلت لك إني والله لئن استطعت لأشاركنهما في عيشهما الشديد لعلي ألقى معهما عيشهما الرخي»[1].

يعني رسول الله وأبا بكر.

ومات أبوها وعاشت بعده، عابدة قانتة، حافظة لدينها متبتلة بكتاب ربها، حتى قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه.

ودخل المسلمون في فتنة عمياء، وانقسموا فرقاً وأحزابا، وكل فريق يعمل بما يرى أن في ذلك صالح المسلمين. واعتزل مجموعة من الصحابة عن هذه الفتنة وأغلقوا عليهم أبوابهم. مثل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه... وأرادت السيدة عائشة الخروج للتصدّي أمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وفكرت أن تأخذ معها رفيقة حياتها وشريكتها في بيت النبوة حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها.

فهل استجابت حفصة لما طلبته عائشة رضي الله عنها..؟

وهل فكرت في الخروج معها لقتال عليّ رضي الله عنه..؟

ترى بعض الروايات التاريخية أن حفصة أوشكت أن تستجيب لطلب عائشة وتخرج معها.

لولا أن أخاها عبدالله بن عمر — رضي الله عنه — منعها من ذلك[2].

فأذعنت له واستمعت لأوامره وعاشت في بيتها تنتظر قضاء ربها وانتهاء أجلها بالعبادة لله والتضرّع إليه.

حتى وافاها أجلها في سنة خمس واربعين للهجرة في خلافة معاوية بن أبي سيفان رضي الله عنهما ومتعها بما في جناته من نعيم.

(١) طبقات ابن سعد جـ ٣ ص ٢٧٧.

(٢) تاريخ الطبري جـ ٣ ص ٤٧٥.

أسباب نزول الآيات

عن ابن عباس رضي الله عنه قال : لم أزل حريصاً أن أسأل عمر بن الخطاب عن المرأتين من أزواج النبي ﷺ ، اللتين قال الله لهما : ﴿ إن تَتُوبَا إلى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُما ﴾[1] .

حتى حجّ فحججت معه وعدل فعدلت معه بالإداوة[2] فبرز ثم جاء فسكبت على يده من الإداوة فتوضأ ، ثم قلت : يا أمير المؤمنين من المرأتان من أزواج رسول الله ﷺ اللتان قال الله لهما : ﴿ إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما ﴾[3] .

فقال عمر : واعجباً لك يا ابن عباس ! هما عائشة وحفصة . ثم قال : إني كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد وكنا نتناوب النزول على رسول الله ﷺ فينزل يوماً وأنزل يوماً ، فإذا نزلت جئته بما يحدث من خبر ذلك اليوم من الوحي وغيره ، وإذا نزل فعل مثل ذلك ، وكنا معشر قريش نغلب النساء ، فلما قدمنا على الأنصار إذا قوم تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يأخذن من أدب الأنصار فصحت على امرأتي فراجعتني فأنكرت أن تراجعني ، فقالت : ولم تنكر أن أراجعك ..؟ فوالله إن أزواج النبي ﷺ ليراجعنه وإن إحداهن لتهجره اليوم حتى الليل ..؟؟

فأفزعني ذلك فقلت :

قد خاب من فعل ذلك منهن . ثم جمعت عليَّ ثيابي فنزلت فدخلت على حفصة بنت عمر فقلت :

---

(١) سورة التحريم اية رقم ٤ .

(٢) الإناء الذي يكون فيه الماء.

(٣) انظر : صحيح البخاري [٦ : ٦٩]. استانبول ، المكتبة الإسلامية نسخة مصورة .

«يا حفصة أتغاضب إحداكن رسول الله يوماً إلى الليل..؟».

قالت: نعم.

قلت: خبت وخسرت، أفتأمنين أن يغضب الله لغضب رسوله فيهلكك..؟ لا تستكثري على رسول الله ولا تراجعيه في شيْ ولا تهجريه وسليني ما بدا لك، ولا يغرك أن كانت جارتك هي أوضأ منك وأحب إلى رسول الله — يريد عائشة — قال عمر: وكنا قد تحدثنا أن غسان تجهز الخيل لتغزونا. قال فنزل صاحبي الأنصاري يوم نوبته فرجع إليَّ عشاء فضرب بابي ضرباً شديداً وقال: أنائم هو..؟ ففزعت فخرجت إليه فقال:

«قد حدث اليوم أمر عظيم».

قال: قلت ما هو..؟ أجاءت غسان..؟

قال: لا بل أعظم من ذلك وأطول، طلق رسول الله نساءه.

فقلت: خابت حفصة وخسرت قد كنت أظن هذا يوشك أن يكون. فجمعت علي ثيابي فصليت مع رسول الله الفجر فدخل رسول الله مشربة له فاعتزل فيها. قال ودخلت على حفصة فإذا هي تبكي فقلت:

ما يبكيك...؟ ألم يكن قد حدثتك هذا..؟ طلقكن رسول الله..؟

فقالت: لا أدري ما أقول، هوذا معتزل في هذه المشربة.

قال: فخرجت فجئت المنبر فإذا حوله رهط يبكي بعضهم. قال: فجلست معهم ثم غلبني ما أجد فجئت المشربة التي فيها رسول الله فقلت لغلام أسود: استأذن لعمر

قال: فدخل الغلام فكلم رسول الله ﷺ ثم خرج إليَّ فقال: «قد ذكرتك له فصمت».

قال: فرجعت فجلست مع الرهط الذين عند المنبر ثم غلبني ما أجد فجئت فقلت استأذن لعمر.

فدخل ثم رجع فقال : قد ذكرتك له فصمت.

قال : فرجعت فجلست مع الرهط الذين عند المنبر ثم غلبني ما أجد فجئت فقلت للغلام : استأذن لعمر.

فدخل ثم خرج إليّ فقال : قد ذكرتك له فصمت. فلما وليت منصرفاً إذا الغلام قال : قد أذن لك رسول الله.

فدخلت على رسول الله ، فإذا هو مضطجع على رمال حصير ليس بينه وبينه فراش ، قد آثر الرمال بجنبه متكئاً على وسادة أدم حشوها ليف ، فسلمت على رسول الله ﷺ ثم قلت وأنا قائم :

« يا رسول الله أطلقت نساءك...؟

قال : فرفع بصره إليّ فقال : لا.

فقلت : الله أكبر. ثم قلت وأنا قائم استئناساً بأمر رسول الله : لو رأيتني وكنا معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا المدينة قدمنا على قوم تغلبهم نساؤهم فتغيظت عليّ امرأتي فإذا هي تراجعني ، فأنكرت ذاك عليها فقالت :

« اتنكر أن أراجعك؟ إن أزواج رسول الله ﷺ ليراجعنه ويهجرنه ، وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل ، قد خابت حفصة وخسرت أفتأمن إحداهن أن يغضب الله لغضب رسول الله فإذا هي قد هلكت..؟

فتبسم رسول الله ، ثم قلت : يا رسول الله لو رأيتني ودخلت على حفصة فقلت لها : لا يغرنك أن كانت صاحبتك أوضأ منك وأحب إلى رسول الله منك.. ».

فتبسم رسول الله تبسمة أخرى.

قال : فجلست حين رأيته تبسم قال : فرفعت بصري في بيته فوالله ما رأيت فيه شيئاً يرد البصر غير أهب ثلاثة. فقلت :

«يا رسول الله ادع الله أن يوسع على أمتك فإن فارس والروم قد وسع عليهم وأعطوا الدنيا وهم لا يعبدون الله».

قال: فجلس رسول الله وكان متكئاً فقال:

«أوفي شك أنت يا ابن الخطاب..؟ عُجلوا طيباتهم في حياتهم الدنيا».

قال قلت: يا رسول الله استغفر لي.

قال: فاعتزل رسول الله نساءه من أجل ذلك الحديث حين أفشته حفصة إلى عائشة تسعاً وعشرين ليلة، وكان قال: ما أنا بداخل عليهن شهراً». من شدة موجدته عليهن، حتى عاتبه الله.

فلما مضت تسع وعشرون ليلة دخل على عائشة فبدأ بها، قالت عائشة: «يا رسول الله أما كنت أقسمت ألا تدخل علينا شهراً..؟ وإنما أصبحت من تسع وعشرين ليلة أعدها لك عداً.

فقال رسول الله ﷺ الشهر تسع وعشرون ليلة — وكان ذلك الشهر تسعاً وعشرين»[1].

وقال عروة بن الزبير: انطلقت حفصة إلى أبيها تحدث عنده وأرسل رسول الله ﷺ إلى مارية فظل معها ببيت حفصة وضاجعها. فرجعت حفصة من عند أبيها وأبصرتهما فغارت غيرة شديدة ثم إن رسول الله أهرج سريته فدخلت حفصة فقالت:

«قد رأيت ما كان عندك وقد والله سؤتني».

فقال النبي: فإني والله لأرضينك، إني مسر إليك سراً فاخفيه لي».

فقالت: ما هو..؟

---

(١) أخرج الحديث بطوله مسلم (١٤٧٩) في الطلاق وانظر البخاري ٩/ ٢٤٣ — ٢٥٣.

قال أشهدك أن سريتي عليَّ حرام». يريد بذلك رضا حفصة، وكانت حفصة وعائشة قد تظاهرتا على نساء رسول الله.

قال: فانطلقت حفصة فحدثت عائشة فقالت لها:

«أبشري فإن الله حرم على رسوله وليدته». فلما أخبرت رسول الله أنزل الله:

﴿ يا أَيُّها النَّبيُّ لِمَ تُحَرِّمُ ما أَحَلَّ اللهُ لَكَ تَبْتَغي مَرْضاةَ أَزْواجِكَ، إلى قوله تعالى: ثَيِّباتٍ وَأَبْكاراً ﴾[1].

(١) سورة التحريم آية رقم ١ أخرجه ابن جرير الطبري في «تفسيره» ٢٨ / ١٥٧ وسنده ضعيف، ويغني عنه ما أخرج النسائي بسند صحيح عن أنس أن النبي ﷺ كانت له أمة يطؤها، فلم تزل به حفصة وعائشة حتى حرمها، فأنزل الله هذه الآية (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك) وانظر «فتح الباري» ٨ / ٥٠٣ و ٩ / ٣٢٨.

تذييل ...

المرأة جهاز روحي عجيب، يلقي في قلب الرجل أسرار القوة ومعاني الثقة بالنفس.

والمرأة إنسان كريم وأسمى ما فيها إنسانيتها الرفيعة، وقد قضت سنة الله أن تجعل كرامتها منوطة برعاية أماناتها الخاصة، وأن تجعل سعادتها منوطة بأداء وظائف تلك الأمانات، أماً وزوجة وربة بيت..

فإن كانت أماً فقي طاعتها رضوان الله تعالى. وتحت أقدامها الجنة وإن كانت زوجة صالحة فهي أفضل ذخر يستفيده المرء من دنياه بعد تقوى الله.

وهي الحسنة التي يطلبها المؤمن من ربه صباح مساء ويتمناها في دنياه وآخرته بقوله تعالى:

﴿رَبَّنا آتِنَا فِي الدُّنْيا حَسَنَةً وفي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنا عَذَابَ النَّارِ﴾(١)

وإن كلمة واحدة منها — لزوجها — وهو يشكو جور الزمان أو منافسة الأقران أو مكائد الرجال كفيلة أن تمده بطاقات عجيبة من الهمة والأمل والثقة بالنفس، فإذا هو خلق جديد، وبناء غير الذي كان يوشك أن ينهار.

إن المرأة في منهج الإسلام هي الستر والوقاية، هي الحفظ والرعاية تلتقي بزوجها فتكاشفه بسرها، ويفضي بين يديها بجملة حاله... تعرف ماضيه وحاضره، وتتطلع إلى مشاريعه ومستقبله، وتساهم معه في معركة الحياة الضارية التي يخوضها بغية

---

(١) سورة البقرة آية رقم ٢٠١.

توفير الحياة الهادئة التي يريدانها معاً ، حتى يوفقهما الله سبحانه وتعالى في تربية الأولاد ويقيما دعائم عشهما الصغير على الود والمحبة.

إن الله سبحانه وتعالى عبر عن الحياة الزوجية باللباس قال تعالى ﴿ هُنَّ لِباسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِباسٌ لَهُنَّ ﴾[1].

واللباس في حقيقته لا يستغني عنه الإنسان في هذه الرحلة رحلة الحياة : فهو الذي يحول بينه وبين وقدة الصيف ولفحة الشمس ، وهو الذي يدثره ويبعث الدفء في أوصاله في ليالي الشتاء. وهو فوق ذلك يستر تشوهات الجسم وعيوبه بالنسبة لكل منهما فلا تمجها العيون أو تنفر منها الآخرين.

وهو بالنسبة للمرأة ستر ووقاية أيضاً يستر محاسنها ومفاتنها ويقي جسدها من عيون الرجال المتلصصة ومن في قلوبهم مرض وإذا كان هذا بالنسبة للباس... فماذا بالنسبة للرجل والمرأة في حياتهما الزوجية..؟

إن كلاً منهما ستر للآخر ، ستر لأقواله وأفعاله ، وحفظ لأسراره وما يخفيه. فالمرأة ستر للرجل ووقاية ، عندما يوشك أن تغلبه الإرادة. والرجل ستر للمرأة وصيانة عندما تغلبها العاطفة ويسيطر عليها ضعف الأنثى.

والله سبحانه وتعالى يقول بالنسبة للنساء في وصفهن والقيام بواجبهن تجاه زوجها وأمام ربها :

﴿ فالصَّالِحاتُ قانِتاتٌ حافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بما حَفِظَ اللهُ ﴾[2].

حافظات لزوجها في حياته الخاصة والعامة. وحافظات على ماله وأولاده ، وحافظات لأسراره وأقواله.

وحافظات لماء وجهه فلا تكلفه من المطالب المعيشية ما لا يقدر عليه , لأن هذا

---

(١) سورة البقرة آية رقم ١٨٦

(٢) سورة النساء الآية رقم ٣٤.

يؤذيه في شعوره. وقد يضطر أن يبحث عن وسائل للكسب الحرام حتى يرضي زوجته.

وقد كانت الزوجة من السلف الصالح تقول لزوجها إذا خرج إلى عمله: اتق الله وإياك والكسب الحرام فإننا قد نصبر على الجوع والضر، ولكننا لا نصبر على النار.

ومن جملة ما يحفظ ما يكون بينهما من علاقة خاصة فلا تكون حديثاً في المجالس أو سمراً في الندوات مع الأصدقاء والصديقات ففي الحديث عن رسول الله ﷺ: «إن من أشر الناس منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى المرأة، والمرأة تفضي إليه ثم ينشر سرها»[1]. وفي رواية لمسلم: «إن من أعظم الأمانة...» على حذف المضاف، أي أعظم خيانة للأمانة.

والحديث الآخر رواه أبو هريرة من قوله: صلى بنا رسول الله ﷺ، فلما سلم أقبل علينا بوجهه فقال: مجالسكم هل منكم الرجل إذا أتى أهله أغلق بابه وأرخى ستره، ثم يخرج فيحدث فيقول فعلت بأهلي كذا..؟ فسكتوا.

فأقبل على النساء فقال: هل منكن من تحدث..؟

فجثت فتاة كعاب على إحدى ركبتيها، وتطاولت ليراها رسول الله ﷺ ويسمع كلامها فقالت:

إي والله إنهم يتحدثون، وإنهن ليتحدثن

فقال عليه السلام: «هل تدرون ما مثل من فعل ذلك..؟ مثل شيطان وشيطانة لقي أحدهما صاحبه بالسكة فقضى حاجته منها والناس ينظرون إليه»[2].

وبعد هذا الأدب النبوي الكريم لأمته، هل يجوز للمرأة التي عرفت القليل

(١) أخرجه مسلم (١٤٣٧) وأبو داود (٤٨٧٠) وأحمد ٣ / ٦٩ من حديث أبي سعيد الخدري.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» ٢ / ٥٤١، وأبو داود (٢١٧٤) في النكاح.

والكثير عن حياة زوجها أن تكشف سره . . ؟ وأن تتحدث للآخرين به ، وأن توضح لهم ما يريد أن يخفيه عنهم أو يكتمه عن دنياهم . . ؟

الحقيقة أن بعض النساء يفعلن ذلك ، وينشرن على الآخرين ما يجب أن يخفي ، ونتيجة هذا الافشاء ، غالباً ما تكون وخيمة وقد يؤدي إلى الانفصال أو الطلاق.

. . . وقد يكتم الرجل سراً يخفيه عن كل ما حوله. وتأتي المرأة فيكشف هذا السر، فيكون نتيجة ذلك القتل أو السجن أو مشاكل لا تقف عند حد.

والدليل على ذلك سر الرسول ﷺ الذي ألقى به لأم المؤمنين حفصة فأفشته ، فكان ما كان ، من هجر زوجاته شهراً على ما يقال ، والتفكير في الانفصال عنهن جميعاً . . .

فالمرأة العاقلة هي التي تحافظ على أسرار زوجها . . .ولا تعلنها للآخرين. ولو كانوا أقرب المقربين إليها — حرصاً على سلامة الأسرة ، وسعادة البيت وتربية الأطفال .

فهل تراهن فاعلات . . ؟

نرجو من الله ذلك.

أمّ المؤمنين رملة بنت أبي سفيان

رَضِيَ ٱللَّهُ عَنهَا

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى :

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾ ۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾

صدق الله العظيم

[سورة الممتحنة آية رقم ٦ ، ٧]

أقوال العلماء في نزول الآيات

قال بعض رجال التفسير وأصحاب السنن وكتب الطبقات نزلت هذه الآية عندما تزوج الرسول ﷺ :

رملة بنت أبي سفيان — رضي الله عنها —

قال ذلك الإمام ابن كثير في تفسيره جـ٦ ص ٦٢٧.

وقاله الإمام الواحدي في كتابه أسباب نزول القرآن ص ٢٨٤.

وقاله : صاحب كتاب الدر المنثور.

وقاله : ابن سعد في طبقاته جـ٨ ص ٩٩ وذكره الإمام مسلم في صحيحه.

فمن هي رملة بنت أبي سفيان..؟

أم المؤمنين رَملة بنت أبي سفيان

رملة بنت أبي سفيان بن حرب ، زوج الرسول ﷺ واحدى أمهات المؤمنين لقوله تعالى :

﴿ النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وأَزْواجُهُ أُمَّهاتُهُمْ ﴾(١) .

والدها أبوسفيان بن حرب ، رئيس وفد قريش الذي سأله هرقل ملك الروم عن النبي ﷺ وطلب من بقية رفقائه أن يكذبوه إن كذب عليه .

قال هرقل لأبي سفيان : هل كان في آباء محمد من ملك . . ؟

فقال : لا .

قال : هل قال هذا القول أحد قبله . . ؟

قال : لا .

قال : أهو ذو نسب فيكم . . ؟

قال : نعم .

قال : هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال . . ؟

قال : لا . ما جربنا عليه كذباً .

---

(١) سورة الأحزاب آية رقم ٦.

قال : هل اتبعه ضعفاء الناس أم أشرافهم.

قال إن الضعفاء اتبعوه.

وسأله : هل يزيدون أم ينقصون..؟

فذكر أنهم يزيدون.

وسأله : هل يرجع أحد منهم عن دينه سخطة له بعد أن يدخل فيه..؟

قال :لا.

وسأله : هل قاتلتموه..؟

قال : نعم.

وسأله عن الحرب بينهم وبينه فقال : يدال علينا مرة وندال عليه أخرى.

وسأله : هل يغدر..؟

فقال : إنه لا يغدر.

وسأله : بماذا يأمركم..؟

فقال : يأمرنا أن نعبد الله وحده ، ولا نشرك به شيئاً وينهانا عما كان يعبد آباؤنا ، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة.

فقال هرقل : هذه صفة نبي ، وقد كنت أعلم أن نبياً يبعث ولم اكن أظنه منكم ، ولو وددت أني أخلص إليه ، ولولا ما أنا فيه من الملك لذهبت إليه ، وإن يكن ما تقول حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين.

قال أبو سفيان : فقلت لأصحابي ونحن نخرج لقد كبر أمر ابن أبي كبشة ، إنه ليعظمه ملك بني الأصفر[1].

---

(١) أخرج حديث قصة هرقل بطولها البخاري ١ / ٣٠ — ٤١ ، ومسلم (١٧٧٣) وأحمد ١ / ٢٦٢ ، ٢٦٣.

وأمها : صفية بنت أبي العاص بن أمية عمة عثمان بن عفان رضي الله عنه وأخوها : معاوية بن أبي سفيان ـ رضي الله عنه ـ أحد كتاب الوحي لرسول الله ﷺ وتولى ولاية الشام من قبل عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ولما طلب بطارقة الروم أن يستلم عمر بن الخطاب مفتاح بيت المقدس، وسار إليهم استقبله معاوية في موكب عظيم، فلما دنا منه قال له عمر: أنت صاحب الموكب العظيم..؟

قال: نعم يا أمير المؤمنين.

قال: مع ما يبلغني من وقوف ذوي الحاجات ببابك...

قال: مع ما يبلغك من ذلك. قال: ولم تفعل هذا..؟

قال: نحن بأرض جواسيس العدو بها كثيرة، فيجب أن نظهر من عز السلطان ما نرهبهم به، فإن أمرتني فعلت، وإن نهيتني انتهيت. فقال عمر: إن كان ما قلت حقاً إنه لرأي أريب، وإن كان باطلاً إنه لخدعة أديب.

قال: فمرني يا أمير المؤمنين.

قال: لا آمرك ولا أنهاك[1].

عاشت رملة في بيت أبيها زهرة فواحة بالعطر، راضية قانعة، هينة مع أهلها، لينة في معاملة الناس، ولم تكن كغيرها من فتيات بني أمية اللاتي كن يتعاجبن بالجمال، ويفتخرون بالمال، ويتغنين ببطولة الفرسان بل كانت تنفر من أفكار الجاهلية وتسلطاتها.

...وعندما بلغت مبلغ الأنوثة، واكتمل شبابها، زفت إلى عبيد الله بن جحش، فكانت له نعم الزوجة الصابرة المطيعة، التي تحرص على مرضاة زوجها وتستعد بحفظ ماله، والاهتمام بشؤونه، تفرح بمقدمه إن حضر. وتنتظر أوبته إذا غاب.

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب جـ ٣ ص ١٤١٧.

ورزقت منه بابنتها حبيبة فقرت بها عينها ، وعاشت لها ولأبيها أماً تبذل لهما الحنان والحب ، وزوجة تقدم الولاء والعطف ، واستمرت حياتها على هذه الوتيرة الهادئة ، حتى بزغ فجر الإسلام ، وترددت في جنبات مكة كلمة التوحيد . واستمع زوجها إلى كلام الله تعالى يرتله رسوله الكريم في بيت الأرقم بن أبي الأرقم ، فأعلن اسلامه وعاد إلى بيته إنساناً جديداً يضم ابنته في حنان ويربت على كتف زوجته في عطف .

إنه يخشى أن تسمع زوجته باسلامه فتفر منه ، أو لا تستجيب لدعوة التوحيد إن دعاها إليه فلا تحل له ، وارتبكت أموره وعلته كآبة من الحزن .

حتى كانت ليلة استيقظ في جوفها ، وخيل إليه أن زوجته نائمة فأخذ يرتل كلمات ربه ، ويصلي لخالقه ، ويطلب منه السداد والتوفيق . وطرقت أذنها هذه الكلمات ، واستقرت مباشرة في قلبها ، لتنير حياتها وتهديها إلى طريق الحق ، طريق النور .

فاعلنت إسلامها ، وتابعت زوجها فيما آمن به ، ومن يومها أحست أن للحياة طعماً جديداً وأن للوجود غاية أكبر مما كان يظن هؤلاء الشيوخ الذين يتحلقون حول الكعبة . ينتظرون الوفود التي تأتي إليهم بالنذور الوفيرة ، والخير الكثير .

واتخذت من بيتها مسجداً ومحراباً تتبتل فيه لربها وتنتظر عودة زوجها . . . ولكن قريشاً لم تترك هذه الفئة المؤمنة تردد كلمة التوحيد وتسخر من الأصنام ، وتدعو إلى دين الله . بل أرادت أن تكمم أفواههم ، وتجلد أبشارهم ، وتصب عليهم العذاب صباً .

وأذن الرسول الكريم لهذه الفئة المستضعفة بالهجرة إلى الحبشة لانهم سيجدون بجوار ملكهم الصالح العدل والأمان . وتتابعت الوفود على الطريق . معلنة التصميم على إيمانها مهاجرة إلى ربها . . مضحية في سبيل الله بالأهل والولد والمال .

وكان عبيد الله بن جحش وزوجته رملة وابنته حبيبة مع الجماعات المهاجرة والتي حطت رحلها بأرض الحبشة . . واطمأنت رملة إلى الوطن الجديد ، ووجدت فيها رحابة وأمناً وحرية واطمئناناً ، الأمر الذي يجعلها تعبد ربها بلا خوف وترفع صوتها بالآيات البينات بلا وجل .

وفي ليلة من الليالي رأت أم حبيبة رؤيا أفزعتها واضطربت لها كل جوارحها تقول عن نفسها :

«رأيت في النوم عبيدالله بن جحش زوجي بأسوإ صورة وأشوهه ففزعت. فقلت تغيرت والله حاله . فإذا هو يقول حيث أصبح : يا أم حبيبة إني نظرت في الدين فلم أر ديناً خيراً من النصرانية . وكنت قد دنت بها ، ثم دخلت في دين محمد ، ثم رجعت إلى النصرانية . فقلت : والله ما خير لك ، وأخبرته بالرؤيا التي رأيت له فلم يحفل بها واكب على الخمر حتى مات. فأرى في النوم كأن آتياً يقول : يا أم المؤمنين ففزعت فأولتها أن رسول الله يتزوجني.

قالت : فما هو إلا أن انقضت عدتي فما شعرت إلا برسول النجاشي على بابي يستأذن فإذا جارية يقال لها أبرهة ، كانت تقوم على ثيابه ودهنه فدخلت علي فقالت :

«إن الملك يقول لك إن رسول الله ﷺ كتب إلي أن ازوجكه»

فقالت : بشرك الله بخير[1]

وتزوجت رملة رسول الله ﷺ وانتقلت إلى بيت النبوة . وأولم عثمان بن عفان وليمة حافلة ، نحر فيها الذبائح وأطعم الناس وباتت مكة ساهرة مؤرقة تردد قول أبي سفيان وقد بلغه نبأ زواج محمد من ابنته رملة :

«هذا الفحل لا يجدع أنفه»[2] .

حتى كان يوم نقضت قريش عهد الحديبية التي عقدته مع الرسول ﷺ فقرر غزو مكة .

وعلمت قريش بما قرره الرسول ﷺ فاجتمع قادتها يتشاورون في أمر محمد الذي يوشك أن ينقض عليهم ولا قبل لهم به واستقر رأيهم على أن يوفدوا رسولاً

---

(١) هو في «طبقات ابن سعد» ٨/ ٩٧ ، و «المستدرك» ٤/ ٢٠ ، ٢٢.

(٢) طبقات ابن سعد ٨/ ٩٩ ، و «المستدرك» ٤/ ٢٢.

منهم إلى المدينة يفاوض محمداً ﷺ في تجديد الهدنة ومد أجلها عشر سنين. ولكن من يكون رسولهم..؟

إنه أبو سفيان ولا أحد غيره.

وخرج أبو سفيان يريد المدينة، فلما بلغها تذكر أن له ابنة هناك في بيت خصمه، فتسلل إليها يستعين بها على ما جاء من أجله.

وفوجئت أم المؤمنين بأبيها يدخل بيتها ولم تكن قد رأته منذ هاجرت الى الحبشة فوقفت تجاهه بادية الحيرة، لا تدري ماذا تفعل، أو ماذا تقول..؟

وأدرك «أبو سفيان» ما تعانيه إبنته فأعفاها من أن تأذن له بالجلوس. وتقدم من تلقاء نفسه ليجلس على الفراش، فما راعه إلّا أن وثبت ابنته فاختطفت الفراش وطوته في إعزاز.

سألها وهو يلوذ بالصبر:

«أطويته يا بنية رغبة بي عن الفراش، أم رغبة بالفراش عني..؟

وجاءه جوابها:

«هو فراش رسول الله ﷺ، وأنت رجل مشرك فلم أحب أن تجلس عليه».

قال والألم يفري كبده:

«لقد أصابك يا بنية بعدي شر»[1]

وانصرف غاضباً. واتجه إلى رسول الله ﷺ فكلمه في العهد فلم يجبه بشيءٍ. فتوسل بأبي بكر إلى الرسول. لكن أبا بكر رفض. فكلم عمر بن الخطاب فرد عليه بقوله:

(١) «طبقات ابن سعد» ٨ / ٩٩، ١٠٠ وسيرة ابن هشام جـ ٤ ص ٣٨ وتاريخ الطبري جـ ٣ ص ١١٣ والسمط الثمين ص ١٠٠

«أنا أشفع لكم إلى رسوله الله..؟ فوالله لو لم أجد إلا الذر لجاهدتكم به»
وانطلق أبو سفيان إلى بيت علي بن أبي طالب وعنده فاطمة بنت رسول الله وولدها الحسن يدب بين يديها فقال:

«يا علي إنك أمس القوم بي رحماً واني قد جئت في حاجة.. فاشفع لي إلى محمد»..

«أجاب علي: ويحك يا أبا سفيان، والله لقد عزم رسول الله ﷺ على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه».

فالتمس نصيحته فقال علي كرم الله وجهه:

«والله ما أعلم شيئاً يغني عنك شيئاً لكنك سيد بني كنانة فقم فأجر بين الناس ثم الحق بأرضك. وما أظن ذلك مغنياً ولكن لا أجد لك غيره»[1].

فذهب أبو سفيان إلى المسجد وهناك أعلن أنه أجار بين الناس ثم أسرع إلى راحلته وانطلق بها يعدو في طريق مكة كأنه يفر من مطارد »[2] وسمعت أم المؤمنين بما حدث مع أبيها.

وتيقنت أن سفارته لم تأت بخير.

وأن الرسول ﷺ سيأخذ عليهم الأرض من أطرافها ماذا يمكن أن تفعل لأبيها لا شيء.

ولاح في داخلها أمل عجيب ألا يمكن أن يسلم أبوها كما أسلم بقية صناديد مكة.. ولم لا..؟

إنها تطلب من ربها ذلك. وتدعوه عله يستجيب لها — ورفعت اكف الضراعة إلى ربها تطلب منه أن يهدي قومها وينصر زوجها.

---

(١) و(٢) سيرة ابن هشام جـ ٤ ص ٣٩ وتاريخ الطبري جـ ٣ ص ١١٣.

وتحرك الجيش الزاحف إلى مكة ــ جيش الإيمان الذي ردد في جنبات الطريق وفوق السهول والإيمان كلمة الله اكبر.

وعسكر الجيس قريباً من مكة ، وخرج أبو سفيان ليستطلع أمر هذا الجيش الزاحف والتقى بالعباس بن عبد المطلب فقال له :

« يا أبا سفيان هذا رسول الله في الناس .. واصباح قريش إذا دخل مكة عنوة » .

قال أبو سفيان : فما الحيلة فداك أبي وأمي ..؟

فأردفه العباس وراءه وسار به خلال المعسكر ماراً بعشرة آلاف أوقدوا نيرانهم لتلقي الرعب في قلوب المشركين.

فلما مر بنا « عمر بن الخطاب » رضي الله عنه ــعرف أبا سفيان فاسرع إلى خيمة النبي مستأذناً في أن يضرب عنقه .

وجاء العباس على أثره فقال : إني يا رسول الله قد أجرته » .

وقال الرسول ﷺ .

« اذهب به يا عباس إلى رحلك فإذا أصبحت فائتني به » .

فلما كان الصباح جيئ بأبي سفيان إلى حضرة النبي وفي مجلسه كبار المهاجرين والأنصار .

وتكلم النبي ﷺ فقال :

« ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله ...؟ »

أجاب أبو سفيان :

« بابي أنت وأمي ما أحلمك واكرمك وأوصلك . والله لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره ، لقد أغنى شيئاً بعد » .

قال الرسول:

«ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله..؟»

أجاب:

«بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك أما هذه، فوالله إن في النفس منها حتى الآن شيئاً»

ولكن أبا سفيان ما لبث أن أعلن إسلامه فالتمس «العباس» من النبي ﷺ أن يكرم الرجل بشيء يرضي حبه للفخر، فأجاب ﷺ:

«نعم.. من دخل دار أبي سفيان فهو آمن. ومن أغلق بابه فهو آمن ومن دخل الكعبة فهو آمن»[1].

ووصل الخبر إلى مسامع رملة أم المؤمنين. بإسلام أبيها وإكرام زوجها له. وانه من دخل دار أبيها فهو آمن وسجدت لله شاكرة.. وانتظرت مع أمهات المؤمنين عودة القائد المنتصر.. الزوج الحبيب، والرسول الكريم، البار بأهله وعشيرته، القائل كلمته المشهورة... لهم وهم بين يديه وفي قبضته:

«اذهبوا فأنتم الطلقاء»[2].

والتقت أم حبيبة بزوجها رسول الله ﷺ بعد عودته من مكة.. وحدثته بفرحتها لهداية أبيها للإسلام.. وانضمامه لجيش المسلمين.. وامتنانه عليه بجعل داره موطن الأمان لمن يريد أن يحتمي من ضراوة الجيش الفاتح..

وحدثها رسول الله ﷺ عن الفتح الأكبر وألقى على مسامعها ما قاله للناس:

«إن الله قد حرم مكة يوم خلق السموات والأرض فهي حرام إلى يوم القيامة ولم

(١) انظر «سنن أبي داود» (٣٠٢١) (٣٠٢٢) (٣٠٣٤) ومسلم (١٧٨٠).

(٢) سيرة ابن هشام جـ ٤ ص ٣٢.

تحل لي إلا ساعة من نهار ثم رجعت كحرمتها بالأمس فليبلغ شاهدكم غائبكم ، ولا يحل لنا من غنائمها شيء»[1] .

ولما انتهى رسول الله ﷺ من حديثه قالت له :

«يا رسول الله انكح أختي بنت أبي سفيان.

قال : أو تحبين ذلك . . ؟

فقلت : نعم لست لك بمخيلة وأحب من شاركني في خير أختي .

فقال النبي ﷺ إن هذا لا يحل .

فقالت له : فانا نتحدث أنك تريد أن تنكح بنت أبي سلمة .

قال : بنت أم سلمة .

قالت : نعم .

قال : لو أنها لم تكن ربيبتي في حجري ما حلت لي لأنها ابنة أخي من الرضاعة أرضعتني وإياها ثويبة ، فلا تعرضن عليَّ بناتكن ولا أخواتكن»[2] . فاذعنت لأمر الله وأمر رسوله ﷺ

وتمر الأيام وتكر الليالي وأم حبيبة تعيش في بيت النبوة تشارك أمهات المؤمنين في حياتهم من العمل على مرضاة الرسول ﷺ وتفقيه المسلمات بأمور دينهن .

وفي يوم من الأيام نعى لها الناعس أباها أبا سفيان بن حرب فقالت إنا لله وإنا إليه راجعون ثم دعت بطيب فطلت به ذراعيها ثم قالت : «إني كنت عن هذا لغنية

---

(١) انظر البخاري ٦ / ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، وصحيح مسلم (١٣٥٣) ، وسنن أبي داود (٢٠١٧) ، والترمذي (١٤٠٦) ، وابن ماجة (٣١٠٩) .

(٢) انظر البخاري ٩ / ١٠٤ و ١٢١ و ١٣٧ ، وأحمد ٦ / ٢٩١ و ٣٠٩ و ٤٢٨ ، وسنن أبي داود (٢٠٥٦) ، والنسائي ٦ / ٩٤ ، ٩٥ ، وابن ماجة (١٩٣٩) .

لولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقول لا يحلّ لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث إلا على زوج فإنها تحدّ عليه أربعة أشهر وعشراً»[1].

هذه أم حبيبة زوج الرسول ﷺ تلتزم السنة وتطيع الرسول فيما يأمر به. وعاشت عابدة متبتلة ترجو الآخرة، وتطلب رضوان الله ورحمته. وتعد العدة لذلك.

تقول عن نفسها: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من صلى اثنتي عشرة ركعة في يومه وليلته بني له بيت في الجنة»[2]. قالت: فما تركتهن منذ سمعتهن من رسول الله ﷺ.. وأحست أم حبيبة أن أجلها قد اقترب وأن أيامها — تكاد معدودة. فطلبت السيدة عائشة — رضي الله عنها — وقالت لها:

«قد كان يكون بيننا ما بين الضرائر فغفر الله لي ولك ما كان من ذلك».

فقالت عائشة:

«غفر الله لك ذلك كله وتجاوز وحللك من ذلك»[3].

فقالت لها: سررتني سرك الله.

---

(١) أخرجه البخاري ٩ / ٤٣٢، ومسلم (١٤٨٦)، وسنن أبي داود (٢٢٩٩) والترمذي (١١٩٥)، والنسائي ٦ / ٢٠١، وابن ماجة (٢٠٨٤).

(٢) أخرجه مسلم (٧٢٨) (١٠٣) وأبو داود (١٢٥٠)، والترمذي (٤١٥)، والنسائي ٣ / ٢٦٢، وابن ماجة (١١٤١). ويقول المرحوم الأستاذ أحمد شاكر — بتصرف: «روى النسائي والترمذي مفصلاً على النحو التالي (عن أم حبيبة قالت: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ صلّى في يوم وليلة اثنتي عشرة ركعة بني له بيت في الجنّة: أربعاً قبل الظهر وركعتين بعدها، وركعتين بعد المغرب، وركعتين بعد العشاء، وركعتين قبل صلاة الفجر». حديث رقم ٤١٥ من سنن الترمذي، تحقيق وشرح المرحوم الاستاذ احمد شاكر، جـ ٢ ص ٢٧٤.

(٣) السمط الثمين. محب الدين الطبري ص ١١٦.

وأرسلت إلى أم سلمة فقالت لها مثل ذلك.

وتوفيت سنة أربع وأربعين. في خلافة معاوية بن أبي سفيان — رضي الله عنهما جميعاً.

أسباب نزول الآيات

تقول أم المؤمنين أم حبيبة رضي الله عنها :

«رأيت في النوم كأن آتياً يقول : يا أم المؤمنين ، ففزعت فأولتها أن رسول الله يتزوجني .

قالت : فما هو إلا أن انقضت عدتي فما شعرت إلا برسول النجاشي على بابي يستأذن فإذا جارية له يقال لها أبرهة كانت تقوم على ثيابه ودهنه فدخلت علي فقالت :

« إن الملك يقول لك إن رسول الله ﷺ كتب إليَّ أن أزوجكه . فقالت : بشرك الله بخير. قالت : يقول لك الملك وكلي من يزوجك .

فأرسلت إلى خالد بن سعيد بن العاص فوكلته . وأعطت أبرهة سوارين من فضة وخدمتين كانتا في رجليها وخواتيم فضة كانت في أصابع رجليها سروراً بما بشرتها .

فلما كان العشي أمر النجاشي جعفر بن أبي طالب ومن هناك من المسلمين فحضروا فخطب النجاشي فقال :

« الحمد لله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار ، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وأنه الذي بشر به عيسى ابن مريم ﷺ .

أما بعد : فإن رسول الله كتب إليَّ أن أزوجه حبيبة بنت أبي سفيان فأجبت إلى ما دعا إليه رسول الله ، وقد أصدقها أربع مائة دينار ثم سكب الدنانير بين يدي القوم .

فتكلم خالد بن سعيد فقال :

«الحمد لله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار ، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وأنه الذي بشر به عيسى ابن مريم ﷺ .

أما بعد : فإن رسول الله كتب إليّ أن أزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان فأجبت إلى ما دعا إليه رسول الله ، وقد أصدقتها أربع مائة دينار ثم سكب الدنانير بين يدي القوم .

«اجلسوا فإن سنة الأنبياء إذا تزوجوا أن يؤكل طعام على التزويج» فدعا بطعام فأكلوا ثم تفرّقوا .

قالت أم حبيبة : فلما وصل إليّ المال أرسلت إلى أبرهة التي بشرتني فقلت لها : إني كنت أعطيتك ما أعطيتك يومئذ ولا مال بيدي فهذه خمسون مثقالاً فخذيها فاستعيني بها . فأبت ، وأخرجت حقاً فيه كل ما كنت أعطيتها فردته علي وقالت :

«عزم عليّ الملك أن لا أرزأك شيئاً وأنا التي أقوم على ثيابه ودهنه وقد اتبعت دين محمد رسول الله ﷺ وأسلمت لله وقد أمر الملك نساءه أن يبعثن إليك بكل ما عندهن من العطر .

قالت : فلما كان الغد جاءتني بعود وورس وعنبر كثير .

وقدمت بذلك كله على النبي ﷺ فكان يراه عندي وعليّ فلا ينكره . ثم قالت أبرهة :

«فحاجتي إليك أن تقرئي رسول الله مني السلام وتعليمه أني قد اتبعت دينه» .

قالت : ثم لطفت بي وكانت هي التي جهزتني وكلما دخلت علي تقول : لا تنسي حاجتي اليك .

قالت : فلما قدمت على رسول الله أخبرته كيف كانت الخطبة وما فعلت بي أبرهة . فتبسم رسول الله ، وأقرأته منها السلام فقال :

وعليها السلام ورحمة الله وبركاته»[1]

وعن أبي صالح عن ابن عباس في قوله:

﴿عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة﴾[2]

قال: حين تزوج النبي ﷺ أم حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنها[3].

(١) راجع طبقات ابن سعد جـ ٨ ص ٩٧ — ٩٨ و «المستدرك» ٤ / ٢٠ — ٢٢ والسمط الثمين — محب الدين الطبري ص ١١٤

(٢) سورة الممتحنة آية رقم ٦

(٣) طبقات ابن سعد جـ ٨ ص ١٩

تذييل...

الزوج عند كثير من النساء هو أعز الرجال، وأغلى الأبطال. هو البلسم الشافي للجروح. وهو البسمة الحلوة التي تجمل الحياة. هو أبو العيال، وحامي الديار، والنغمة الحلوة التي تعزفها أوتار الوجود.

ومن أجل ذلك قد تنسى المرأة أقرب الناس إليها من أجل زوجها وتحارب الأهل والخلان بغية إرضاء رجلها.

لقد تزوجت زينب بنت الرسول ﷺ أبا العاص بن الربيع. وعاشت معه أياماً مليئة بالمودة والرحمة، ومكللة بالحب والقرب. ولكن أبا العاص بقي على كفره.

وعندما أذنت قريش لحرب محمد لم يستطع أن يتخلف عن الحرب والقتال. ودارت الدائرة على قريش ولم يقتل أبو العاص مع مقتلة قريش، وبقي في أيدي المسلمين أسيراً.

وعندما أمر الرسول ﷺ أصحابه في أخذ الفدية واطلاق سراح الأسرى..

قامت زينب ابنته بإرسال فدية زوجها مالاً وبعثت مع المال قلادة لها، كانت أمها خديجة أهدتها لها عند زفافها.

وعندما وقع نظر الرسول ﷺ على القلادة عرفها — فرق قلبه لابنته.

لأنه يعلم أن هذه القلادة أغلى شيء لديها.

إنها هدية أمها خديجة وأحب الناس لرسول الله.

إنها الذكرى الباقية من الأم الراحلة.

ولكن كل شيء يهون في سبيل أن يعود إليها رجلها.

وكأن هذه المعاني دارت بخلد الرسول ﷺ فقال لأصحابه :

«إن رأيتم أن تطلقوا إليها أسيرها وتردوا عليها مالها فافعلوا»[1] فقالوا : نعم يا رسول الله. فاطلقوه وردوا عليها قلادتها وعاد إليها زوجها بمكة. ولكنها لم تعد إليه — لأنها مسلمة وهو لا يزال على كفره..

ويأبى الإسلام ذلك.

وحملت زينب — رضي الله عنها — إلى المدينة، تجتر أحزانها، وتدعو ربها أن يهدي زوجها، ويشرح صدره بالإيمان ليقترب من الاسلام.

ومرت الأيام وكرت الليالي.. حتى إذا كان قبل الفتح خرج أبو العاص إلى الشام متاجراً، وكان رجلاً مأمونا ومعه أمواله وأموال رجال من قريش فلما فرغ من تجارته وأقبل راجعاً لقيته سرية لرسول الله ﷺ، فاصابوا ما معه، وفر هارباً. فلما قدمت السرية بما أصابوا من ماله. أقبل أبو العاص تحت الليل، حتى دخل على زينب بنت رسول الله ﷺ فاستجار بها. فأجارته. عندما علمت أنه جاء في طلب ماله.

فلما خرج رسول الله ﷺ إلى صلاة الصبح نادت زينب من صفة النساء : أيها الناس إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع فلما سلم رسول الله ﷺ من الصلاة أقبل على الناس فقال : أيها الناس هل سمعتم ما سمعت..؟

قالوا : نعم

قال : أما والذي نفس محمد بيده ما علمت بشيْ من ذلك حتى سمعت ما سمعتم. إنه يجير على المسلمين أدناهم[2]. ثم انصرف رسول الله ﷺ فدخل على ابنته فقال : «أي بنية اكرمي مثواه، ولا يخلص إليك فإنك لا تحلين له». ثم بعث رسول الله ﷺ إلى السرية الذين أصابوا مال أبي العاص فقال :

---

(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» ٨ / ٣١ من طريق الواقدي، وأخرجه الحاكم ٤ /٤٤، ٤٥ من طريق ابن إسحاق، وصححه. ووافقه الذهبي.

(٢) الخبر عند ابن هشام ١ /١٥٧، ١٥٨، وابن سعد ٨ / ٣٢، والحاكم ٤ / ٤٥.

«إن هذا الرجل منا حيث قد علمتم وقد أصبتم له مالاً فان تحسنوا وتردوا الذي له فانا نحب ذلك، وإن أبيتم فهو فيُ الله الذي أفاء عليكم فأنتم أحق به».

قالوا: يا رسول الله بل نرده عليه. ففعلوا.

ثم احتمل إلى مكة فأدى إلى كل ذي مال من قريش ماله. ثم قال: يا معشر قريش. هل بقي لأحد منكم عندي مال لم يأخذه..؟

قالوا: لا، فجزاك الله خيراً. فقد وجدناك وفياً كريماً. قال: فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله. ثم خرج حتى قدم على رسول الله ﷺ.

وردت إليه زينب رضوان الله عليهما

لماذا فعلت زينب ذلك مع زوجها من دفع فديته أولاً واجارته ثانياً لأنه الزوج الغالي الذي عاشت معه أيام عمرها.

إنه الأب الحنون لأطفالها وأولادها.

إنه الإنسان الذي أفضت إليه بذات نفسها وأشركته في حياتها وتعرّت أمامه فسرّها.

وتعرفّ على أسرارها فكتمها ولم يبح بها.

وكان لها لباساً وقاها تقلبات الأيام ومفاجآت الليالي.

انه الزوج الذي قدم حبه وقلبه

ووضع بين يديها ماله وكده.

وجعلها شريكة له في عزه ومجده.

إنه النصف القوي الذي يجعل الحياة جميلة وهادئة.

إن هذه المعاني العميقة والخيالات البهيجة. التي تكون بين المرأة وزوجها أشار إليها رسول الله ﷺ كما يحدثنا ابن هشام.

أن رسول الله ﷺ انصرف راجعاً إلى المدينة بعد غزوة أحد فلقيته حمنة بنت جحش زوجة مصعب بن عمير الذي قتل في تلك الغزوة.

فنعى لها أخاها عبدالله بن جحش. فقالت: إنا لله وإنا إليه راجعون امتثالاً لقول الله تعالى:

﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾[1]

ثم نعى لها خالها حمزة بن عبد المطلب فاسترجعت واستغفرت

ثم نعى لها زوجها مصعب فصاحت وولولت.

فقال رسول الله ﷺ ان زوج المرأة منها بمكان»[2] لقد ثبتت وصبرت عندما نعى لها أخاها. وثبتت وصبرت عندما نعى لها خالها.

أما زوجها فلم تستطع الصبر، ولم تقدر على تحكم إرادتها... وكيف تصبر، وليس بعد فقده إلا الضياع الذي لا يقف عند حد. والهم الذي لا يمنعه مانع.. والشقاء الذي لا يحده مرفأ.

ومن قبل زينب رضوان الله عليها ــ كانت رملة بنت أبي سفيان التي خرجت منها مهاجرة إلى الحبشة ــ هاجرت بدينها وفي رفقة زوجها وقالت: لمن أراد أن يمنعها من الخروج. إما أن أتبعه حيث سار وأرافقه أينما حل.. وإما سأودع هذه الحياة غير آسفة عليها. وفي أرض الحبشة.. وبعيداً عن الأهل والأقارب فقدت زوجها وتذرعت بالصبر. حتى تزوجها رسول الله ﷺ وحملت إلى المدينة.. وفي المدينة عاشت لزوجها وبيتها ومرت الأيام سريعة، وكرت الليالي هنيئة، حتى كان يوم ــ شاهدت أباها يقف أمامها، وأذهلتها المفاجأة، عندها لم تدر ماذا تقول.. أو ماذا تفعل..؟

(١) سورة البقرة آية رقم ١٥٥

(٢) سيرة ابن هشام جـ ٣ ص ٥٠.

حتى لقد هم والدها بالجلوس ، عندما لم تدعه لذلك . وهنا عادت إليها نفسها ، ورجعت إليها طبيعتها ، طبيعة الإسلام الصافية ، والعقيدة الصادقة التي لا تجامل ، ولا تحابي حتى ولو مع أقرب المقربين إليها . لقد جلس والدها على بساط زوجها . وهذا البساط طاهر لان صاحبه من المتطهرين.

المتطهرين بالماء من خبث الحياة والمتطهرين بكلمة التوحيد من أرجاس الكفر وهو في نفسه طاهر ، لانه يحمل رسالة ربه . ويتلقى أوامره عن طريق جبريل الأمين.

ووالدها لا يزال يعيش في كفره — وتعنته — لا يتطهر لأن الأصنام لا تأمر بذلك .

ولا يصفو قلبه من الضلال لأن أرجاس الكفر تخيم عليه . فما أن كان منها إلا أن شدت البساط من تحته وتعجب والدها من فعلها . وتساءل أي شيء فعله الإسلام في داخل هذه المخلوقة حتى تتنكر لأبيها وتحول بينه وبين الفراش . . ؟

فقال : أطويته يا بنية رغبة بي عن الفراش أم رغبة بالفراش عني . . ؟ وجاء جوابها :

هو فراش رسول الله ﷺ وأنت رجل مشرك فلم أحب أن تجلس عليه .

قال والألم يفري كبده :

لقد أصابك يا بنية بعدي شر[1] . وانصرف غاضباً .

وعلى هامش التاريخ كانت طروادة تلك العاصمة القديمة — التي حاصرتها جيوش «اسبرطة» السبعة . وسدت على أهلها الطرق ، وأغلقت عليهم المنافذ . . . حتى ضج بداخلها الجيش المحاصر . وضاق ذرعاً بصلابتها وتحملها الجيش المغير — وأخيراً فتحت عنوة .

---

(١) تقدم تخريجه

وأصدر القائد المنتصر أن تخلى المدينة من سكانها. على أن تدق أعناق الرجال بالسيوف على بابها.

تخرج النساء من المدينة يحملن ما يستطعن حمله من أغلى ما لديهن وعندما فتحت أبواب المدينة، كم كانت دهشة القائد عندما شاهد النسوة يخرجن وكل منهن تحمل رجلها فوق كتفها. وحاججهم القائد فتغلبن عليه.

لقد كان أمره إليهن أن يحملن ما يستطعن حمله من أغلى ما لديهن.

وهل هناك أغلى من الرجال..؟

ودمعت عينا القائد.. وانفطر قلبه لهذا الوفاء الكبير وعفا عن الرجال لينعم بهم الزوجات..

لأن الوفاء بالعهد هو الصورة الحية في إطار الضمير الانساني، وهو الخلق النبيل الذي يزين الحياة ويجمل الوجود.

والوفاء بالعهد فضيلة إنسانية لا تختص بجنس أو عقيدة أو جماعة، فهو مع الكافر كحرمته وقداسته مع المسلم وهو مع العدو كحرمته وقداسته مع الصديق، وهو مع البعيد كحرمته وصداقته مع القريب.

وهو في نظر الاسلام خلاصة القيم التي يرتكز عليها يقظة الضمير في داخل الكيان الانساني، وقد حفل القرآن الكريم والسنة النبوية بذكره في أساليب مختلفة وعبارات متنوعة.

ومن مظاهر هذه الحفاوة والعناية البالغة به في نظر الإسلام ان الله سبحانه وتعالى جعل هذا الخلق النبيل وصفا يثنى به على أولي الألباب الذين يعلمون أن المنزل على نبيه محمد — صلى الله عليه وسلم — هو الحق قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴾[1].

(١) سورة الرعد آية رقم ٢٠

المجادلة خولة بنت ثعلبة

رضي الله عنها

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى :

﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ
وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن
نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ
لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ
يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن
يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ
فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ
سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۗ
وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾.

صدق الله العظيم

[سورة المجادلة من ١ - ٤]

أقوال العلماء في نزول الآيات

قال كثير من رجال التفسير والحديث نزلت هذه الآيات في المجادلة خولة بنت ثعلبة بن أصرم.

قال ذلك الإمام الواحدي في كتابه: أسباب نزول القرآن ص ٢٣١.

وقاله الإمام القرطبي في تفسيره جـ ١٣ ص ٢٦٩.

وقاله صاحب الدر المنثور جـ ٦ ص ١٧٩.

وقاله ابن حجر العسقلاني في فتح الباري جـ ٨ ص ٦٢٨.

وقاله الإمام الطبري في تفسيره جـ ٢٨ ص ٣٢٢

فمن هي خولة..؟

المجادلة خولة بنت ثعلبة

خولة بنت ثعلبة بن أصرم المجادلة.

زوجها أوس بن الصامت — رضي الله عنه — أسلم مبكرا، وشهد مع الرسول ﷺ غزوة بدر الكبرى. وغزوة أحد والخندق، وبقية المشاهد كلها.

وهو من قبيلة محاربة، كانت تربي أبناءها على صهوات الخيل وتعودهم على استنشاق غبار المعارك، وتدربهم على طعنات السيوف وضربات الرماح.

وأخوه عبادة بن الصامت رضي الله عنه — كان له دور كبير فتح مصر — وأرعب المقوقس وقضى على معنويات الرجال الذين يحيطون به عندما قال:

«يا هذا لا تغرن نفسك ولا أصحابك، أما ما تخوفنا به من جمع الروم وعددهم وكثرتهم وانا لا نقوى عليهم، فلعمري ما هذا بالذي تخوفنا به ولا بالذي يكسرنا عما نحن فيه.

إن كان ما قلتم حقاً فذلك والله أرغب ما يكون في قتالهم وأشد لحرصنا عليهم لأن ذلك أعذر لنا عند الله إذا قدمنا عليه أن قتلنا عن آخرنا كان أمكن لنا من رضوانه وجنته، وما من شئ أقر لأعيننا ولا أحب إلينا من ذلك، وأنا منكم حينئذ على إحدى الحسنيين، إما أن تعظم لنا بذلك غنيمة الدنيا إن [ظفرنا بكم]. أو غنيمة الآخرة إن [ظفرتم بنا].

وإنها لأحب الخصلتين إلينا بعد الاجتهاد منا[1]. وإن الله عز وجل قال لنا في كتابه: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[2].

(١) النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة.

(٢) سورة البقرة آية رقم ٢٤٩

وابنها الربيع بن أوس بن الصامت... يصمت التاريخ فلا يحدثنا عنه من قريب أو بعيد. وتتجاهله كتب السير والطبقات فلا تذكره إلا بكلمات من هنا وكلمات من هناك.

وكان أوس ابن عم خولة... ومرت حياتهم هينة لينة. فهي مطيعة له، متفقدة لشئونه... وهو زوج يعرف ما عليه من واجبات تجاه زوجته. وما تذكر الأيام خلافاً بينهما. أو شجاراً تفاقم في حياتهما...

حتى كبرت سنه وتقدم به العمر. فأصيب بلمم كان لم به وكان يفيق فيعقل بعض العقل. فلاحى امرأته في بعض صحواته فقال: «أنت علي كظهر أمي».

ثم ندم على ما قال فقال لزوجته: ما أراك إلا قد حرمت علي؟..

قالت: ما ذكرت طلاقاً وإنما كان هذا التحريم فينا قبل أن يبعث الله رسوله فأت رسول الله فسله عما صنعت.

فقال: إني استحي منه أن أسأله عن هذا فأتي أنت رسول الله ﷺ عسى أن تكسبينا منه خيراً تفرجين به عنا ما نحن فيه مما هو أعلم به.

فلبست ثياباً ثم خرجت حتى دخلت عليه في بيت عائشة فقالت:

يا رسول الله إن أوساً من قد عرفت، أبو ولدي وابن عمي وأحب الناس إليّ، وقد عرفت ما يصيبه من اللمم وعجز مقدرته وضعف قوته وعي لسانه وأحق من عاد عليه أنا بشيء إن وجدته وأحق من عاد علي بشيء إن وجده هو. وقد قال كلمة، والذي أنزل عليك الكتاب بالحق ما ذكر طلاقاً. قال: أنت عليّ كظهر أمي. فقال رسول الله ﷺ:

«ما أراك إلا قد حرمت عليه».

فجادلت رسول الله مراراً ثم قالت: اللهم إني أشكو إليك شدة وجدي وما شق عليّ من فراقه، اللهم أنزل على لسان نبيك ما يكون لنا فيه فرج.

قالت عائشة : فلقد بكيت وبكى من كان معنا من أهل البيت رحمة لها ورقة عليها.

فبينا هي كذلك بين يدي رسول الله ﷺ تكلمه ، وكان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي يغط في رأسه ويتربد وجهه ويجد برداً في ثناياه ويعرق حتى يتحدر منه مثل الجمان.

قالت عائشة : يا خولة إنه لينزل عليه ما هو إلا فيك . فقالت : «اللهم خيراً فإني لم أبغِ من نبيك إلا خيراً».

قالت عائشة : فما سُرّي عن رسول الله حتى ظننت أن نفسها تخرج فرقاً من أن تنزل الفرقة. فسري عن رسول الله وهو يبتسم فقال : يا خولة.

قالت : لبيك ونهضت قائمة فرحاً بتبسم رسول الله. ثم قال : «قد أنزل الله فيك وفيه قرآناً»[1] .

وعادت الفرحة الى البيت الصغير. ومرت حياتهما جميلة هانئة لا يعكر صفوها شيء حتى بلغ الكتاب أجله — ومات أوس. وعاشت بعده خولة تعبد ربها ، وتتذكر زوجها فتترحم عليه ، وتطلب له من ربها المغفرة والرحمة. وتدعوه أن يعجل بحياتها حتى تلحق به في جنة عدن عند مليك مقتدر.

وتكر الأيام وتمر الليالي ، وتناسى الناس المجادلة خولة بنت ثعلبة حتى كان يوم في خلافة عمر بن الخطاب خرج عمر من المسجد ومعه الجارود العبدي ، فإذا بامرأة برزت على ظهر الطريق ، فسلم عليها عمر ، فردت عليه السلام.وقالت :

هيهات يا عمر[2] ، عهدتك وأنت تسمى عميراً في سوق عكاظ ترعى الضأن بعصاك ، فلم تذهب الأيام حتى سميت عمر ، ثم لم تذهب الأيام حتى سميت أمير

---

(١) طبقات ابن سعد جـ ٨ ص ١٥٩.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب جـ ٤ ص ١٨٣١.

المؤمنين، فاتق الله في الرعية، واعلم أنه من خاف الوعيد قرب عليه البعيد. ومن خاف الموت خشي عليه الفوت.

فقال الجارود: قد اكثرت أيتها المرأة على أمير المؤمنين.

فقال عمر: دعها أما تعرفها. فهذه خولة بنت ثعلبة زوجة أوس بن الصامت التي سمع الله قولها من فوق سبع سموات، فعمر والله أحق ان يسمع لها.

رحمها الله رحمة واسعة وأدخلها الجنة التي وعدها الله لعباده المتقين.

أسباب نزول الآيات

قال الإمام أحمد بسنده عن خويلة بنت ثعلبة : قالت : فيَّ والله وفي أوس بن الصامت أنزل الله صدر سورة المجادلة.

قالت : كنت عنده ، وكان شيخاً كبيراً قد ساء خلقه ، قالت : فدخل علي يوماً فراجعته بشيءٍ فغضب وقال : أنت علي كظهر أمي.

قالت : ثم خرج فجلس في نادي قومه ساعة ، ثم دخل علي ، فإذ هو يريدني عن نفسي ، قلت : كلا والذي نفس خويلة بيده لا تخلص إليَّ وقد قلت ما قلت حتى يحكم الله ورسوله فينا بحكمه.

قالت : فواثبني ، فامتنعت منه فغلبته بما تغلب به المرأة الشيخ الضعيف ، فألقيته عني ، ثم خرجت إلى بعض جاراتي فاستعرت منها ثياباً ، ثم خرجت حتى جئت رسول الله ﷺ فجلست بين يديه ، فذكرت له ما لقيت منه ، وجعلت أشكو إليه ما ألقى من سوء خلقه.

قالت : فجعل رسول الله ﷺ يقول :

«يا خويلة ابن عمك شيخ كبير فاتقي الله فيه».

قالت : فوالله ما برحت حتى نزل فيَّ قرآن ، فتغشى رسول الله ﷺ ما كان يتغشاه ثم سري عنه ، فقال لي :

«يا خويلة قد أنزل الله فيك وفي صاحبك قرآناً» ثم قرأ عليَّ :

﴿ قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجادِلُكَ في زَوْجِها وَتَشْتَكِي إلى اللهِ ، وَاللهُ يَسْمَعُ تَحاوُرَكُما . إنَّ اللهَ سميعٌ بَصيرٌ ﴾ . إلى قوله تعالى ﴿ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (١) .

(١) سورة المجادلة الآية ١ — ٤.

قالت: «فقال لي رسول الله ﷺ:

«مريه فليعتق رقبة».

قلت: يا رسول الله ما عنده ما يعتق.

قال: فليصم شهرين متتابعين.

قالت: فقلت: والله إنه لشيخ ما له من صيام.

قال: فليطعم ستين مسكيناً وسقاً من تمر.

قالت: فقلت: والله يا رسول الله ما ذاك عنده.

فقال رسول الله ﷺ فإنا سنعينه بعرق من تمر».

قالت: فقلت يا رسول الله وأنا سأعينه بعرق آخر.

قال: قد أصبت وأحسنت فاذهبي فتصدقي به عنه، ثم استوصي بابن عمك خيراً.

قالت: قد فعلت[1].

وقد أخرج ابن ماجه وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي عن عائشة قالت:

تبارك الذي وسع سمعه كل شيء إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى علي بعضه وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله ﷺ وهي تقول: يا رسول الله أكل شبابي ونثرت له بطني حتى إذا كبر سني وانقطع ولدي ظاهر مني، اللهم إني أشكو إليك، قالت. فما برحت حتى نزل جبريل بهؤلاء الآيات:

﴿قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللهِ وَاللهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾[2].

---

(١) أخرجه أحمد ٦ / ٤١٠، ٤١١، وأخرج حديث الظهار أيضاً البيهقي ٧ / ٣٨٩، وأبو داود (٢٢١٤)، وابن حبان (١٣٣٤)، وفي الباب عن ابن عباس اخرجه البيهقي ٧ / ٣٩٢.

(٢) سورة المجادلة آية رقم ١. أخرجه أحمد ٦ / ٤٦، وابن ماجة (١٨٨) وعلقه البخاري ١٣ / ٣١٦.

تذييل...

يقول الشيخ محمد المجذوب: كنا عدداً من المدرسين والمدرسات نملأ القاعة المخصصة لتدقيق امتحان الأدب العربي، عندما دخل علينا الوزير ومعه بعض حاشيته، يتفقد أعمالنا. وحيانا ثم أخذ يصافحنا واحداً فواحداً. ولما انتهى إلى المنضدتين الأخيرتين، جعل يصافح من هناك من المدرسات حتى صار إلى أخراهن. وكانت قد وقفت كغيرها فبسط يده نحوها. ولكن هذه رفعت راحتها إلى جانب رأسها ترد تحيته...ولبثت كذلك.

حتى فطن الوزير لموقفه، فغادر الغرفة دون أن ينبس بكلمة شكر أو توجيه.

وكان ذلك على مشهد من أعين المصححين جميعاً إذ كانوا يرقبون المشهد، في نفوسهم حب الاستطلاع لما سيكون عليه موقف الوزير من ردود الفعل.

وعاد المدرسون إلى العمل في غمرة الصمت، وعلى لسان كل منهم كلام يتهيب أن يقوله.. حتى تجرأ زميل فأخذ يتمتم في همس لا يسمعه سواي: هذه فتاة تستطيع أن تقول لم يمسسني بشر».

قلت لعل المشهد لم يرقك.

قال: ولكنه يستحق احترامي.

قلت له: غير أني على ثقة أن الفتاة لم تفكر باحترام أحد أو امتعاضه وإنما فعلت ذلك يقيناً منها بأنه الشيء الوحيد الذي تفعله امرأة تحترم تعاليم دينها في مثل هذا الموقف(١).

---

(١) تأملات في المرأة والمجتمع ـــ محمد المجذوب.

إن هذه المرأة لم تنس تعاليم دينها في أي موقف من المواقف. . . حتى ولو كان هذا الموقف. . . موقف الوزير أو غيره من أصحاب الجاه والسلطان. . . إنها فعلت ما يمليه عليها دينها. . . وما يتطلبه الرجل المؤمن من المرأة من محافظتها على جسمها أن يمس أو شرفها أن يخدش.

إنها تأدبت بأدب الرسول ﷺ الذي يقول: من مس كف امرأة ليس فيها بسبيل، وضع على كفه جمرة يوم القيامة[1].

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا بايع النساء يبايعهن كلاماً ولا يأخذ أيديهن في يده»[2]. . . إن هذه المرأة في عصرنا الراهن تمثل الجانب الآخر في النزاع بين فكرتين. إحداهما تحول المرأة إلى دمية لا هم لها إلا العبث بوجهها وجسمها تشده من هنا وتطلقه من هناك وتطليه من هنا بلون وتصبغه هناك بلون، ثم تجري متراقصة في حذاء لا ندري كيف تدربت على السير به، حتى إذا انتهت إلى عملها راحت تمضي وقتها في «سخافات» لا تنتهي تسمعه في كلامها وتراه في مشيتها وفي حركاتها جميعاً. . . كأن لا هم لها إلا أن تلفت إليها أعين الرجال بأي ثمن.

أما الثانية: فلا تكلف المرأة إلا أن تظل إنساناً سوياً تدرك في وعي عميق ضخامة المهمة التي تخيّرها الله لها. فتعرف ان قيمتها ليست في لحمها وعظمها ولكن في روحها وأخلاقها. ولهذا تراها لا تختار لجسدها من الثياب إلا ما يساعدها على اعطاء هذه المعاني في جو الأنوثة المهيبة الذي يفرض احترامه على كل شيء.

إن عفاف المرأة هو الجوهر الذي تقوم به تربيتها، والسلاح الذي تدافع به عن شرفها وكرامتها. وهو عندها بمثابة القوة عند الرجل وعفاف المرأة في الاسرة هو الركن الأول الذي تتوطد عليه دعائم التربية والسبيل الأقوم الذي تصل به الفضيلة إلى قلوب البنات والأبناء.

---

(١) تكلمة فتح القدير جـ ٨ ص ٩٨ ولا يصح.

(٢) انظر البخاري ١٣ / ١٧٦، ومسلم (١٨٦٦)، وأحمد ٦ / ٢٧٠، وابن ماجه (٢٨٧٥).

والعفاف بالنسبة للفتاة هو سندها في الضعف ومرشدها في الغواية ومصاحبها في الظلام وزينتها مدى الأيام، وأساس سعادتها وسعادة أسرتها في المستقبل.

والعفاف مطلب أنساني.. وزينة للرجل والمرأة على السواء وأمر من الله سبحانه وتعالى للمسلمين بالتحلي به قال تعالى:

﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحاً حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[1].

لقد كان أهالي أثينا القدماء يمنعون الرجل الذي يجتمع بغير زوجته ويعاشرها أو يخالط المتبرجات أن يكون من أرباب مشورة المدينة لأنه لا يؤمن على المصلحة العامة. أو بتعبير رجال الحديث: «ساقط العدالة مجروح»[2].

إن مراقبة الله سبحانه وتعالى والخوف من عقابه، وتقواه في السر والعلانية هي إحدى دعائم العفة للرجال والنساء.

قيل لبعض الأعراب وقد طال حبه لفتاة... ما كنت صانعاً لو ظفرت بها ولا يراكما إلا الله تعالى.

قال: أخاف الله ولا أجعله أهون الناظرين، ولكن أصنع منها ما أصنع بحضرة أهلها: حديث طويل. ولحظ كليل.

وقالت سلامة المغنية لعبد الرحمن بن أبي عمار الذي سماه أهل مكة: قساً لكثرة عبادته. وكان معجباً بغنائها:

---

(١) سورة النور آية رقم ٣٣

(٢) المرأة في التصور الإسلامي: عبد المتعال محمد الجبري.

يا عبد الرحمن : أنا والله أحبك.

فقال : وأنا والله أحبك.

قالت : وأحب أن أقترب منك...

قال : وأنا والله أحب ذلك.

قالت : فما يمنعك..؟ فوالله إن الموضع خال.

قال : إني سمعت الله عز وجل يقول : ﴿ الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾[1].

وأنا أكره أن تكون خلة ما بيني وبينك تؤول إلى عداوة. ثم قام وانصرف وعاد إلى ما كان عليه من النسك.

ومما قاله عبد الرحمن القس قالته ليلة الأخيلية عندما طلب منها حبيبها حاجته أو رأت دلائلها في عينيه فقالت :

وذي حاجة قلنا لا تبح بها ... فليس إليها ـ ما حييت سبيل

لنا صاحب لا ينبغي أن نخونه ... وأنت لأخرى صاحب وخليل

إن العفة طريق إلى السعادة... ومدخل إلى الجنة وسبيل لتفريج الكروب.. في الدنيا.

عن أبن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم، حتى إذا جن عليهم الليل أووا إلى غار في جبل فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقال بعضهم لبعض :

---

(1) سورة الزخرف آية رقم ٦٧

« انظروا أعمالاً عملتموها لله صالحة فادعوا بها لعله يفرجها. فقال رجل منهم: اللهم إنه كان لي والدان شيخان كبيران، ولي صبية صغار، كنت أرعى عليهم، فإذا رحت عليهم فحلبت بدأت بوالدي اسقيهما قبل ولدي. فكنت لا أغبق[1] قبلهما أهلاً ولا مالاً وإنه نأى بي الشجر. فما أتيت حتى أمسيت فوجدتهما قد ناما. فحلبت لهما غبوقهما، وقمت عند رأسهما أكره أن أوقظهما من نومهما وأكره أن أبدأ بالصبية قبلهما، والصبية يتضاغون[2] عند قدمي، فلبثت والقدح على يدي انتظر استيقاظهما حتى برق الفجر — أضاء — فاستيقظا فشربا غبوقهما.

اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة. فانفرجت شيئاً لا يستطيعون منه الخروج.

وقال الثاني: اللهم إني استأجرت أجراء فأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال. فجاءني بعد حين فقال: يا عبدالله:

أدِّ إليَّ أجري.

فقلت له: كل ما ترى من أجرك. من الإبل والبقر والغنم والرقيق.

فقال: يا عبدالله لا تستهزئ بي.

فقلت: إني لا استهزئ بك. فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئاً اللهم. فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه. فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها.

وقال الثالث: اللهم: كانت لي بنت عم كانت أحب الناس إليَّ فأردتها عن

---

(١) الغبوق: هو شرب العشي مقابل الصبوح.

(٢) يتضاغون: يصيحون ويبكون.

نفسها فامتنعت مني ، حتى ألمت بها سنة من السنين[1] . فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها . ففعلت . حتى إذا قدرت عليها قالت :

لا يحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه .

فتحرجت من الوقوع عليها . فانصرفت عنها . وهي أحب الناس إليَّ وتركت الذهب الذي أعطيتها .

اللهم إن كنت فعلت هذا ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه .

فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون[2]

فمتى تعف نساؤنا وفتياتنا . . ؟

ومتى يعف شبابنا ورجالنا . . ؟

متى يحدث ذلك ، حتى تحل مشاكلنا الاقتصادية والاجتماعية وننتصر على أعدائنا في مشاكلنا السياسية ومعاركنا الحربية . إن العفة طريق إلى الفوز ، وشعار إلى النصر ، وغيث منهمر بالخير والرخاء ، ومنقذ من الكرب والهم ، ومن الحزن والدين . وصدق ربي في قوله :

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ . قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً ﴾[3] .

---

(1) أصابتها سنة فيها قحط وفقر .
(2) أخرجه البخاري ٤ / ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ومسلم (٢٧٤٣) .
(3) سورة الطلاق آية رقم ٢ ، ٣ .

فهرس الأعلام

المصادرُ وَالمراجع

١ القرآن الكريم.
٢ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: دار الشعب مصر
٣ تفسير ابن كثير أبي الفداء اسماعيل بن كثير: دار الأندلس: بيروت
٤ تفسير القرطبي: لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري
٥ تفسير الدر المنثور: جلال الدين السيوطي: المكتبة الإسلامية — طهران
٦ تفسير الخازن والبغوي
٧ في ظلال القرآن: سيد قطب: دار إحياء التراث بيروت ١٣٨٦
٨ فتح الباري بشرح البخاري: الحافظ أبي الفضل العسقلاني: المعروف بابن حجر
٩ صحيح مسلم بشرح النووي المطبعة المصرية بالأزهر: ١٣٤٧ هـ
١٠ سنن الترمذي: المطبعة المصرية بالأزهر ١٣٥٠ هـ
١١ سنن أبي داود
١٢ سنن النسائي
١٣ مسند أحمد بن حنبل شرح أحمد محمد شاكر: دار المعارف بمصر ١٣٦٨ هـ
١٤ سيرة ابن هشام تحقيق محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية — مصر
١٥ تاريخ الأمم والملوك: لأبي جعفر محمد الطبري: دار القلم — بيروت
١٦ الكامل لابن الأثير، دار صادر بيروت ١٣٨٥ هـ
١٧ طبقات ابن سعد
١٨ أسباب نزول القرآن للواحدي: تحقيق أحمد صقر
١٩ البداية والنهاية: الحافظ ابن كثير مكتبة بيروت ومكتبة النصر الرياض
٢٠ كشف الخفا ومزيل الإلباس اسماعيل بن محمد العجلوني، مكتبة التراث الاسلامي — حلب

٢١ **تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني**، دار صادر بيروت : تصوير عن مطبعة دائرة المعارف بالهند — ١٣٢٦ هـ

٢٢ **الجامع الصغير**: للإمام جلال الدين السيوطي مطبعة البابي الحلبي — القاهرة

٢٣ **ركائز الإيمان للشيخ محمد الغزالي**، مطبعة الاعتصام القاهرة.

٢٤ **الاستيعاب في معرفة الأصحاب** :لأبي عمر يوسف بن عبدالله محمد بن عبد البر: تحقيق علي محمد البجاوي : مكتبة نهضة مصر الفجالة — مصر

٢٥ **المرأة في التصور الإسلامي** : للاستاذ عبد المتعال محمد الجبري

٢٦ **تأملات في المرأة والمجتمع**، للشيخ محمد المجذوب

٢٧ **موسوعة آل النبي — د.** بنت الشاطئ، مطبعة دار صادر بيروت

٢٨ **أعلام النساء** : عمر رضا كحالة

٢٩ الصديقة بنت الصديق : عباس محمود العقاد طبعة التربية والتعليم — مصر

٣٠ **شرح نهج البلاغة**، لابن أبي الحديد.

٣١ **العقد الفريد**، لابن عبد البر تحقيق : سعيد العريان

٣٢ **الحجاب** : للمودودي.

٣٣ **السمط الثمين**: لمحب الطبري.

٣٤ **مع المفسرين والمستشرقين في زواج النبي — صلى الله عليه وسلم — د. زاهر عواض الألمعي.**

فهرس الموضوعات

رجال ونساء
أنزل الله فيهم قرآناً

الجزء العاشر

د. عبدالرحمن عميره

عليّ بن أبي طالب

رضي الله عنه

مَا نَزَلَ فيهِ مِنَ الآيات

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى :

﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾
أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا
كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن
يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي
كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾

صدق الله العظيم

[سورة السجدة الآية ١٨ - ١٩ - ٢٠]

أقوال العلماء في نزول الآيات

قال كثير من علماء الحديث والتفسير ورجال السير نزلت هذه الآيات في علي بن أبي طالب — رضي الله عنه.

ذكره الواحدي في أسباب النزول ٢٠٠ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وقاله السيوطي في أسباب النزول ١٧٤

وأخرج ابن عدي والخطيب في تاريخه من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس مثله.

وذكره ابن جرير الطبري في التفسير ٢١ : ١٠٧ عن عطاء بن يسار مثله

وله طرق أخرى عند ابن مردويه من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.

فمن هو علي بن أبي طالب..؟

عن ابن عباس قال : لما ماتت فاطمة أُم علي بن أبي طالب ، ألبسها رسول الله ﷺ قميصه ، واضطجع معها في قبرها. فقالوا :

« ما رأيناك صنعت ما صنعت بهذه . .

فقال : إنه لم يكن أحد بعد أبي طالب أبرَّ بي منها ، إنما ألبستها قميصي لتكسى من حُللِ الجنة ، واضطجعت معها ليهوّن عليها »[1] .

وزوجه فاطمة بنت الرسول ﷺ .

التي قال عنها والدها :

« إن فاطمة بضعة مني يريبني ما أرابها ويؤذيني ما آذاها » .

ووالد الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة والذي كان الرسول ﷺ يقول :

« هذان ابناي وابنا ابنتي ، اللهم إني أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما »[2] .

ولد علي كرم الله وجهه في مكة . .

وفتح عينيه على نور الرسالة الخالدة . . التي كان يدعو لها محمد ﷺ وأرهفت أذناه منذ الصغر إلى كلمات الكتاب العزيز ـــ يتلوها رسول الله ـــ في جوف الكعبة أو في منزله .

لقد درجت طفولته في بيت النبوة .

فتأدب بأدبها ـــ وحماه الله سبحانه وتعالى من الجلوس أمام صنم أو السجود لغير الله تعالى .

وقصة نشأته في بيت النبوة ـــ كما يقول الرواة ـــ تتلخص في الآتي :

---

(1) الاستيعاب في معرفة الأصحاب جـ ٤ ص ١٨٩١ .

(2) صحيح مسلم جـ ١٥ ص ١٧٦ .

« أن قريشاً أصابتهم أزمة شديدة ، وكان أبو طالب ذا عيال كثير ، فقال رسول الله ﷺ للعباس عمه — وكان من أيسر بني هاشم :

« يا عباس إن أخاك أبا طالب كثير العيال وقد أصاب ما ترى من هذه الأزمة فانطلق بنا اليه فلنخفف عنه من عياله آخذ من بنيه رجلاً وتأخذ أنت رجلاً ، فنكلهما عنه .

فقال العباس : نعم ، فانطلقا حتى أتيا أبا طالب فقالا له :

« إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه .

فقال لهما أبو طالب : إذا تركتما لي عقيلاً فاصنعا ما شئتما .

فأخذ رسول الله ﷺ علياً فضمه اليه ، وأخذ العباس جعفراً فضمه اليه .

فلم يزل علي مع رسول الله ﷺ حتى بعثه الله تبارك وتعالى نبياً فاتبعه علي وآمن به وصدقه (١) .

يقول علي كرم الله وجهه :

« وقد علمتم موضعي من رسول الله ﷺ وآله بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة ، وضعني في حجره وأنا وليد . يضمني إلى صدره ، ويكنفني إلى فراشه ، ويمسني جسده ، ويشمني عَرْفه ، وكان يمضغ الشيء ثم يُلقمنيه ، ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل أثر أمه . . يرفع لي كل يوم من أخلاقه علماً ، ويأمرني بالاقتداء به ، ولقد كان يجاور كل سنة بحراء فأراه ولا يراه غيري ، ولم يجمع بيت واحد في الاسلام غير رسول الله ﷺ وآله وخديجة وأنا ثالثهما .

أرى نور الوحي .

---

(١) سيرة ابن هشام جـ ١ ص ٢٦٤ .

وأشم ريح النبوة[1].

فالامام علي عاش طفولته في تلك الأنوار الباهرة — قبل مبعث النبوة ، ثم شاهد عن قرب ارهاصات النبوة.. وعبق من أريجها الطيب وتنسم من نسماتها الرخية ، وعرف في تلك الفترة — يد الرسول الحانية ، وقلبه الكبير، وانسانياته التي لا تقف عند حد.

ثم كانت الرسالة الخاتمة ، وجاء جبريل إلى رسول الله ﷺ بأمر ربه (وأنذر عشيرتك الأقربين ، واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين)[2] فكان علي من أول الملبين لدعوة الرسول ، والمستجيبين لها ثم تابعه فيما يأتي وما يدع.

يقول ابن هشام : إن رسول الله ﷺ كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة وخرج معه علي بن أبي طالب مستخفياً من أبيه أبي طالب ومن جميع أعمامه وسائر قومه. فيصليان الصلوات فيها ، فإذا أمسيا رجعا ، فمكثا كذلك ما شاء الله أن يمكثا ، ثم إن أبا طالب عثر عليهما يوماً وهما يصليان فقال لرسول الله ﷺ :

« يا ابن أخي ما هذا الدين الذي أراك تدين به.؟

قال : أي عم هذا دين الله ودين ملائكته ودين رسله ودين أبينا ابراهيم. أو كما قال ﷺ :

« بعثني الله به رسولاً إلى العباد وأنت أي عم أحق من بذلت له النصيحة ودعوته إلى الهدى ، وأحق من أجابني اليه وأعانني عليه.

فقال أبو طالب :

« أي ابن أخي إني لا أستطيع أن أفارق دين آبائي وما كانوا عليه ولكن والله لا يخلص اليك بشيء تكرهه ما بقيت.

(١) نهج البلاغة جـ ١ ص ٢١١.

(٢) سورة الشعراء الآية ٢١٥.

ثم قال لعلي :

« أي بني ما هذا الدين الذي أنت عليه .؟

فقال : يا أبت آمنت بالله وبرسول الله وصدقته بما جاء به ، وصليت معه لله واتبعته .

فقال له : أما إنه لم يدعك إلا إلى خير فالزمه[1] .

هكذا قال أبو طالب لابنه : إن محمداً لا يدعو إلا إلى خير ، وطالبه بمتابعته في كل شيء يأتيه . .

وشاهد علي ــ رضي الله عنه ــ الدعوة الوليدة ، وهي تأخذ طريقها إلى قلوب الناس واستمعت أذناه إلى كلمات الوحي ينزل بها جبريل على قلب الرسول ﷺ .

ثم شاهد الأذى المتتابع الذي شنته قريش على رسول الله ــ والوقوف في طريق دعوته ــ وتنفير الناس عنه ، واتهامه بالسحر مرة والكهانة مرة أخرى.

نقول عايش الإمام علي . . كل هذه الأحداث صغيرها وكبيرها حتى أذن الله بالهجرة وجاءه الرسول ﷺ وقال له :

« نم على فراشي وتسبّح ببردي هذا الحضرمي الأخضر فنم فيه فإنه لن يخلص اليك شيء تكرهه منهم »[2] .

وكان رسول الله ﷺ ينام في برده ذلك إذا نام.

يقول علي ــ رضي الله عنه :

« لما خرج رسول الله ﷺ إلى المدينة في الهجرة أمرني أن أقيم بعده حتى أؤدي ودائع كانت عنده للناس ، ولذا كان يسمى الأمين ، فأقمت ثلاثاً فكنت أظهر ما

(١) سيرة ابن هشام جـ ١ ص ٢٦٥ والبداية والنهاية لابن كثير جـ ٣ ص ٢٩ .

(٢) البداية والنهاية جـ ٣ ص ١٩٦ .

تغيبت يوماً واحداً ، ثم خرجت فجعلت أتبع طريق رسول الله ﷺ ، حتى قدمت بني عمرو بن عوف ورسول الله ﷺ مقيم فنزلت على كلثوم بن الهدم[1] .

لقد استجاب علي — رضي الله عنه — لأمر الرسول ﷺ ونام في المكان الذي كان ينام فيه .

وتغطى ببردته .. وجاء الكفار وأحاطوا بمنزل الرسول عليه السلام .

إن علياً بموافقته على أن ينام في مخدع الرسول — إنما قدم نفسه للقتل ، وجسده تمزقه سيوف قريش .

لقد فعل ذلك — وهو يعلم ما يمكن أن ينتظره وما يحل به . وهل يجهل أن قريشاً عقدت عزمها على قتل محمد .؟

ولن يقتله فرد معين حتى يدخل في قلبه الخوف مرة ويقدم على تلك الفعلة أخرى ولكن القتل سيتم عن طريق مجموعة من صناديد قريش . وهذا ما استقر عليه الأمر في دار الندوة . عندما قال لهم أبو جهل ابن هشام :

« أرى أن نأخذ من كل قبيلة شاباً فتى جليداً نسيباً وسيطاً فينا ثم نعطي كل فتى منهم سيفاً صارماً ثم يعمدوا اليه فيضربوه بها ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعاً فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً »[2] .

ولكن علياً لا يبالي بما تفعله قريش .

وماذا يمكن أن تأخذ منه أو تنال من شخصه؟

أيقتل في سبيل نجاة محمد — الذي يحمل رسالة ربه .؟

---

(١) طبقات ابن سعد جـ ٣ ص ٢٢ .

(٢) سيرة ابن هشام جـ ٢ ص ٩٤ والبداية والنهاية جـ ٣ ص ١٩٣ — ١٩٤ .

مرحى بها من قتلة ما دام في ذلك نجاة أحب الناس إلى قلبه وأقربهم إلى نفسه.
وعندما وصل علي إلى هذا الحد من التفكير، استراح نفساً وهدأ قلباً وأخذت شفتاه تتمتم بقول الرسول له:

« نم فيه فإنه لن يخلص اليك شيء تكرهه منهم ».

ونام عليٌّ قرير العين — حتى جاء الصباح وألقى نظرة سخرية على هؤلاء الذين كانوا يريدون بالأمس قتل رسول الله — وإراقة دمه. فأصابهم الله بعمى البصيرة والبصر، فلم يبصروا خطوات الرسول — وهي تتجه إلى مهجره — وألقى عليهم غفلة من عنده فغطوا في نوم عميق — حتى لحفتهم شمس النهار.

علي في مدينة الرسول ﷺ

.. ذهب علي — رضي الله عنه — إلى يثرب ، واستقر به المقام بجوار رسول الله ﷺ .

وكان من أوائل أعمال الرسول في المدينة المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار لقد قال لهم : تآخوا في الله أخوين أخوين.

امتثالاً لقول الله تعالى : «إنما المؤمنون إخوة»(١) .

ولقد مدحهم الله سبحانه وتعالى لما كان بينهم من التراحم والتعاطف قال تعالى : ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركّعاً سجّداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً ﴾(٢) .

حتى إذا فرغ الرسول ﷺ من هذه المؤاخاة أخذ بيد علي — رضي الله عنه — فقال :

«هذا أخي» وفي رواية «أنت أخي في الدنيا والآخرة»(٣) .

فكان رسول الله ﷺ سيد المرسلين، وإمام المتقين ورسول رب العالمين الذي ليس له مثيل ولا نظير من العباد — وعلي بن أبي طالب أخوين.

ومن خلال هذه الأخوة انطلقت أعمال علي بن أبي طالب في المدينة لصالح نفسه وصالح الاسلام والمسلمين.

---

(١) سورة الحجرات الآية ١٠.

(٢) سورة الفتح الآية ٢٩.

(٣) أخرجه الترمذي في المناقب: مناقب علي بن أبي طالب ورواه أحمد في المسند ٤ / ٣٦٨

وجاءت غزوة بدر أولى الغزوات بين جماعة من المسلمين ومشركي قريش وكان لعلي — رضي الله عنه — دور فيها واستطاع أن يخرج للمبارزة عندما دعتهم قريش لذلك وصرع الوليد بن عتبة.

وفي غزوة أُحد.. حمل علي — رضي الله عنه — لواء المسلمين بعد مقتل مُصعب بن عمير — رضي الله عنه.

فتقدم باللواء علي في الصفوف وقال: أنا أبو القصْم.

فناداه أبو سعد بن أبي طلحة وهو صاحب لواء المشركين أن هل لك يا أبا القصم في البراز من حاجة.؟

قال: نعم فبرز بين الصفين فاختلفا ضربتين فضربه علي فصرعه، ثم انصرف عنه ولم يجهز عليه.

فقال له أصحابه: أفلا أجهزت عليه.؟

فقال: إنه استقبلني بعورته فعطفتني عنه الرحم، وعرفت أن الله عز وجل قد قتله».

لقد امتنع عن قتله — وهو قادر عليه — لظهور عورته. والإمام علي لم ينظر إلى عورة إنسان. وقد حماه الله من ذلك — حتى في اشتداد الحرب.. ووسط لهيب المعارك كان أتباع مدرسة محمد ﷺ لا يتخلون عن مبادئهم ولا يتركون أخلاقهم.

وفي غزوة الأحزاب التي عبر عنها القرآن وصور فيها حال المسلمين بقوله:

﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيراً. إذ جاؤوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا. هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً. وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً﴾[1].

---

(١) سورة الاحزاب الآية ٩ — ١٢.

في هذه الغزوة التي لم يتم فيها قتال .. كان لعلي رضي الله عنه دور سجله له التاريخ بأحرف من نور.

من ذلك : أن الأعداء من قريش وجدوا مكاناً ضيقاً من الخندق — الذي أقامه المسلمون حول المدينة — فضربوا خيولهم فاقتحمت منه فخرج علي بن أبي طالب في نفر من المسلمين حتى أغلقوا عليهم المكان الذي أقحموا فيه خيلهم — وكان عمر بن ود من صناديد قريش — قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراح فلم يشهد يوم أحد، فلما كان يوم الخندق خرق مُعْلماً ليرى مكانه :

فلما وقف هو وخيله قال : من يبارز . ؟

فبرز له عليّ بن أبي طالب فقال له :

« يا عمرو إنك قد كنت عاهدت الله ألا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلتين إلا أخذتها منه .

قال له : أجل.

قال له علي : فإني أدعوك الى الله ورسوله وإلى الاسلام.

قال : لا حاجة لي بذلك.

قال : فإني أدعوك إلى النزال.

فقال له : لِمَ يا ابن أخي؟ فوالله ما أحب أن أقتلك . ؟

قال له علي : ولكني والله أحب أن أقتلك . ؟

فحمي عمرو عند ذلك فاقتحم عن فرسه فعقره وضرب وجهه ثم أقبل على عليّ فتنازلا وتجاولا فقتله علي — رضي الله عنه — وخرجت خيلهم منهزمة حتى اقتحمت من الخندق هاربة[1].

---

(١) سيرة ابن هشام جـ ٣ ص ٢٤١.

.. لقد استطاع علي — رضي الله عنه — بفضل إيمانه واعتماده على الله أن يجندل هذا الفارس العملاق الذي كان يهابه كل من رآه.. ولكن الامام علي يؤمن بأن لكل أجل كتاباً ﴿فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ [٢].

وأيضاً لا يهاب الموت لأنه إحدى الحسنيين الذي وعد الله به المؤمنين.

.. انتهت غزوة الأحزاب بهزيمة منكرة لقريش وحلفائها — ثم أذن الرسول ﷺ في أصحابه:

«من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر إلا ببني قريظة».

واستجاب المسلمون لأمر الرسول ﷺ وخرجوا يريدون بني قريظة وقدم رسول الله علياً ليأخذ الراية — وسار بها حتى إذا دنا من الحصون سمع مقالة قبيحة ضد رسول الله ﷺ.

فرجع حتى لقي رسول الله بالطريق فقال:

«يا رسول الله — لا عليك أن لا تدنو من هؤلاء الأخابث.

قال: لِمَ.؟ أظنك سمعت منهم لي أذى.؟

قال: نعم يا رسول الله.

قال: لو رأوني لم يقولوا من ذلك شيئاً.

فلما دنا رسول الله من حصونهم قال: يا اخوان القردة، هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته»؟

قالوا: يا أبا القاسم ما كنت جهولاً [١].

وحاصرهم رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلة ونزلوا على حكم الله الذي نطق به عليهم سعد بن معاذ رحمه الله.

---

(٢) سورة الأعراف الآية ٣٤.

(١) سيرة ابن هشام جـ ٣ ص ٢٥٢ والكامل لابن الأثير جـ ٢ ص ١٨٥.

ويفكر الرسول ﷺ في فتح مكة بعد أن نقضوا العهد الذي بينهم وبينه. ولما أجمع رسول الله المسير إلى مكة كتب حاطب بن أبي بلتعة كتاباً إلى قريش يخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله ﷺ في السير اليهم ثم أعطاه امرأة زعم محمد بن جعفر أنها من مزينة. وزعم غيره أنها سارة مولاة لبعض بني عبد المطلب. وجعل لها جعلاً على أن تبلغه قريشاً فجعلته في رأسها ثم فتلت عليه قرونها ثم خرجت به.

وأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما صنع حاطب.

فبعث علي بن أبي طالب والزبير بن العوام — رضي الله عنهما — فقال: «أدركا امرأة قد كتب معها حاطب بن أبي بلتعة بكتاب إلى قريش يحذرهم ما قد أجمعنا له في أمرهم.

فخرجا حتى أدركاها فاستنزلاها فالتمسا في رحلها فلم يجدا شيئاً.

فقال له علي: إني أحلف بالله ما كذب رسول الله ﷺ ولا كذبنا ولتخرجن لنا هذا الكتاب أو لنكشفنك.

فلما رأت الجد منه. قالت:

«أعرض، فأعرض، فحلت قرون رأسها فاستخرجت الكتاب منها فدفعته إليه، فأتى به رسول الله ﷺ[1].

إن علياً — رضي الله عنه — كان بالنسبة لرسول الله جندياً من الجنود الذين يقفون على أهبة الاستعداد في انتظار الأوامر فيؤدونها بلا توان أو فتور.

فإن كان في السلم فهو العابد المتبتل الذي يعب من هدي النبوة وينهل من نبع الوحي.

وإن كان في الحرب.. فهو الفارس المغوار والجندي المعلم الذي يجندل الأبطال ويذيق الفوارس طعم الموت، ويردي بهم موارد الهلاك.

---

(١) المصدر السابق جـ ٤ ص ١٦ والكامل لابن الأثير جـ ٢ ص ٢٤٢.

وهو في كل ذلك لا يصدر إلا عن أمر
ولا ينفِّذ إلا ما يمليه عليه الرسول ﷺ.

وفي غزوة تبوك رأى الرسول ﷺ أن يبقى الإمام علي في المدينة ولا يسير مع الجيش .. كما جاء في رواية ابن سعد — بيان صريح بأن علياً — كرّم الله وجهه — بقي في المدينة وخلفه رسول الله فيها... ولكن حدث أمر قبل أن يتحرك الجيش إلى وجهته..

لقد أرجف المنافقون في المدينة. وقالوا:

«ما خلفه إلا استثقالاً له وتخففاً منه».

فلما سمع علي ذلك أخذ سلاحه ثم خرج حتى أتى رسول الله ﷺ وهو نازل بالجرف.

فقال: يا نبي الله: زعم المنافقون أنك إنما خلفتني أنك استثقلتني وتخففت مني.؟

فقال: كذبوا ولكنني خلفتك لما تركت ورائي، فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك أفلا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى.؟ إلا أنه لا نبي بعدي»[1].

فرجع علي إلى المدينة، ومضى رسول الله ﷺ.

.. وفي تخلف علي في «غزوة تبوك» وقول الرسول ﷺ له: «إما أن أبقى أو تبقى» كما جاء في رواية بن سعد — بيان صريح بأن علياً — كرم الله وجهه — في منزلة عند النبي لا يقوم بها أحد غيره. وإذا لم يكن ذلك في جميع الأحوال، فهو في الحال التي تتصل بشخص النبي وبخاصة نفسه.

وفي قول النبي ﷺ لعلي:

(١) أخرجه البخاري ومسلم. البخاري في المغازي غزوة تبوك والترمذي في باب مناقب الإمام علي وجامع الأصول في أحاديث الرسول جـ ٨ مناقب الإمام علي.

«أفلا ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي».

في هذا ما يشير إلى أن ما بين النبي وعلي أكثر من القرابة وأن أحدهما مكمل للآخر، ولو كانت هناك نبوة بعد النبي — لكان عليّ هو صاحبها.

ويؤيد هذا الذي نرمي اليه في بعثه ﷺ علياً بسورة براءة إلى الموسم، ونبذ ما كان للمشركين من عهد بقوله: «لا يؤدي عني إلا رجل من أهل بيتي».

وقصة ذلك أنه لما نزلت براءة على رسول الله ﷺ، وقد كان بعث أبا بكر — رضي الله عنه — ليقيم للناس الحج قيل له:

يا رسول الله لو بعثت بها إلى أبي بكر..

فقال: «لا يؤدي عني إلا رجل من أهل بيتي»[1].

ثم دعا علي بن أبي طالب — رضوان الله عليه — فقال له:

«اخرج بهذه القصة من صدر براءة وأذن في الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمنى:

أنه لا يدخل الجنة كافر.

ولا يحج بعد العام مشرك.

ولا يطوف بالبيت عريان.

ومن كان له عند رسول الله ﷺ عهد فهو له الى مدته»[2].

فخرج علي — رضي الله عنه — على ناقة رسول الله ﷺ العضباء حتى أدرك أبا بكر بالطريق.

---

(١) الكامل لابن الأثير جـ ٢ ص ٢٩١ وذكره الترمذي بلفظ: علي مني وأنا من علي. ولا يؤدي عني إلا أنا أو علي. ورواه أحمد في المسند.

(٢) سيرة ابن هشام جـ ٤ ص ٢٠٣

فلما رآه أبو بكر بالطريق قال : أمير أم مأمور . ؟

فقال : بل مأمور .

ثم مضيا فأقام أبو بكر للناس الحج والعرب اذ ذاك في تلك السنة على منازلهم من الحج التي كانوا عليها في الجاهلية .

حتى اذا كان يوم النحر قام علي بن أبي طالب — رضي الله عنه — فأذن في الناس بالذي أمره به رسول الله ﷺ فقال :

أيها الناس : انه لا يدخل الجنة كافر ، ولا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان .

ومن كان له عند رسول الله ﷺ عهد فهو له الى مدته ، وأجل الناس أربعة أشهر من يوم أذن فيهم ليرجع كل قوم الى مأمنهم أو بلادهم ثم لا عهد لمشرك ولا ذمة ، الا أحداً كان له عند رسول الله ﷺ عهد الى مدة فهو الى مدته[1] .

ثم قدما على رسول الله ﷺ .

---

(١) البداية والنهاية جـ ٥ ص ٤٣.

صفات الامام علي ومناقبه...

يتحدث الرواة في وصفه حديثاً طويلاً.

فبعضهم يصفه بأنه كان — رضي الله عنه — من أحسن الناس وجهاً وأصبحهم طلعة، كثير التبسم.

ويقول عنه آخرون: بأنه كان كثير شعر الصدر، أصلع الرأس ثقيل العينين عظيمها.

ويصفه قسم ثالث: بأنه لم يكن بالطويل البائن الطول، ولا بالقصير البائن القصر، وكان فوق الربعة.

ويتفقون على أنه كان ضخم عضلة الذراع، ضخم عضلة الساق، عظيم اللحية.

وكان فارساً لا يشق له غبار.

وشجاعاً لا يهاب أحد ولا ينال منه فارس في ميدان.

ما بارز أحداً إلا قتله، وما التقى بأحد في ميدان إلا فرّ من أمامه.. وكان عفيفاً تقياً زاهداً ورعاً.

آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه وجاءه علي تدمع عيناه فقال له: يا رسول الله آخيت بين أصحابك ولم تواخ بيني وبين أحد.

فقال رسول الله ﷺ له : «أنت أخي في الدنيا والآخرة»[1] .

إنه أخو للذي أعطاه الله الرسالة .

وحبيب لمن ينزل عليه الوحي من السماء .

وزوج ابنته وأحب الناس إلى قلبه .

إنه الرجل الذي يحبه الله ورسوله كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ . وهو منه بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعده — كما أخبر بذلك الصادق المصدوق .

قال معاوية لسعد بن أبي وقاص — رضي الله عنهما — ما يمنعك أن تسب علياً . ؟

فقال سعد : أما ما ذكرت ثلاثاً قالهن له رسول الله ﷺ لأن تكون لي واحدة منهن أحب إليَّ من حمر النعم .

سمعت رسول الله ﷺ يقول له وقد خلفه في بعض مغازيه .

فقال له علي :

«يا رسول الله خلفتني مع النساء والصبيان . ؟

فقال له رسول الله ﷺ أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ؟ . إلا أنه لا نبوة بعدي» .

وسمعته يقول يوم خيبر لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله . قال :

فتطاولنا . فقال عليه السلام : ادعوا لي علياً ، فأتى به أرمد ، فبصق في عينه ودفع الراية اليه ، ففتح الله عليه .

---

(١) أخرجه الترمذي في باب المناقب ، وقال هذا حديث حسن غريب .

ولما نزلت هذه الآية : ﴿فندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم﴾[1] دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال :

«اللهم هؤلاء أهلي»[2].

وعن محمد بن كعب القرظي قال :

افتخر طلحة بن شيبة بن عبد الدار، وعباس بن عبد المطلب، وعلي بن أبي طالب.

فقال طلحة :

أنا صاحب البيت، ومعي مفتاحه، ولو أشاء بت فيه.

وقال عباس :

أنا صاحب السقاية، ولو أشاء بت في المسجد.

وقال علي :

ما أدري ما تقولان.؟ لقد صليت إلى القبلة ستة أشهر قبل الناس وأنا صاحب الجهاد فأنزل الله تعالى :

«أجعلتم سقاية الحج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر، وجاهد في سبيل الله؟ لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين».

نعم هناك فرق كبير في ميزان الحق والعدل. بين السقاية وعمارة المسجد.

وبين من حكّم عقله فآمن.. واستمع لمنادي الإيمان فصدق.. صدق بمحمد وبرسالته. وصدق بتوحيد الله وحكمته.

وآمن بأن هذه الحياة لها ما بعدها.

---

(١) سورة آل عمران الاية ٦١.

(٢) أخرجه مسلم في فضائل الصحابة باب من فضائل علي رضي الله عنه ورواه مسلم رقم ٢٤٠٤

وأن الآخرة خير وأبقى.

ولم يكتف بذلك.. بل هاجر بدينه، وجاهد في سبيل نصرة الحق وأهله. واستجاب لأمر ربه تعالى:

﴿وجاهدوا في الله حق جهاده، وهو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم﴾.

والامام علي — رضي الله عنه — من الرجال الأفذاذ الذين جاهدوا في سبيل الله وجاهدوا نفوسهم.

جاهدوها حتى صفت، وجالدوها حتى طهرت.. فزهدت في الدنيا وترفعت عما في أيدي الناس. من ذلك.

أن الامام علي — رضي الله عنه — استعمل عمرو بن سلمة على أصبهان فقدم ومعه مال وزقاق فيها عسل وسمن، فأرسلت أم كلثوم بنت علي إلى عمرو تطلب منه سمناً وعسلاً، فأرسل اليها ظرف عسل وظرف سمن. فلما كان الغد خرج علي وأحضر المال والعسل والسمن ليقسم، فعد الزقاق فنقصت زقين، فسأله عنهما، فكتمه وقال:

«نحن نحضرهما، فعزم عليه إلا ذكرهما له، فأخبره، فأرسل إلى أم كلثوم فأخذ الزقين منها فرآهما قد نقصا فأمر التجار بتقويم ما نقص منهما، فكان بمقدار ثلاثة دراهم، فأرسل اليها فأخذها منها ثم قسم الجميع»[1].

إنه عليٌّ الذي تربى في مدرسة النبوة، وفي أحضان الرسول ﷺ ووعت أذناه قول الله تعالى:

﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين﴾[2].

---

(١) الكامل لابن الاثير جـ ٣ ص ٤٠٠.

(٢) سورة الأنبياء الآية ٤٧.

قال الشعبي : وجد عليّ — رضي الله عنه — درعاً له عند نصراني فأقبل به إلى شُريح وجلس إلى جانبه وقال :

«لو كان خصمي مسلماً لساويته وقال : هذه درعي.

فقال النصراني : ما هي إلا درعي ، ولم يكذب أمير المؤمنين.؟

فقال شُريح لعلي : ألك بينة.؟

قال : لا ، وهو يضحك.

فأخذ النصراني الدرع ومشى يسيراً ثم عاد وقال : أشهد أن هذه أحكام الأنبياء أمير المؤمنين قدمني إلى قاضيه ، وقاضيه يقضي عليه.؟

ثم أسلم واعترف أن الدرع سقطت من عليّ عند مسيره إلى صفين ، ففرح عليّ بإسلامه ووهب له الدرع وفرساً[1].

«أشهد أن هذه احكام الأنبياء».

هذا ما نطق به اليهودي.. عندما رأى علياً — رضي الله عنه — لا يتصرف تصرف الملوك ، ولا الأباطرة.

لقد رأى علياً الدرع ويعلم أنها درعه ، وهو الحاكم ويستطيع أن يأخذ هذه الدرع بالقوة ولا يكتفي بذلك بل يقيم الحد على اللص السارق.

ولكنه لم يفعل وأنزل نفسه وهو الحاكم منزلة أي فرد من أفراد المسلمين — يلجأ إلى القاضي ليحكم له أو عليه.

وقاضيه أيضاً لا يحيد عن طريق الحق ، ولا يحكم بعلمه — وهو يعلم بأن الدرع درع علي — ولكن ما دامت لا توجد بينة معه فلا حق له في الدرع التي يملكها رجل — حتى ولو كان من غير المسلمين.

---

(١) الكامل لابن الأثير جـ ٣ ص ٤٠١.

إن هذا القاضي أيضاً تربى في مدرسة القرآن.. ووعى عقله وقلبه قول الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون﴾[1].

وهذا العدل الذي التزمه علي بن أبي طالب ـــ رضي الله عنه ـــ وألزم به كل من ولى له عملاً أو تقلد عنده منصباً لم يكن في مجال الحياة العامة فقط ولكنه أيضاً كان لا يتخلى عنه في مجال الحرب، وتحت مقارعة السيوف ومن ذلك ما يروى عنه في أحد المعارك:

أنه استطاع أن يتمكن من أحد الأعداء ويقبض عليه من على فرسه ويلقي به أرضاً.. وينزل عليه ويضع رجليه على قدميه، ويخرج سيفه من قرابه ليجز به رقبته، ولكنه بعد ذلك لم يفعل.

وكان بلال يشاهد ذلك ويرقبه.. وعندما وجد علياً لم يقتل هذا الكافر قال له: ويحك يا علي لما لم تقتله.؟

فأجابه بقوله: لا تلمني يا بلال، إن هذا الكافر بصق في وجهي، فخشيت أن أقتله فأكون قتلته لنفسي لا لله.

إن هذه الحروب التي خاضها المسلمون لم تكن من أجل المغنم أو من أجل الاستيلاء أو القهر، كما يدعي الأدعياء، أو يتقول المتقولون.

ولم تكن أيضاً من أجل قسر الناس واجبارهم على الدخول في دين الله.

ولم يكن الهدف أيضاً استعباد الشعوب وقهر الأمم.

إن هذا في الحقيقة لم يخطر لهم على بال، وإنما فقط كان الهدف من ذلك إعلاء كلمة الله، ورفع دينه، ونشره في أرجاء المعمورة.

إنهم حملة رسالة فلا بد أن يبلغوها..

---

(١) سورة المائدة الآية ٨.

وأصحاب آخر كتاب أرسله الله لعباده فكان عليهم أن يقدموه لكل البشر لأنهم في حاجة اليهم.

فإذا كان قتال فليكن باسم الله ومن أجل نشر دينه.

والإمام عليّ أراد أن يقتل هذا الكافر. ولكنه قبل أن يقتله بصق في وجهه، قدم له إهانة شخصية، وهذه الاهانة غضب لها عليّ — وكما يقال في القانون الوضعي أصبحت بينهم خصومة شخصية.. فترفع عن قتله، وخشي أن يفصل في قضيته بعد ذلك مخافة أن يكون قتله للاهانة لا لله.؟

إنها النماذج المحلقة في رحاب الاسلام.. وهي الانسانية في أكرم صورها وأنبلها — وماذا تتصور أن يكون المسلم غير هذا.؟

وهو يتلو كتاب ربه.. ويسير على نهج رسوله ويتخلق بأخلاق نبيه الذي وصفه ربه بقوله: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾[1].

---

(١) سورة القلم الآية ٤.

ذكر بيعة علي رضي الله عنه..

كيف تمت بيعة الإمام عليّ.؟

وما هي الظروف والملابسات التي أحاطت بها.؟ ولماذا تخلّف بعض المسلمين عن مبايعته.؟ نرى لذلك أسباباً نحاول بمشيئة الله أن نبينها ونبسطها كما جاءت في أدق المصادر دون زيادة أو نقصان فنقول:

لما قتل عثمان — رضي الله عنه — اجتمع أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار — وفيهم طلحة والزبير — فأتوا علياً فقالوا له:

«إنه لا بد للناس من إمام.

قال: لا حاجة لي في أمركم فمن اخترتم رضيت به.؟

فقالوا: ما نختار غيرك. وترددوا اليه مراراً وقالوا له في آخر ذلك: إنا لا نعلم أحداً أحق به منك. لا أقدم سابقة، ولا أقرب قرابة من رسول الله ﷺ.

فقال: لا تفعلوا فإني أكون وزيراً خيراً من أن أكون أميراً.

فقالوا: والله ما نحن بفاعلين حتى نبايعك.

لقد وجد الإمام عليّ الإصرار من القوم والتمسك به، والحرص على بيعته.. إذاً لماذا يرفض.؟

أيمتنع عن ولاية المسلمين.؟

أيبخل بنفسه عليهم.. محال أن يكون ذلك.؟

إن الرسول ﷺ نهى أن يطلب الانسان الولاية لنفسه.

وقال : إننا لا نولي الولاية من يطلبها».

أما وقد عرضت عليه ـ فلا مانع. وعندها قال الإمام عليّ إذا أردتم ذلك ففي المسجد لأن بيعتي لا تكون خفية.

ولما أجابوه إلى ذلك ـــ خرج إلى المسجد وعليه إزار وطاق ، وعمامة خز متوكئاً على قوس. وفي المسجد التقى بطلحة بن عبيد ، والزبير بن العوام فكرر الإمام عليّ عليهما ما قاله في بيته : إن أحببتما أن تبايعاني وإن أحببتما بايعتكما. ؟

قالا : بل نبايعك. قال :

«إنكم قد اختلفتم إليّ ، وأتيتم ، وإني قائل قولاً إن قبلتموه قبلت أمركم وإلا فلا حاجة لي فيه.

قالوا : ما قلت قبلناه إن شاء الله.

فجاء وصعد المنبر فاجتمع الناس اليه فقال :

«إني قد كنت كارهاً لأمركم ، فأبيتم إلا أن أكون عليكم ألا وإنه ليس لي أمر دونكم ألا إن مفاتيح مالكم معي. . ألا وإنه ليس لي أن آخذ منه درهماً دونكم».

أرضيتم بهذا. ؟

قالوا : نعم.

قال : اللهم اشهد عليهم ، ثم بايعهم على ذلك»[1].

وكان أول خطبة خطبها حين استخلف هي أنه :

حمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن الله أنزل كتاباً هادياً يبيّن فيه الخير والشر فخذوا بالخير ودعوا الشر ، الفرائض الفرائض أدوها إلى الله تعالى يؤدكم الى الجنة ، ان الله حرم حرمات غير مجهولة وفضل حرمة المسلم على الحرم كلها ، وشد الاخلاص

(١) تاريخ الرسل والملوك للطبري جـ ٥ ص ١٥٢.

والتوحيد حقوق المسلمين. فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده الا بالحق، لا يحل دم امرئ مسلم الا بما يجب.

اتقوا الله عباد الله في بلاده وعباده. انكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم أطيعوا الله فلا تعصوه، واذا رأيتم الخير فخذوا به، واذا رأيتم الشر فدعوه[1] : ﴿واذكروا إذ أنتم قليل مستضعَفون في الأرض﴾[2].

وبعد هذه الخطبة رجع الى بيته. فدخل عليه طلحة والزبير — رضي الله عنهما — في عدد من الصحابة فقالوا : يا عليّ إنا قد اشترطنا إقامة الحدود وأن هؤلاء القوم قد اشتركوا في قتل عثمان. وأحلوا بأنفسهم.

فقال : يا اخوتاه اني لست أجهل ما تعلمون، ولكن كيف أصنع بقوم يملكوننا ولا نملكهم.؟

فرقة ترى ما ترون، وفرقة ترى ما لا ترون، وفرقة لا ترى هذا ولا هذا.

فانتظروا حتى يهدأ الناس وتقع القلوب مواقعها، وتؤخذ الحقوق، وانظروا ماذا يأتيكم ثم عودوا»[3].

ان الإمام ينتظر من هؤلاء الناس أن يعطوه فرصة، حتى يرتب أمور الرعية ويهيء أعمدة الخلافة. ويعزل هؤلاء العمال الذين ساعدوا على هذه الفتنة التي انتهت بقتل عثمان رضي الله عنه.

وكان من رأي الإمام عليّ أن يعزل عمال عثمان.

فدخل عليه المغيرة بن شعبة وأسرَّ اليه أمراً فقال ابن عباس يا أمير المؤمنين ماذا يريد منك هذا الرجل.؟

---

(١) الكامل لابن الأثير جـ ٣ ص ١٩٤.

(٢) سورة الأنفال آية ٢٦.

(٣) ابن الأثير جـ ٣ ص ١٩٦ والبداية والنهاية جـ ٧ ص ٢٤٩.

قال الإمام علي : قال لي : ان لك حق الطاعة والنصيحة ، وأنت بقية الناس وان الرأي اليوم تُحرز به ما في غد . وان الضياع اليوم يضيع به ما في غد . أقرر معاوية وابن عامر وعمال عثمان على أعمالهم حتى تأتيك بيعتهم ويسكن الناس ، ثم اعزل من شئت .

فأبيت عليه ذلك . وقلت لا أداهن في ديني ولا أعطي الدنية في أمري .

قال : فإن أبيت عليَّ فاعزل من شئت واترك معاوية ، فإن في معاوية جرأة وهو في أهل الشام يستمع منه ولك حجة في اثباته . كان عمر بن الخطاب قد ولاه الشام .

فقلت : لا والله لا أستعمل معاوية يومين . ثم انصرف من عندي . ثم عاد إليَّ الآن فقال : إني أشرت عليك أول مرة بالذي أشرتُ وخالفتني فيه . ثم رأيت بعد ذلك أن تصنع الذي رأيت فتعزلهم وتستعين بمن تثق به ، فقد كفى الله وهم أهون شوكة مما كان .؟

قال ابن عباس : أما المرة الأولى فقد نصحك . وأما المرة الثانية فقد غشك .

قال : ولم نصحني .؟

قلت : لأن معاوية وأصحابه أهل دنيا فمتى تثبتهم لا يبالوا من ولي هذا الأمر ، ومتى تعزلهم يقولوا : أخذ هذا الأمر بغير شورى وهو قتل صاحبنا ، ويؤلبون عليك فتنتقض عليك الشام وأهل العراق . وأنا أشير عليك أن تثبت معاوية .

فقال علي : والله لا أعطيه الا السيف .

فقلت يا أمير المؤمنين أنت رجل شجاع لست صاحب رأي في الحرب أما سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« الحرب خدعة » .

فقال : بلى .

فقلت : أما والله لئن أطعتني لأصدرنهم بعد وِرد ولأتركنهم ينظرون في دبر الأمور لا يعرفون ما كان وجهها في غير نقصان عليك، ولا إثم لك.

فقال : يا ابن عباس. لست من هناتك ولا من هنات معاوية في شيء.

ثم قال : تشير عليَّ وأرى فإن عصيتك فأطعني.

قلت : أفعل. ان أيسر ما لك عندي الطاعة»[1].

وتم عزل عمال عثمان — وأرسل الإمام علي عماله الى الأمصار.. ولكن كما قال ابن عباس كان العمال المعزولون طلاب دنيا وملك

فألبوا العامة..وأوهموا الخاصة أنهم طلاب حق.. انهم لا يريدون الملك أو الولاية ولكنهم يطالبون بدم عثمان.. انهم يطلبون اقامة حدود الله. على من قتل عثمان وما دام الإمام علي هو امام المسلمين وامير المؤمنين فهو مطالب بتقديم هؤلاء القتلة فإن قصّر أو توانى في ذلك فدم عثمان في عنقه ومطالب به.؟

واشتعلت الفتنة — وركب الناس رؤوسهم وكانت معارك طاحنة وحروب متلاحقة.. أكلت الأخضر واليابس، وشغلت الناس عن كل شيء.. واعتزل كبار الصحابة في منازلهم — وعمت البلاد ظلمة داكنة لا يدرون المخرج منها.. وفي وسط هذا الضباب الكثيف والدماء المراقة.. كان في جنح الظلام تدبير يدبر، ومكيدة تحبك.. وهول لا يستطيع الناس الفكاك منه.؟

---

(١) ابن الأثير جـ ٣ ص ١٩٧ — ١٩٨ والبداية والنهاية جـ ٧ ص ٢٤٩.

المؤامرة ..

ثلاثة من الرجال الأقوياء اجتمعوا بليل ، وقرروا أمراً اعتقدوا فيه صلاح الأمة وصلاحهم .

قالوا : نزيل الأمراء ونقضي على الولاة ، ونترك الدنيا من غيرهم تعيش في سلام وأمان ولكنهم كذبوا وغرتهم الأماني . . وكانوا في تدبيرهم خاطئين ولجريمتهم معتدين وحقيقة ذلك كما ذكرتها كتب السيَر والتاريخ .

ان عبد الرحمن بن ملجم المرادي ، والبُرَك بن عبدالله التميمي . وعمرو بن بكر التميمي السعدي وهم من الخوارج اجتمعوا فتذاكروا أمر الناس وعابوا عمل ولاتهم ثم ذكروا أهل النهر فترحموا عليهم . وقالوا :

«ما نصنع بالبقاء بعدهم .؟ فلو شرينا أنفسنا وقتلنا أئمة الضلال وأرحنا البلاد .

فقال ابن ملجم : أنا أكفيكم علياً[1] .

وقال البُرك : أنا أكفيكم معاوية .

وقال عمر بن بكر: أنا أكفيكم عمرو بن العاص.

---

(١) راجع الطبقات الكبرى لابن سعد جـ ٣ ص ٣٦ والكامل لابن الأثير جـ ٣ ص ٣٨٩.

وتعاهدوا أن لا ينكص أحدهم عن صاحبه عن صاحبه الذي توجه اليه حتى يقتله أو يموت دونه وأخذوا سيوفهم فسموها وتواعدوا لسبع عشرة من رمضان.

وقصد كل منهم الجهة التي يريد.

فأتى ابن ملجم إلى الكوفة.

ولقي أصحابه بها فتذاكروا قتلى النهر. ولقي معهم امرأة من تيم الرباب اسمها قطام وقد قتل أبوها وأخوها يوم النهر. وكانت فائقة الجمال، فلما رآها ابن ملجم أخذت قلبه فخطبها. فقالت: لا أتزوجك حتى أشترط عليك.

فقال: وما تريدين.؟

قالت: ثلاثة آلاف وعبداً وقينة وقتل عليّ.

فقال: أما قتل علي فما أراك ذكرته وأنت تريديني.

قالت: بلى، التمس غرته فإن أصبته شفيت نفسك ونفسي ونفعك العيش معي. وإن قُتلت فما عند الله خير من الدنيا وما فيها..

قال: والله ما جاء بي إلا قتل عليّ فلك ما سألت:

قالت: سأطلب لك من يشد ظهرك ويساعدك. وبعثت إلى رجل من قومها اسمه وردان وكلمته فأجابها، وأتى ابن ملجم رجلاً من أشجع اسمه شبيب بن بجرة.

فقال له: هل لك في شرف الدنيا والآخرة.؟

قال: وماذا.؟

قال: قتل علي.

قال شبيب: ثكلتك أمك لقد جئت شيئاً إدّاً كيف تقدر على قتله.؟

قال: أكمن له في المسجد فإذا خرج إلى صلاة الغداة شددنا عليه فقتلناه فإن نجونا فقد شفينا أنفسنا. وإن قُتلنا فما عند الله خير من الدنيا وما فيها.

قال : ويحك لو كان غير علي كان أهون ، قد عرفت سابقته وفضله وبلاءه في الإسلام ، وما أجدني أنشرح لقتله.

قال : أما تعلمه قتل أهل النهر العباد الصالحين. ؟

قال : بلى.

قال : فنقتله بمن قتل من أصحابنا. فأجابه..[1]

هذه هي المرأة المؤامرة كما ذكرتها كتب التاريخ ، وهي كما توضح عباراتها أنها كانت محدودة محصورة بمجموعة من الأفراد القلائل.. بعضهم يطلب الصلاح. صلاح الدنيا.. ولم يجد وسيلة لذلك إلا قتل ولاة المسلمين.

والبعض الآخر تقودهم امرأة تطلب ثأراً لقتل أبيها وأخيها.. ولا تجد أمامها من تقتص منه سوى الإمام علي.. وهي تعلم كما يعلم كل من كان يعيش تلك الفترة أن الإمام علي لم يكن متعطشاً للدماء.

ولم يكن يسمح بإزهاق نفس مؤمنة.

ولم يكن طالب ملك أو صولجان.. ولو كان الأمر كذلك.. لكان له دور بعد وفاة الرسول ﷺ أو بعد خليفته أبي بكر من بعده ، ولكن الإمام علي.. لم يكن يريد ذلك ولا يطلبه..ولم تكن الدنيا أكبر همه.. فلماذا تختار هذه الفتاة قتل الإمام علي.. وهي تعلم أنه ليس هو القاتل. ؟ إننا نرجح أن تكون مؤامرة قتل علي — رضي الله عنه — هي من المؤامرات التي اشتركت فيها مجموعة حاقدة على الإسلام والمسلمين ، وهدفها أكبر من قتل فرد أو عدة أفراد.

لقد جاء الاسلام واليهود يحتلون أجزاء كثيرة من الجزيرة العربية وأراد أن يعيش معهم في سلام وأمان ، ولكنهم أبوا ذلك وألبوا القبائل على حرب الرسول وأرادوا أن يقتلوه ، فطردهم من الجزيرة ، وأخرجهم من ديارهم.. وصادر أموالهم.

---

(١) المصدر السابق جـ ٣ ص ٣٨٩ — ٣٩٠ والبداية والنهاية لابن كثير جـ ٧ ص ٣٥٦.

فهل هؤلاء يحبون الاسلام ويتمنون لأهله الخير. ؟

وهل يسكتون على مصادرة أموالهم وديارهم. ؟

وغير اليهود حكام الفرس وقياصرة الروم — الذين كانوا يعيشون في قصورهم وينعمون بخيرات بلادهم... فثلت عروشهم ودالت دولهم... وفرَّ بعضهم على وجوههم — لا يلوون على شيء وضاع أولادهم ونساؤهم تحت سنابك الخيل، أو ألقوا بأنفسهم في البحار الزاخرة والأمواج الطاغية فأصبحوا طعمة للوحوش وغذاء للأسماك.

هل هؤلاء يتركون الاسلام في سلام. ؟

ويحبون لأهله ولبنيه الأمان والاطمئنان. ؟

الحقيقة أنه في تلك الفترة من تاريخ المسلمين... كانت أكثر من جهة تحارب الاسلام مختفية تارة ومعلنة أخرى.

حاربوه بالدس بين رجاله.

وحاربوه بالوضع في كلام رسوله.

وحاربوه بمحاولة إدخال الأفكار الغريبة، والاعتقدات الباطلة على بنيه.. ففرق وحدتهم، ومزق جماعتهم، وجعل بأسهم بينهم شديداً..

ومن أجل هذا نعتبر أن قتل الإمام عليّ وما سبقه من قتل الخليفة عثمان إحدى الحلقات في سلسلة المؤمرات التي حيكت للاسلام وأهله في تلك المرحلة.. وإذا كان ذلك كذلك كيف نفذت جريمة قتل الإمام علي. ؟

مقتل الامام علي رضي الله عنه..

..قال الحسن بن علي — رضي الله عنه — خرجت البارحة وأبي يصلي في مسجد داره فقال لي:

«يا بني أوقظ أهلي لأنها ليلة الجمعة. فملكتني عيناي فنمت فسنح لي رسول الله ﷺ. فقلت:

«يا رسول الله — ماذا لقيت من أمتك من العِوج والخصومات.؟

فقال لي: ادع عليهم.

فقلت: اللهم أبدلني بهم من هو خير منهم، وأبدلهم من هو شر مني».

فجاء ابن النباح فآذنه بالصلاة. فخرج وخرجت خلفه فنادى: أيها الناس الصلاة الصلاة.

فضربه شبيب بالسيف فوقع سيفه تجاه الباب.

وضربه ابنُ ملجم على قرنه بالسيف وقال: الحكم لله لا لك يا علي ولا لأصحابك. وهرب وردان فدخل منزله.

فأتاه رجل من أهله، فأخبره وردان بما كان، فانصرف عنه وجاء بسيفه فضرب وردان حتى قتله.

وهرب شبيب في الغلس وصاح الناس فلحقه رجل من حضرموت يقال له عويمر وفي يد شبيب السيف فأخذه وجلس عليه. فلما رأى الحضرمي الناس قد أقبلوا في طلبه وسيف شبيب في يده خشي على نفسه فتركه ونجا. وهرب شبيب في غمار الناس.

ولما ضرب ابن ملجم علياً قال : لا يفوتنكم الرجل. فشد الناس عليه فأخذوه وتأخر علي، وقدم بن هبيرة وهو ابن أخته أم هانئ يصلي بالناس.

وقال علي : أحضروا الرجل عندي. فأدخل عليه.

فقال : أي عدو الله ألم أحسن اليك.؟

قال : بلى.

قال : فما حملك على هذا.؟[1].

قال : شحذته أربعين صباحاً وسألت الله أن يقتل به شر خلقه.

فقال علي : لا أراك إلا مقتولاً به، ولا أراك إلا من شر خلق الله ثم قال :

النفس بالنفس، إن هلكت فاقتلوه كما قتلني، وإن بقيت رأيت فيه رأي[2].

يا بني عبد المطلب لا ألفينكم تخوضون دماء المسلمين تقولون قد قُتل أمير المؤمنين ألا لا يقتلن إلا قاتلي انظر يا حسن إن أنا مت من ضربتي هذه فاضربه ضربة بضربة ولا تمثلن بالرجل، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : إياكم والمثلة، ولو بالكلب العقور.

ودخل جُندب بن عَبد الله على علي فقال : إن فقدناك. ولا نفقدك فنبايع الحسن.؟

قال : ما آمركم ولا أنهاكم، أنتم أبصر، ثم دعا الحسن والحسين فقال لها : أوصيكم بتقوى الله ولا تبغيا الدنيا وإن بغتكما، ولا تبكيا على شيء زوى عنكما، وقولا الحق، وارحما اليتيم وأعينا الضائع، واصنعا للآخرة، وكونا للظالم خصما، وللمظلوم ناصراً، واعملا بما في كتاب الله، ولا تأخذكما في الله لومة لائم.

ثم نظر إلى محمد بن الحنفية فقال : هل حفظت ما أوصيت به أخويك.؟

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير جـ ٧ ص ٣٥٧.

(٢) المصدر السابق جـ ٧ ص ٣٥٧.

قال : نعم .قال : فإني أوصيك بمثله وأوصيك بتوقير أخويك لعظيم حقهما عليك ، فاتبع أمرهما ولا تقطع أمراً دونهما .

ثم قال : اوصيكما به ، فإنه شقيقكما وإبن ابيكما وقد علمتما أن أباكما كان يحبه . وقال للحسن : أوصيك أي بني بتقوى الله ، وإقام الصلاة لوقتها وإيتاء الزكاة عند محلها ، وحسن الوضوء ، فإنه لا صلاة إلا بطهور ، وأوصيك بغفر الذنب وكظم الغيظ ، وصلة الرحم ، والحلم عن الجاهل والتفقه في الدين والتثبت في الأمر ، والتعاهد للقرآن ، وحسن الجوار ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، واجتناب الفواحش »[1] .

ثم كتب وصيته ولم ينطق إلا بلا إله إلا الله ـــ حتى مات رضي الله عنه وأرضاه .

(١) الكامل لابن الأثير جـ ٣ ص ٣٩١.

أسباب نزول الآيات

قال الإمام القرطبي قال ابن عباس وعطاء بن يسار — رضي الله عنهما نزلت هذه في علي بن أبي طالب — رضي الله عنه — والوليد بن عقبة بن أبي معيط ، وذلك أنهما تلاحيا فقال الوحيد :

«أنا أبسط منك لساناً وأحدّ سناناً وأردّ للكتيبة — وروى وأملأ منك في الكتيبة حسباً» .

فقال له علي : اسكت فإنك فاسق فنزلت هذه الآية :

﴿أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون﴾ (١) .

وذكر الزجاج والنحاس أنها نزلت في علي وعقبة بن أبي معيط ، وعلى هذا يلزم أن تكون الآية مكية ، لأن عقبة لم يكن بالمدينة ، وإنما قتل في طريق مكة عند عودة الرسول ﷺ من بدر .

ويعترض القول الآخر باطلاق اسم الفسق على الوليد وذلك يحتمل أن يكون في صدر إسلام الوليد لشيء كان في نفسه ، أو لما روي من نقله عن بني المصطلق ما لم يكن (٢) .

حتى نزلت : ﴿إن جاءكم فاسق بنبإ فتبيّنوا أن تصيبوا قوماً بجهالة﴾ (٣)

---

(١) سورة السجدة آية ١٨ .

(٢) تفسير القرطبي جـ ١٤ ، ص ١٠٥ — ١٠٦ .

(٣) سورة الحجرات آية ٦ .

وقال صاحب تفسير الخازن والبغوي :

«نزلت في علي بن أبي طالب — رضي الله عنه — والوليد بن عقبة كان بينهما تنازع وكلام في شيء».

فقال الوليد لعلي : اسكت فإنك صبي وأنا شيخ ، وإني أبسط منك لساناً وأحدّ منك سناناً وأشجع منك جناناً وأملأ منك حشواً في الكتيبة.

فقال علي — رضي الله عنه :

«اسكت فإنك فاسق فأنزل الله هذه الآية.

وقوله : لا يستوون أراد جنس المؤمنين وجنس الفاسقين»[1] .

وقال صاحب الدر المنثور : أخرج أبو الفرج الأصبهاني في كتاب الأغاني والواحدي وابن عدي ، وابن مردويه والخطيب وابن عساكر من طرق عن ابن عباس — رضي الله عنه قال :

قال الوليد بن عقبة لعلي بن أبي طالب — فقال أنا أبسط منك لساناً وأحدُّ منك سناناً . فقال له علي — رضي الله عنه — إنما أنت فاسق[2] فنزل قوله تعالى : ﴿أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون﴾[3] .

---

(١) تفسير الخازن والبغوي جـ ٥ ص ١٨٧.

(٢) تفسير الدر المنثور جـ ٥ ص ١٧٧ — ١٧٨ ،

(٣) سورة السجدة الآية ١٨.

تذييل . . .

أُريد أن أذهب مع القراء إلى رحلة متأنية عبر التاريخ لنتعرف على حقيقتنا حقيقة العرب قبل أن يمن الله عليهم بنعمة الاسلام.

هل كانت لهم السيادة والقيادة على العالم في ذلك الوقت.؟

هل كانوا يضارعون دولة الفرس حضارة ومدنية.؟

هل كانت لهم قوة كقوة الروم تكسر شوكة الدول وتزيل تيجان الملوك.؟

وأخيراً هل كانت لهم قيم كقيم الاسلام، وأخلاق كأخلاق القرآن، ومبادئ كمبادئ الإيمان.؟

القول الفصل في ذلك بيّنه لنا البطل الشهيد جعفر بن ابي طالب — رضي الله عنه — عندما وقف أمام النجاشي ملك الحبشة يدافع عن نفسه وأصحابه الذين فروا بدينهم من قريش، قال جعفر:

«أيها الملك كنا قوماً على الشرك، نعبد الأوثان ونأكل الميتة ونسيئ الجوار، يستحل المحارم بعضنا من بعض في سفك الدماء وغيرها لا نحل ولا نحرم كثيراً في حياتنا فبعث الله الينا نبياً من أنفسنا نعرف وفاءه وصدقه وأمانته فدعانا إلى أن نعبد الله وحده لا شريك له، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة، وصلة الأرحام وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام»[1].

(١) سيرة ابن هشام جـ ١ ص ٣٥٨ — ٣٥٩.

هذه هي حقيقة العرب قبل الاسلام.. فماذا فعل لهم هذا الدين الجديد.. حتى كانت لهم السيادة والقيادة على أمم العالم في فترة من فترات التاريخ.؟

يقول علم التاريخ الاجتماعي: لقد كانت النفس العربية كالأرض المجهولة تنبت فيها الفضائل بالفطرة. ولكنها بلا غاية ولا هدف.

فلما جاء الاسلام أدرك منذ البداية قوتها المخبوءة التي لم تستغل بعد لخير البشرية.

وكان عمل الاسلام أنه أزال الصدأ عن الجوهر المكنون في النفس العربية ثم وجهها إلى حقيقة التوحيد وإلى نور الإيمان.

التوحيد هو الذي فعل فيهم ذلك. نقلهم من رعاة إبل جفاة غلاظ يشعلون الحرب لأوهى الأسباب إلى هداة ودعاة.

هداة إلى الحق.

ودعاة إلى الله الواحد الأحد.

التوحيد.. هو الذي جعل من حكماء البادية أساتذة ومعلمين يختطون من شؤون السياسة والتنظيم الاجتماعي ما تعمل الدول جاهدة للوصول إليه.

وعندما استقرّ الإيمان في قلوب رجالات الإسلام خرجوا إلى أرض الله يحملون المصحف للهداية.

والسيف لإزالة الباطل.

وانداحوا في أركان الأرض الأربعة، ينشرون الأمن بعد الخوف والنور بعد الظلام والهدى بعد الضلال فاستقبلتهم الدنيا أحسن استقبال وأقامتهم على ظهرها قادة ومعلمين.

قلة قليلة تخرج من الصحراء وتتجه نحو المشرق فتكسر سور الصين العظيم وتنشر من ورائه اسم الله الأعظم، ثم تمتد حتى تصل إلى السند والهند وجزائر المحيط الدافئ وتطبق عليه من الشرق والغرب فإذا جنود مسلمة بن عبد الملك يستولون على

القسطنطينية شرقاً ، وإذا جيوش عبد الرحمن الغافقي تفرع من شبه جزيرة إيبريا ، وإذا البحرية المسلمة تسيطر على البحر الأبيض المتوسط وتجوس خلال جزره. وتملك صقلية وقبرص وكورسيكا موطن نابليون.

وامتدت الفتوحات الاسلامية وتوغلت إلى ما وراء ذلك.

فدكت الجيوش الاسلامية مشارف أوربا بعنف.

وزحفت إلى ما وراء جنوب أفريقيا من الأدغال والأحراج.

ثم ماذا. ؟

لم يعرف قادة المسلمين أين يتجهون. ؟

وكانوا يتساءلون أهناك أرض لم تصلها كلمة التوحيد بعد. ؟

حتى وقف القائد الاسلامي عقبة بن نافع على صهوة فرسه يرقب البحر المحيط الممتد عبر الأفق وقال كلمته المشهورة :

والله لو أعلم أن خلف هذا البحر قوماً لا يؤمنون بالله ولا يصدقون بمحمد لخضت اليهم بهذا الفرس.

ومن قبل هذا ما قاله خالد بن الوليد — رضي الله عنه — ، عندما عزل عن قيادة الجيش والتف حوله أبناؤه وجنوده من أبطال المسلمين وكلهم غضاب على قرار العزل حتى قال أحدهم في ثورة غضبه :

سنملأها خيلاً ورجالاً على ابن الخطاب في المدينة ، ولكن القائد الذي تربى في مدرسة الاسلام قال لهؤلاء الجنود :

«لقد حطمنا القلاع فوق أرض فارس واقتحمنا الحصون على أرض الروم ولم تبق أمام المسلمين الآن قوة ضاربة تحتاج إلى صولات خالد ، الأمة الاسلامية الآن في حاجة إلى عقل عمر أكثر من حاجتها إلى سيف خالد لن تكون فتنة وابن الخطاب موجود».

وهكذا عاشت الأمة الاسلامية وأمرها جميعاً تحت قيادة واحدة ، وراية واحدة ، وكلمة واحدة.

أمة متماسكة لا مجال فيها للجنس أو العصبية أو القبلية . يخرج الأمر من خليفة المسلمين فينفذ على الأمة الاسلامية كلها . سواء أكانت العاصمة مكة المكرمة أو المدينة المنورة ، أو دمشق ، أو بغداد ، أو القاهرة أو سمراء.

يقول أحد الكتّاب المسلمين :

كان المسلمون يحملون المصحف للهداية والسيف لازالة الباطل ، وكان حكامهم يجمعون بين إمامة الصلاة وقيادة المعركة ، حتى بلغوا من القوة أن سير المعتصم جيشاً لإنقاذ امرأة لطمها رومي على أرض فلسطين.

ثم ماذا . ؟

ثم شتتت الوحدة ، وتفرقت الجماعة ، وصارت سيوف المسلمين خشباً يحملها خطباؤهم على المنابر ، ومصاحفهم تمائم يعلقها مرضاهم على الصدور ،وأصبحت دولهم تبعاً لكل غالب وتراثهم نهباً لكل غاصب.

حدث هذا وعلى وجه التحديد عندما انهزم المسلمون من الداخل . من داخل نفوسهم ، وكان بداية ذلك وبالتحديد في المسجد الجامع .

عندما وقف أحد الطامعين في الولاية خطيباً فقال :

«أمير المؤمنين هذا وأشار إلى معاوية .

فإن مات فأمير المؤمنين هذا وأشار إلى يزيد .

فمن رفض البيعة أو عارض فله هذا وأشار إلى السيف.

فقال له معاوية : اجلس فأنت سيد الخطباء.

عندها آثر كل مسلم السلامة ، ولم يرفع صوت بالمعارضة ، وبذلك فقد

المسلمون إحدى مقوماتهم الأساسية. وعطلوا أهم وظائفهم التي أناطها الله بهم ، والتي من أجلها كانوا خير أمم الأرض قاطبة ، قال تعالى :

«كنتم خير أمة أخرجت للناس».

لماذا كانوا خير أمة.؟

لأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وما داموا يتمتعون بهذه الخيرية فلهم قيادة البشرية بلا منازع ، فإذا فقدوا الخيرية التي وهبها الله لهم فقدوا مقومات القيادة ، استناداً على القاعدة المعروفة : فقد السبب يؤدي إلى فقد المسبب.

فهل هؤلاء يصلحون لقيادة البشرية.؟

ليحتفظ كل منا بالاجابة لنفسه بعض الوقت.؟

تخلف المسلمون عن قيادة البشرية عندما أصبح بأسهم بينهم شديداً ودخلوا في معارك طاحنة مع بعضهم البعض ، معارك بالحق وبالباطل بددت قوتهم وشتتت شملهم وأضرت بالاسلام والمسلمين.

يقول أحد المؤرخين مصوراً ضراوة المعارك التي دارت بين المسلمين في الفترة التالية لتاريخ الصحابة فيقول :

«إنه رأى رأس الحسين - رضي الله عنه - في قلعة الكوفة أمام عبد الله بن زياد وهو ينكت الرأس بقضيب كان في يده.

وما لبث أن قام المختار الثقفي وقاد جيشاً جراراً من المطالبين بثأر الحسين وحاصر جيش عبد الله بن زياد فاستسلم له وقتل عبد الله بن زياد ، وحمل رأسه إلى قلعة الكوفة ووضع أمام المختار الثقفي.

ولم يمض على ذلك وقت طويل حتى كان جيش مصعب بن الزبير ينكل بجيش المختار الثقفي وتجزّ رأسه بعد قتله لتوضع أمام مصعب بن الزبير في قلعة الكوفة أيضاً.

وخشي الأمويين على ملكهم فأرسل عبد الملك بن مروان جيشاً لجباً فحاصر

جيش مصعب بن الزبير وتمكن قائده في النهاية من جز رأس مصعب لتوضع أمام عبد الملك بن مروان في قلعة الكوفة.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد فما لبث أن زحفت الجيوش المجيشة بقيادة أبي مسلم الخراساني لتحطيم الدولة الأموية، وقيام الدولة العباسية.

وتم للجيش المغير ما أراد، وخربت المدن، وأبيد مئات الآلاف من أبناء المسلمين، وشرّد آلاف آخرون.

والحقيقة التي يجب أن يعرفها أبناء المسلمين.. أن الأمر لم يكن تحطيم دولة وقيام دولة أخرى بديلة، وإنما كان الأمر أعمق من ذلك، إنه تخريب لذاتية الأمة الاسلامية كلها وانهزامها من الداخل، وكان نتيجة تحكيم الهوى والغرض، وعدم الاحتكام إلى كتاب الله.

لقد فتحت أبواب بغداد ــ عاصمة الاسلام في ذلك الوقت ــ أمام جحافل التتار والمغول بيد الحزب المناوئ حزب الحاكم في ذلك الوقت.

• وفي مصر العاصمة الثانية للاسلام ــ في ذلك الوقت ــ ارسل الوزير الفاطمي المسلم ــ رسالة إلى الصليبيين ليستعين بهم على حكام مصر.

وفي الأندلس كان حكامها المسلمون يستعينون على بعضهم البعض بمن كان يجاورهم من حكام الفرنجة.

فهل هؤلاء يصلحون أن يكونوا حكاماً للمسلمين فضلاً عن أن تكون لهم القيادة والريادة للبشرية كلها.؟

أرجو أن لا تملوا وليحتفظ كل منا بالاجابة لنفسه بعض الوقت.؟

تخلف المسلمون عن قيادة البشرية عندما بدأت الدعوات الانفصالية تسيطر على الحكام المسلمين من حكام المسلمين، وأصبح الخليفة رمزاً يحكم ولا يملك وتحول العالم الاسلامي الكبير إلى دويلات صغيرة على رأس كل منها ملك هزيل ضعيف، وضاعت دولة الخلافة.؟

عندها سهلت المهمة أمام الذئاب الهائجة لصيد الحملان الوادعة فالتهمت فرنسا الجزائر والمغرب وتونس.

واستولت إيطاليا على ليبيا.

وانقضت انجلترا على مصر والسودان والعراق. وقسمت بقية دول العالم الاسلامي بين بلجيكا وفرنسا وإيطاليا. وتحول القائد إلى مقود والتابع إلى متبوع.

تخلف المسلمون عن قيادة البشرية عندما أصبح الاسلام عند أبنائه اسماً لا رسماً وتحول أتباعه إلى واجهة مزيفة للاسلام.

تخلف المسلمون عن القيادة عندما قطعوا ما بينهم وبين كتاب ربهم من صلات فلم يحكموه في شؤونهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية واستعاضوا عن ذلك بالنظريات المستوردة، نظريات «فرويد» وداروين في الاجتماع وعلم النفس.

و «ماركس» و «انجلز» في السياسة والاقتصاد.

و «جون دوي» و «دور كايم» في التربية والاخلاق، فانقطع ما بينهم وبين مستودع النور فعاشوا في ظلام الجاهلية، يتخبطون ولا يصلون إلى طريق النور. وينهزمون في كل معاركهم، ولا يحققون النصر.

فإن أرادوا العودة إلى سابق عهدهم.

فعليهم أن يحكموا كتاب الله في كل شؤونهم — تعد إليهم قيادة البشرية ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله. والله ينصر من يشاء.

ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين.

المقداد بن الأسود

رَضِيَ اللهُ عَنه

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ
وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا
تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ
كَثِيرَةٞۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ
عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ
خَبِيرٗا ﴾

صدق الله العظيم

[سورة النساء آية ٩٤]

أقوال العلماء في نزول هذه الآية

قال كثير من العلماء والمفسرين وبعض رجال التاريخ نزلت هذه الآية في المقداد بن الأسود

قاله الامام الواحدي في أسباب النزول ١٦٥

وقاله الامام القرطبي في التفسير ٥ : ٣٣٦ — ٣٣٧

وزجح أن يكون أسامه بن زيد وليس المقداد وذكر أن الذي قال المقداد هو السهيلي.

وقاله ابن الجوزي في زاد المسير في علم التفسير ٢ : ١٧٠ — ١٧١

ورواه البزار والطبراني في الكبير والدار قطني في «الأفراد»

فمن هو المقداد بن الأسود..؟

المقداد بن الأسود

رضي الله عنه

هو المقداد بن عمرو بن ثعلبة.

تختلف الآراء وتتضارب في نسبه مرة وفي حياته أخرى.

فهو عبد حبشي للأسود بن عبد يغوث تبناه قبل إسلامه واستلحقه.

وهو المقداد بن الأسود نسب إلى الأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف. لأنه كان تبناه وحالفه في الجاهية.

وهو المقداد بن عمرو بن ثعلبة الكندي.

من العرب الذين اشتهروا بحسن الجوار ونجدة المظلوم والدفاع عن شرف القبيلة وأمجادها.

فالتاريخ في هذا كله لا يرجح رأياً على آخر ولكنه يطرح هذه الآراء جميعاً وكأنها معالم لهذا البطل العملاق المقداد بن الأسود، أو المقداد بن عمرو.

أسلم قديماً عندما سمع الرسول — صلى الله عيه وسلم — واقفاً على الصفا قائلاً: يا صبحاه يا صبحاه..؟

فقالوا: من هذا الذي يهتف..؟

قالوا: محمد.

فقال: يا بني فلان، يا بني عبد المطلب، يا بني عبد مناف فاجتمعوا إليه

فقال: أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج بسفح هذا الجبل، أكنتم مصدقي..؟

قالوا: ما جربنا عليك كذباً.

قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد.

ومن هذا التاريخ أخذ المقداد يتعرف على أخبار الرسول — صلى الله عليه وسلم ويسمع بعض آيات التنزيل واتخذ من بيته مسجداً.

إن المقداد لم يعلن اسلامه، ولم يهاجر إلى أرض الحبشة. ولم يهاجر إلى يثرب وجلس مع صاحبه الأسود بن عبد يغوث وكان يحضر معه جلسات قريش التي كانت تعقدها للتفكير في أمر محمد.

يقول المقداد: إن ناساً من قريش اجتمعوا فيهم أبو جهل، والعاص بن وائل والأسود بن المطلب، والأسود بن عبد يغوث في نفر من مشيخة قريش.

فقال بعضهم لبعض: انطلقوا بنا إلى أبي طالب فنكلمه فيه فلينصفنا منه فيأمره فليكف عن شتم آلهتنا وندعه وإلهه الذي يعبد. فإنا نخاف أن يموت هذا الشيخ فيكون منا شيء فتعيرنا العرب يقولون: تركوه. حتى إذا مات عمه تناولوه.

يقول المقداد: فبعثوا رجلاً منهم يُدعَى المطلب فاستأذن لهم على أبي طالب

فقال: هؤلاء مشيخة قومك وسرواتهم يستأذنون عليك قال: أدخلهم

فلما دخلوا عليه قالوا:

«يا أبا طالب، أنت كبيرنا وسيدنا فانصفنا من ابن أخيك، فمره فليكف عن شتم آلهتنا وندعه وإلهه.

قال المقداد: فبعث إليه أبو طالب.

فلما دخل عليه رسول الله — صلى الله عليه وسلم قال:

يا بن أخي هؤلاء مشيخة قومك وسرواتهم ، وقد سألوك النصف أن تكف عن شتم آلهتهم ويدعوك وإلهك.

قال : أي عم. أولا أدعوهم إلى ما هو خير لهم منها..؟

قال : وإلام تدعوهم.؟

قال : أدعوهم إلى أن يتكلموا بكلمة تدين لهم بها العرب و يملكون بها العجم.

قال المقداد : فقال أبو جهل — من بين القوم — ما هي وأبيك..؟ لنعطينكها وعشراً أمثالها.

قال : تقول لا إله إلا الله.

قال المقداد فنفروا وتفرقوا وقالوا : سلنا غير هذه.

فقال : لو جئتموني بالشمس حتى تضعوها في يدي ما سألتكم غيرها.

قال : فغضبوا وقاموا من عنده غضابى.

وقالوا : والله لنشتمنك وإلهك الذي يأمرك بهذا..؟؟

ونزل قول الله تعالى حاكياً مقالتهم : ﴿وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إنَّ هذا لشيء يراد ، ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق﴾[1].

يقول المقداد فازددت ايماناً بما قاله الرسول — صلى الله عليه وسلم — واحتقاراً لأصنامهم التي تعبد من دون الله. ولكني لم أعلن عن اسلامي.

وهاجر الرسول — صلى الله عليه وسلم — إلى يثرب

وتتابع المسلمون خلفه تاركين خلفهم الأموال والعقار وكل مرتخص وغال فراراً بدينهم إلى الله.

---

(١) سورة ص آية رقم ٦ ـ ٧

ولم يستطع المقداد أن يصبر أكثر من ذلك بعداً عن الرسول — صلى الله عليه وسلم — وجماعة المسلمين وفكر في الهجرة وأعد العدة لذلك وتحالف مع عتبة بن غزوان على ذلك.

وقبل الخروج من مكة سمعا بخروج كوكبة من فرسان قريش يقودهم عكرمة بن جهل لتصيد أخبار المسلمين واكتشاف مواقعهم وانضم الى هذه الكوكبة المقداد بن الأسود ومعه رفيقه عتبة بن غزوان.

وساروا حتى وصلوا إلى مكان بين مكة والمدينة يسمى «ثنية المرة» فلقوا جماعة من المسلمين يقودهم سعد بن أبي وقاص. وما كاد يتراءى هذا الجمع حتى أسرع المقداد ورفيقه بالانضمام إلى جماعة المسلمين. ورأى عكرمة ما حدث فلوى زمام فرسه وأسرع بمجموعته إلى مكة خشية أن يأخذ المسلمون عليهم جوانب الأرض ورمى سعد بن أبي وقاص خلفهم بسهم فكان أول سهم يطلق في سبيل الله.

ومن هذا التاريخ انضم المقداد إلى جيش المسلمين.

انضم إلى الجيش الذي يطهر ساحة الأرض من كل الآلهة المزيفة التي تعبد من دون الله.

انضم إلى كتيبة الرحمن التي تنداح عما قريب في أركان الأرض الأربعة تحمل سيفها لأعداء الله، ودينها وقرآنها لأحبابه.

ولم يطل مكث المقداد بن الأسود كثيراً في المدينة حتى كان يحمل لواء المسلمين في غزوة بدر. وقصة ذلك.

أن رسول الله ﷺ سمع بخروج قريش فاستشار أصحابه وأخبرهم عن قريش.

فقام أبو بكر — رضي الله عنه فقال فأحسن.

ثم قام عمر بن الخطاب — رضي الله عنه فقال فأحسن.

ثم قام المقداد بن الأسود فقال:

«يا رسول الله امض لما أمرك الله فنحن معك والله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى «اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون» ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد — يعني مدينة الحبشة — لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه.

فقال له رسول الله ﷺ خيراً ودعا له بخير.

وتحرك جيش المسلمين إلى بدر

جيش قليل في عدده كثير بإيمانه

وكان المقداد هو الفارس الوحيد في هذا الجيش.

وكان اللقاء، وكان القتال وكان النصر المؤزر والفتح المبين. ووقف رسول الله ﷺ على قتلى بدر يوضعون في القليب.

يقول المقداد: سمعت الرسول — ﷺ يقول:

«يا أهل القليب، بئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم.

كذبتموني وصدقني الناس.

وأخرجتموني وآواني الناس

وقاتلتموني ونصرني الناس.

ثم قال: هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً..؟ فإني وجدت ما وعدني ربي حقاً.

ومرت الأيام وكرت الليالي وقريش لم تنس قتلاها في غزوة بدر لم تنس قريش الهزيمة الماحقة التي منيت بها.

وأخذت تعد العدة وتجهز الكتائب وتُمني المقاتلين. وكانت أحد من المعارك الضارية في تاريخ المسلمين، ثم غزوة الأحزاب التي قال فيها الرسول ﷺ لن تغزوكم قريش بعد اليوم ولكنكم تغزوهم.

وتحقق ما قاله الرسول ﷺ وتم فتح مكة ودخل الناس في دين الله أفواجاً.

ونزل قول الله تعالى: «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً».

ومات الرسول ﷺ وفكر المسلمون في غزو فارس والروم وبدأ المسلمون بأرض فارس وحملوا منها تاج كسرى وكنوزه

إن المقداد بن الأسود لا يجري له ذكرى في كل المعارك التي جرت على أرض فارس أين ذهب هذا البطل المغوار..؟

ماذا حال بينه وبين خوض المعارك..؟

أكان يتعبد بقرآن ربه، أكان يتفقه في أمور دينه..؟

إن التاريخ لا يسجل شيئاً من ذلك ويتجاهل المقداد طوال هذه الفترة فلا يذكره من قريب أو بعيد.

حتى إذا كانت غزوة تبوك وخرج المسلمون إلى أرض الشام ظهر المقداد بن الأسود ظهيراً للقائد خالد بن الوليد أمام جحافل الروم

يقول المقداد: قبل أن يبدأ القتال خرج «جرجة» مقدم جيش الروم من بين الصفوف ونادى ليخرج إليَّ خالد.

فخرج إليه وأقام أبا عبيدة مكانه فوافقه بين الصفين حتى اختلفت أعناق دابتيهما وقد أمّن كلٌّ منهما صاحبه.

فقال جرجة: يا خالد أصدقني ولا تكذبني فإن الحرّ لا يكذب، ولا تخادعني فإن الكريم لا يخادع.

هل أنزل الله على نبيكم سيفاً من السماء فأعطاكه فلا تسله على قوم إلا هزمتهم؟

قال: لا.

قال : فبم سميت سيف الله.. ؟

قال : إن الله عز وجل بعث فينا نبيه ﷺ فدعانا فنفرنا منه ونأينا عنه جميعاً ثم إن بعضنا صدقه وتابعه ، وبعضنا باعده وكذبه ، فكنت فيمن كذبه وباعده وقاتله ، ثم إن الله أخذ بقلوبنا ونواصينا فهدانا به فتابعناه.

فقال : أنت سيف من سيوف الله سله الله على المشركين ، ودعا لي بالنصر فسميت سيف الله بذلك. فأنا من أشد المسلمين على المشركين.

قال : صدقتني.

ثم أعاد عليه جرجة يا خالد : أخبرني إلام تدعوني.. ؟

قال : إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، والإقرار بما جاء به من عند الله.

قال : فمن لم يجبكم.. ؟

قال : الجزية ونمنعهم.

قال : فإن لم يعطها.. ؟قال نؤذنه بحرب ثم نقاتله.

قال : فما منزلة الذي يدخل فيكم ويجيبكم إلى هذا الأمر اليوم.. ؟

قال : منزلتنا واحدة فيما افترض الله علينا شريفنا ووضيعنا ، وأولنا وآخرنا ثم أعاد عليه جرجة :

هل لمن دخل فيكم اليوم يا خالد مثل ما لكم من الأجر والذخر.. ؟

قال : نعم وأفضل.

قال : وكيف يساويكم وقد سبقتموه.. ؟

قال : إنا دخلنا في هذا الأمر وبايعنا نبينا ﷺ وهو حيّ بين أظهرنا ، تأتيه أخبار السماء ويخبرنا بالكتب ويرينا الآيات وحق لمن رأى ما رأينا وسمع ما سمعنا أن يُسلم

ويبايع، وإنكم أنتم لم تروا ما رأينا، ولم تسمعوا ما سمعنا من العجائب والحجج، فمن دخل في هذا الأمر منكم بحقيقة ونية كان أفضل منا.

قال جرجة: بالله لقد صدقتني ولم تخادعني..؟

قال: بالله لقد صدقتك وما بي إليك ولا إلى أحد منكم حاجة . وإن الله لولي ما سألت عنه.

قال: صدقتني وقلب الترس ومال مع خالد.

وقال: علمني الاسلام.

فمال به خالد إلى فسطاطه فشن عليه قربة من ماء، ثم صلى ركعتين.

يقول المقداد: وحملت الروم مع انقلابه إلى خالد وهم يرون أنها منه حملة فأزالوا المسلمين عن مواقفهم.

وخرج خالد وبجواره «جرجة» ونادوا في المسلمين وحملوا عليهم حملة رجل واحد فكانت الهزيمة وركب المسلمون أكتافهم يقتلون ويأسرون ففروا إلى الواقصة فاتبعهم خالد بجنوده يقول بعض الرواة فتهافت في الواقصة عشرون ومائة ألف. ثمانون وألف مقترن وأربعون ألف مطلق. سوى من قتل في المعركة.

أما «جرجة» فقاتل في صفوف المسلمين قتالاً يشيب الولدان وكان يقتحم صفوف الروم اقتحام من لا يخاف الموت فأصابه سهم طائش فقضى عليه.

يقول المقداد: فكفن في ثيابه وصلي عليه.

وأزيلت القلاع من أرض الشام وأصبحت تلك البلاد خاضعة للمسلمين ويعلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالنصر المؤزر الذي أحرزه المسلمون فيذهب إليهم في منطقة يقال لها الجابية واجتمع بالمسلمين وقادتهم فوعظهم وذكرهم أن النصر من عند الله ولن يكون نصر إلا مع طاعة الله ورضوانه.

فقام إليه عمرو بن العاص فخلا به.

وقال : يا أمير المؤمنين، ائذن لي أن أسير إلى مصر وحرِّضه عليها.

وقال : إنك إن فتحتها كانت قوة للمسلمين وعوناً لهم، وهي أكثر الأرض أموالاً وأعجزهم عن القتال والحرب.

فتخوف عمر بن الخطاب على المسلمين، وكره ذلك فلم يزل عمرو يعظم أمرها عند عمر، ويخبره بحالها، ويهون عليه فتحها حتى ركن لذلك عمر، فعقد له على أربعة آلاف رجل.

وسار عمرو بن العاص بجنوده إلى مصر، ولكنه وجد قوة ووجد حصناً يسمى حصن بابليون فحاصرهم حيناً وقاتلهم قتالاً شديداً يصبحهم ويمسيهم فلما أبطأ عليه الفتح كتب إلى عمر بن الخطاب يستمده فأمده بأربعة آلاف رجل، على كل ألف رجل منهم رجل وكتب إليه :

«إني قد أمددتك بأربعة آلاف رجل على كل ألف رجل منهم رجل مقام الألف.

الزبير بن العوام.

والمقداد بن الأسود.

وعبادة بن الصامت.

ومسلمة بن مخلد.

فلما رأى المقوقس المدد الذي جاء إلى عمرو أرسل إليه رسلاً قائلاً له :

«أرسلوا إلينا رجالاً منكم نسمع من كلامهم، فلعله أن يأتي الأمر فيما بيننا وبينكم على ما تحبون ونحب، وينقطع عنا وعنكم هذا القتال.

فلما أتت عمرو بن العاص رسل المقوقس حبسهم عنده يومين وليلتين حتى خاف عليهم المقوقس. وإنما أراد عمرو بذلك أن يروا حال المسلمين.

ثم رد عليهم عمرو مع رسله :

«إنه ليس بيني وبينك إلا إحدى ثلاث خصال :

الدخول إلى الاسلام فكنتم إخواننا وكان لكم ما لنا .

الجزية : إن أبيتم تعطوها عن يد وأنتم صاغرون .

أو الجهاد حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين .

فلما جاءت رسل المقوقس إليه .قال : كيف رأيتموهم .. ؟

قالوا : رأينا قوماً الموت أحب إليهم من الحياة ، والتواضع أحب إليهم من الرفعة ، ليس لأحدهم في الدنيا رغبة ولا نهمة ، وإنما جلوسهم على التراب وأكلهم على رُكبهم ، وأميرهم كواحد منهم ، ما يعرف رفيعهم من وضيعهم ولا السيد فيهم من العبد ، وإذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها منهم أحد يغسلون أطرافهم بالماء ، ويخشعون في صلاتهم .

فقال المقوقس :

«والذي يحلف به ، لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها ولا يقوى على قتال هؤلاء أحد ، ولئن لم نغتنم صلحهم اليوم وهم محصورون بهذا النيل لم يجيبونا بعد اليوم إذا أمكنتهم الأرض وقووا على الخروج من موضعهم .

ثم إن المقوقس رد عليهم رسله وقال :

«ابعثوا إلينا رسلاً منكم نعاملهم ونتداعى نحن وهم إلى ما عسى أن يكون فيه صلاح لنا ولكم» .

يقول المقداد : فأُرسلنا إلى المقوقس وكنا عشرة من صحابة الرسول ﷺ أحدنا عبادة بن الصامت وأمر عمرو أن يكون المتكلم بلساننا عبادة وألا نجيبهم إلى شيء دعونا إليه إلا إحدى هذه الثلاث الخصال .

يقول المقداد : وكان عبادة أسود طوله عشرة أشبار فلما ركبنا السفن إلى المقوقس ، ودخلنا عليه تقدم عبادة . فهابه المقوقس لسواده فقال :

«نَحُّوا عني هذا الأسود وقدّموا غيره يكلمني». فقلت: إن هذا الأسود أفضلنا رأياً وعلماً، وهو سيدنا وخيرنا والمقدّم علينا. وإنا نرجع جميعاً إلى قوله، وقد أمّره الأمير علينا.

فقال المقوقس لعبادة: تقدم يا أسود، وكلمني برفق، فإني أهاب سوادك وإن اشتد عليَّ كلامك ازددت لك هيبة.

فتقدم إليه عبادة فقال:

«لقد سمعت مقالتك وإن فيمن خلّفت من أصحابي ألف رجل أسود كلهم أشد سواداً مني وأفظع منظراً، ولو رأيتهم لكنت أهيب لهم منك لي. وأنا قد وليت وأدبر شبابي وإني مع ذلك بحمد الله ما أهاب مائة رجل من عدوي لو استقبلوني جميعاً، وكذلك أصحابي، وذلك إنما رغبتنا وبغيتنا الجهاد في الله تعالى، واتباع رضوان الله.

وليس غزونا عدونا ممن حارب الله لرغبة في الدنيا، ولا طلباً للاستكثار منها، إلا أن الله قد أحل ذلك لنا، وجعل ما غنمنا من ذلك حلالاً وما يبالي أحدنا: أكان له قنطارٌ من ذهب، أم كان لا يملك إلا درهماً لأن غاية أحدنا من الدنيا أكلة يأكلها، يسد بها جوعته، وشملة يلتحفها، فإن كان أحدنا لا يملك إلا ذلك كفاه. وإن كان له قنطار من ذهب أنفقه في طاعة الله، واقتصر على هذا الذي بيده، لأن نعيم الدنيا ورخاءها ليس برخاء، إنما النعيم والرخاء في الآخرة، وبذلك أمرنا ربنا، وأمر به نبينا، وعهد إلينا ألا تكون همة أحدنا من الدنيا إلا فيما يمسك جوعته، ويستر عورته، وتكون همته وشغله في رضا ربه وجهاد عدوه.

فلما سمع المقوقس ذلك منه قال لمن حوله:

«هل سمعتم مثل كلام هذا الرجل قط؟ لقد هبت منظره، وإن قوله لأهيب عندي من منظره.

إن هذا وأصحابه أخرجهم الله لخراب الأرض، وما أظن ملكهم إلا سيغلب على الأرض كلها.

ثم أقبل المقوقس على عبادة فقال :

«أيها الرجل قد سمعت مقالتك ، وما ذكرت عنك وعن أصحابك ولعمري ما بلغتم ما بلغتم إلا بما ذكرت ، ولا ظهرتم على من ظهرتم عليه إلا لحبهم الدنيا ورغبتهم فيها ، وقد توجّه إلينا لقتالكم من جميع الروم مما لا يُحصى عدده قوم معروفون بالنجدة والشدة ، ممن لا يبالي أحدهم من لقي ، ولا من قاتل ، وإنا لنعلم أنكم لن تقووا عليهم ، ولن تطيقوهم لضعفكم وقلتكم ، وقد أقمتم بين أظهرنا أشهراً وأنتم في ضيق وشدة من معاشكم وحالكم ، ونحن نرق عليكم لضعفكم وقلتكم وقلة ما بيديكم ، ونحن تطيب نفوسنا أن نصالحكم على أن نفرض لكل رجل منكم دينارين دينارين ، ولأميركم ألف دينار فتقبضونها وتنصرفون إلى بلادكم قبل أن يغشاكم ما لا قوة لكم به .

فقال عبادة :

«يا هذا لا تغرن نفسك ولا أصحابك أما ما تخوفنا به من جمع الروم وعددهم وكثرتهم ، وأنا لا نقوى عليهم ، فلعمري ما هذا بالذي تخوفنا به ، ولا بالذي يكسرنا عما نحن فيه ، إن كان ما قلتم حقاً فذلك والله أرغب ما يكون في قتالهم ، وأشد حرصاً عليهم ، لأن ذلك أعذر لنا عند ربنا إذا قدمنا عليه ، وإن قتلنا من آخرنا كان أمكن لنا في رضوانه وجنته ، وما من شيء أقرّ لأعيننا ، ولا أحب إلينا من ذلك ، وإنا منكم على إحدى الحسنيين إما أن تعظم لنا بذلك غنيمة الدنيا إن ظفرنا بكم.

أو غنيمة الآخرة إن ظفرتم بنا.

وإنها لأحب الخصلتين إلينا بعد الاجتهاد منا ، وإن الله تعالى قال لنا في كتابه :

«كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين » .

وما منا رجل إلا وهو يدعو ربه صباحاً ومساء أن يرزقه الشهادة ، وألا يرده إلى بلده ، ولا إلى أهله وولده .

وليس لأحد منا هم فيا خلفه ، وقد استودع كل واحد منا ربه أهله وولده وإنما همنا ما أمامنا.

وأما قولك إنا في ضيق وشدة من معاشنا وحالنا فنحن في أوسع السعة لو كانت الدنيا كلها لنا ، ما أردنا لأنفسنا أكثر مما نحن فيه ، فانظر الذي تريد فبينه لنا ، فليس بيننا وبينكم خصلة نقبلها منكم ، ولا نجيبكم إليها إلا خصلة من ثلاث ، فاختر أيها شئت ، ولا تطمع نفسك في الباطل.

بذلك أمرني الأمير.

وبها أمره أمير المؤمنين.

فهو عهد رسول الله ﷺ من قبْلُ إلينا.

أما إن أجبتم إلى الإسلام الذي هو الدين الذي لا يقبل الله غيره ، وهو دين أنبيائه ورسله وملائكته ، أمرنا الله أن نقاتل من خالفه ورغب عنه حتى يدخل فيه.

فإن فعل كان له ما لنا وعليه ما علينا ، وكان أخانا في الدين ، فإن قبلت ذلك أنت وأصحابك ، فقد سعدتم في الدنيا والآخرة ، ورجعنا عن قتالكم ، ولا نستحل أذاكم ، ولا التعرض لكم

وإن أبيتم إلا الجزية ، فأدوا إلينا الجزية عن يدٍ وأنتم صاغرون ، نعاملكم على شيئ نرضى به نحن وأنتم في كل عام أبداً ما بقينا وبقيتم ، ونقاتل عنكم من ناوأكم وعرض لكم في شيء من أرضكم ، ودمائكم ، وأموالكم ، ونقوم بذلك عنكم ، إذ كنتم في ذمتنا وكان لكم به عهد الله علينا.

وإن أبيتم فليس بيننا وبينكم إلا المحاكمة بالسيف حتى نموت من آخرنا أو نصيب ما نريد منكم ، هذا ديننا الذي ندين الله به ، ولا يجوز لنا فيما بيننا وبينه غيره ، فانظروا لأنفسكم.

فقال المقوقس : هذا مما لا يكون أبداً ، ما تريدون إلا أن تأخذونا عبيداً ما كانت الدنيا.

فقال عبادة : هو ذاك فاختر ما شئت.

قال المقوقس : أفلا تجيبونا إلى خصلة غير هذه الخصال الثلاث . ؟

فرفع عبادة يديه وقال :

«لا ورب السماء ، ورب هذه الأرض ، ورب كل شيء ما لكم عندنا خصلة غيرها فاختاروا لأنفسكم.

فالتفت المقوقس لأصحابه فقال :

«قد فرغ القول فما ترون..؟فقالوا : أو يرضى أحد بهذا الذل..؟

أما ما أرادوا من دخولنا في دينهم . فهذا لا يكون أبداً ، ولا نترك دين المسيح بن مريم ، وندخل في دين لا نعرفه.

وأما ما أرادوا من أن يسبُونا ويجعلونا عبيداً لهم أبداً فالموت أيسر من ذلك.

فقال المقوقس لعبادة : قد أبى القوم فما ترى..؟

فقام عبادة وأصحابه . فقال المقوقس لمن حوله عند ذلك :

«أطيعوني وأجيبوا القوم إلى خصلة من هذه الثلاث ، فوالله ما لكم بهم طاقة.. وإن لم تجيبوا إليها طائعين لتجيبنهم إلى ما هو أعظم منها كارهين»..

فقالوا : أي خصلة نجيبهم إليها..؟

قال : إذاً أخبركم.. أما دخولكم في غير دينكم فلا آمركم به.

وأما قتالهم فأنا أعلم أنكم لن تقدروا عليهم ، ولن تصبروا صبرهم ، ولا بدّ من الثالثة.

قالوا : فنكون لهم عبيداً أبداً..؟

قال : نعم تكونون عبيداً مسلطين في بلادكم ، آمنين على أنفسكم وأموالكم وذراريكم خير لكم من أن تموتوا عن آخركم وتكونوا عبيداً ، وتباعوا وتمزقوا في البلاد مستعبدين أبداً ، أنتم وذراريكم.

قالوا : فالموت أهون علينا.

يقول المقداد : وخرجنا إلى ساحة القتال وتلاقى الجمعان في قتال هنا وقتال هناك وفروا كما تفر الحرذان إلى جحورها فلما رأى المقوقس ورؤساؤهم ما حل بهم أذعنوا لأخذ الجزية منهم وقبول ما أملاه المسلمون عليهم من شروط ، تم بناء الفسطاط ومسجد عمرو بن العاص . وارتفع صوت الله أكبر يجلجل في ربوع الوادي وتنادى الجميع بكلمة التوحيد وعاشوا جميعاً تحت سماحة الاسلام وضوء الايمان.

وعاد المقداد إلى المدينة ليكون بجوار الخليفة عمر بن الخطاب — رضي الله عنه الذي كان يحرص على أن يكون صحابة الرسول ﷺ بجواره في ساحة الحكم يستشيرهم في القليل والجليل ويستعين برأيهم في معضلات الأمور وحل مشاكل المسلمين.

وفي يوم ليس كمثله يوم وجماعة المسلمين يؤدون صلاة الفجر خلف أمير المؤمنين عمر بن الخطاب تقدمت إليه يد الحقد ممثلة في أحد أبناء المجوس وطعنه طعنة قاتلة. وتأكد المسلمون أن عمر آتيه أجله في هذه الطعنة.

فتقدم المقداد إليه قائلاً : يا أمير المؤمنين لو استخلفت.

قال : من استخلف.. ؟ لو كان أبو عبيدة بن الجراح حياً استخلفته ، فإن سألني ربي قلت : سمعت نبيك يقول :

« فإنه أمين هذه الأمة »

ولو كان سالم مولى أبي حذيفة حياً استخلفته فإن سألني ربي قلت : سمعت نبيك ﷺ يقول :

« إن سالماً شديد الحب لله »

فقال له رجل : أدلك عليه.. ؟

قال : من.. ؟

قال : عبد الله بن عمر.

فقال : قاتلك الله والله ما أردت الله بهذا . ويحك كيف أستخلف رجلاً عجز عن طلاق امرأته.. ؟ ثم تابع عمر حديثه قائلاً : لا ارب لنا في أموركم ما حمدتها فأرغب فيها لأحد من أهل بيتي ، إن كان خيراً فقد أصبنا منه وإن كان شراً فشر عنا آل عمر ، بحسب آل عمر أنه يحاسب منهم رجل واحد . ويسأل عن أمر أمة محمد.

ثم خرجوا من عنده وعاد إليه المقداد فقال :

«يا أمير المؤمنين لو عهدت عهداً.. ؟

فقال : قد كنت أجمعت بعد مقالتي لكم أن أنظر فأولي رجلاً أمركم هو أحراكم أن يحملكم على الحق ــ وأشار إلى علي ــ رضي الله عنه ــ ورهقتني غشية فرأيت رجلاً دخل جنة قد غرسها فجعل يقطف كل غضة ويانعة فيضمه إليه ويصيره تحته ، فعلمت أن الله غالب أمره ، ومتوف عمر ، فما أريد أن أتحملها حياً وميتاً عليكم هؤلاء الرهط الذين قال رسول الله ﷺ :

«إنهم من أهل الجنة»

سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل منهم ولست مدخله ولكن الستة.

علي بن أبي طالب

وعثمان بن عفان.

وعبد الرحمن بن عوف

وسعد بن أبي وقاص خال رسول الله ﷺ.

والزبير بن العوام حواري رسول الله ﷺ وابن عمته.

وطلحة الخير بن عبيد الله.

فليختاروا منهم رجلاً . فإذا ولّوا والياً فأحسنوا مؤازرته وأعينوه ، إن ائتمن أحداً منكم فليؤد إليه أمانته ، وخرجوا .

فلما أصبح عمر : دعا علياً ، وعثمان وسعداً ، وعبد الرحمن بن عوف ، والزبير ابن العوام : فقال :

« إني نظرت فوجدتكم رؤساء الناس وقادتهم ، ولا يكون هذا الأمر إلا فيكم وقد قبض رسول الله ﷺ وهوعنكم راض ، إني لا أخاف الناس عليكم إن استقمتم ، ولكني أخاف عليكم اختلافكم فيما بينكم ، فيختلف الناس . فانهضوا إلى حجرة عائشة بإذن منها فتشاوروا واختاروا رجلاً منكم .

ثم قال : لا تدخلوا حجرة عائشة ، ولكن كونوا قريباً

يقول المقداد :

« وضع رأسه وقد نزفه الدم ، فدخلوا فتناجوا ثم ارتفعت أصواتهم .

فقال عبد الله بن عمر : سبحان الله إن أمير المؤمنين لم يمت بعد .

فعادوا عليه . فقال عمر : ألا اعرضوا عن هذا أجمعين . فإذا مت فتشاوروا ثلاثة أيام وليصل بالناس صهيب .

ولا يأتين اليوم الرابع إلا وعليكم أمير منكم ، ويحضر عبد الله بن عمر مشيراً ولا شيء له من الأمر ، وطلحة شريككم في الأمر ، فإن قدم في الأيام الثلاثة فأحضروه أمركم ، وإن مضت الأيام الثلاثة قبل قدومه فاقضوا أمركم ، ومن لي بطلحة . . ؟

فقال سعد بن أبي وقاص :

« أنا لك به ولا يخالف إن شاء الله »

فقال عمر : أرجو ألا يخالف إن شاء الله ، وما أظن أن يلي إلا أحد هذين الرجلين : علي أو عثمان .

فإن ولي عثمان فرجل فيه لين .

وإن ولي علي ففيه دعابة ، وأحر به أن يحملهم على طريق الحق.

وإن تولوا سعداً فأهلها هو ، وإلا فليستعن به الوالي ، فإني لم أعزله عن خيانة ولا ضعف.

ونعم ذو الرأي عبد الرحمن بن عوف ، مسدد رشيد ، له من الله حافظ فاسمعوا منه . ؟؟

ثم قال عمر للمقداد بن الأسود :

«إذا وضعتموني في حفرتي فاجمع هؤلاء الرهط في بيت حتى يختاروا رجلاً منهم وقال لصهيب : صلّ بالناس ثلاثة أيام ، وأدخل علياً وعثمان والزبير وسعداً وعبد الرحمن بن عوف ، وطلحة إن قدم ، وأحضر عبد الله بن عمر ولا شيء له من الأمر ، وقم على رؤوسهم. فإن اجتمع خمسة ورضوا رجلاً وأبى واحد فاشدخ رأسه ، وإن اتفق أربعة فرضوا رجلاً منهم وأبى اثنان فاضرب رؤسهما فإن رضي ثلاثة رجلاً منهم وثلاثة رجلاً منهم. فإن لم يرضوا يحكم عبد الله بن عمر فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف.

ومات عمر بن الخطاب — رضي الله عنه. وتم دفنه.

فجمع المقداد أهل الشورى في بيت المسور بن مخرمة.

ويقال في بيت المال.

ويقال في حجرة عائشة — رضي الله عنها — بإذنها وهم خمسة : معهم ابن عمر وطلحة غائب.

وجاء عمرو بن العاص ، والمغيرة بن شعبة فجلسا بالباب ، فحصبهما المقداد وأقامهما. وقال :

«تريدان أن تقولا : حضرنا وكنا في أهل الشورى.

ثم ماذا..؟ تم اختيار عثمان — رضي الله عنه.

فقال المقداد : ما رأيت مثل ما أوتي إلى أهل هذا البيت بعد نبيهم ، إني لأعجب من قريش أنهم تركوا رجلاً ما أقول إن أحداً أعلم ولا أقضى منه بالعدل ، أما والله لو أجد عليه أعواناً .. ؟؟

فقال عبد الرحمن بن عوف : يا مقداد : اتق الله فإني أخاف عليك الفتنة »

وقال رجل آخر للمقداد : رحمك الله من أهل هذا البيت .. ؟ ومن هذا الرجل ؟

قال : أهل البيت بنو عبد المطلب .

والرجل : علي بن أبي طالب

فقال علي : إن الناس ينظرون إلى قريش ، وقريش تنظر إلى بيتها فتقول : « إن ولي عليكم بنو هاشم لم تخرج منهم أبداً ، وما كانت في غيرهم من قريش تداولتموها بينكم .

ثم ماذا .. ؟ هل اعتزل المقداد .. ؟ هل لزم بيته فلم يبرحه .. ؟

هل شارك معاوية فتح قبرص وركب البحر .. ؟

أم أنه اقتنع بما قاله عمر بأنه لا يسمح لمسلم بركوبه في حياته وأخذ يكرر على مسامع عمر وصف البحر كما قاله عمرو بن العاص — رضي الله عنه

« هو خلق كبير يركبه خلق صغير .

إن ركن خرق القلوب

وإن تحرك أزاغ العقول »

يزداد فيه اليقين قلة ، والشك كثرة » .

هم فيه كدود على عود .

إن مال غرق » .

وإن نجا برق » .

الواقع أن التاريخ لا يتابع الرجل كثيراً بعد مجلس الشورى الذي طلب منه عمر — رضي الله عنه — أن يقوم عليه.

اعتزل المقداد الذي قال فيه الرسول ﷺ إنه لم يكن نبي إلا أعطى سبعة نجباء ووزراء ورفقاء. وإني أعطيت أربعة عشر.

حمزة، وجعفر، وأبو بكر، وعمر، وعلي، والحسن، والحسين. وعبد الله بن مسعود، وسلمان، وعمار، وحذيفة، والمقداد، وبلال. اعتزل المقداد الذي يقول عنه عبد الله بن مسعود:

«لقد شهدت من المقداد مشهداً لأن أكون صاحبه أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس، وذلك أنه أتى النبي ﷺ وهو يذكر المشركين فقال: يا رسول الله، إنا والله لا نقول لك كما قال أصحاب موسى لموسى، اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون

ولكننا نقاتل من بين يديك، ومن خلفك، وعن يمينك وعن شمالك..»

قال: «فرأيت رسول الله ﷺ يشرق وجهه لذلك وسره وأعجبه».

اعتزل المقداد الذي قال عنه الرسول ﷺ.

«إن الله عز وجل أمرني بحب أربعة من أصحابي، وأخبرني أنه يحبهم.

فقيل يا رسول الله من هم..؟

قال: علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

والمقداد بن الأسود القائد المحنك.

وسلمان الفارس جواب الآفاق

وأبو ذر — رضي الله عنه — والذي قال عنه «ما أظلت الخضراء، ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر».

ثم ماذا..؟عاد المقداد إلى مصر بدعوة من عمرو بن العاص — رضي الله

عنه — فعاش فيها فترة — ثم وفاه أجله — رضي الله عنه — وكان موته في أرض الجرف ، فحمل إلى المدينة ودفن بها — وصلى عليه عثمان بن عفان رضي الله عنهم أجمعين — وجعل الجنة مثواهم ومقرهم لما قدموه من خير للإسلام والمسلمين.

أسباب نزول الآيات

أخبرنا أبو إبراهيم إسماعيل بن إبراهيم الواعظ ، قال : أخبرنا أبو الحسين محمد ابن أحمد بن حامد ، قال : أخبرنا أحمد بن الحسين بن عبد الجبار ، قال : حدثنا محمد بن عباد ، قال : حدثنا سفيان ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، قال : لحق المسلمون رجلاً في غنيمة له ، فقال : السلام عليكم ، فقتلوه وأخذوا غنيمته فنزلت هذه الآية

﴿ ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدنيا ﴾ [أي] تلك الغنيمة. رواه البخاري عن علي بن عبد الله ورواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة ؛ كلاهما عن سفيان.

وأخبرنا إسماعيل ، قال : أخبرنا أبو عمرو بن نجيد ، قال : حدثنا سعد بن الحسن ابن الخليل ، قال : حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال :

مرّ رجل من سليم على نفر من أصحاب رسول الله ﷺ ومعه غنم [له] فسلم عليهم ، فقالوا : ما مسلم عليكم إلا ليستعوذ منكم ، فقاموا إليه فقتلوه ، وأخذوا غنمه ، وأتوا بها رسول الله ﷺ . فأنزل الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ﴾.

أخبرنا أبو بكر الأصفهاني ، قال : أخبرنا أبو الشيخ الحافظ ، قال : أخبرنا

أبو يحي الرازي، قال: حدثنا سهل بن عثمان، قال: حدثنا وكيع عن سفيان، عن حبيب بن أبي عمرة، عن سعيد بن جبير، قال: خرج المقداد ابن الأسود في سرية، فمروا برجل في غنيمة له فأرادوا قتله، فقال: لا إله إلا الله، فقتله المقداد، فقيل له: أقتلته وقد قال: لا إله إلا الله؟ ود لو فر بأهله وماله. فلما قدموا على رسول الله ﷺ، ذكروا ذلك له، فنزلت: (يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا).

وقال الحسن: إن أصحاب النبي عليه السلام خرجوا يطوفون فلقوا المشركين فهزموهم، فشدّ منهم رجل فتبعه رجل من المسلمين وأراد متاعه، فلما غشيه بالسنان قال: إني مسلم، إني مسلم. فكذبه ثم أوجره بالسنان فقتله ـ وأخذ متاعه وكان قليلاً، فرفع ذلك إلى رسول الله ﷺ، فقال: قتلته بعد ما زعم أنه مسلم؟ فقال: يا رسول الله، إنما قالها متعوذاً. قال: فهلا شققت عن قلبه! [قال: لمَ يا رسول الله؟ قال] : لتنظر أصادق هو أم كاذب؟ قال: وكنت أعلم ذلك يا رسول الله؟ قال: ويلك إنك [إن] لم تكن تعلم ذلك، إنما كان يبين [عنه] لسانه. فما لبث القاتل أن مات فدفن، فأصبح وقد وضع إلى جانب قبره. قال: ثم عادوا فحفروا له وأمكنوا ودفنوه، فأصبح وقد وضع إلى جنب قبره مرتين أو ثلاثاً. فلما رأوا أن الأرض لا تقبله ألقوه في بعض تلك الشعاب.

قال: وأنزل الله تعالى هذه الآية.

قال الحسن: إن الأرض تجن من هو شر منه، ولكن وعظ القوم أن لا يعودوا.

أخبرنا أبو نصر بن محمد المزكى، قال: أخبرنا عبيد الله بن محمد بن بطة، قال: أخبرنا أبو القاسم البغوي، قال: حدثنا سعيد بن يحي الأسدي، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا محمد بن إسحاق عن يزيد بن عبد الله بن قسيط، عن القعقاع بن عبد الله بن أبي حدود، عن أبيه، قال: بعثنا رسول الله ﷺ في سرية إلى إضم، قبل مخرجه إلى مكة، قال: فمر بنا عامر الأضبط الأشجعي، فحيانا

تحية الإسلام فنزعنا عنه ، وحمل عليه مسلم بن جثامة ، لشر كان بينه وبينه في الجاهلية ، فقتله واستلب بعيراً له ووطاء ومتيعاً كان له . قال : فأنهينا شأننا إلى رسول الله ﷺ ، فأخبرناه بخبره ، فأنزل الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذ ضربتم في سبيل الله فتبيّنوا ﴾ إلى آخر الآية .

وقال السدي : بعث رسول الله ﷺ ، أسامة بن زيد على سريه ، فلقي مزداس بن نهيك الصخري فقتله ، وكان من أهل « فدك » ولم يسلم من قومه غيره ، وكان يقول : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ويسلم عليهم . قال أسامه : فلما قدمت على رسول الله ﷺ ، أخبرته فقال : قتلت رجلاً يقول : لا إله إلا الله؟ فقلت : يا رسول الله إنما تعوذ من القتل . فقال : كيف أنت إذا خاصمك يوم القيامة بلا إله إلا الله ، قال : فما زال يرددها علي : أقتلت رجلاً يقول : لا إله إلا الله؟ حتى تمنيت لو أن إسلامي كان يومئذ ، فنزلت : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ﴾ الآية . ونحو هذا قال الكلبي وقتادة . [و] يدل على صحة الحديث الذي أخبرناه أبو بكر محمد بن الفارسي ، قال : أخبرنا محمد بن عيسى بن عمرويه قال حدثنا إبراهيم بن سفيان ، قال : حدثنا مسلم قال : حدثني يعقوب الدورقي ، قال : حدثنا هشيم ، قال أخبرنا [ابن] حصين ، قال : حدثنا أبو ظبيان ، قال سمعت أسامة بن زيد بن حارثة يحدث ، قال :

بعثنا النبي ﷺ إلى الحرقة من جهينة فصبحنا القوم فهزمناهم . قال : فلحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم ، فلما غشيناه قال : لا إله إلا الله . قال : فكفّ عنه الأنصاري فطعنته برمحي فقتلته فلما قدمنا بلغ ذلك النبي عليه السلام فقال : يا أسامة ، أقتلته بعدما قال : لا إله إلا الله؟ . قلت : يا رسول الله ، إنما كان متعوذاً . قال : أقتلته بعدما قال : لا إله إلا الله؟ قال : فما زال يكررها علي حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم .

تذييل . . .

سؤال يحير الفطن اللبيب ، ويقض مضجع المؤمن الغيور ، ويلفه بضباب قاتل.

هذا السؤال : لماذا تنتقص رقعة أرض المسلمين في هذا العصر بالذات ولا تزيد كما كانت عند ظهور الاسلام..؟

لماذا تتفلت من بين أيديهم بلادهم واحدة تلو الأخرى..؟

أيحدث ذلك لأن المسلمين في عصرنا هذا قلة قليلة لا ترد كيداً ولا تمنع غارة ، من أجل هذا غلبوا على أمرهم..؟

أم أن الدنيا بزخارفها قد استولت عليهم ، وحالت بينهم وبين رسالتهم ، فجعلوا كتاب ربهم وراءهم ظهرياً..؟

إن التاريخ يشهد أن انتصارات المسلمين دائماً لم تكن بسبب الكثرة أو القلة ، لم تكن بالعدد أو العدة ، وإنما كان النصر دائماً — بعد اتخاذ أسبابه — من عند الله الذي بيده الحياة والموت . والنصر والهزيمة . ما داموا ملتزمين بكتابه وتابعين لهديه ودينه .

بالأمس البعيد ضاعت دولة الأندلس . وطرد المسلمون منها شر طردة ضاعت بلاد الأندلس ، درة البلاد الاسلامية .

بلاد الأندلس : التي صنعت الحضارة على أرضها وقننت العلوم والمعارف ومنها خرجت إلى أوروبا لتنقلها بأسرها من همجية العصور الوسطى إلى عصر الاختراع والإبداع .

كيف تم هذا..؟ وما الذي أصاب المسلمين..؟ فأضعف قوتهم . حتى هزموا في تلك البلاد .

لقد بقيت هزيمة المسلمين في بلاد الأندلس سراً مكتوماً لا يتدارسه قادة المسلمين أو يتعرف عليه جنودهم .

وكان يمكن أن يتخذ من هزيمتهم على ظهر تلك البلاد ، وضياع هذه الرقعة الغالية درساً ينبههم إلى الخطر الذي يحيط بهم فيعدوا عدتهم ويعودوا إلى بارئهم. ولكن لم يحدث شيئ من ذلك لأن العلة كانت قاتلة ، والداء الذي أصيب به المسلمون كان مميتاً ، فلفهم ظلام الهزيمة وغشيتهم سكرة الموت.

حتى كانت القارعة الثانية ، قارعة اغتصاب فلسطين ، وطرد أهلها من ديارهم وتحول أبناء العرب في دولة ثانية إلى مجموعة من اللاجئين ، لا أهل لهم يحدبون عليهم ، ولا وطن يجمعهم.

ثم ماذا..؟ صار المسلمون كاللقى المهمل ، تلفظهم كل أرض ، وينفر منهم كل حاكم ، وتتجاذبهم تيارات اليسار أملاً في الحصول على السلاح ، وتتشدّهم أرصدة اليمين أملاً في التبرع بالمال.

ضاعت فلسطين وقدمها أبناء العرب إلى عصابة الشر والمكر والدهاء رخيصة بلا ثمن ، سهلة بغير مقاومة أو حرب ، مفتحة الأبواب لشذاذ الآفاق ، ومصاعي الدماء ، وتجار الذهب وقتلة الأنبياء.

لو كان في الأمة الإسلامية أمثال المقداد بن الأسود لكان لهم جولة مع هؤلاء يستردون بها الأندلس ويعيدون بها فلسطين.

أين في أمة الاسلام الجديدة طارق بن زياد

أين في هذه الأمة التي قال الله عنها — كنتم خير أمة أخرجت للناس — أمثال عقبة بن نافع وعبيدة بن الجراح.

أين خالد بن الوليد الجديد الذي أخرجته مدرسة القرآن..؟

أين عمرو بن العاص قاهر الروم على أرض مصر..؟

أين العمالقة الصيد الذين رفعوا راية الاسلام عالية..؟

لماذا لم نلمحهم على الافق مقبلين..؟

يا أمة الاسلام.. يا دولة القرآن عودوا إلى ربكم وتدارسوا قرآنه تدين لكم الدنيا وتستقبلكم غزاة فاتحين من كل أقطارها..

إمرؤ القيس بن عابس

رَضِيَ اللّٰهُ عَنه

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى :

﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

صدق الله العظيم

[سورة البقرة آية رقم ١٨٨]

أقوال العلماء في نزول الآيات

قال كثير من العلماء والمفسرين ورجال السير نزلت هذه الآية في امرئ القيس ابن عابس.

قاله الامام السيوطي في أسباب النزول على هامش المصحف ٧١.

وقاله ابن الجوزي في تفسيره زاد المسير

وقاله الامام القرطبي في تفسيره ٢ : ٣٣٧

وقاله الامام الواحدي في أسباب النزول ٤٧

وقاله السيوطي في الدر المنثور ١ : ٢٠٣

فمن هو امرؤ القيس هذا..؟

امرؤ القيس
رضي الله عنه

هو امرؤ القيس بن عابس الكندي الشاعر.

من الأرض الخضراء ، ومن السهول المنبسطة ، ومن الأعاريب الصيد الذين أقاموا سد مأرب.

ولقد كان لهذا السد الأثر الكبير في تحويل اليمن الجميلة إلى حديقة كبيرة كثيرة الثمار غنية بالغلال ، فواحة بالأريج ، ينتشر في سهولها ووديانها الزهور والورود.

عاش امرؤ القيس تستمع أذناه لخرير المياه ، وتنعم عيناه بالخضرة الجميلة التي تكسو الأراضي والجبال.

تفتحت قريحته على الشعر والشعراء يتغنون به عندما تتفتح قلوبهم للحب ، وينشدونه في الليالي المقمرة يتذكرون الغائب المسافر والظاعن الذي طالت غيبته.

ويرسلونه شواظاً من نار وقنابل تصيب الأعداء وسلاحاً فتاكاً يهز الأعداء ويقضي على مقاومتهم ، ويلهب حماسة المسلمين فيقتحمون الوغى غير مبالين بالموت.

وسط هذا كله عاش امرؤ القيس — فتعلم الكثير ، ووعت ذاكرته أهازيج الغزل ، وتباريح الهوى ، وفنون القول ، وركوب الخيل ، وصيد الفرسان من على صهوات الخيل.

ثم كان الاسلام — ودعوة الرسول ﷺ إلى عبادة الله وحده ونبذ عبادة الاصنام والأوثان.

فخرج مع وفد إلى الرسول ﷺ واستمعوا إليه وعادوا بعد إعلان إسلامهم — والدخول في هذا الدين الجديد، ومن هذا التاريخ وأصبح امرؤ القيس الشاعر الذي يقول فتصيخ الدنيا سمعاً إلى قوله ويتردد شعره مع الركبان في كل مكان.

وكان يتردّد إلى مدينة الرسول ﷺ بين الحين والآخر يتفقه في دينه ويستمع إلى آخر التنزيل الذي جاء من عند ربه على الرسول ﷺ.

حتى تمت الرسالة وأديت الأمانة، وبلغ الكتاب أجله ومات الرسول ﷺ وارتدت الجزيرة العربية وامتنع البعض عن دفع الجزية.

وتسامعت كندة بما حدث فامتنعت هي الأخرى وفيهم الأشعث بن قيس وعم امرئ القيس، وتقاتل القوم قتالاً شديداً حتى استسلمت لجيش الاسلام وأخزى الله الكفر وأهله. واحضر زعماء الكنديين الذين ارتدوا ليقتلوا.

فوثب امرؤ القيس على عمه. فقال له:

«ويحك يا امرأ القيس. أتقتل عمك..؟

فقال له: أنت عمي، والله عز وجل ربي ثم قتله.

أما الأشعث بن قيس فقد أرسل إلى أبي بكر — رضي الله عنه — ليرى فيه رأيه. فلم وصلوا إلى أبي بكر. قال للأشعث:

«استنزلك بنو وليعة ولم تكن لتستنزل لهم، ولا يرونك لذلك أهلا وهلكوا وأهلكوك. ثم تابع أبو بكر حديثه قائلاً:

«أما تخشى أن تكون دعوة رسول ﷺ قد وصل إليك منها طرف. ثم قال:

«ما تراني صانعاً بك..؟

قال : إني لا علم لي برأيك ، وأنت أعلم برأيك..

قال : فإني أرى قتلك.

قال : فإني أنا الذي راوضت القوم في عشرة ، فما يحل دمي.

قال : أفوضوا إليك..؟

قال : نعم.

قال : فإنما وجب الصلح بعد ختم الصحيفة على من في الصحيفة ، وإنما كنت قبل ذلك مراوضاً.

فلما خشي أن يقع به قال :

«أو تتحسب فيَّ خيراً فتطلق إساري ، وتقيلني عثرتي ، وتقبل إسلامي وتفعل بي مثل ما فعلته بأمثالي ، وترد عليَّ زوجتي.؟

وقد كان خطب أم فروة بنت أبي قحافة مقدمه على رسول الله ﷺ فزوجه وأخرها إلى أن يقدم الثانية — فمات رسول الله ﷺ وفعل الأشعث ما فعل.

فاستشار أبو بكر امرأ القيس بن عابس.

فقال له : أرى أن تقيل عثرته ، وترد عليه زوجته — فتجافى له أبو بكر عن دمه ، وقبل منه ورد عليه أهله».

واستقرت الجزيرة العربية ، وقتل الكذابون أمثال الأسود العنسي ومسيلمة الكذاب وغيرهم.

وفكر المسلمون في نشر الاسلام خارج بلادهم — في دولة الفرس والروم. وشارك امرؤ القيس في المعارك التي دارت رحاها على أرض فارس. وشاهد تاج كسرى وأساوره تحمل إلى عمر بن الخطاب — رضي الله عنه بعد الاستيلاء على بلادهم.

وانضم إلى جيش المسلمين بقيادة خالد بن الوليد الذي خرج من أرض فارس لينضم إلى قوة المسلمين الضاربة على أرض الروم. وسار في وداعهم المثنى بن حارثة الشيباني إلى قراقر ثم رجع إلى جنده.

يقول امرؤ القيس: أراد خالد أن يلتمس دليلاً في طريقه إلى أرض الشام فدل على رافع بن عميرة الطائي.

فقال له في ذلك.

فقال له رافع: إنك لا تطيق ذلك بالخيل والأثقال، فوالله إن الراكب المفرد يخافه على نفسه وما يسلكها إلا مغروراً.

فقال خالد: ويحك إنه لابد لي من ذلك لأخرج من وراء جموع الروم لئلا يحبسني ذلك عن نجدة المسلمين.

فأمر صاحب كل كتيبة أن يتزود من الماء لخمس. وأن يعطش الإبل المسنة ثم يسقيها كثيراً من الماء ثم يصروا آذان الإبل ويشدوا مشافرها لئلا تجتر.

ثم ركبوا من قراقر، فلما ساروا يوماً وليلة شقوا لعدة من الخيل بطون عشرة من الإبل فمزجوا الماء في كروشها بما كان من الألبان وسقوا الخيل. وفعلوا ذلك أربعة أيام.

فلما خشي خالد على أصحابه في آخر يوم من المفازة قال لرافع بن عميرة: ويحك يا رافع ما عندك..؟

قال: أدركت الري إن شاء الله..

فلما دنا من العلمين قال للناس: انظروا هل ترون شجرة عوسج كعقدة الرجل..؟

فقالوا: ما نراها.

فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون هلكتم والله إذا وهلكت معكم..؟؟

وكان أرمد فقال :

«انظروا ويحكم»

قال امرؤ القيس : فنظروا فرأوها قد قطعت وبقي منها بقية ، فلما رأوها كبروا.

فقال رافع : احفروا في أصلها فحفروا واستخرجوا عينا فشربوا حتى روي الناس ، فاتصلت بعد ذلك لخالد المنازل.

وبعدها ساروا إلى «سوى» فوصلها قبل الصبح وأهلها يشربون الخمر في جفنة قد اجتمعوا إليها ومغنيهم يقول :

ألا عللاني قبل جيش أبي بكر
لعلّ منايانا قريب ولا ندري
ألا عللاني بالزجاج وكدرا
على كميت اللون صافية تجري
ألا عللاني من سلافة قهوة
تسلي هموم النفس من جيد الخمر
أظن خيول المسلمين وخالداً
ستطرقكم قبل الصباح مع النسر
فهل لكم في السير قبل قتالكم
وقبل خروج المعصرات من الخدر

وقتل المسلمون مغنيهم وسال دمه في تلك الجفنة وأخذوا أموالهم.

من هؤلاء الرجال الذين يفعلون ذلك..؟

من هؤلاء الذين تغلبوا على الطبيعة وقهروا الصحراء..؟

من هؤلاء الرجال الذين تطوى الأرض تحت أقدامهم..؟

من هؤلاء العمالقة الصيد الذين حطموا القلاع على أرض فارس وجاءوا في شوق ولهفة لتحطيم الحصون على أرض الروم..؟

إنهم أتباع محمد بن عبد الله ﷺ إنهم أبطال المعارك الذين تتلمذوا في مدرسة القرآن فمدنوا الدنيا وهذبوا العالم وقرروا الحق للإنسان..

إنهم النور الجديد الذي بدد ظلام الليل وهدى الناس إلى نور الإيمان، وعز الاسلام، وثواب الآخرة.

ووصل جيش خالد إلى موقعة اليرموك والتقى هناك بصحابة رسول الله ﷺ.

يقول امرؤ القيس: ووقف خالد بينهم ثم حمد الله واثنى عليه ثم قال: «إن هذا يوم من أيام الله لا ينبغي فيه الفخر ولا البغي أخلصوا جهادكم وارضوا الله بعملكم فإن هذا يوم له ما بعده، ولا تقاتلوا قوماً على نظام وتعبئة، وأنتم متساندون. فإن ذلك لا يحل ولا ينبغي.

قالوا: فما الرأي..؟

قال: إن أبا بكر لم يبعثنا إلا وهو يرى أنا سنتياسر. ولو علم بالذي كان ويكون لما جمعكم إن الذي أنتم فيه أشد على المسلمين مما قد غشيهم، وانفع للمشركين من إمدادهم. ولقد علمت أن الدنيا فرقت بينكم فالله الله فقد أفرد كل رجل منكم ببلد لا ينتقصه منه إن دان للأمراء ولا يزيده عليه إن دانوا له.

إن تأمير بعضكم لا ينتقصكم عند الله ولا عند خليفة رسول الله ﷺ هلموا فإن هؤلاء قد تهيأوا وإن هذا يوم له ما بعده فإن رددناهم إلى خندقهم اليوم. لم نزل نردهم، وإن هزمونا لم نفلح بعدها فهلموا فلنتعاور الإمارة فليكن بعضنا اليوم والآخر غداً والآخر بعد غد حتى تتأمروا كلكم، ودعوني أتأمر اليوم.

واستمع الأمراء إلى ما قاله خالد بن الوليد — فكان عين الحق والصواب في ميزان الإسلام. وهي الحنكة والتخطيط في ميزان العرب فأمروه عليهم.

بعدها جلس خالد مع قادة الجيش يرسمون خطة الحرب وينظمون الجند ويقسمون الجنود إلى كراديس. لأنها أقدر على التحرك في ميدان القتال وأكثر رؤية في عين الأعداء.

فجعل خالد القلب كراديس وأقام فيها أبا عبيدة

وجعل الميمنة كراديس وعليها عمرو بن العاص

وجعل الميسرة كراديس وعليها يزيد بن أبي سفيان

وعلى كردوس من كراديس العراق القعقاع بن عمرو

وجعل قاضي الجيش أبا الدرداء وأبا سفيان بن حرب.

وقال امرؤ القيس عندما شاهد الجيوش الجرارة للروم والتي ليس لها آخر تراه العين أو تقف عنده. ما أكثر الروم وأقل المسلمين..؟

فقال خالد: ما أكثر المسلمين وأقل الروم..

ثم تابع خالد حديثه قائلاً: يا امرأ القيس إنما تكثر الجنود بالنصر وتقل بالخذلان لا بعدد الرجال، والله لوددت أن الأشقر — يعني فرسه — لم يصب بسوء وأنهم أضعفوا في العدد.

ثم دعا خالد الجنود إلى الوضوء والالتجاء إلى الله والتوبة من الذنوب وبعدها أمر خالد عكرمة بن أبي جهل والقعقاع بن عمرو بالقتال. والتحم الناس وتطارد الفرسان وتقاتلوا قتالاً شديداً.

وأخذ أبو الدردار ينادي يا جند الله اطلبوا الجنة بقتالكم. قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون. إن النصر يقترب من سيوفكم يا جنود الرحمن.

وأخذ امرؤ القيس يلقي أشعاره كالقنابل المشتعلة التي تلهب الجنود وتقوي العزائم.

وجالدت الروم وقاتلوا قتال اليائس من الحياة — ولكن جند الله كانوا هم الغالبون. وما كادت الشمس تأذن بالمغيب حتى كانت قوة الروم تغرب معها وجنودها تفر من هنا وهناك وسهام المسلمين تلاحقهم يمنة ويسرة. وتم نصر الله للمؤمنين — ومن هذا التاريخ أصبحت أرض الشام ساحة للإسلام، وقوة للايمان ترد الباغين، وتقهر الظالمين، وتقيم عدل الله على عباد الله.

أين امرؤ القيس بعد هذا النصر المؤزر والفتح المبين — لقد افتقده خالد بن الوليد. فطلبه ليسمع منه صورة المعركة وما تفتقت عنه قريحته والرقاب تتساقط، والهول يتراكم والنصر يقترب من المسلمين. فعلم أنه اصيب بسهم غارب في كتفه، ويجلس بجواره أبو الدرداء يطبب جروحه ويهيئ له طعامه. ويطلب له البرء والشفاء من الله تعالى.

وعاده خالد في خيمته وهيأ له كوكبة من الفرسان لتنقله إلى المدينة حيث العناية أكبر والرعاية والدواء أشمل.

وفي المدينة يسمع من الأطباء همساً لا يبين، إنهم يخفون عنه شيئاً أيكون في هذا أجله وماذا في ذلك..؟

إنه لن يخاف الموت ولا يرهب الردى. ولكن فقط يخاف أن يبقى مكانه شاغراً لا يملأه فارس غيره، والإسلام في حاجة إلى هؤلاء الرجال الذين يدكون المعاقل والحصون، ويرفعون عليها اسم الله الأعظم. وخفف من بلوائه هذه أن المسلمين حطموا أبراج الشرك على أرض فارس وأزالوا هذا الركام المتعفن من الالحاد والوثنية على أرض الروم — وليس المسلمون في حاجة إلى قوة ضاربة يخفق تحت راياتها أمثال الفارس امرئ القيس وجلس يرثي نفسه قائلاً:

قف بالديار وقوف حابس
وتـــأنّ إنك غيرُ آيس
لـعبت بهنّ العاصفات

الـــرائحات مـن الــــروامس
مـاذا عـليك من الوقوف
بهامـــــد الــــطللين دارس
يـا رُبَّ بـاكـيـة علـيَّ
ومـــنشـد لي في المجالس
أو قــائـــل يـــا فـــارساً
مَاذا رزئت من الفوارس
لا تـعـجـبوا أن تسـمعوا
هلك امرؤ القيس بن عابس

أسباب نزول الآيات

قال الإمام الواحدي : قال تعالى : ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل» .قال مقاتل بن حيان : نزلت هذه الآية في امرئ القيس بن عابس الكندي ، وفي عبدان ابن أشوع الحضرمي وذلك أنهما اختصما إلى النبي ﷺ في أرض ، وكان امرؤ القيس المطلوب وعبدان الطالب فأنزل الله تعالى هذه الآية ، فحكم عبدان في أرضه ولم يخاصمه.

وقال الامام القرطبي : الأولى قوله تعالى (ولا تأكلوا أموالكم بينكم)قيل نزل في عبدان ابن أشوع الحضرمي ، ادعى مالاً على امرئ القيس الكندي واختصما إلى النبي ﷺ فأنكر امرؤ القيس وأراد أن يحلف فنزلت هذه الآية فكفَّ عن اليمين وحكَّم عبدان في أرضه ولم يخاصمه.

وقال الإمام السيوطي : قوله تعالى ﴿ولا تأكلوا﴾ الآية أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال : إن امرأ القيس بن عابس وعبدان بن أشوع الحضرمي اختصما في أرض وأراده امرأ القيس أن يحلف ففيه نزلت ﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾.

وقال ابن الجوزي في قوله تعالى ﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾ سبب نزولها أن امرأ القيس بن عابس ، وعبدان الحضرمي ، اختصما في أرض ، وكان عبدان هو الطالب ولا بيّنة له ، فأراد امرؤ القيس أن يحلف فقرأ عليه النبي ﷺ (إن الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمناً قليلاً) سورة آل عمران آية ٧٧ فكره أن يحلف ولم يخاصم في الأرض فنزلت هذه الآية.

هذا قول جماعة منهم سعيد بن جبير، ومعنى الآية : لا يأكل بعضكم أموال بعض، كقوله (فاقتلوا أنفسكم)

قال القاضي أبو يعلى : والباطل على وجهين : أحدهما : أن يأخذه بغير طيب نفس من مالكه كالسرقة، والغصب والخيانة.

والثاني : أن يأخذه بطيب نفسه : كالقمار والغناء، وثمن الخمر وقال الزجاج : الباطل الظلم. وتدلوا «أصله في اللغة من أدليت الدلو : إذا أرسلتها لتملأها ودلوتها : إذا أخرجتها. ومعنى أدلى فلان بحجته أرسلها، وأتى بها على صحة. فمعنى الكلام : تعملون على ما يوجبه إدلاء الحجة وتخونون في الأمانة. وأنتم تعلمون أن الحجة عليكم في الباطن. والله أعلم».

أبو أيّوب الأنصاري

رَضِيَ اللهُ عَنه

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى :

﴿ وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا

إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾

صدق الله العظيم

[سورة البقرة آية رقم ١٩٥]

أقوال العلماء في نزول هذه الآية

ذكر كثير من المفسرين، ورجال الحديث، وكتاب الطبقات ان أيوب الأنصاري قال: نزلت فينا هذه الآية.

قاله البخاري ٨ / ١٣٨ في التفسير باب قوله تعالى «وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة».

وقاله الترمذي رقم ٢٩٧٦ في التفسير باب ومن سورة البقرة.

وأبو داود رقم ٢٥١٢ في الجهاد باب قول الله عز وجل «ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة».

واخرجه ابن جرير في التفسير رقم ٣١٧٩ — ٣١٨٠

وطبقات ابن سعد ٣ / ٢ / ٤٩ — ٥٠ وتاريخ الطبري ٩ / ١٢٨

فمن هو أبو أيوب الأنصاري..؟

خالد بن زيد
رضي الله عنه

هو خالد بن زيد بن كليب — أبو أيوب الأنصاري —

من بني غنم بن مالك بن النجار.

أمه هند بنت سعد بن عمرو بن امرئ القيس

أسلم في بداية الدعوة، وشهد العقبة الثانية، ولكن التاريخ لم يلتفت إليه إلا في هجرة الرسول ﷺ عندما وقف خالد مع أهل يثرب ينتظرون وصول الرسول ﷺ إلى مدينتهم بعد أن قرر الهجرة إليهم — وما كادت تطأ أقدام ناقته أبواب المدينة حتى تواكب عليها الفرسان من الأنصار وكلما مرت بدار من دور الأنصار دعاه أهلها إلى النزول عندهم. وقالوا له: هلم يا رسول الله إلى العدد والعُدة والمنعة.

فيقول لهم ﷺ خلوا زمامها فإنها مأمورة.

وسارت به حتى انتهى إلى موضع مسجده اليوم فبركت على باب مسجده، فلما بركت لم ينزل عنها رسول الله ﷺ ثم وثبت فسارت غير بعيد، ورسول الله ﷺ واضع لها زمامها لا يثنيها به، ثم التفتت خلفها، ثم رجعت إلى مبركها أول مرة، فبركت فيه.

بركت في هذا المنزل الذي اختاره الله سبحانه وتعالى — ليكون مسجد الرسول ﷺ المسجد الذي سجل التاريخ فيه أعظم القرارات للاخاء بين الأنصار والمهاجرين.

قرارات الحرب والسلم. قرارات التعليم والتفقه في دين الله.

ونزل رسول الله ﷺ. فاحتمل خالد بن زيد رحله فوضعه في بيته — وكأنه حاز الدنيا والآخرة.

فدعت الأنصار الرسول ﷺ النزول عليهم.

فقال رسول الله ﷺ المرء مع رحله. فنزل على خالد بن زيد في بني غنم بن النجار

يقول أبو أيوب — خالد بن زيد — نزل رسول الله ﷺ في بيتنا الأسفل، وكنت في الغرفة. فاهريق ماء في الغرفة.

فقمت أنا وأم أيوب نتتبع الماء شفقة أن يخلص إلى رسول الله ﷺ منه شيءٌ.

ونزلت إلى رسول الله ﷺ وأنا مشفق فقلت:

«يا رسول الله، إنه ليس ينبغي أن نكون فوقك. انتقل إلى الغرفة فأمر النبي ﷺ بمتاعه أن ينقل ومتاعه قليل.

أي انسان مهما أوتي من براعة البيان لا يستطيع أن يصور الفرحة الغامرة التي لازمت خالد بن زيد — ورسول الله ﷺ.

وفي منزل خالد التقى الرسول ﷺ بعبد الله بن سلام ويهود المدينة.

لقد جاء عبد الله بن سلام إلى منزل خالد بن زيد حين بلغه أن محمد بن عبد الله قد نزل عنده فقال:

«إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي:

ما أول أشراط الساعة..؟

وما أول طعام يأكله أهل الجنة..؟

وما بال الولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمه..؟

قال الرسول ﷺ أخبرني به جبريل آنفاً.

قال ابن سلام : ذاك عدو اليهود من الملائكة .

قال الرسول ﷺ أما أول أشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب .

وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت .

وأما الولد فإذا سبق ماء المرأة نزع الولد ، فإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزعت الولد .

قال عبد الله بن سلام : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله .

قال : يا رسول الله إن اليهود قوم بهت فاسألهم عني قبل أن يعلموا بإسلامي فجاءت اليهود .

فقال النبي ﷺ أي الرجل عبدالله بن سلام فيكم .. ؟

قالوا : خيرنا وابن خيرنا ، وأفضلنا وابن أفضلنا .

فقال النبي ﷺ أرأيتم إن أسلم عبدالله بن سلام .. ؟

قالوا : أعاذه الله من ذلك ، فأعاد عليهم فقالوا : مثل ذلك .

فخرج إليهم عبدالله فقال :

«أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله» .

قالوا : شرنا وابن شرنا وتنقصوه .

قال عبد الله بن سلام : هذا ما كنت أخاف يا رسول الله .

ومن هذا التاريخ عرف خالد بن زيد جبلة اليهود وطبيعتهم وأنهم قوم تحركهم منفعتهم الخاصة ، وأنهم لا يخافون الله ولا يخشون عقابه .

وأنهم يكونون جبهة مع جماعة المنافقين في المدينة تعمل جاهدة لإيذاء الرسول ﷺ وأتباعه المسلمين .

وكان بداية ذلك ما أشاعوه عن عائشة أم المؤمنين ــ رضي الله عنها ــ من حديث الإفك يقول خالد بن زيد ــ رضي الله عنه :

قام فينا رسول الله ﷺ خطيباً فقال :

«أيها الناس ما بال رجال يؤذونني في أهلي ، ويقولون عليهم غير الحق ، والله ما علمت منهن إلا خيراً ، ويقولون ذلك لرجل ، والله ما علمت منه إلا خيراً ، وما دخل بيتاً من بيوتي إلا وهو معي .

قال خالد : فلما قال رسول الله ﷺ تلك المقالة .

قال أسيد بن حضير أخو بني عبد الأشهل :

«يا رسول الله إن يكونوا من الأوس نكفكهم . وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج فمرنا بأمرك . فوالله إنهم لأهل أن تضرب أعناقهم .

فقام سعد بن عبادة ــ وكان قبل ذلك يرى رجلاً صالحاً ــ فقال :

«كذبت لعمر الله لا تضرب أعناقهم ؟؟ أما والله ما قلت هذه المقالة إلا أنك قد عرفت أنهم من الخزرج . ولو كانوا من قومك ما قلت هذا؟؟

قال أسيد : كذبت لعمر الله . ولكنك منافق تجادل عن المنافقين .

حتى أوشك أن يكون بين هذين الحيين من الأوس والخزرج شر ، ونزل رسول الله ﷺ ودعا علي بن أبي طالب . وأسامة بن زيد . فاستشارهما .

فأما أسامة : فأثنى وقال خيراً ، ثم قال يا رسول الله : أهلك ولا نعلم عليهن إلا خيراً .

وأما علي ــ رضي الله عنه ــ فإنه قال :

«يا رسول الله إن النساء لكثير وإنك لقادر على أن تستخلف ، وسل الجارية فإنها تصدقك .

فدعا رسول الله ﷺ بريرة يسألها :

قالت : والله ما أعلم إلا خيراً ، وماكنت أعيب على عائشة إلا أني كنت أعجن عجيني فآمرها أن تحفظه فتنام عنه ، فيأتي الداجن فيأكله .

وذهب أبو أيوب خالد بن زيد إلى بيته مهموماً لما قاله المتقولون ، وما سمعه من رسول الله ﷺ .

واقتربت منه زوجته أم أيوب وقالت :

«يا أبا أيوب أما تسمع ما يقول الناس في عائشة..؟

قال : بلى ، وذلك الكذب ، أكنت يا أم أيوب فاعلة ذلك؟

قالت : لا والله ما كنت لأفعله

قال : فعائشة والله خير منك

واستمر المسلمون فترة من الزمن يعلوهم همٌّ وكآبة لتلك القالة حتى نزل قول الله تعالى :

﴿إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم
لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم
ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب
عظيم ، لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات
بأنفسهم خيراً وقالوا هذا إفك مبين﴾[1] .

«إن الذين جاءوا بالافك عصبة منكم ، لا تحسبوه شراً لكم ، بل هو خير لكم ، لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم».

---

(١) سورة النور آية رقم ١١ — ١٢

فهم ليسوا فرداً ولا أفراداً إنما هم عصبة متجمعة ذات هدف واحد ، ولم يكن عبدالله بن أبي — وحده هو الذي أطلق ذلك الإفك ، إنما هو الذي تولى معظمه وهو يمثل عصبة اليهود أو المنافقين الذين عجزوا عن حرب الاسلام جهرة فتواروا وراء ستار الإسلام ليكيدوا للإسلام خفية . وكان حديث الإفك إحدى مكائدهم القاتلة ، ثم خدع فيها المسلمون فخاض منهم من خاض في حديث الإفك .

أما أصل التدبير فكان عند تلك العصبة ، وعلى رأسها ابن سلول ، الحذر الماكر الذي لم يظهر بشخصه في المعركة ، ولم يقل علانية ما يؤخذ به فيقاد إلى الحد ، إنما كان الهمس به بين ملئه الذين يطمئن إليهم ولا يشهدون عليه ، وكان التدبير من المهارة والخبث بحيث أمكن أن ترجف به المدينة شهراً كاملاً وأن تتداوله الألسنة في أطهر بيئة وأتقاها .

«لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم»

خير فهو يكشف عن الكائدين للإسلام في شخص رسول الله ﷺ وأهل بيته وهو يكشف للجماعة المسلمة عن ضرورة تحريم القذف وأخذ القاذفين بالحد الذي فرضه الله ، ويبين مدى الأخطار التي تحيق بالجماعة لو أطلقت فيها الألسنة تقذف المحصنات الغافلات المؤمنات فهي عندئذ لا تقف عند حدّ ، إنما تمضي صعداً إلى أشرف المقامات ، وتتطاول إلى أعلى الهامات ، وتعدم الجماعة الوقاية ، وكل تحرج ، وكل حياء .

وهو خير أن يكشف الله للجماعة المسلمة — بهذه المناسبة عن المنهج القويم في مواجهة هذا الأمر العظيم .

أما الآلام التي عاناها رسول الله ﷺ وأهل بيته ، والجماعة المسلمة كلها فهي ثمن التجربة ، وضريبة الابتلاء ، الواجبة الأداء . أما الذين خاضوا في الإفك فلكل منهم بقدر نصيبه من تلك الخطيئة ، لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم» . ولكل منهم نصيبه من سوء العاقبة عند الله وبئس ما اكتسبوه ، فهو اثم يعاقبون عليه في حياتهم الدنيا ، وحياتهم الأخرى

«والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم»

الذي تولى كبره ، وقاد حملته ،واضطلع منه بالنصيب الأوفى . كان هو عبدالله ابن أبي رأس النفاق ، وحامل لواء الكيد ، ولقد عرف كيف يختار مقتلاً لولا أن الله كان من ورائه محيطاً ، وكان لدينه حافظاً ، ولرسوله عاصماً وللجماعة المسلمة راعياً .

ووعى المسلمون هذا الدرس وعرفوا أعداء الدعوة من اليهود والمنافقين أما اليهود فنتيجة لكيدهم ومكرهم أخرجوا من الجزيرة العربية ويحدثنا القرآن الكريم حديث إخراجهم وإذلالهم بقوله تعالى :

﴿هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فآتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار﴾[1] .

من هذه الآيات نعلم أن الله هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب والله هو فاعل كل شيء ، ولكن صيغة التعبير تقرر هذه الحقيقة في صورة مباشرة ، توقع في الحس أن الله تولى هذا الإخراج من غير ستار لقدرته من فعل البشر ، وساق المخرجين للأرض التي منها يحشرون فلم تعدلهم عودة إلى الأرض التي أخرجوا منها .

ويؤكد فعل الله المباشر في اخراجهم في قوله تعالى :

﴿ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله﴾ .

فلا أنتم كنتم تتوقعون خروجهم ولا هم كانوا يسلمون في تصوره ووقوعه ، فقد كانوا من القوة والمنعة في حصونهم بحيث لا تتوقعون أنتم أن تخرجوهم منها كما أخرجوا وبحيث غرتهم هذه المنعة حتى نسوا قوة الله التي لا تردها الحصون .

«فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب»

---

(١) سورة الحشر آية رقم ٢

أتاهم من داخل أنفسهم ، لا من داخل حصونهم ، أتاهم من قلوبهم فقذف فيها الرعب ففتحوا حصونهم بأيديهم ، وأراهم أنهم لا يملكون ذواتهم ، ولا يحكمون قلوبهم . ولا يمتنعون على الله بإرادتهم وتصميمهم فضلاً على أن يمتنعوا عليه ببنيانهم وحصونهم ، وقد كانوا يحسبون حساب كل شيء إلا أن يأتيهم الهجوم من داخل كيانهم فهم لم يحتسبوا هذه الجهة التي أتاهم الله منها وهكذا حين يشاء الله أمراً يأتي له من حيث يعلم ، ومن حيث يقدر ، وهو يعلم كل شيء وهو على كل شيء قدير ، فلا حاجة إذن إلى سبب ولا إلى وسيلة مما يعرفه الناس ويقدرونه فالسبب حاضر دائماً والوسيلة مهيأة ، والسبب والنتيجة من صنعه والوسيلة والغاية من خلقه ، ولن يمتنع عليه سبب ولا نتيجة ولن يعز عليه وسيلة ولا غاية — وهو العزيز الحكيم.

ولقد تحصن الذين كفروا بحصونهم فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب ، ولقد امتنعوا بدورهم وبيوتهم فسلطهم الله على هذه الدور والبيوت يخربونها بأيديهم ويمكنون المؤمنين من إخرابها.

«يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين»

أما المنافقون فكانت لهم أدوار كثيرة مع المسلمين وكان من أهمها ما حدث في غزوة بني المصطلق. عندما ازدحم جهجاه بن مسعود وسنان بن وبر الجهني واقتتلا على الماء فصرخ الجهني : يا معشر الأنصار.

وصرخ جهجاه : يا معشر المهاجرين

فغضب عبد الله بن أبي سلول وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن أرقم — غلام حدث — فقال عبدالله :

«أوقد فعلوها؟ قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا ، والله ما أعدُّنا وجلابيب قريش إلا كما قال الأول : سمن كلبك يأكلك أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذلّ».

ثم أقبل على من حضره من قومه فقال لهم :

«هذا ما فعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو أمسكتم عنهم بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم».

فسمع ذلك زيد بن أرقم فمشى به إلى رسول الله ﷺ وذلك عند فراغ رسول الله ﷺ من عدوه فأخبره الخبر. وعنده عمر بن الخطاب. فقال:

مر به عباد بن بشر فليقتله.

فقال رسول الله ﷺ:

«فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه..؟ لا. ولكن أذن بالرحيل. وذلك في ساعة لم يكن رسول الله ﷺ يرتحل فيها.

فلما استقل رسول الله ﷺ وسار لقيه أسيد بن حضير فحياه بتحية الإسلام — وسلم عيه ثم قال:

«يا نبي الله.. والله لقد رحت في ساعة منكرة ما كنت تروح في مثلها..؟؟

فقال له — رسول الله ﷺ:

«أو ما بلغك ما قال صاحبكم..؟»

قال: وأي صاحب يا رسول الله..؟

قال: عبد الله بن أبي.

قال: وما قال..؟

قال: زعم أنه إن رجع إلى المدينة أخرج الأعزُ منها الأذل..؟؟

قال: فأنت يا رسول الله والله لتخرجنه منها إن شئت. هو الله الذليل وأنت العزيز. ثم قال: يا رسول الله أرفق به. فوالله لقد جاءنا الله بك وإن قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه، فإنه ليرى أنك قد استلبته ملكاً.

ثم ماذا..؟

يقول أبو أيوب خالد بن زيد : ثم إن عبدالله أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله إنه بلغني أنك تريد قتل عبدالله بن أبي فيما بلغك عنه فإن كنت لابد فاعلاً فمرني به فانا أحمل إليك رأسه ، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبر بوالده مني ، وإني أخشى أن تأمر غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي يمشي في الناس فأقتله فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار .

فقال رسول الله ﷺ : بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا » يقول أبو أيوب وعكرمة : أن الناس لما قفلوا راجعين إلى المدينة وقف عبدالله بن عبدالله بن أبي سلول على باب المدينة واستل سيفه ، فجعل الناس يمرون عليه فلما جاء أبوه قال له :

« وراءك »

فقال : ما لك ..؟ ويلك ..؟؟

فقال : والله لا تجوز ها هنا حتى يأذن لك رسول الله ﷺ فإنه العزيز وأنت الذليل .

فلما جاء رسو الله ﷺ وكان إنما يسير في مؤخرة الجيش فشكا إليه عبدالله ابن أبي ابنه .

فقال ابنه عبدالله : والله يا رسول الله لا يدخلها حتى تأذن له . فأذن له رسول الله ﷺ .

فقال عبدالله : أما إذ أذن لك رسول الله فجز الآن .

إننا نقف أمام المشهد الرائع ، مشهد الرجل المؤمن عبدالله بن عبدالله بن أبي وهو يأخذ بسيفه مدخل المدينة على أبيه فلا يدعه يدخل تصديقاً لمقاله هو « ليخرجن الأعز منها والأذل »

ليعلم أن رسول الله ﷺ هو الأعز ، وأنه هو الأذل ويظل يقفه حتى يأتي رسول الله ﷺ فيأذن له فيدخلها بإذنه ويتقرر بالتجربة الواقعة من هو الأعز ، ومن هو الأذل ، في نفس الواقعة وفي ذات الأوان .

ألا إنها لقمة سامقة تلك التي رفع الإيمان إليها أولئك الرجال. رفعهم إلى هذه القمة، وهم بعد بشر بهم ضعف البشر، وفيهم عواطف البشر وخوالج البشر.

وهذا هو أجمل وأصدق ما في هذه العقيدة حتى يدركها الناس على حقيقتها وحين يصبحون هم حقيقتها التي تدب على الأرض في صورة أناس تأكل الطعام وتمشي في الأسواق.

وانتصر الإسلام على المشركين من أهل الكتاب باخراجهم من جزيرة العرب بأهلهم وذويهم.

وانتصر الاسلام على المنافقين بكشف خبيئة نفوسهم وكشف كيدهم ومكرهم وانتصر الإسلام على عبدة الأصنام والأوثان ومن يؤلون الشمس والقمر والكواكب والنجوم بفتح مكة ووقوف المسلمين بداخلها يحطمون الأصنام ويزيلون البهتان ويرددون خلف نبيهم:

لا إله إلا الله

صدق وعده

ونصر عبده

وأعز جنده

وهزم الأحزاب وحده

ونزل قول الله تعالى:

﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً﴾.

عندها جاء للرسول أجله عندما بلغ الرسالة وأدى الأمانة وربى الأمة على الإيمان والإحسان.

يقول أبو أيوب : لما توفي رسول الله ﷺ . قام عمر بن الخطاب فقال : إن رجالاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله توفي .

وأن رسول الله ، والله ما مات ، ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران فغاب عن قومه أربعين ليلة ، ثم رجع بعد أن قيل قد مات ، والله ليرجعن رسول الله ﷺ فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم يزعمون أن رسول الله قد مات .

يقول أبو أيوب : حتى جاء أبو بكر فدخل على رسول الله في بيت عائشة ، فأقبل حتى كشف عن وجهه ، ثم أقبل عليه فقبله ثم قال :

«بأبي أنت وأمي ، أما الموتة التي كتب الله عليك فقد ذقتها ثم لن يصيبك بعدها موتة أبداً ، ثم ردّ الثوب على وجهه . ثم خرج أبو بكر — فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

«من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ، ثم تلا هذه الآية :

﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين ﴾(١) .

يقول أبو أيوب — رضي الله عنه — وتم مبايعة أبي بكر — رضي الله عنه — خليفة للمسلمين . وكان الرسول ﷺ . قد ضرب قبل وفاته بعثاً على أهل المدينة ومن حولهم وفيهم عمر بن الخطاب ، وأمرَّ عليهم أسامة بن زيد ، فلم يجاوز آخرهم الخندق حتى قبض رسول الله ﷺ فوقف أسامة بالناس ثم قال لعمر :

ارجع إلى خليفة رسول الله فاستأذنه ، يأذن لي أن أرجع بالناس ، فإن معي وجوه الناس ، ولا آمن على خليفة رسول الله ، وأثقال المسلمين أن يتخطفهم المشركون .

---

(١) سورة آل عمران آية رقم ١٤٤ .

وقالت الأنصار : فإن أبى إلا أن نمضي فأبلغه عنا ، واطلب إليه أن يولي أمرنا رجلاً أقدم سناً من أسامة.

فخرج عمر بأمر أسامة ، وأتى أبا بكر فأخبره بما قال أسامة .. ؟؟ فقال أبو بكر : لو خطفتني الكلاب والذئاب لم اردَّ قضاء قضى به رسول الله ﷺ .

قال : فإن الأنصار أمروني أن أبلغك ، وإنهم يطلبون إليك أن تولي أمرهم رجلاً أقدم سناً من أسامة.

فوثب أبو بكر — وكان جالساً — فأخذ بلحية عمر فقال له :

«ثكلتك أمك وعدمتك يا بن الخطاب استعمله رسول الله ﷺ وتأمرني أن أنزعه . ؟؟

هل شارك أبو أيوب في بعث أسامة .. ؟

هل كان له دور في حروب الردة .. هل كان صاحب راية في معركة اليمامة .. ؟

إن التاريخ لا يذكر أبا أيوب طوال تلك الفترة ، هل اعتزل المعارك والحروب هل استعان به أبو بكر في تصريف أمور الخلافة .. ؟ هل كان بعثه لجمع الزكاة من بعض القبائل .. ؟

وفي خلافة عمر بن الخطاب أين كان أبو أيوب .. ؟ لماذا لم يشارك في الحروب التي دارت مع الفرس ، وأين كان في معركة القادسية .. ؟

وهل مثل أبي أيوب يغيب عن تلك المعارك .. ؟

لا أحد يدري ، ولا التاريخ يدري عن حياة أبي أيوب في تلك الفترة من حياة المسلمين. وفجأة يظهر أبو أيوب في معركة «أجنادين»

ويرسله عمرو بن العاص إلى الرملة ليشغل أهلها عن المناوشات التي كانوا يقومون بها ضد جيوش المسلمين في تلك المنطقة.

لقد قام أبو أيوب بواجبه خير قيام وعندما كثرت الامدادات التي أرسلها عمر

ابن الخطاب رضي الله عنه عززت كتيبة أبي أيوب بجنود عمارة بن عمرو بن أمية الضمري.

وبقيت جيوش المسلمين لا تحرز نصراً ولا تتقدم في هزيمة الأعداء، وفكر أبو أيوب أن يذهب إلى (الأرطبون) ليتعرف على حصونه وقوته واستشار عمرو بن العاص في ذلك.

ولكن عمرو قال لأبي أيوب: سأقوم أنا بتلك المهمة.

قال أبو أيوب: إن خسارة المسلمين فيك ستكون كبيرة ودعني أقوم عنك بتلك المهمة وأنا خبير بمداخلهم ومخارجهم.

ولكن عمرو أبى إلا أن يذهب بنفسه.

يقول أبو أيوب: وذهب عمرو إلى (الأرطبون) كأنه رسول. فأبلغه ما يريد وسمع منه.

وتجادلا وتناقشا وكانت بينهما حرب باردة كل منهما يريد أن يقضي على أكبر قدر من المقاومة لدى خصمه.

فقال أرطبون في نفسه: والله إن هذا لعمرو، أو إنه للذي يأخذ عمرو برأيه. وما كنت لأصيب القوم بأمر أعظم عليهم من قتله.»

ثم دعا أحد رجاله فساره بقتله. وقال له: اخرج فقم مكان كذا وكذا فإذا مرَّ بك فاقتله.

وفطن عمرو لما يدبر له.

فقال لأرطبون: قد سمعت مني وسمعت منك، فأما ما قلته فقد وقع مني موقعاً وأنا واحد من عشرة بعثنا عمر بن الخطاب مع هذا الوالي لنكاتفه (لنعاونه) ويشهدنا أموره.

فهل ترى أرجع فآتيك بهم الآن، فإن رأوا في الذي عرضت مثل الذي أرى

فقد رآه أهل العسكر والأمير، وإن لم يروه رددتهم إلى مأمنهم وكنت على رأس أمرك.

قال أرطبون: نعم.

ودعا رجلاً فساره وقال: اذهب إلى فلان فرده إليَّ فرجع إليه الرجل وقال لعمرو: انطلق فجئ بأصحابك — ورأى «أرطبون» أن قتله عشر خير له من قتل واحد.. ؟؟

وخرج عمرو ورأى ألا يعود لمثلها.

وعلم «أرطبون» بأن الذي كان عنده «عمرو» قائد الجيوش وأنه قد خدعه فقال: خدعني الرجل. هذا أدهى الخلق.

والتقى الجيشان واقتتلوا قتالاً شديداً وانهزم الروم هزيمة منكرة وانضمت ساحة جديدة من الأرض ليدوي في أرجائها صوت «الله أكبر»

ثم ماذا.. ؟

شرقت جيوش المسلمين وغربت، وانداحت أمامهم الدنيا وألقت إليهم بخيراتها وودع الدنيا عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — وجاء عثمان بن عفان — رضي الله عنه. عثمان الذي قال عنه رسول الله ﷺ.

«ألا استحي من رجل تستحي منه الملائكة»

عثمان الذي اشترى بئر رومة، وكانت بئراً ليهودي يبيع المسلمين ماءها فقال رسول الله ﷺ.

«من يشتري رومة فيجعلها للمسلمين يضرب بدلوه في دلائهم، وله بها مشرب في الجنة، فأتى عثمان اليهودي فساومه بها فأبى أن يبيعها كلها فاشترى نصفها باثني عشر ألف درهم فجعله للمسلمين.

فقال له عثمان — رضي الله عنه — :

«إن شئت جعلت على نصيبي قربتين، وإن شئت فلي يوم ولك يوم.

قال: بل لك يوم ولي يوم.

فكان إذا كان يوم عثمان استقى المسلمون ما يكفيهم يومين.

فلما رأى اليهودي ذلك قال:

«أفسدت عليَّ بئري فاشتر النصف الآخر».

فاشتراه بثمانية آلاف درهم.

عثمان هذا تحاصره جماعة من المسلمين ويمنعونه من أن يشرب من ماء هذا البئر الذي اشتراه بماله. ويمنعونه من الصلاة في المسجد الذي اشترى بعض أرضه وزاده في المسجد.

أين أبو أيوب في هذا الهول الكبير..؟

أين أبو أيوب في هذه الفتنة العمياء..؟

عن ربيعة بن عثمان قال:

«جاء المؤذن سعد القرظ إلى علي بن أبي طالب — وعثمان محاصر — فقال:

من يصلي بالناس..؟

فقال: ناد خالد بن زيد.

فنادى خالد بن زيد فصلى بالناس — فإنه لأول يوم عرف أن أبا أيوب — هو — خالد بن زيد، فكان يصلي بهم أياماً.

ثم بويع لعلي بالخلافة: وانقسم المسلمون بعدها إلى فرق وأشياع ثم تقاتلوا، وعادت جيوش المسلمين التي كانت ترابط على الحدود إلى داخل المدن وكانت معركة الجمل: وتأثر علي — رضي الله عنه — عندما رأى القتلى وتوجع وأمر بدفنهم وتقدم إليه أبو أيوب وقال له: يا أمير المؤمنين لعلك أصابك شيء مما حل بالقوم.

قال علي: نعم يا أبا أيوب..؟

قال أبو أيوب: ما نُزِّل على النبي ﷺ آية أفرح له من قول الله عزّ وجلّ: ﴿وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾[1].

فقال ﷺ:

«ما أصاب المسلم في الدنيا من مصيبة في نفسه فبذنب، وما يعفو الله عز وجل عنه أكثر، وما أصابه في الدنيا من مصيبة فهو كفارة له وعفو منه لا يعتد عليه فيه عقوبة يوم القيامة، وما عفا الله عز وجل عنه في الدنيا فقد عفا عنه، والله أعظم من أن يعود في عفوه» وأشار أبو أيوب أن يذهب إلى عائشة — رضي الله عنها بالبصرة.

فقال علي — يا أبا أيوب كأنك ترى ما بداخلي هذا الذي سأعمله إن شاء الله — وذهب معه أبو أيوب

فلما انتهيا إلى دار عبد الله بن خلف — وجد النساء يبكين على عبد الله وعثمان ابني خلف مع عائشة وصفية ابنة الحارث مختمرة تبكي.

فلما رأت علياً قالت:

«يا قاتل الأحبة، يا مفرق الجمع، أيتم الله بنيك منك كما أيتمت ولد عبدالله منه».

فلم يرد عليها شيئاً، ولم يزل على حاله حتى دخل على عائشة، فسلم عليها وقعد عندها وقال: جبهتنا صفية، أما إني لم أرها منذ كانت جارية حتى اليوم. فلما خرج عليّ أقبلت عليه صفية فأعادت عليه الكلام. فكف بغلته وسار فقال رجل من الأزد:

«والله لا تفلتنا هذه المرأة»

فغضب علي وقال: صه. وأوصى رجاله قائلاً:

---

(١) سورة الشورى آية رقم ٣٠

«ولا تهتكن ستراً ، ولا تدخلن داراً ، ولا تهيجن امرأة بأذى ، وإن شتمن أعراضكم ، وسفهّن أمراءكم وصُلَحاءكم ، فإنهن ضعاف ، ولقد كنا نؤمر بالكف عنهن وإنهن لمشركات.

ثم تابع حديثه قائلاً : وإن الرجل ليكافئ المرأة ويتناولها بالضرب فيعير بها عقبه من بعده ، فلا يبلغني عن أحد عرض لامرأة فأنكل به شرار الناس» .

ثم كانت معركة صفين. وما تم من أمر التحكيم وخروج الناس على الإمام علي بن أبي طالب — رضي الله عنه — .

يقول أبو أيوب — رضي الله عنه :

التقت خارجة أهل البصرة بخارجة النهروان. وفي الطريق إذا هم برجل يسوق بأمرأة على حمار ، فعبروا إليه فدعوه وأفزعوه.

وقالوا له : من أنت..؟

قال : أنا عبد الله بن خباب صاحب رسول الله ﷺ ثم أهوى إلى ثوبه يتناوله من الأرض — وكان قد سقط لما أفزعوه.

فقالوا له : أفزعناك..؟

قال : نعم.

قالوا : لا روع عليك. فحدثنا عن أبيك بحديث سمعه عن النبي ﷺ لعل الله ينفعنا به

قال : حدثني أبي عن رسول الله ﷺ :

«ان فتنة تكون يموت فيها قلب الرجل كما يموت فيها بدنه . يمسي فيها مؤمناً ويصبح فيها كافراً ، ويصبح فيها كافراً ويمسي مؤمناً.

فقالوا : لهذا الحديث سألناك فما تقول في أبي بكر وعمر..؟

فأثنى عليهما خيراً.

قالوا : ما تقول في عثمان في أول خلافته وفي آخرها..؟

قال : إنه كان محقاً في أولها وفي آخرها.

قالوا : فما تقول في علي قبل التحكيم وبعده..؟

قال : إنه أعلم بالله منكم وأشد توقياً على دينه ، وأنفذ بصيرة.

فقالوا : إنك تتبع الهوى وتوالي الرجال على أسمائها لا أفعالها ، والله لنقتلنك قتلة ما قتلناها أحداً.

فأخذوه فكتفوه ثم أقبلوا به وبامرأته وهي حبلى — وقد شارفت على الوضع — حتى نزلوا تحت نخل مواقر فسقطت منه رطبة ، فاخذها أحدهم فقذف بها في فمه فقال أحدهم : بغير حلها وبغير ثمنها..؟

فلفظها وألقاها من فمه.

ثم أخذ أحدهم سيفه فمر به على ختزير لأهل الذمة فضربه بسيفه..؟؟

فقالوا : هذا فساد في الأرض.؟؟

فأتى صاحب الخنزير فأرضاه من خنزيره.

فلما رأى عبدالله بن خباب ذلك منهم قال : لئن كنتم صادقين فيما أرى فما عليَّ منكم بأس ، إني لمسلم ما أحدثت في الاسلام حدثاً ولقد امنتموني.

قلتم : لا روع عليك؟؟

فجاءوا به فاضجعوه فذبحوه ، وسال دمه في الماء ، وأقبلوا إلى المرأة.

فقالت : إني إنما أنا امرأة ، ألا تتقون الله ، فبقروا بطنها.

فبلغ ذلك علياً ومن معه من المسلمين. فبعث إليهم الحارث بن مرة العبدي ليأتيهم فينظر فيما بلغه عنهم ويكتب به إليه على وجهه ، ولا يكتمه ، فخرج حتى انتهى إلى النهر ليسائلهم. فخرج القوم إليه فقتلوه.

فخرج إليهم قيس بن سعد بن عبادة فقال لهم :

«عباد الله أخرجوا إلينا طلبتنا منكم ، وادخلوا في هذا الأمر الذي منه حرجتم وعودوا بنا إلى قتال عدونا وعدوكم ، فإنكم ركبتم عظيماً من الأمر ، تشهدون علينا بالشرك ، والشرك ظلم عظيم ، وتسفكون دماء المسلمين ، وتعدونهم مشركين. ؟؟فقال عبدالله بن شجرة السلمي :

«إن الحق قد أضاء لنا فلسنا نتابعكم أو تأتونا بمثل عمر. ؟؟

فقال : ما نعلمه فينا غير صاحبنا فهل تعلمونه فيكم.. ؟

فسكتوا ولم يجيبوه ؟؟

فقال : نشدتكم بالله في أنفسكم أن تهلكوها ، فإني لأرى الفتنة قد غلبت عليكم. ثم خطبهم أبو أيوب — خالد بن زيد الأنصاري فقال :

«عباد الله إنا وإياكم على الحال الأولى التي كنا عليها ليست بيننا وبينكم فرقة فعلام تقاتلوننا؟

فقالوا : إنا لو بايعناكم اليوم حكمتم غداً.

قال : فإني أنشدكم الله أن لا تعجلوا فتنة العام مخافة ما يأتي في قابل.

ولكنهم لم يستجيبوا وركبوا رؤوسهم ، ولجوا في طغيانهم ، وأخذتهم العزة بالإثم ، وأبو إلا مقاتلة علي والذين معه.

فخرج إليهم علي — رضي الله عنه قائلاً :

«أيتها العصابة التي أخرجتها عداوة المراء واللجاجة ، وصدها عن الحق الهوى وطمع بها النزق ، إني نذير لكم أن تصبحوا تلفيكم الأمة غداً صرعى بأثناء هذا النهر. بغير بينة من ربكم ، ولا برهان بين. ؟؟

ألم تعلموا أني نهيتكم عن الحكومة ، وأخبرتكم أن طلب القوم إياها منكم دهن ومكيدة لكم ، ونبأتكم أن القوم ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن ، وإني أعرف بهم

منكم . عرفتهم أطفالاً ورجالاً . فهم أهل المكر والغدر ، وإنكم إن فارقتم رأيي جانبتم فعصيتموني . حتى أقررت بأن حكّمت .

فلما فعلت شرطت واستوثقت ، فاختلف الحكمان وخالفا حكم الكتاب والسنة فنبذنا أمرهما ، ونحن على أمرنا الأول . فما الذي بكم .. ؟ ومن أين أتيتم .. ؟قالوا : إنا حكمنا ، فلما حكّمنا أثمنا ، وكنا بذلك كافرين ، وقد تبنا فإن تبت كما تبنا فنحن منك ومعك . وإن أبيت فاعتزلنا فإنا منابذوك على سواء إن الله لا يحب الخائنين...

فقال علي — رضي الله عنه :

«أصابكم حاصب ، ولا بقي منكم وابر..؟؟

ثم تابع حديثه قائلاً :

أبعد إيماني برسول الله ﷺ ، وهجرتي معه ، وجهادي في سبيل الله ، أشهد على نفسي بالكفر؟؟ لقد ضللت إذاً وما أنا من المهتدين. فلما رأى علي منهم ذلك وتنادوا للقتال . خرج فعبأ الناس .

فجعل على ميمنته حُجْر بن عدي .

وعلى ميسرته شبث بن ربعي

وعلى الخيل أبا أيوب الأنصاري

وعلى أهل المدينة قيس بن سعد بن عبادة .

ورفع أبو أيوب راية الأمان وقال منادياً :

«من جاء هذه الراية منكم ممن لم يقاتل ولم يستعرض فهو آمن . ومن انصرف منكم إلى الكوفة فهو آمن .

فقال فروة بن نوفل : والله ما أدري على أي شيْ نقاتل علياً .. لا أرى إلا أن أنصرف حتى تنفذ لي بصيرتي في قتاله أو اتباعه ، وانصرف في خمسمائة فارس .

وخرجت طائفة أخرى متفرقين فنزلت الكوفة.

وخرج إلى علي منهم نحو مائة.

فكان الذي بقوا مع عبدالله بن وهب ألفان وثمانمائة، وزحفوا إلى عليٍّ وكانت جولة هزموا فيها شر هزيمة..؟؟

إن الإنسان ليتساءل لماذا كان القتال..؟

لماذا ترفع السيوف وتطاح الرقاب وتجري الدماء كالأنهار..؟

لماذا فعل المسلمون ذلك..؟

أركبهم الشيطان بعد وفاة الرسول ﷺ وأغرى بهم أهي الدنيا الخضراء الحلوة التي حذرهم رسول الله منها هي التي أغرتهم بالقتال وقست قلوبهم فتلاشى الايمان من بين جوانحهم..؟

أم أنها الفتنة التي حذر منها الرسول ﷺ بقوله:

«إن بين يدي الساعة فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً. ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً.

القاعد فيها خير من القائم.

والقائم فيها خير من الماشي

والماشي فيها خير من الساعي.

فكسروا قسيكم وقطعوا أوتاركم واضربوا بسيوفكم الحجارة، فإن دخل على أحدكم فليكن كخير بني آدم».

وعاد أبو أيوب إلى المدينة، عاد إلى مدينة الرسول ﷺ عاد إلى بيته الذي أقام فيه رسول البشرية، فأخذ يتحسس كل ركن من أركانه وهاجت به الشجون. هنا كان يجلس رسول الله ﷺ وهنا كان يتلقى الوحي من ربه.

وهنا كان يتوضأ لصلاته.

وهنا كان يستقبل أحبابه وأصحابه ومن يريد أن يتفقه في دينه. وصغرت الدنيا في عينيه، وتمنى أن يعود المسلمون كما كانوا في عهد نبيهم وخليفتهم أبي بكر وعمر. سيوفهم مشرعة إلى الخارج لا إلى الداخل سيوفهم تعمل لنشر دين الله ورفع كلمة التوحيد، فماذا دهى المسلمين..؟ ما الذي أصابهم.؟ وأخرج أبا أيوب من شجونه وتأملاته عامله يربت على كتفه يدعوه إلى دار الإمارة للتعرف على مشاكل المسلمين.

إن أبا أيوب لا يبحث عن المشاكل اليومية التي تهم بعض الأفراد، ولكن الذى يشغله ويقلق باله حالة المسلمين بعامة، ومشاكلهم الكبيرة، وأخذ أبو أيوب يعمل جاهداً لتسوية الخلافات بين عامة المسلمين وخاصتهم. ولقد نجح في ذلك نجاحاً كبيراً. وتم الاتفاق على أن توضع الحرب بين المسلمين ويكون لعلي العراق ولمعاوية الشام ولا يدخل أحدهما على صاحبه في عمله بجيش، ولا غارة، ولا غزوة.

واستراحت النفوس وهدأت الخواطر..

إن المعارك التي دارت كانت بين أتباع علي بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان علي بن أبي طالب: أول المسلمين إسلاماً.

والذي قال له رسول الله ﷺ أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي».

علي بن أبي طالب الذي قال رسول الله ﷺ يوم خيبر: لأعطينّ الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، ليس بفرار، يفتح الله على يديه، ثم دعا بعلي وهو أرمد، فتفل في عينيه وأعطاه الراية، ففتح الله عليه».

علي بن أبي طالب الذي بعثه رسول الله ﷺ وهو شاب ليقضي بينهم.

فقال: يا رسول الله إني لا أدري ما القضاء..؟

فضرب رسول الله ﷺ بيده صدره وقال:

«اللهم اهد قلبه، وسدد لسانه»

قال علي ــ رضي الله عنه ــ فوالله ما شككت بعدها في قضاء بين اثنين.

هذا هو علي ــ رضي الله عنه ــ أحد أطراف النزاع

فمن معاوية بن أبي سفيان ــ رضي الله عنه..؟

يقول أبو أيوب الأنصاري: أحد الذين كتبوا لرسول الله ﷺ وولاه عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ الشام عند موت أخيه يزيد.

دخل عمر الشام ورأى معاوية فقال: هذا كسرى العرب، وكان قد تلقاه معاوية في موكب عظيم، فلما دنا منه قال:

«أنت صاحب الموكب العظيم..؟

قال: نعم يا أمير المؤمنين.

قال: مع ما بلغني من وقوف ذوي الحاجات ببابك..؟

قال: مع ما يبلغك من ذلك.

قال: ولم تفعل هذا..؟

قال: نحن بأرض جواسيس العدو بها كثيرة، فيجب أن نظهر من عز السلطان ما نرهبهم به.

ثم تابع حديثه قائلاً:

«فإن أمرتني فعلت، وإن نهيتني انتهيت.

فقال عمر: ما أسألك عن شيءٍ إلا تركتني في مثل رواجب الضرس. إن كان ما قلت حقاً إنه لرأي أريب، وإن كان باطلاً إنه لخدعة أديب.

قال: فمرني يا أمير المؤمنين.

قال: لا آمرك ولا أنهاك.

وعادت الجيوش الاسلامية إلى الثغور مرة أخرى..؟

وعادت جند الله لنشر دين الله..؟

عادت فرسان مدرسة النبوة للعمل على هداية البشرية واخراجهم من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان.

عادت كتائب الله تدك حصون الباطل وتدمر قلاع الطغيان وترفع راية الايمان عالية خفاقة في ربوع الأرض

فأين الفارس المغوار أبو أيوب الأنصاري..؟

إنه هنالك يعد العدة ويشحذ الأسلحة، ويدرب الخيل لمعركة فاصلة مع الروم، إنه يجلس الساعات الطوال مع الجنود يعظمهم ويمنيهم إما بالنصر المؤزر والفتح المبين، وإما بالشهادة.

إنه يفحص ويدقق، أنه يعمل ويرتب، إنه يعد العدة ليوم عظيم، إنه ذاهب عما قريب تحت امرة يزيد بن معاوية لفتح القسطنطينية من بلاد الروم. وقالوا له: أتكون تحت امرة شاب..؟

قال: وما علي أن أمر علينا شاب.

ودارت المعارك وتساقط القتلى وأبو أيوب يشجع الجنود ويطالبهم بالاقدام حتى إذا أوشكت الشمس إلى المغيب تحاجز الجنود وقفلوا إلى أماكنهم لتناول طعامهم ولكن أبا أيوب لم يستطع أن يتناول طعاماً.

ولم يستطع أن يخرج مع الجنود في اليوم التالي

فدخل عليه يزيد يعوده، وتعرف على علته. وعندما أراد الخروج قال يزيد: يا أبا أيوب أوصني..

قال: إذا مت فكفنوني، ثم مرّ الناس فليركبوا ثم يسيروا في أرض العدو حتى إذا لم تجدوا مساغاً فادفنوني.

إنها خطة عسكرية بارعة. إنها نوع من الاستراتيجية التي بهرت الجنود إنه يريد

أن يقول لهم : إني لا أهاب العدو حياً أو ميتاً ، إن هؤلاء الأعداء لابد من غزوهم امتثالاً لقول الله تعالى :

«انفروا خفافاً وثقالاً فلا أجدني إلا خفيفاً أو ثقيلاً».

انفروا في كل حال ، وجاهدوا بالنفس والأموال ولا تتلمسوا الحجج والمعاذير ولا تخضعوا للعوائق والتعلات.

لقد أدرك المؤمنون المخلصون هذا الخير في قوله تعالى ﴿ ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾ فنفروا والعوائق في طريقهم ، والأعذار حاضرة لو أرادوا التمسك بها ففتح الله عليهم القلوب والأرضين ، وأعزَّ بهم كلمة الله ، وأعزَّهم بكلمة الله وحقق على أيديهم ما يعد خارقة في تاريخ الفتوح.

قرأ أبو طلحة — رضي الله عنه — سورة براءة فأتى على هذه الآية . فقال :

«أرى ربنا استنفرنا شيوخاً وشباناً جهزوني يا بني.

فقال بنوه : يرحمك الله قد غزوت مع رسول الله ﷺ حتى مات ومع أبي بكر حتى مات . ومع عمر حتى مات ، فنحن نغزو عنك ، فأبى فركب البحر فمات ، فلم يجدوا له جزيرة يدفنونه فيها إلا بعد تسعة أيام ، فلم يتغير فدفنوه».

وروى ابن جرير باسناده عن أبي راشد الحراني قال :

«وافيت المقداد بن الأسود فارس رسول الله ﷺ جالساً على تابوت من توابيت الصيارفة ، وقد فضل عنها من عظمه يريد الغزو.

فقلت : قد أعذر الله إليك.

قال : أتت علينا سورة براءة.

«انفروا خفافاً وثقالاً»

وروي كذلك باسناده — عن حيان بن زيد الشرعي قال :

«نفرنا مع صفوان بن عمرو، وكان والياً على حمص قبل الأفسوس إلى الجراجمة فرأيت شيخاً كبيراً قد سقط حاجباه على عينيه من أهل دمشق على راحلته فيمن أغار فأقبلت إليه فقلت:

«يا عم لقد أعذر الله إليك.

قال: فرفع حاجبيه فقال: يا ابن أخي استنفرنا الله، خفافاً وثقالاً الا من يحبه الله يبتليه، ثم يعيده فيبقيه، وإنما يبتلي الله من عباده من شكر وصبر وذكر، ولم يعبد إلا الله عز وجل.

ثم ماذا..؟ لكل سافرة حجاب، ولكل أجل كتاب، وبلغ الكتاب أجله ومات أبو أيوب الأنصاري صاحب رسول الله ﷺ والفارس المغوار الذي تربى في مدرسة النبوة.

وحمله الجنود على أكتافهم وتوغلوا في أرض العدو ثم واروه التراب رحمه الله رحمة واسعة بمقدار ما قدم من خير للاسلام والمسلمين.

أسباب نزول الآيات

روى البخاري عن حذيفة — رضي الله عنه — وروى يزيد بن أبي حبيب عن أسلم أبي عمران قال : وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة . قال : نزلت في النفقة .

وقال أسلم أبي عمران : غزونا القسطنطينية وعلى الجماعة عبد الرحمن بن الوليد والروم ملصقو ظهورهم بحائط المدينة فحمل رجل على العدو .

فقال الناس : مهٍ ، مهٍ لا إله إلا الله ، يلقي بيديه إلى التهلكة .

فقال أبو أيوب الأنصاري : سبحان الله أنزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار لما نصر الله نبيه ، وأظهر دينه قلنا : هلم نقيم في أموالنا نصلحها وندع الجهاد فانزل الله عز وجل :

﴿وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ .

والالقاء باليد إلى التهلكة أن نقيم في أموالنا ونصلحها وندع الجهاد ، فلم يزل أبو أيوب مجاهداً في سبيل الله حتى دفن بالقسطنطينية ، فقبره هناك فأخبرنا أبو أيوب أن الالقاء باليد إلى التهلكة هو ترك الجهاد في سبيل الله وأن الآية نزلت في ذلك .

وروي مثله عن حذيفة ، والحسن ، وقتادة ، ومجاهد ، والضحاك .

قال القرطبي : وروى الترمذي عن يزيد بن أبي حبيب عن أسلم أبي عمران هذا الخبر بمعناه فقال :

«كنا بمدينة الروم فأخرجوا إلينا صفاً عظيماً من الروم فخرج إليهم من المسلمين مثلهم أو اكثر، وعلى أهل مصر عقبة بن عامر، وعلى الجماعة فضالة بن عبيد فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم.

فصاح الناس وقالوا: سبحان الله يلقي بيديه إلى التهلكة.

فقام أبو أيوب الأنصاري فقال:

«يا أيها الناس إنكم تتأولون هذه الآية هذا التأويل، وإنما أنزلت هذه الآية فينا معاشر الأنصار، لما أعز الله الإسلام وكثر ناصروه، فقال بعضنا لبعض سراً دون رسول الله ﷺ إن أموالنا ضاعت، وإن الله قد أعز الإسلام وكثر ناصروه، فلو أقمنا في أموالنا فأصلحنا ما ضاع منا فأنزل الله على نبيه ﷺ يرد عليه ما قلنا:

«وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة»

فكانت التهلكة الإقامة على الأموال، واصلاحها، وترك الغزو، فما زال أبو أيوب شاخصاً في سبيل الله حتى دفن بأرض الروم.

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

وقال حذيفة بن اليمان، وابن عباس، وعكرمة، وعطاء، ومجاهد، وجمهور الناس: المعنى: لا تلقوا بأيديكم بأن تتركوا النفقة في سبيل الله وتخافوا العيلة فيقول الرجل: ليس عندي ما أنفقه. وإلى هذا المعنى ذهب البخاري إذ لم يذكره غيره.

قال ابن عباس: أنفق في سبيل الله، وإن لم يكن لك الا سهم أو مشقص ولا يقولن أحدكم: لا أجد شيئاً ونحوه عن السدي: أنفق ولو عقالاً، ولا تلقي بيدك إلى التهلكة فتقول: ليس عندي شيء.

وقول ثالث: قاله ابن عباس وذلك أن رسول الله ﷺ لما أمر بالخروج إلى الجهاد قام إليه ناس من الأعراب حاضرين بالمدينة فقالوا:

«بماذا نتجهز فوالله ما لنا زاد ولا يطعمنا أحد».

«بماذا نتجهز فوالله ما لنا زاد ولا يطعمنا أحد».

فنزل قول الله تعالى: ﴿وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾.
يعني تصدقوا يا أهل الميسرة في سبيل الله —

فنزل قول الله تعالى: ﴿وأنفقوا في سبيل الله﴾ يعني في طاعة الله ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾.
يعني تصدّقوا يا أهل الميسرة في سبيل الله.

وهكذا قال مقاتل، ومعنى قول ابن عباس، ولا تمسكوا عن الصدقة فتهلكوا أي لا تمسكوا عن النفقة على الضعفاء فإنهم إذا تخلفوا عنكم غلبكم العدو فتهلكوا.

وقول رابع: قيل للبراء بن عازب في هذه الآية: أهو الرجل يحمل على الكتيبة..؟

فقال: لا، ولكنه الرجل يصيب الذنب فيلقي بيديه ويقول: قد بالغت في المعاصي ولا فائدة في التوبة، فييأس من الله فينهمك بعد ذلك في المعاصي فالهلاك: اليأس من الله، وقاله عبيدة السلماني.

قال زيد بن أسلم: المعنى لا تسافروا في الجهاد بغير زاد، وقد كان فعل ذلك قوم فأداهم ذلك إلى الانقطاع في الطريق أو يكون عالة على الناس — والله أعلم وبالله التوفيق.

تذييل

قال تعالى: وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة.

والنفقة ما أنفق من الدراهم وغيرها، والجمع نفاق بالكسر مثل ثمرة وثمار ويقال: نفقت نفاق القوم، ورجل مِنفاق: كثير النفقة، وانفق الرجل ماله، قال تعالى: ﴿إذاً لامسكتم خشية الانفاق﴾ أي خشية الفناء النفاد، وقال قتادة، أي خشية انفاقه، وقال: الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار وقال: والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا

وانفق القوم: نفقت سوقهم.

ونفق السلعة تنفيقاً روجها.

والنفق: السرب في الأرض إلى مخلص قال تعالى﴿فإن استطعت أن تبتغي نفقاً في الأرض﴾.

وقد وردت النفقة في القرآن على وجوه:

بمعنى فرض الزكاة: قال تعالى: ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ أي يزكون ويتصدقون.

وبمعنى التطوع بالصدقات قال تعالى: ﴿الذين ينفقون في السراء والضراء﴾ وقال: وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية.

وقال : الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار، أي يتطوعون بالصدقة. وبمعنى الانفاق في الجهاد : وانفقوا في سبيل الله.

وقال : الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله.

وقال : لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل.

وبمعنى الانفاق على العيال والأهل : وإن كن أولات حمل فانفقوا عليهم.

وقال تعالى : ﴿لينفق ذو سعة من سعته﴾

وبمعنى الانفاق في عمارة الدنيا والندم عليها : (فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها)

وبمعنى الفقر والاملاق (إذا لأمسكتم خشية الإنفاق)

وبمعنى رزق الحق الخلق في عموم الحالات (بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء). أي يرزق

وبمعنى نفقة المخلصين طلباً لمرضاة الله تعالى ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله﴾

وبمعنى نفقة اليهود أموالهم تقوية للكفر (كالذي ينفق ماله رئاء الناس) وقال تعالى : ﴿مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم﴾.

وبمعنى انفاق المؤمنين أموالهم انتظاراً للثواب ﴿يا أيها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم﴾.

وقال تعالى :﴿وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه﴾.

وقال تعالى : ﴿وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه﴾.

وقال الشاعر :

انفق من الصبر الجميل فإنه
لم يخش فقراً منفق من صبره
والمرء ليس ببالغ في أرضه
كالصقر ليس بصائد في وكره

وقال آخر:

زمان كل حبّ فيه خب
وطعم الخلِّ خلٌّ لو يذاق
لهم سوق بضاعتها نفاق
فنافق فالنفاق له نفاق.

أُسامة بن زَيد بن حَارثة

رَضِيَ اللهُ عَنه

روى الامام البخاري بسنده عن الزهري، عن عروة عن عائشة — رضي الله عنها قالت :

إن قريشاً أهمهم شأن المخزومية فقالوا : من يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ».

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا
تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ
عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ
كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ
إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴾

صدق الله العظيم

[سورة النساء آية ٩٤]

أقوال العلماء في نزول هذه الآيات

قال كثير من العلماء والمفسرين ورجال الحديث والسير أن هذه الآية نزلت في مجموعة من الصحابة منهم أسامة بن زيد.

قال ذلك الامام الواحدي في أسباب النزول ١٦٧

وقاله الامام الطبري في التفسير ٩ : ٧٨

والامام السيوطي في الدر المنثور ٢ : ٢٠٠

وصحيح البخاري ٥ : ١٤٤

والامام مسلم ١ : ٦٧ — ٦٨

وسنن أبي داود ٣ : ٤٤ حديث ٢٦٤٣

فمن هو أسامة بن زيد..؟

أسامة بن زيد

رضي الله عنه..

والده زيد بن حارثة — رضي الله عنه.

الذي حضر والده وعمه إلى رسول الله ﷺ وقال حارثة: «يا ابن عبد المطلب، يا ابن هاشم، يا إبن سيد قومه، أنتم أهل حرم الله وجيرانه، تفكون العاني، تطعمون الأسير، جئناك في ابننا عندك فامنن علينا، وأحسن إلينا في فدائه..»

قال النبي ﷺ: ومن هو..؟

قالا: زيد بن حارثة.

فقال الرسول ﷺ فهلا غير ذلك..؟

قالا: وما هو..؟

قال أدعوه فأخيره، فإن اختاركم فهو لكم، وإن اختارني فوالله ما أنا بالذي أختار على من أختارني أحد.

قالا: قد زدتنا على النصف، وأحسنت.

فدعاه فقال: هل تعرف هؤلاء..؟

قال: نعم.

قال : من هذا..؟

قال زيد : هذا أبي وهذا عمي.

قال : فأنا من قد علمت ، ورأيت صحبتي لك ، فاخترني أو اخترهما.

قال زيد : ما أنا بالذي أختار عليك أحداً ، أنت مني مكان الأب والعم.

فقالا : ويحك يا زيد؟؟ أتختار العبودية على الحرية ، وعلى أبيك وعمك ، وأهل بيتك..؟

قال : نعم قد رأيت من هذا الرجل شيئاً ، ما أنا بالذي أختار عليه أحداً أبداً. وأمه أم أيمن التي كان يقول رسول الله ﷺ لها : يا أُمه وكان إذا نظر إليها قال :

«هذه بقية أهل بيتي»

أم أيمن التي هاجرت وهي صائمة فجهدها العطش : فدُلّيَ عليها من السماء دلو من ماء برشاء أبيض ، فأخذته فشربت منه حتى رويت ، فكانت تقول : «ما أصابني بعد ذلك عطش ، ولقد تعرضت للعطش بالصوم في المواجر فما عطشت بعد تلك الشربة ، وإن كنت لأصوم في اليوم الحارّ فما أعطش».

أم أيمن التي قال عنها رسول الله ﷺ

«من سره أن يتزوج امرأة من أهل الجنة فليتزوج أم أيمن ، فتزوجها زيد ابن حارثة فولدت له أسامة.

تربى في بيت النبوة ، وتفتحت عيناه على وضاءة الإسلام ، وتنور اليقين ، وشنفت أذنيه بسماع كلمات الوحي تتوالى على الرسول ﷺ فتعيها آذان الصحابة رضوان الله عليه ويتلقفونها من فم الرسول ﷺ فتكون لهم دستوراً ولحياتهم منهجاً ودليلاً.

يعثر أسامة على عتبة باب الرسول ﷺ فَشُجت جبهته فقال الرسول ﷺ

«يا عائشة أميطي عنه الدم»

فتقذرته. قالت: فجعل رسول الله ﷺ يمص شجته ويمجه ويقول:

«لو كان أسامة جارية لكسوته وحليته حتى أنفقه».

ويقول أسامة: كان نبي الله ﷺ يأخذني فيقعدني على فخذه، ويقعد الحسن ابن علي على فخذه الأخرى ثم يضمنا ثم يقول:

«اللهم ارحمهما فإني أرحمهما».

ويشب أسامة عن الطوق ويذهب مع الرسول ﷺ لأداء فريضة الحج. وعند الافاضة من عرفات يفتقد الرسول ﷺ أسامة فأخر الإفاضة انتظاراً لأسامة.

وبعد فترة جاء أسامة، غلام أفطس أسود.

فقال أهل اليمن: إنما حبسنا من أجل هذا..؟؟

قال الرسول ﷺ:

«كفر أهل اليمن من أجل ذا».

قال محمد بن سعد: قلت ليزيد بن هارون: ما يعني بقوله كفر أهل اليمن من أجل هذا..؟

فقال: ردتهم حين ارتدوا في زمن أبي بكر — رضي الله عنه — إنما كانت لاستخفافهم بأمر النبي ﷺ.

وكان أسامة لا يفارق الرسول ﷺ في ظعن أو إقامة. يقول عبد الله بن عمر — رضي الله عنهما — دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح ورديفه أسامة بن زيد فأناخ في ظل الكعبة.

قال عبد الله فسبقت الناس فدخل النبي ﷺ وبلال وأسامة الكعبة، فقلت لبلال — وهو وراء الباب —

«أين صلى رسول الله ﷺ..؟

قال: بحيالك بين السارتين..

وعندما هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة بقي أسامة بن زيد وأمه أم أيمن في مكة.

تقول السيدة عائشة — رضي الله عنها.

«لما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة خلفنا وخلف بناته فلما قدم المدينة بعث إلينا زيد بن حارثة، وبعث معه أبا رافع مولاه وأعطاهما بعيرين، وخمسمائة درهم أخذها رسول الله — ﷺ — من أبي بكر يشتريان بها ما يحتاجان إليه من الظهر وبعث أبو بكر معهما عبد الله بن أريقط الديلي ببعيرين أو ثلاثة.

وكتب إلى عبد الله بن أبي بكر يأمره أن يحمل أهله أمي «أم رومان» وأنا وأختي أسماء امرأة الزبير، فخرجوا مصطحبين، فلما انتهوا إلى قُديد اشترى زيد بن حارثة بتلك الخمسمائة ثلاثة أبعرة، ثم رحلوا من مكة جميعاً، وصادفوا طلحة بن عبيد الله يريد الهجرة بآل أبي بكر فخرجنا جميعاً وخرج زيد بن حارثة وأبو رافع بفاطمة، وأم كلثوم، وسودة بنت زمعة، وحمل زيد أم أيمن، وابنه أسامة.

وأسرعت المطي الخطى إلى المدينة شوقاً إلى رسول الله ﷺ وتلهفاً إلى لقياه. حتى وصلوا إلى يثرب حيث أنوار النبوة، وهدى التنزيل، وتوجيهات الرسول ﷺ.

وأراد أسامة أن يتزوج فاستشار أباه في ذلك فأشار عليه بزينب بنت قسامة. فدخل بها وعاش معها فترة ولكن الله لم يوفق بينهما فافترقا. وكان الرسول ﷺ كلما رأى زينب رأى على وجهها مسحة من الحزن، وهموماً تلف ليلها ونهارها.

فكان يخطب لها ويقول: من أدله على الوضيئة وأنا صهره..؟

وجعل رسول الله ينظر إلى نعيم.

فقال نعيم: كأنك تريدني.

قال: أجل.

فتزوجها نعيم فولدت له ابراهيم.

وعاش أسامة فترة بلا زوجة أو أهل. يجتر أحزانه ويسهر لياليه. ويدخل أسامة على رسول الله ﷺ فوجده يبكي لموت ابراهيم، فصرخ أسامة وأجهش بالبكاء.

فنهاه النبي ﷺ فقال أسامة:

«رأيتك تبكي»

فقال رسول الله ﷺ: البكاء من الرحمة، والصراخ من الشيطان. ثم تابع الرسول ﷺ قوله:

«لولا أنه أجل معدود، ووقت معلوم لحزعنا عليك أشد مما جزعنا، إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إن شاء الله إلّا ما يرضي الرب وإنا عليك يا ابراهيم لمحزونون».

تقول سيرين أم عبد الرحمن بن حسان بن ثابت:

«حضرت موت ابراهيم فرأيت رسول الله ﷺ كلما صحت أنا وأختي ما ينهانا. فلما مات نهانا عن الصياح، وغسله الفضل بن عباس ثم حمل فرأيت رسول الله ﷺ على شفير القبر، والعباس جالس إلى جنبه، ونزل في حفرته الفضل بن عباس وأسامة بن زيد.

وخسفت الشمس ذلك اليوم فقال الناس:

«خسفت لموت ابراهيم».

فقال رسول الله ﷺ إنها لا تخسف لموت أحد ولا لحياته ورأى رسول الله ﷺ فرجة في اللبن.

فأمر أسامة بها أن تسد.

فقال أسامة: يا رسول الله أمنها شيء..؟

فقال عليه السلام : أما أنها لا تضر ولا تنفع ، ولكن تقر عين الحي ، وإن العبد إذا عمل عملاً أحب الله أن يتقنه»

وأصبحت هذه الكلمات دستوراً يتبعها أسامة في عمله ، لأن العمل عبادة في شرع الإسلام ، والله يطلب من عباده أن يتقنوا العمل وأن يجودوه وهكذا سار أسامة في حياته إتقان العمل واجب ، والعمل في الاسلام عبادة العمل عبادة وأنت تشق الأرض وتلقي فيها الحب.

العمل عبادة وأنت في مصنعك تجود صناعتك.

العمل عبادة وأنت تنشر المعرفة وتدعو إلى الحق والعدل

العمل عبادة وأنت ساهر بسلاحك تحمي الحدود والثغور

العمل عبادة وأنت تصف الدواء وتحارب الداء.

العمل عبادة في كل مرفق من مرافق الحياة ما دمت في النهاية تبغي وجه الله تعالى ، وترجو ثوابه ، وتخشى عقابه.

وخرج أسامة من تأملاته تلك وتذكر أنه يعيش وحيداً بلا زوجة ليس له من الولد ما يجمل حياته ويؤنسه ، والأولاد زينة الدنيا والإسلام يرفض الرهبانية. فماذا يفعل..؟ اتجه أسامة إلى مجلس الرسول ﷺ فوجد في مجلسه فاطمة بنت قيس ، وكانت قد طلقت من زوجها فهي تطالب بالسكنى والنفقة .؟؟

فقال الرسول ﷺ يا فاطمة إنما السكنى والنفقة التي لزوجها عليها رجعة . انتقلي إلى أم شريك ولا تفوتينا بنفسك. ثم قال : «إن أم شريك يدخل عليها إخوتها من المهاجرين فانتقلي إلى ابن أم مكتوم فإنه رجل ضرير البصر. فذهبت إليه.

ووقعت فاطمة في قلب أسامة ، وتمنى أن تكون له زوجة ، ولكنه لم يظهر شيئاً ولكن الرسول ﷺ علم ما يدور بخلد أسامة.

ومرت الأيام وانقضت عدتها وحل أجلها. ثم ماذا..؟

خطبها معاوية بن أبي سفيان — رضي الله عنه.

وخطبها أبو جهم بن حذيفة — رضي الله عنه

وخطبها أسامة بن زيد — رضي الله عنه

وجاءت فاطمة لرسول الله ﷺ تستشيره فيمن تأخذ وفيمن ترضي..؟

فقال الرسول ﷺ:

أما معاوية فعائل لا مال له..؟؟

وأما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه..؟

أين أنتم من أسامة..؟

قال: فكأن أهلها كرهوا ذلك. فقالت: لا أنكح إلا الذي قال رسول الله ﷺ.

وتزوج أسامة، وأصبحت له أسرة ومنزل يأوي إليه، ليس قصراً منيفاً ولا متطاول البنيان، وإنما هو صغير ومحدود يقيه حر النهار وبرودة الليل وما كاد ينعم أسامة بزواجه من فاطمة بنت قيس حتى رافق سرية غالب بن عبدالله الليثي التي أرسلها رسول الله ﷺ في مائة وثلاثين رجلاً ودليلهم يسار مولى رسول الله ﷺ فهجموا على الأعداء فقتلوا من أشرف لهم، واستاقوا نعماً وشاءً فأرسلوها إلى المدينة ولم يأسروا أحداً.

وفي هذه السرية قتل أسامة بن زيد الرجل الذي قال: لا إله إلا الله فقال النبي ﷺ ألا شققت قلبه فتعلم صادق هو أم كاذب..؟

فقال أسامة: لا أقاتل أحداً يشهد أن لا إله إلا الله.

إن هذه السرية وما يأتي بعدها من اشتراك أسامة فيها لا تعدو أن تكون تدريباً له واختباراً لقدراته عندما يدعى غداً لقيادة جيش المسلمين خارج الحدود العربية إن شاء الله.

وعندما تزوج أسامة فاطمة بنت قيس أهداه رسول الله ﷺ قبطية كثيفة كانت مما أهدى دحية الكلبي فكسوتها امرأتي فاطمة.

فقال لي رسول الله ﷺ ما لك لم تلبس القبطية..؟

قلت: يا رسول الله كسوتها امرأتي.

فقال النبي ﷺ مرها فلتجعل تحتها غلالة، إني أخاف أن تصف حجم عظامها».

ويستجيب أسامة لما أمر به الرسول ﷺ وتمر الأيام وتكر الليالي والمجتمع الاسلامي يسير على تعاليم القرآن، وبما يأمر به الرسول ﷺ ومع ذلك تقدم امرأة من بني مخزوم على السرقة، وهي تعلم أن حدها قطع اليد التي امتدت إلى مال حرام، ويجتمع قومها ويطلبون من أسامة أن يكلم رسول الله ﷺ أن يشفع في هذه المرأة فلا يقيم عليها الحد مجاملة لقومها ومكانتهم بين العرب.

ويستجيب لهم أسامة ويكلم الرسول ﷺ في ذلك. فقال عليه السلام: إن بني إسرائيل كان إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف قطعوه. والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها». وأذعن أسامة وعاهد رسول الله أن لا يتكلم في حد من حدود الله. ثم ماذا..؟

لقد جرت بعض المعارك الضارية بين المسلمين وأعدائهم داخل الجزيرة العربية، لقد كانت غزوة أحد، ثم غزوة الخندق، ثم صلح الحديبية ثم المعارك الجانبية بين المسلمين واليهود والتي على أثرها تم طردهم خارج البلاد العربية. أين أسامة في هذه المعارك..؟

إن التاريخ يصمت عنه فلا يذكره في أي منها. حتى إذا كانت غزوة حنين وكان الهول الأكبر وخرجت جحافل المشركين من مضيق الوادي وحملوا على المسلمين حملة واحدة وفرت الجيوش وانهزمت الكتائب عندها ظهر أسامة بن زيد يحمي ظهر الرسول ﷺ وهو ينادي يا أنصار الله. وأنصار رسوله. أنا عبد الله ورسوله.

وجعل يقول للعباس : ناد معشر الأنصار ، يا أصحاب السمرة . يا أصحاب سورة البقرة .

وما كاد المسلمون يسمعون ذلك حتى عادوا كأنهم الإبل إذا حنَّت على أولادها يقولون :

«يا لبيك يا لبيك» وحملوا على المشركين وتساقطت قتلاهم فقال الرسول ﷺ :

«الآن حمي الوطيس ، أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب»

ثم التفت إلى أسامة وقال : ناولني حصيات . فناوله حصيات من الأرض فأخذها بيده ثم قال : شاهت الوجوه ، ورمى بها وجوه المشركين» . ثم قال : «انهزموا ورب الكعبة» وقذف الله في قلوبهم الرعب وانهزموا لا يلوي أحد منهم على أحد .

وتعلم أسامة أن القيادة الحكيمة عامل من عوامل النصر . والقائد المؤمن هو الذي يجيد التصرف أثناء المعارك ، ولن يستطيع ذلك — وهو يرى أن السيوف مشرعة ، والرقاب تتطاير ، والقتلى تتساقط إلا إذا كان الإيمان بأن لكل أجل كتاباً . وما كان لنفس أن تموت إلا باذن الله وأن الفرار لا يمنع الأجل ولا يطيل في العمر «قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم» .

نقول إلا إذا كان الإيمان بهذه القضية يسيطر على كل خلجة من خلجاته وكل ذرة من ذراته .

ولقد وعى أسامة في هذه الغزوة الكثير والكثير ، وتعلم من أساليب المعارك وخدع القتال ما يجعله كفيلاً بقيادة الجيوش الجرارة خارج بلاده . يقول أسامة : وقام الرسول ﷺ بقسمة الغنائم بين أهل مكة والمؤلفة قلوبهم . ولم يأخذ الأنصار شيئاً ، ولقد وجدوا في نفوسهم من ذلك . وعلم الرسول ﷺ بما عليه الأنصار فاحضروا إليه فقال :

«ما الذي بلغني عنكم..؟»

قالوا: هو الذي بلغك..؟؟

قال: يا معشر الأنصار أما ترضون أن يرجع الناس بالشاء والبعير وترجعوا برسول الله إلى رحالكم..؟

ثم قال: لو سلكت الأنصار وادياً أو شعباً لسلكت وادي الأنصار أو شعبتهم ولولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار.

قالوا: رضينا يا رسول الله بك حظّاً وقسماً.

فقال رسول الله ﷺ:

«اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار». ثم ماذا..؟

عاد الرسول ﷺ إلى المدينة، وفي تلك الرحلة، تأكد له ﷺ مقدرة أسامة في قيادة الجيوش، وتدبير المعارك ومحاصرة الأعداء والانتصار عليهم. فعقد له تولية قيادة الجيش لغزو الروم وأمر الرسول ﷺ الناس بالتهيؤ لذلك. وقال لأسامة: «سر الى موضع مقتل أبيك فأوطئهم الخيل، وأغر صباحاً، وأسرع السير تسبق الأخبار، فإن ظفَّرك الله فأقلل اللبث فيهم، وخذ معك الأدلّاء وقدم العيون والطلائع أمامك.

فلما كان يوم الخميس عقد رسول الله ﷺ لواء أسامة بيده ثم قال له: «أغزُ بسم الله في سبيل الله فقاتل من كفر بالله».

فخرج أسامة بلوائه معقودا فدفعه إلى بُريدة بن الحصيب الأسلمي وعسكر بالجُرُف فلم يبق أحدٌ من وجوه المهاجرين الأولين والأنصار إلا انتدب في تلك الغزوة فيهم.

أبو بكر الصديق — رضي الله عنه.

وعمر بن الخطاب — رضي الله عنه.

وأبو عبيدة بن الجراح — رضي الله عنه.

وسعد بن أبي وقاص — رضي الله عنه.

وسعيد بن زيد — رضي الله عنه.

وقتادة بن النعمان — رضي الله عنه.

فتكلم قوم وقالوا: يستعمل هذا الغلام على المهاجرين والأنصار..؟؟ فغضب رسول الله ﷺ غضباً شديداً — فخرج وقد عصب على رأسه عصابة، وعليه قطيفة، فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال:

«أما بعد أيها الناس فما مقالة بلغتني عن بعضكم
في تأميري أسامة..؟؟ ولئن طعنتم في إمارتي
أسامة لقد طعنتم في إمارتي أباه من قبله، وايم
الله إنه كان للإمارة لخليقاً وإن ابنه من بعده لخليق.
للامارة، وإن كان لمن أحب الناس إليَّ، وإنهما
لمخيلان لكل خير، واستوصوا به خيراً، فإنه من خياركم».

وجاء المسلمون الذين يخرجون مع أسامة يودعون رسول الله ﷺ ثم يمضون إلى العسكر بالجرف.

وثقل المرض على رسول الله ﷺ فجعل يقول:

«أنفذوا بعث أسامة»

ورجع أسامة إلى معسكره ثم دخل يوم الاثنين — وأصبح رسول الله ﷺ مفيقاً صلوات الله عليه وبركاته فقال له:

«أغدوا على بركة الله» فودعه أسامة وخرج إلى معسكره فأمر الناس بالرحيل، فبينا هو يريد الركوب إذا رسول أمه أم أيمن قد جاءه يقول:

«إن رسول الله يموت»

فأقبل وأقبل معه عمر وأبو عبيدة ، فانتهوا إلى رسول الله ﷺ وهو يموت ، فقبلوه وكان الوداع

وعلم المسلمون في الجيش بوفاة رسولهم فدخلوا إلى المدينة ، ودخل بُريدة بن الحصيب باللواء إلى بيت أسامة فغرزه عنده.

فلما بويع لأبي بكر أمر بريدة بن الحصيب أن يذهب باللواء إلى بيت أسامة ليمضي لوجهه. ومضى الجميع إلى معسكرهم الأول.

فلما ارتدت العرب كُلم أبو بكر في حبس أسامة ، فأبى ، وكلم أبو بكر أسامة في عمر أن يأذن له في التخلّف ففعل.

وسار جيش أسامة إلى الوجهة التي حددها له رسول الله ﷺ. سار جيش الإيمان إلى وجهته تحدهم رعاية الله وعنايته حتى وصلوا إلى أعدائهم فأعملوا فيهم السيف والقتل وأسروا من استطاعوا أسره ، وعادوا بالكثير من الغنائم والأسرى. وفي طريق العودة أرسل أسامة رسولاً إلى أبي بكر يخبره فيه بانتصارهم وسلامتهم.

وخرج خليفة المسلمين وأهل المدينة معه لاستقبال الجيش الظافر المنتصر حتى وصلوا إلى المدينة فترجل أسامة وجيشه ودخلوا مسجد الرسول ﷺ ليصلوا صلاة الشكر لله تعالى أن نصر دينه وأعز جنده وهزم الكفار والمشركين لكفرهم وعصيانهم.

ودارت عجلة الحياة وتفرغ أبو بكر — رضي الله عنه لهؤلاء المرتدين عن دينهم وجيش الجيوش لذلك. ولقد ساهم أسامة في كل المعارك التي شنها المسلمون على هؤلاء المرتدين حتى عادت الجزيرة العربية إلى صوابها وجددت اسلامها وقدمت زكاتها إلى بيت المال.

ثم توفي الخليفة الأول — رضوان الله عليه — وجاء بعده عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وسار سيرة حسنة في الرعية وجاءه أبو هريرة عامله على البحرين يقول أبو

هريرة : لقيت عمر في صلاة العشاء الآخرة فسلمت عليه فسألني عن الناس ، ثم قال لي : ماذا جئت به..؟

قلت : جئت بخمسمائة ألف درهم.

قال : هل تدري ما تقول..؟

قلت : جئت بخمسمائة ألف درهم.

قال : ماذا تقول..؟

قلت : مائة ألف ، مائة ألف ، مائة ألف ، مائة ألف. مائة ألف ، حتى عددت خمساً.

قال : إنك ناعس فارجع إلى أهلك فنم ، فإذا أصبحت فأتني.

قال أبو هريرة. فغدوت إليه.

فقال : ماذا جئت به..؟

قلت : جئت بخمسمائة ألف درهم.

قال عمر: أطيب..؟

قلت : نعم. لا أعلم إلا ذلك.

فقال للناس : إنه قدم علينا مال كثير ، فإن شئتم أن نعدّ لكم عدداً وإن شئتم أن نكيله لكم كيلاً.

فقال له رجل: يا أمير المؤمنين إني قد رأيت هؤلاء الأعاجم يدونون ديواناً يعطون الناس عليه.

قال : فدون الديوان ، وفرض للمهاجرين والأنصار ، وفرض لأسامة بن زيد أربعة آلاف درهم ، وفرض لابنه عبدالله ثلاثة آلاف درهم يقول عبدالله بن عمر :

«قال لي رجل فضل عليك أمير المؤمنين من ليس بأقدم منك سناً ولا أفضل منك هجرة ، ولا شهد من المشاهد ما لم تشهد.

قال عبد الله. فذهبت إليه وقلت: يا أمير المؤمنين فضّلت عليّ من ليس بأقدم مني سناً، ولا أفضل مني هجرة، ولا شهد من المشاهد ما لم أشهد..؟؟

قال: ومَن هو..؟

قلت: أسامة بن زيد.

قال: صدقت لعمر الله. فعلت ذلك لأن زيد بن حارثة كان أحبَّ إلى رسول الله ﷺ من عمر، وأسامة بن زيد كان أحبَّ إلى رسول الله ﷺ من عبد الله بن عمر. فلذلك فعلت الذي رأيت.

عندها رضي عبد الله بن عمر — وتذكر قول الرسول ﷺ في أسامة، والحسن ابن علي: اللهم أحبهما فإني أحبهما».

وقوله أيضاً: اللهم ارحمهما فإني أرحمهما».

ويدخل عبد الله بن عمر المسجد يوماً فيشاهد رجلاً يسحب ثيابه في ناحية من المسجد.

فقال: انظر من هذا..؟ ليت هذا عندي.

قال له إنسان: أما تعرف هذا يا أبا عبد الرحمن..؟ هذا محمد بن أسامة قال الرجل: فطأطأ ابن عمر رأسه ونقر بيديه في الأرض ثم قال:

«لو رآه رسول الله ﷺ لأحبه».

ويقتل عثمان — رضي الله عنه — وتلف المسلمين فتنة سوداء ويسمع أسامة بما يحيكه الأعداء ويدبرونه لعلي بن أبي طالب — رضي الله عنه — فيرسل إليه أسامة مولاه حرملة فقال:

«أقرئه السلام وقل له إنك لو كنت في شدق الأسد لأحببت أن أدخل معك».

ولكن الامام علياً — رضي الله عنه — ضن بحب رسول الله ﷺ أن يدخل في هذه الفتنة وطلب منه أن يعتزلها، حتى لا يصيبه مكروه من جراء ذلك.

واعتزل أسامة الفتنة وأخذ يهتم بمال له في وادي القرى، وكان يصوم يوم الاثنين ويوم الخميس.

فقال له مولاه حرملة: أتصوم في السفر، وقد كبرت ورفعت..؟

قال أسامة: رأيت رسول الله ﷺ، يصوم يوم الاثنين، ويوم الخميس. وقال: إن الأعمال تعرض يوم الاثنين ويوم الخميس».

وكان أسامة باراً بأمه، عطوفاً عليها يتفقدها كل وقت وحين.

عن محمد بن سيرين قال: بلغت النخلة على عهد عثمان بن عفان — رضي الله عنه — ألف درهم، قال:

«فعمد أسامة إلى نخلة فنقرها وأخرج جمارها. فأطعمها أمه فقالوا له: ما يحملك على هذا وأنت ترى النخلة قد بلغت ألف درهم..؟

قال: إن أمي سألتنيه، ولا تسألني شيئاً أقدر عليه إلا أعطيتها. إن أسامة الذي تربى في مدرسة القرآن وعى قلبه وعقله قول الله تعالى: «وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً إما يبلغن عندك أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً».

ومن خفض الجناح إجابة مطلبها والعمل على تحقيق راحتها. ثم ماذا..؟

آن للفارس المغوار أن يستريح، وللجواد الجامح أن يقف، وأن يبلغ الكتاب أجله، فمات رضي الله عنه في خلافة معاوية بن أبي سفيان في وادي الجرف بمدينة الرسول ﷺ رحمه الله رحمة واسعة، واسكنه فسيح جناته بمقدار ما قدم من خير للاسلام والمسلمين.

أسباب نزول الآيات

قال الامام الواحدي : أخبرنا أبو ابراهيم إسماعيل بن إبراهيم الواعظ ، قال : أخبرنا أبو الحسين محمد بن أحمد بن حامد ، قال : أخبرنا أحمد بن الحسين بن عبد الجبار ، قال : حدثنا محمد بن عباد ، قال : حدثنا سفيان ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، قال :

«لحق المسلمون رجلاً في غنيمة له فقال : السلام عليكم فقتلوه وأخذوا غنيمته فنزلت هذه الآية : ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدنيا»

أي تلك الغنيمة . رواه البخاري عن علي بن عبد الله ، ورواه مسلم عن أبي بكر ابن أبي شيبة كلاهما عن سفيان .

وأخبرنا إسماعيل . قال : أخبرنا أبو عمرو بن نجيد ، قال : حدثنا محمد بن الحسن ابن الخليل ، قال : حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة عن ابن عباس ، قال :

«مر رجل من سليم على نفر من أصحاب رسول الله ﷺ ومعه غنم له فسلم عليهم ، فقالوا : ما سلم عليكم إلا ليتعوذ منكم فقاموا إليه فقتلوه وأخذوا غنمه ، وأتوا بها رسول الله ﷺ ، فأنزل الله تعالى :

﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا﴾.

أخبرنا أبو بكر الأصفهاني، قال: أخبرنا أبو الشيخ الحافظ، قال: أخبرنا أبو يحيى الرازي، قال: حدثنا سهل بن عثمان، قال: حدثنا وكيع عن سفيان عن حبيب بن أبي عمرة، عن سعيد بن جبير قال:

«خرج المقداد بن الأسود في سرية، فمروا برجل في غنيمة له فأرادوا قتله فقال: لا إله إلا الله، فقتله المقداد فقيل له: أقتلته وقد قال: لا إله إلا الله..؟ ودَّ لو فرَّ بأهله وماله.

فلما قدموا على رسول الله ﷺ ذكروا ذلك له فنزلت: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا﴾.

قال الحسن: إن أصحاب النبي عليه السلام خرجوا يطوفون فلقوا المشركين فهزموهم، فشد منهم رجل فتبعه رجل من المسلمين وأراد متاعه، فلما غشيه بالسنان قال:

«إني مسلم، إني مسلم، فكذبه ثم أوجره بالسنان فقتله وأخذ متاعه وكان قليلا فرفع ذلك إلى رسول الله ﷺ فقال:

«قتلته بعد ما زعم أنه مسلم..؟

فقال: يا رسول الله إنما قالها متعوذاً.

قال: فهلا شققت عن قلبه..؟

قال: لم يا رسول الله..؟

قال: لتنظر أصادق هو أم كاذب..؟

قال: وكنت أعلم ذلك يا رسول الله..؟

قال: ويلك إنك إن لم تكن تعلم ذلك إنما كان يبين عنه لسانه.

قال: فما لبث القاتل أن مات فدفن، فأصبح وقد وضع إلى جنب قبره.

قال : ثم عادوا فحفروا له وأمكنوا ، ودفنوه ، فأصبح وقد وضع إلى جنب قبره مرتين أو ثلاثاً.

فلما رأوا أن الأرض لا تقبله ألقوه في بعض تلك الشعاب. قال : وأنزل الله تعالى هذه الآية.

قال الحسن : إن الأرض تحبس من هو شر منه ، ولكن وعظ القوم ألا يعودوا.

أخبرنا أبو نصر أحمد بن محمد المزكي قال : أخبرنا عبيد الله بن محمد بن بطة قال : أخبرنا أبو القاسم البغوي. قال : حدثنا سعيد بن يحيى الأموي ، قال : حدثني أبي ؛ قال : حدثنا محمد بن اسحاق عن يزيد بن عبد الله بن قُسيط عن القعقاع بن عبد الله بن أبي حدرد عن أبيه قال :

«بعثنا رسول الله ﷺ في سرية إلى إضم ، قبل مخرجه إلى مكة. قال : فمر بنا عامر الأضبط الأشجعي ، فحيّانا تحية الإسلام فنزعنا عنه ، وحمل عليه محلِّم بن جثامة. لشر كان بينه وبينه في الجاهلية. فقتله واستلب بعيراً له ووطاء كان له.

قال : فأنهينا شأننا إلى رسول الله ﷺ فأخبرناه بخبره فأنزل الله تعالى :

﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا﴾ إلى آخر الآية. وقال السدي : بعث رسول الله ﷺ أسامة بن زيد على سرية فلقي مرداس بن نهيك الضمري فقتله. وكان من أهل «فدك» ولم يسلم من قومه غيره. وكان يقول : لا إله إلا الله محمد رسول الله. ويسلم عليهم. قال أسامة :

«فلما قدمت على رسول الله ﷺ أخبرته فقال :

«قتلت رجلاً يقول : لا إله إلا الله..؟»

يا رسول الله ، إنما تعوذ من القتل.

فقال : كيف أنت إذا خاصمك يوم القيامة بلا إله إلا الله..؟

قال : فما زال يرددها عليَّ : أقتلت رجلاً يقول : لا إله إلا الله..؟

حتى تمنيت لو أن إسلامي كان يومئذ فنزلت :

﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا﴾ .

ونحو هذا قال الكلبي ، وقتادة ، ويدل على صحته الحديث الذي أخبرناه أبو بكر محمد بن ابراهيم الفارسي قال :

أخبرنا محمد بن عيسى بن عمرويه ، قال : حدثنا ابراهيم بن سفيان قال : حدثنا مسلم ، قال : حدثني يعقوب الدورقي ، قال : حدثناهشيم قال أخبرنا ابن حصين. قال : حدثنا أبو ظبيان ، قال : سمعت أسامة بن زيد بن حارثة يحدث قال :

«بعثنا النبي ﷺ إلى الحرقة من جهينة فصبحنا القوم فهزمناهم قال : فلحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم ، فلما غشيناه قال : لا إله إلا الله». قال :

«فكف عنه الأنصاري فطعنته برمحي فقتلته ، فلما قدمنا بلغ ذلك النبي عليه السلام فقال : يا أسامة أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله..؟»

قلت : نعم . إنما كان متعوذاً .

قال : أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله..؟

قال : فما زال يكررها عليَّ حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم .

تذييل . . .

لماذا الجهاد في الاسلام..؟

ولماذا خرج المسلمون الأول من الجزيرة العربية..؟

أخرجوا ليفرضوا دينهم بالقوة وبحد السلاح..؟

وانداحوا في أركان الأرض ليخضعوا البشرية إلى هذا الدين الجديد.؟ الحقيقة أن كتابهم يرفض القوة لاجبار الناس على اعتناقه، ولا يرضى بغير الاقناع العقلي بديلاً لدخول الأفراد في هذا الدين.

يقول الله تعالى مخاطباً رسوله الكريم عندما رغب في إيمان بعض أقاربه وألح عليه في ذلك.

﴿أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾[١]

ويقول سبحانه وتعالى للبشرية عامة:

﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾[٢]

والدعوة إلى الدين في شرع الاسلام يجب أن تكون بالكلمة الطيبة والاقناع السليم. يقول الله تعالى:

---

(١) سورة يونس آية رقم ٩٩

(٢) سورة البقرة آية رقم ٢٥٦

﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾[1].

وإذا كان ذلك كذلك، فلماذا خرج المسلمون من جزيرتهم، واتجهوا في أركان الأرض الأربعة.

أهناك ضروزة دفعتهم إلى ذلك..؟

أم أن رسولهم أمرهم بذلك..؟الحقيقة أن هذا الخروج كان من أجل نشر دين الله، خرجوا ليبشروا بهذا الدين الجديد.

خرجوا لتكون كلمة الله هي العليا.

هذا هو المبرر الأول للحركة الجهادية في الإسلام.

ويؤيد هذا الرأي ما يروي عن الرسول ﷺ عندما سئل: «الرجل يقاتل للشجاعة، والرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل ليرى مكانه أي مفاخرة»

فأي ذلك في سبيل الله..؟

فقال: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله.

فليس الجهاد من أجل الاستيلاء على البلاد، وليس الجهاد من أجل الثروة الاقتصادية والغلبة، وليس الجهاد من أجل الرغبة في خفض العيش وإيجاد الرخاء في أساليب الحياة على حساب الآخرين.

وإنما العامل الأساسي في ذلك أن تكون كلمة الله هي العليا، وأن يكون الجهاد في سبيل الله، والجهاد دفاعاً عن الأهل، هو جهاد في سبيل الله والجهاد دفاعاً عن المال هو جهاد في سبيل الله، والجهاد دفاعاً عن العرض هو جهاد في سبيل الله، والجهاد دفاعاً عن الوطن وتحرير الأرض هو جهاد في سبيل الله. يقول الرسول ﷺ:

(١) سورة النحل آية رقم ١٢٥

من قتل دون عرضه فهو شهيد ، ومن قتل دون أهله فهو شهيد ، ومن قتل دون ماله فهو شهيد».

ومن هنا وضحت رسالتهم أمام البشرية ، وكما بينها ربعي بن عامر — رضي الله عنه — رسول المسلمين في مجلس «يزدجرد» بقوله :

«الله ابتعثنا لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الرحمن ، فالامم جميعها أمام الإسلام سواء ، والناس أمام شرع ربهم أكفاء ، والخلق جميعاً لآدم ، وآدم من تراب.

قال تعالى : «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن اكرمكم عند الله أتقاكم».

ومن هذا الفهم لطبيعة التقوى في الإسلام ، نرى صاحب الدعوة الاسلامية.

محمد ﷺ يوصي قادة الجيوش بقوله :

«أوصيكم بتقوى الله ومن معكم من المسلمين». ثم يقول :

«اغزوا باسم الله في سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله ، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا وليداً ، وإذا لقيت عدوك من الكفار فادعهم إلى ثلاث خصال. فأيتهنّ أجابوك فاقبل منهم وكفّ عنهم ، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم».

لا بد من التقوى للقائد الذي يتأمر على الجيش ، لأنه الرجل التقي يخاف الله ، ويخشى عقابه ، فيأمر بالعدل ويدعو إليه.

والرجل التقي ، يخشى الخديعة ، ولا يقع فيها ، ويحذر الخيانة ولا يأتيها والرجل التقي يؤمن بأن لكل أجل كتاباً ، فلا يخاف ما تأتي به الليالي فيقاتل وهو واثق من إحدى الحسنيين ، إما النصر ، وإما الشهادة. ولا بد أن تكون الحروب باسم الله ،

فلن تكون الحروب في شرع الاسلام باسم العصبية ، ولن تقام الحروب في شرع الإسلام باسم الأفراد ، ولن تقام الحروب للمغنم والاستعلاء ، ولن تعلن الحرب إلا على الكافرين ، لن تعلن الحرب إلا على الملحدين الجاحدين ، أما أهل الكتاب فلهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين.

يقول الله تعالى :

«لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين».

وإذا أثيرت المعركة وحمي وطيس القتال ، فالمسلم لا يمثل بالقتلى من أعدائه ، ولا يشوه جثثهم ،والمسلم لا يقتل الأطفال ولا الرضع ولا يقتل الشيوخ ولا النساء ولا يتعرض لهن بأذى.

يقول أبو بكر الصديق — رضي الله عنه مستمداً قوله من وصايا الرسول ﷺ :

«لا تقتلوا طفلاً ولا شيخاً ولا امرأة ولا تقطعوا

شجرة ، ولا تعقروا ناقة ، ولا بقرة ، ولا شاة إلا لمأكلة

وستمرون بقوم يعبدون الله في الصوامع فدعوهم وما خلوا

أنفسهم له».

فلن يقاتل هؤلاء الذين يعبدون الله ، ولن يرفع السلاح في وجوههم وإنما يقاتل فقط من يحمل السلاح ليصد عن دين الله ، ويحول بينه وبين الوصول إلى خلق الله.

يقاتل فقط من يرفض أن يستجيب لواحدة من ثلاث :

١ — إما الاسلام

٢ — وإما الجزية.

٣ — وإمّا القتال.

فإن أجابوا داعي الإسلام فلا حرب ولا قتال.

«وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله».

ولهم ما للمسلمين، وعليهم ما على المسلمين، فإن رفضوا الأولى، فعليهم الثانية وهي الجزية.

والجزية بالنسبة للذمي تعادل الزكاة للفرد المسلم.

إن كل فرد في المجتمع الإسلامي لا بد من أن يقدم بعض ماله مساهمة منه في حماية الدولة، وتجهيز الجيوش، وتأمين الثغور، وإقامة المرافق العامة ومساعدة العاطلين، والمرضى، والعجزة، وأصحاب الحاجات.

وما دام المسلم يدفع الزكاة، وهي فرض عليه لا يجوز إسقاطها عنه، فمن العدل أن يدفع غير المسلم ما يعادلها، ما دام الجميع يعيشون في رحاب وطن واحد، يستمتعون بخيراته، ويدفنون تحت ترابه، فكانت الجزية لغير المسلم ولم تكن الزكاة لشفافية الإسلام وعدالة أحكامه.

يقول أحد دعاة الاسلام:

«وأما الجزية فلأن الفرد المسلم يؤدي ضريبة الدم لحماية الدولة ثم يؤدي للدولة الزكاة لحماية المجتمع.

والفرد غير المسلم يتمتع بالأمن في ظل الدولة الاسلامية، وبالحماية الداخلية والخارجية، وبسائر المرافق التي تهيئها الدولة للسكان كما يتمتع بالضمان الاجتماعي عند العجز والشيخوخة فيجب عدلاً أن يساهم في هذا كله بالمال».

ولما كانت الزكاة عبادة إسلامية فوق أنها فريضة مالية فإن الاسلام زيادة في حساسيته تجاه الذين لا يعتنقونه لم يشأ أن يرغمهم على أداء عبادة إسلامية.

فأخذ منهم الفريضة المالية في صورة جزية، لا في صورة زكاة منظوراً في تقديرها إلى ضريبة الدم التي لا يؤديها إلا المسلمون، ثم إن الجزية علامة تسليم، أي عدم مقاومة لفكرة الإسلام بالقوة، وتخلية بينها وبين الناس وهذا ما يهدف إليه الاسلام.

أبو اليسر: كعب بن عمرو

رضي الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى :

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾

صدق الله العظيم

[سورة هود الآية رقم ١١٤]

أقوال العلماء في نزول الآيات

قال بعض رجال التفسير والحديث ورجال السير

نزلت هذه الآية في أبي اليسر كعب بن عمرو وقال بعضهم نزلت في غيره.

قال ذلك الامام القرطبي ٩ : ١١١

وقاله صاحب تفسير الخازن ٣ : ٢٠٩

وقاله الامام الطبري ١٥ : ٥١٥

وقاله ابن كثير ٢ : ٤٦٣

وقاله الامام الترمذي في صحيحه ١١ : ٢٧٩

وصاحب الدر المنثور ٣ : ٣٥٢ — ٣٥٣

فمن هو أبو اليسر..؟

أبو اليسر: كعب بن عمرو

رضي الله عنه

من العمالقة الصيد الذين نشروا الإسلام واندلحوا به في أربعة أركان الأرض.

ومن الرجال الأفذاذ الذين عاهدوا الرسول ﷺ في بيعة العقبة على أن يقدموا أموالهم وأرواحهم رخيصة في سبيل الله. التفت التاريخ إليه في بيعة العقبة وهو يضع يده في يد الرسول ﷺ ويعلن إسلامه، ويعاهده.

وكان في استقبال الرسول ﷺ عندما جاء مهاجراً إلى المدينة، وأخذ بزمام ناقة الرسول ﷺ يدعوه إلى النزول عنده.

فقال له الرسول عليه السلام دعها يا أبا اليسر: دعها فإنها مأمورة وعندما ركبت قريش رأسها، وجمعت جموعها، وجيشت جيوشها، للقضاء على الدعوة الاسلامية في المدينة في غزوة بدر كان أبو اليسر أحد الفرسان الذين يطلبون الشهادة في سبيل الله بعد الانتصار على عصابات الشرك والكفر.

ووقف أبو اليسر يستمع إلى حديث الرسول ﷺ وسلم لأصحابه قائلاً: إني عرفت أن رجالاً من بني هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرهاً لا حاجة لهم بقتالنا. فمن لقي منكم أحداً من بني هاشم فلا يقتله.

من لقي العباس بن عبد المطلب — عم النبي — ﷺ فلا يقتله فإنما أخرج مستكرهاً.

فقال أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة :

«نقتل آباءنا ، وأبناءنا ، وإخواننا ، وعشائرنا ونترك العباس.. ؟

والله لئن لقيته لألحمنه السيف.

قال : فبلغت مقالته رسول الله ﷺ

فقال لعمر بن الخطاب : يا أبا حفص : أيضرب وجه عم رسول الله ﷺ بالسيف.. ؟

فقال عمر : دعني ولأضرب عنق أبي حذيفة بالسيف ، فوالله لقد نافق ولم يوافق الرسول ﷺ وندم أبو حذيفة على مقالته فكان يقول :

«والله ما أنا بآمن من تلك الكلمة التي قلت يومئذ ، ولا أزال منها خائفاً إلا أن يكفرها الله عز وجل عني بالشهادة ، فقتل يوم اليمامة شهيداً.

ودارت المعركة ، وكان القتال وفرت عصابات الشرك ، وأخذ المسلمون يقتلون ويأسرون.

أين العباس عم الرسول ﷺ في هذه المعمعة.

لقد انتهى إليه أبو اليسر — وهو قائم على ربوة كأنه صنم.

فقال له : جزتك الجوازي أتقتل ابن أخيك.. ؟

فقال العباس : ما فعل محمد أصابه القتل.. ؟

قال أبو اليسر: الله أعز وأنصر.

فقال العباس : كل شيء ما خلا محمداً خلل فما تريد.. ؟

قال : إن رسول الله ﷺ نهى عن قتلك.

قال العباس : ليس بأول صلته وبره.

ويقبض عليه أبو اليسر ويأخذه إلى الرسول ﷺ يأخذه أسيراً ليرى فيه الرسول رأيه.

ويتعجب الرسول أن يرى العباس أسره أبو اليسر، فالعباس عم النبي ﷺ رجل طوال ضخم الجسم قوي العضلات وأبو اليسر رجل نحيف الجسم قصير القامة.

فقال الرسول ﷺ لأبي اليسر:

«كيف أسرت العباس يا أبا اليسر..؟»

فقال: يا رسول الله — أعانني عليه رجل ما رأيته قبل ولا بعد، هيئته كذا، وهيئته كذا.

فقال رسول الله ﷺ لقد أعانك عليه ملك كريم.

وتم فداء الأسرى. وفرح المسلمون بنصر الله ينصر من يشاء.

وكان أبو اليسر لم يتأهل حتى ذلك الوقت — فاستشار أصحابه فأشاروا عليه أن يتزوج بنت عمرو بن حرام عمة جابر بن عبد الله — رضي الله عنه الذي قتل أباه في غزوة أحد ونزل فيه وفي شهداء تلك الغزوة قول الله تعالى:

﴿ولا تحسبنَّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾.

ورزقه الله منها عمير— وما كاد يشب عن الطوق حتى دربه على ركوب الخيل. وخوض المعارك وجندلة الأعداء.

واستمر أبو اليسر جندياً من جنود الدعوة إلى الله — لقد شارك في غزوة أحد، وحفر الخندق مع الأنصار والمهاجرين، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ

وعندما مات الرسول ﷺ شارك في حروب الردة وكان فارساً لا يشق له غبار.

وفي خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أصيب في ساقه في معركة القادسية. فجلس في مسجد الرسول ﷺ يفقه المسلمين ويتدارس معهم القرآن الكريم، وأحاديث الرسول ﷺ وتوفي بالمدينة سنة خمس وخمسين، وذلك في خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما وأسكنهما فسيح جناته إنه سميع قريب مجيب الدعاء.

أسباب نزول الآيات

قال الامام البخاري : حدثنا قتيبة بن سعيد ، ثنا يزيد بن زريع عن سليمان التيمي ، عن أبي عثمان النهدي عن ابن مسعود : أن رجلاً أصاب من امرأة قبلة فأتى النبي ﷺ فأخبره فأنزل الله تعالى :

«وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات» .

فقال الرجل : يا رسول الله ألي هذا ..؟

قال عليه السلام : لجميع أمتي كلهم .

هكذا رواه في كتاب الصلاة ، وأخرجه في التفسير عن مسعود عن يزيد بن زريع بنحوه .

ورواه الإمام مسلم ، وأحمد ، وأهل السنن إلا أبا داود من طرق عن أبي عثمان النهدي ، واسمه عبد الرحمن بن مسل ، به .

ورواه الامام أحمد ، ومسلم ، والترمذي ، والنسائي ، وابن جرير ، وهذا لفظه عن سماك بن حرب :

«أنه سمع ابراهيم بن يزيد يحدث عن علقمة والأسود عن ابن مسعود» قال : «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ» فقال :

«يا رسول الله إني وجدت امرأة في بستان ففعلت بها كل شيء غير أني لم أجامعها قبلتها ولزمتها ولم أفعل غير ذلك ، فافعل بي ما شئت .

فلم يقل رسول الله ﷺ شيئاً فذهب الرجل. فقال عمر: لقد ستر الله عليه لو ستر على نفسه، فأتبعه رسول الله بصره ثم قال: ردوه عليَّ.

فردوه عليه فقرأ عليه «وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين».

فقال معاذ، وفي رواية عمر: يا رسول الله أله وحده، أم للناس كافة..؟ فقال: بل للناس كافة.

وقال الامام أحمد: حدثنا محمد بن عبيد، ثنا أبان بن اسحاق، عن الصباح ابن محمد، عن مرة الهمذاني، عن عبد الله بن مسعود. قال رسول الله ﷺ:

«إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم، وإن الله يعطي الدنيا من يحب، ومن لا يحب، ولا يعطي الدين إلا من أحب، فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه، والذي نفسي بيده لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه، ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه

قلنا: وما بوائقه يا نبي الله..؟

قال: غشه وظلمه، ولا يكسب عبد مالاً حراماً فينفق منه فيبارك له فيه ولا يتصدق فيقبل منه، ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده في النار، إن الله لا يمحو السيء بالسيء، ولكن يمحو السيء بالحسن، إن الخبيث لا يمحو الخبيث».

وقال ابن جرير: حدثنا أبو السائب، ثنا معاوية عن الأعمش، عن ابراهيم قال: كان فلان ابن معتب رجلاً من الأنصار فقال:

«يا رسول الله دخلت عليَّ امرأة فنلت منها ما ينال الرجل من أهله إلا أني لم أواقعها».

فلم يدر رسول الله ﷺ ما يجيبه حتى نزلت هذه الآية «وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين».

فدعاه رسول الله ﷺ فقرأها عليه.

وعن ابن عباس أنه عمرو بن غزية الأنصاري الثمار، وقال مقاتل: هو أبو نفيل عامر بن قيس الأنصاري، وذكر الخطيب البغدادي: أنه أبو اليسر كعب بن عمرو. وقال الامام أحمد: حدثنا يونس، وعفان قالا: حدثنا حماد — يعني ابن سلمة — عن علي بن زيد، قال عفان: أنبأنا علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس أن رجلاً أتى عمر فقال:

«امرأة جاءت تبايعه فأدخلتها الدولج فأصبت منها ما دون الجماع.

فقال: ويحك لعل زوجها مغيب في سبيل الله..؟

قال: أجل.

قال: فأتِ أبا بكر فسله.

قال: فأتاه فسأله

فقال: لعل زوجها مغيب في سبيل الله

فقال مثل قول عمر.

ثم أتى النبي ﷺ فقال له مثل ذلك قال:

«فلعلها مغيبة في سبيل الله»

ونزل القرآن: «وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات». إلى آخر الآية.

فقال يا رسول الله لي خاصة أم للناس عامة..؟

فضرب يعني عمر صدره بيده وقال: لا ولا نعمة عين، بل للناس عامة.

فقال رسول الله ﷺ:

«صدق عمر».

وروى الامام أبو جعفر بن جرير من حديث قيس بن الربيع عن عثمان بن موهب عم موسى بن طلحة عن أبي اليسر كعب بن عمرو الأنصاري قال:

«أتتني امرأة تبتاع مني بدرهم تمراً. فقلت: إن في البيت تمراً أجود من هذا فدخلت فهويت إليها فقبلتها فأتيت عمر فسألته.

فقال: اتق الله واستر على نفسك ولا تخبرن أحداً.

فلم أصبر حتى أتيت أبا بكر فسألته.

فقال: اتق الله واستر نفسك ولا تخبرن أحداً.

قال: فلم أصبر حتى أتيت النبي ﷺ فأخبرته.

فقال: أخلفت رجلاً غازياً في سبيل الله في أهله بمثل هذا..؟

حتى ظننت أني من أهل النار حتى تمنيت أني أسلمت ساعتئذ، فأطرق رسول الله ﷺ ساعة. فنزل جبريل فقال أبو اليسر فجئت فقرأ عليَّ رسول الله ﷺ

«وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين».

فقال إنسان: يا رسول الله له خاصة أم للناس عامة..؟

قال عليه السلام: للناس عامة.

وقال الحافظ أبو الحسن الدارقطني: حدثنا الحسين بن سهل المحاملي، ثنا يوسف بن موسى، ثنا جرير عن عبد الملك بن عمير عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن معاذ بن جبل أنه كان قاعداً عند النبي ﷺ فجاء رجل فقال: يا رسول الله ما تقول في رجل أصاب من امرأة لا تحلّ له فلم يدع شيئاً يصيبه الرجل من امرأته إلا قد أصابه منها غير أنه لم يجامعها..؟

فقال له النبي ﷺ:

«توضأ وضوءاً حسناً ثم قم فصل»

فأنزل الله عز وجل هذه الآية — يعني قوله.

(وأقم الصلاة طرفي النهار)

فقال معاذ بن جبل:

«أهي له خاصة أم للمسلمين عامة»

قال: بل للمسلمين عامة.

ورواه ابن جرير من طرق عن عبد الملك بن عمير به.

وقال عبد الرزاق: حدثنا محمد بن مسلم عن عمرو بن دينار عن يحيى بن جعدة أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ ذكر امرأة وهو جالس مع رسول الله ﷺ فاستأذنه لحاجة فأذن له فذهب يطلبها فلم يجدها فأقبل الرجل يريد أن يبشر النبي ﷺ بالمطر، فوجد المرأة جالسة على غدير فدفع في صدرها وجلس بين رجليها فصار ذكره مثل الهدبة.

فقام نادماً حتى أتى النبي ﷺ فأخبره بما صنع فقال له:

«استغفر ربك وصل أربع ركعات»

قال: وتلا عليه ﴿وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل﴾ الآية.

ثبتٌ بالمراجع

١. القرآن الكريم.

٢. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الشعب ، مصر.

٣. أسباب نزول القرآن للواحدي : تحقيق الاستاذ أحمد صقر.

٤. تفسير القرآن العظيم : للحافظ أبي الفداء اسماعيل بن كثير ، دار الاندلس ، بيروت.

٥. تفسير الطبري : لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، دار المعارف ، مصر.

٦. الجامع لأحكام القرآن : لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٦٠ هـ — ١٩٤١ م.

٧. الدر المنثور : جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، المكتبة الاسلامية ، طهران.

٨. في ظلال القرآن : سيد قطب ، دار احياء التراث العربي : بيروت ١٣٨٦ هـ.

٩. تفسير القرآن العظيم : لأبي الفداء اسماعيل بن كثير.

١٠. تفسير الدر المنثور : للامام السيوطي.

١١. تفسير الجلالين : جلال الدين السيوطي وزميله.

١٢. أسباب نزول القرآن : لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي.

١٣. فتح الباري بشرح البخاري : للحافظ أبي الفضل العسقلاني : المعروف بابن حجر.

١٤. صحيح الإمام مسلم ، بشرح النووي ، المطبعة المصرية بالأزهر ١٣٤٧ هـ — ١٩٢٩ م.

١٥. مسند الإمام أحمد : شرح أحمد محمد شاكر : دار المعارف بمصر ١٣٦٨ هـ — ١٩٤٩ م.

١٦. صحيح الترمذي ، بشرح ابن العربي : المطبعة المصرية بالأزهر ١٣٥٠ هـ — ١٩٣١ م.

١٧. **المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي** : أ. ي. ونسنك، تعريب محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة بريل في مدينة لندن ١٩٦٢م.
١٨. **الجامع الصغير**: للإمام السيوطي، مطبعة البابي الحلبي — القاهرة.
١٩. **كشف الخفا ومزيل الالباس** : اسماعيل بن محمد العجلوني، مكتبة التراث الإسلامي — حلب.
٢٠. **تهذيب التهذيب**: لابن حجر العسقلاني : دار صادر — بيروت.
٢١. **الكامل في التاريخ** : لابن الأثير، دار صادر — بيروت ١٣٨٥هـ — ١٩٦٥م.
٢٢. **تاريخ الرسل والملوك**: لأبي جعفر محمد الطبري، دار القلم الحديث — بيروت.
٢٣. **البداية والنهاية**: الحافظ ابن كثير، مكتبة بيروت — ومكتبة النصر — الرياض.
٢٤. **الطبقات الكبرى**: ابن سعد، صيدا — دار بيروت ١٣٧٧.
٢٥. **سيرة النبي لابن هشام**: تحقيق محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية — القاهرة.
٢٦. **الروض الأنف**: عبد الرحمن السهيلي، دار الكتب الحديثة — القاهرة.
٢٧. **مروج الذهب**: للمسعودي، دار الأندلس — بيروت — مكتبة نهضة مصر.
٢٨. **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**: لابن عبد البر، دار الاندلس — بيروت — مكتبة نهضة مصر.
٢٩. **أخبار عمر وأخبار عبد الله بن عمر**: علي الطنطاوي وناجي الطنطاوي، دار الفكر بيروت — الطبعة الثالثة ١٣٩٢هـ — ١٩٧٣م.
٣٠. **خلفاء الرسول** : خالد محمد خالد، دار الكتاب العربي — بيروت — لبنان الطبعة الثانية ١٣٩٤هـ — ١٩٧٤م.
٣١. **العبقريات**: لعباس محمود العقاد.
٣٢. **علي بن ابي طالب — بقية النبوة — وخاتم الخلافة**: للأستاذ عبد الكريم الخطيب — دار المعرفة للطباعة والنشر — بيروت.
٣٣. **هذا هو الطريق**: د. عبد الرحمن عميرة، دار التراث مصر — ١٩٧٣.
٣٤. **مع الالحاد وجهاً لوجه**: د. عبد الرحمن عميرة، دار الحلبي — القاهرة.
٣٥. **أشهر مشاهير الاسلام**: رفيق العظم.
٣٦. **الاعلام**: للزركلي.

٣٧. الأغاني: للأصفهاني.
٣٨. تاريخ الخلفاء: للإمام عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، مصر— ١٣٠٥.
٣٩. تفسير الخازن والبغوي: المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل والبغوي المسمى معالم التنزيل، دار الفكر— بيروت— لبنان.
٤٠. تلبيس ابليس: لابن الجوزي، مصر— ١٣٤٧هـ.
٤١. الروض الأنف: للإمام السهيلي.
٤٢. الرياض النضرة في مناقب العشرة: للمحب الطبري.. مصر.
٤٣. سنن الترمذي: حققه وصححه عبد الرحمن عثمان، الناشر محمد عبد المحسن الكتبي، صاحب المكتبة السلفية: المدينة المنورة.
٤٤. سنن الحافظ ابي عبد الله محمد بن يزيد القزويني «ابن ماجه»، حققه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، ١٣٩٥هـ— ١٩٧٥م— دار احياء التراث العربي.
٤٥. تراث الانسانية: مجموعة من العلماء، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة.

فهرس موضوعات الجزء العاشر

رجال ونساء
أنزل الله فيهم قرآناً

الجزء الحادى عشر

د. عبدالرحمن عميره

أبو طالب بن عبد المطّلب

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى :

﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ
وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَـٰبُ
ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن
مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ
إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾

صدق الله العظيم

[سورة التوبة آية رقم ١١٣ ، ١١٤]

أقوال العلماء في نزول الآيات

قال بعض المفسرين: نزلت هذه الآيات في أبي طالب بن عبد المطلب.

قال ذلك صاحب الدر المنثور جـ ٣ ص ٨٠.

وقال الإمام الطبري في تفسيره جـ ١٤ ص ٤٩٩.

قال ذلك صاحب الدر المنثور جـ ٣ ص ٨٠.

وصاحب تفسير البغوي والخازن جـ ٣ ص ١٢٣ — ١٢٤.

وذكره الإمام البخاري في تفسيره جـ ٦ ص ٦٩.

والإمام مسلم في صحيحه جـ ١ ص ٤٠.

والإمام الواحدي في كتابه أسباب نزول القرآن ص ٢٦٣ — ٢٦٤.

من هو أبو طالب...؟

أبو طالب بن عَبد المطلب

عم الرسول ﷺ وكافله بعد وفاة جده عبد المطلب، والحائل بينه وبين عصبة الكفر بمكة أن ينالوا منه أو يصيبه أحد منهم بأذى.

وُلد بمكة بعد أن قام والده عبد المطلب بحفر زمزم، وسمي عبد مناف.

وفي بيت والده تعلم الخلال الحسنة، والصفات الطيبة، وتلقن على يديه في مدرسة الأسرة دماثة الخلق وحسن المعاملة وسياسة الرجال.

وكيف لا يكون كذلك وهو ابن عبد المطلب الرجل الشريف والسيد المطاع في قومه وبين عشيرته، والذي لم يعرّف عنه إلا حسن الأحدوثة بما كان يقدمه من إكرام الضيف ومساعدة الضعيف والمسارعة إلى الخير والتوفيق بين الناس فيما يختصمون فيه.

أمر من هاتف كان يأتيه بليل بحفر زمزم فامتثل للأمر وأعدَّ له عدته، وقام بتنفيذه واستمر في عمله بجد وجلد أياماً طويلة، يساعده في ذلك ابنه الحارث، حتى أدرك الماء فكبَّر وردد تكبيره ابنه، فعرفت قريش أنه أدرك الماء. فأتوه فقالوا: أشركنا فيه.

فقال: ما أنا بفاعل. هذا أمر خصصت به دونكم، فاجعلوا بيننا وبينكم مَن شئتم أحاكمكم إليه.

قالوا: نعم، نحتكم إلى كاهنة بني سعد «هذيم» وكانت بمعان من أشراف الشام.

فأجابهم عبد المطلب إلى ذلك ، فخرجت قريش بعشرين رجلاً من قبائلها وخرج مع عبد المطلب عشرون رجلاً من بني عبد مناف.

فلما كانوا بموضع يسمى بالفقير من طريق الشام ، نفذ ماء القوم جميعاً فعطشوا ، فقالوا لعبد المطلب : ما ترى في ذلك؟..

فصمت ولم يجب ، فانبرى أحد الرجال قائلاً : هو الموت لا محالة فليحفر كل رجل منكم حفرة لنفسه ، فكلما مات رجل دفنه أصحابه حتى يكون آخرهم رجلاً واحداً فيموت ضيعة أيسر من أن تموتوا جميعاً.

فحفروا ثم قعدوا ينتظرون الموت.

فقال عبد المطلب : والله إن إلقاءنا بأيدينا هكذا لعجز. ألا نضرب في الأرض فعسى الله أن يرزقنا ماء ببعض هذه البلاد؟..

فاستجابوا له وارتحلوا.. وقام عبد المطلب إلى راحلته فركبها ، فلما انبعث به انفجر تحت خفها عين ماء عذب ، فكبّر عبد المطلب وكبّر أصحابه وشربوا جميعاً.

ثم دعا القبائل من قريش فقال : هلموا إلى الماء الرواء فقد سقانا الله.

فشربوا واستقوا وقالوا لعبد المطلب : قد قضي لك علينا ، الذي سقاك هذا الماء بهذه الفلاة هو الذي سقاك زمزم ، فوالله لا نخاصمك فيها أبداً.

فرجع ورجعوا معه ولم يصلوا إلى الكاهنة ، وخلوا بينه وبين زمزم.

هذا عن أبيه عبد المطلب.

وأمه فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عبد بن عمران من أحسن بطون مكة شرفاً ومن أعلاها مجداً وسؤدداً.

وكان لأبي طالب مجموعة من الولد ، منهم : طالب بن أبي طالب ، وكان أكبر ولده ، وقد خرج إلى بدر مع بقية بني هاشم مكرهين من قِبل قريش ، فقال عند خروجه :

اللهم إما يغزون طالب في مقنب من هذه المقانب
فليكن المغلوب غير الطالب وليكن المسلوب غير السالب

يقول كتَّاب السيَر: «فلما انهزم المشركون وانتهت معركة بدر لم يوجد في الأسرى ولا في القتلى. ولم يرجع إلى مكة، ولم يعرف له مكان».

والثاني: عقيل، ويكنى: أبا يزيد، وكان بينه وبين طالب في السن عشر سنين، وكان عالماً بنسب قريش.

والثالث: جعفر الطيار، وهو ممن هاجر إلى الحبشة فارّاً بدينه من أذى قريش وتنكيلهم بالمسلمين، وعقد له رسول الله ﷺ لواء الجيش الذاهب إلى مؤتة، فمات شهيداً. وهو ذو الجناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء، كما جاء في الأثر.

والرابع: علي بن أبي طالب رضي الله عنه، الذي قال له الرسول ﷺ:
«أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي».

هذه بعض الأضواء التي تلقي ظلالاً للتعرف على هذه الشخصية التي كان لها دور لا يستهان به في حياة الرسول الأولى وفي بداية الوحي والجهر بالدعوة، وإن كانت كتب التاريخ والسيَر لا تتحدث عن حياة أبي طالب الأولى ولا تتعرض له من قريب أو بعيد إلا بعد أن ضم الرسول إليه بعد وفاة جده.. فمن هذا التاريخ بدأت الأنظار تتطلع إليه والدنيا ترصد حركاته وتسجل كلماته.

إن أبا طالب أحب الرسول ﷺ حباً لا يدانيه حب، فقربه منه وأدناه. وكان لا ينام إلا بجواره، ولا يخرج إلا معه، ولا يتناول طعامه إلا إذا جلس معه على مائدة الطعام...

ومن الأشياء التي لفتت نظر أبي طالب وشدته إلى هذا الطفل اليتيم أن أولاده إذا أكلوا فرادى أو جميعاً لم يشبعوا وطلبوا كثيراً من الطعام والشراب، فإذا كان معهم رسول الله ﷺ شبعوا وقنعوا. فكان إذا وضع الطعام وهمَّ اولاده به قال لهم: «مكانكم، حتى يحضر ابني».

فيأتي رسول الله ﷺ ويأكل معهم، فيفضل من طعامهم، فيقول أبو طالب له: إنك لمبارك.

وكيف لا يكون كذلك، وعما قريب ستفتح له أبواب السماء، ويهبط عليه الوحي، ويحمل الرسالة الخاتمة إلى البشرية كلها، وينفذ شرع الله في الأرض ويملأها عدلاً وسلاماً بعد أن عمَّ فيها الجور ولفتها الحروب الطاحنة من أجل المغنم وعرض الدنيا.

إنه لمبارك في الأرض ومبارك في السماء.

وكان صبيان أبي طالب يصبحون خمصاً شعثاً ويصبح رسول الله ﷺ دهيناً كحيلاً.

إن العناية الإلهية ترعاه وتحرسه وتحيطه بسياج من المناعة التي تحول بينه وبين ما يتردى فيه الأفراد من ملء البطون بما لا يفيد ومن إتعاب النظر فيما حرم الله، وفي مد الأيادي فيما لا يليق.. فلا بد أن تمرض أجسامهم وتتلبد أطرافهم وتعشى عيونهم لأنها بعيدة عن هدى الفطرة ومحرومة من نور الله الذي يصطفي به بعضاً من عباده الذين يصنعهم على عينه ويملأهم بحكمته وهدايته.

وفي يوم من الأيام الموعودة التي كانت قريش تعدّ فيها الرواحل والمعدات وعروض التجارة لرحلة الشتاء والصيف.. فكر أبو طالب في الخروج مع إحدى هذه القوافل ببعض ما يملكه من مال وتجارة... علها تعود عليه ببعض الربح وتساعده على إعالة هذه الأسرة الكبيرة. فلما تهيأ للرحيل وأجمع المسير، تعلق به رسول الله ﷺ — فيما يزعمون — فرق له وقال: والله لأخرجن به معي ولا يفارقني ولا أفارقه أبداً. فخرج به معه.

فلما نزل الركب بصرى من أرض الشام وبها راهب يقال له «بحيري» في صومعة له، وكان إليه علم أهل النصرانية، ولم يزل في تلك الصومعة منذ أن كان راهباً يصير إليه علمهم عن كتاب فيها — فيما يزعمون — يتوارثونه كابراً عن كابر. فلما نزلوا ذلك

العام ببحيرى ، وكانوا كثيراً ما يمرون به قبل ذلك فلا يكلمهم ولا يعرض لهم ، حتى كان ذلك العام ، فلما نزلوا به قريباً من صومعته صنع لهم طعاماً كثيراً ، وذلك — فيما يزعمون — عن شيْ رآه وهو في صومعته .. يزعمون أنه رأى رسول الله ﷺ وهو في صومعته في الركب حين أقبلوا وغمامة تظلله من بين القوم.

قال : ثم أقبلوا فنزلوا في ظل شجرة قريباً منه ، فنظر إلى الغمامة حين أظلت الشجرة وتهصرت أغصانها السامقة على رسول الله ﷺ حتى استظل تحتها ، فلما رأى ذلك بحيرى نزل من صومعته ، وقد أمر بذلك الطعام فصنع ، ثم أرسل إليهم فقال : «إني قد صنعت لكم طعاماً يا معشر قريش ، فأنا أحب أن تحضروا كلكم وصغيركم وكبيركم وعبيدكم وأحراركم».

فقال له رجل منهم : والله يا بحيرى إن لك لشأناً اليوم. ما كنت تصنع هذا بنا وقد كنا نمرُّ بك كثيراً ، فما شأنك اليوم؟..

قال له بحيرى : صدقت.. قد كان ما تقول ، ولكنكم ضيف ، وقد أحببت أن أكرمكم وأصنع لكم طعاماً فتأكلوا منه كلكم.

فاجتمعوا إليه ، وتخلف رسول الله ﷺ من بين القوم لحداثة سنه في رحال القوم تحت الشجرة. فلما نظر بحيرى في القوم لم يرَ الصفة التي يعرف ويجد عنده فقال : يا معشر قريش.. لا يتخلفن أحد منكم عن طعامي.

قالوا له : يا بحيرى.. ما تخلف عنك أحد ينبغي له أن يأتيك إلا غلام ، وهو أحدث القوم سناً ، فتخلف في رحالهم.

فقال : لا تفعلوا.. ادعوه ليحضر هذا الطعام معكم.

قال : فقال رجل من قريش مع القوم : واللات والعزى إن كان للؤم بنا أن يتخلف ابن عبد الله بن عبد المطلب عن طعام من بيننا. ثم قام إليه فاحتضنه وأجلسه مع القوم.

فلما رآه بحيرى جعل يلحظه لحظاً شديداً وينظر إلى أشياء من جسده وقد كان

يجدها عنده من صفته.. حتى إذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا قام إليه بحيرى فقال: يا غلام.. أسالك بحق اللات والعزى ألا ما أخبرتني عما أسألك عنه. وإنما قال له بحيرى ذلك، لأنه سمع قومه يحلفون بهما، فزعموا أن رسول الله ﷺ قال: لا تسألني باللات والعزي شيئاً، فوالله ما أبغضت شيئاً قط بغضهما.

فقال له بحيرى: فبالله ألا ما أخبرتني عما أسألك عنه؟..

فقال له: سلني عما بدا لك.

فجعل يسأله عن أشياء من حاله.. من نومه وهيئته وأموره. فجعل رسول الله ﷺ يخبره، فيوافق ذلك ما عند بحيري من صفته، ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التي عنده.

قال ابن إسحاق: فلما فرغ أقبل على عمه أبي طالب فقال له: ما هذا الغلام منك؟..

قال: ابني.

قال له بحيري: ما هو بابنك، وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حياً.

قال: فإنه ابن أخي.

قال: فما فعل أبوه؟..

قال: مات وأمه حبلى به.

قال: صدقت.. فارجع بابن أخيك إلى بلده واحذر عليه اليهود، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغنه شراً، فإنه كائن لابن أخيك.. هذا شأن عظيم فاسرع به إلى بلاده[1].

فخرج به عمه أبو طالب سريعاً، حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام

---

(١) الروض الأنف جـ ٢ ص ٢٠٨ — ٢٠٩.

وخرج به سريعاً إلى بلده ، يخشى عليه الناس ويحوطه برعايته ، ووقر في نفس أبي طالب أن لابن أخيه هذا شأناً عظيماً في مقبل الأيام ، ولكن ما هو هذا الشأن؟..

أيأتي بخلاف ما عليه الأجداد والآباء؟..

أيسخر من آلهتهم ويزدري أصنامهم؟..

أيدعو بالنصرانية ويجدد تعاليمها في جزيرة العرب.. أم أنه ينادي بما نادى به موسى عليه السلام ويتبع التوراة الصادقة التي أنزلها الله قبل أن تحرِّفها أحبر اليهود؟..

أم أنه يطمع في أكثر من ذلك فيجدد دعوة جده إبراهيم.. دعوة التوحيد الخالص ، والحنيفية السمحاء؟..

هذا ما كان يتردد في مخيلة أبي طالب وراحلته تطوي الصحراء وثباً ، وهو يحتضن ابن أخيه إلى مكة.

وأخرجه من تأملاته تلك ظهور عين ماء في طريق القافلة فترجل ليسقي إبله ويتزود منها بما يحتاجه من ماء ويستظل بعض الوقت تحت أغصان الشجيرات السامقة فوق هذه العين. ثم عادا إلى مكة.. الحرم الآمن. واستمر أبو طالب في رعايته وعنايته بابن أخيه حتى شب عن الطوق وبلغ مبلغ الرجال.

وأحس محمد أن الأحوال المالية لعمه تزداد من سيئ إلى أسوأ ، فأخذ يخفف عنه ويساعده بما يملك. واشتغل برعي الغنم ، ثم بالتجارة في مال خديجة رضي الله عنها. ولم يكتف الرسول بذلك بل ضم أحد أبناء عمه أبي طالب إليه ودعا أعمامه الموسرين أن يفعلوا ذلك.

وكان أبو طالب لا يطيق فراق الرسول أو البعد عنه لفترة طويلة ، حتى بعد زواجه من خديجة عليها السلام...

ثم جاءت فترة أحس أبو طالب فيها أن اللحظات التي تجمعه بابن أخيه قليلة محدودة وأنها تزداد بعداً بتوالي الأيام فإذا سأل عنه في مكة لم يجده بين شعابها وإذا

طلبه في منزله أخبر أنه منقطع عنهم اليومين أو الثلاثة. ولم تستمر حيرته طويلاً، فقد جاءه رسول يخبره أن محمداً يدعوه إلى منزله، وماكاد يتلقى هذه الدعوة حتى هرول مسرعاً إلى منزل محمد ﷺ وهناك وجد بني هاشم كلهم قد سبقوه إلى هذا المنزل بدعوة من الرسول ﷺ.

وأخذ الرسول يعرض عليهم الإسلام ويتلو عليهم بعض آيات القرآن ويخبرهم بأن الله سبحانه وتعالى أمره بدعوة أهله وأقاربه.

قال تعالى: ﴿وانذر عشيرتك الأقربين﴾[1].

قال أبو طالب: يا ابن أخي ما هذا الدين الذي أراك تدعو إليه؟..

قال: أي عم هذا دين الله ودين ملائكته ودين رسله ودين أبينا إبراهيم، أوكما قال ﷺ: بعثني الله به رسولاً إلى العباد، وأنت أي عم أحق مَن بذلت له النصيحة ودعوته إلى الهدى وأحق مَن أجابني إليه وأعانني عليه.

فقال أبو طالب: أي ابن أخي إني لا أستطيع أن أفارق دين آبائي وما كانوا عليه، ولكن والله لا يخلص إليك بشيء تكرهه ما بقيت.

وأخذت دعوة الرسول ﷺ تسري في مكة، وردد العبيد والضعاف كلمات القرآن، وتوالت الأفراد على بيت ابن أبي الأرقم لتستمع إلى دعوة التوحيد، وتنسلخ من أباطيل الجاهلية.

وأحس صناديد قريش وزعماؤها أن مكانتهم تهتز تحت أقدامهم، وأن صولجانهم يترنح، وأن هذه الدعوة الجديدة تسخر منهم ومن معتقداتهم ويزداد أتباعها يوماً بعد يوم.. فماذا يفعلون؟...

أيصبرون على ذلك حتى تتسامع العرب بهذه الدعوة فيقبلون عليها وتذهب مكانتهم وعزتهم؟...

---

(١) سورة الشعراء آية رقم ٢١٤.

لا... إن هذا لا يكون...

وجمعوا جموعهم واتجهوا إليه يطلبون منه أن يكفّ عن هذه الدعوة التي فرقت جموعهم، وألّبت عليهم عبيدهم، وحقرت من معتقداتهم، وإن كان يريد من أجل ذلك المال جمعوه له، أو الملك ملكوه عليهم.

وما كان الرسول ﷺ بمستطيع أن يفعل ذلك، لأنه لم يأت بهذا الدين من نفسه، ولكنه أمر من الله، ومحال أن يترك ما أمره الله به إلى أمر العبيد.

وكبر ذلك على قريش، وقرر زعماؤها الاستعانة بعمه أبي طالب عله يستطيع أن يكفه عنهم أو يحول بينه وبين ما يدعو إليه.

فقالوا: يا أبا طالب.. إن ابن أخيك قد سبّ آلهتنا وعاب ديننا، وسفه أحلامنا وضلل آباءنا، فإما أن تكفه عنا، وإما أن تخلي بيننا وبينه، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه فنكفيكه.

فقال لهم أبو طالب قولاً رقيقاً وردهم رداً جميلاً فانصرفوا عنه.

وعاد الرسول ﷺ يدعو إلى الإسلام ويعرض نفسه على القبائل، ويترصد طرق الحجيج، ولا يكف عن الدعوة إلى الله ليلاً أو نهاراً، فزاد ذلك من هياج قريش، ومن إيغار صدور عصبة الكفر فيها.

فمشوا إلى أبي طالب مرة أخرى فقالوا له:

«يا أبا طالب، إن لك سناً وشرفاً ومنزلة فينا، وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا، وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وعيب آلهتنا حتى تكفه عنا، أو تنازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين».

ثم انصرفوا عنه، فعظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم، ولم يطب نفساً بإسلام رسول الله ﷺ لهم ولا خذلانه. فما كان منه إلا أن بعث إلى رسول الله ﷺ فقال له:

«يا ابن أخي ، إن قومك قد جاءوني فقالوا لي كذا وكذا للذي كانوا قالوا له فابق عليَّ وعلى نفسك ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق».

فظن رسول الله ﷺ أنه قد بدا لعمه فيه أنه خاذله ومسلّمه ، وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه.

قال رسول الله ﷺ : «يا عم .. والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته».

ثم استعبر رسول الله ﷺ فبكى ثم قام. فلما ولى ناداه أبو طالب فقال : أقبل يا ابن أخي.

فأقبل عليه رسول الله ﷺ فقال : اذهب يا ابن أخي ، فقل ما أحببت فوالله لا أسلمك لشيءٍ أبداً.

إن أصحاب الدعوات دائماً لا تهزهم النكبات ولا ينال من عزيمتهم التهديد أو الوعيد ، لأن العبيد جميعاً لا يملكون من أمر أنفسهم شيئاً فكيف بغيرهم. وما دام ذلك كذلك فلن تغرهم الدنيا بزخرفها ، ولن تؤثر فيهم بماديتها وبهرجتها. ومن هنا كانت كلمة الرسول ﷺ : «والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه».

قال الرسول ﷺ هذه الكلمة لتكون دليلاً لمن يأتي بعده من أصحاب الدعوة ومنهجاً يلتزمون به حياتهم.

فالدنيا جميعاً لا تساوي شيئاً إذا كانت على حساب الدين.

ومرحلة الحياة قصيرة فانية يأتي بعدها الاختيار والجزاء.

والآجال محدودة لا تزيد ولا تنقص ، فعلامَ التمسك بما في الحياة من عرض زائل ونعمة فانية؟...

ولكن زعماء قريش لم يفهموا هذه المعاني الكبيرة التي وضعها رسول الله ﷺ

بين أيديهم ، فألغوا عقولهم ، واتبعوا أهواءهم ، وكفروا بأنعم الله ، وساروا إلى أبي طالب يعرضون عليه جديداً من خزعبلاتهم...

قالوا : «يا أبا طالب.. هذا عمارة بن الوليد أنهد فتى في قريش وأجمله ، فخذه.. فلك عقله ونصره ، واتخذه ولداً فهو لك ،وأسلم إلينا ابن أخيك هذا الذي خالف دينك ودين آبائك ، وفرّق قومك ، وسفه أحلامهم.. فنقتله ، فإنما هو رجل برجل».

فقال : «والله لبئس ما تسومونني... أتعطونني ابنكم أغذيه لكم وأعطيكم ابني تقتلونه ؟... هذا والله لا يكون أبداً».

فقال المطعم بن عدي : والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك ، وجدّوا على التخلص مما تكرهه ، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئاً.

فقال أبو طالب : والله ما أنصفوني ، ولكنك قد أجمعت خذلاني ومظاهرة القوم عليَّ فاصنع ما بدا لك.

وتحزبت الأحزاب وتجمعت القبائل ضد أبي طالب وابن أخيه فقام أبو طالب حين رأى قريشاً يصنعون في بني هاشم وبني المطلب فدعاهم إلى ما هو عليه من منع رسول الله ﷺ والقيام دونه ، فاجتمعوا إليه وقاموا معه وأجابوه إلى ما دعاهم إليه إلا ما كان من أبي لهب عدو الله.

اجتمع بنو هاشم وبنو المطلب مسلمهم وكافرهم على قلب رجل واحد.

إن محمداً أولاً وأخيراً هو ابن الأخ وابن العم ، وهو الصادق الأمين الذي لم تعرف عنه منقصة أو تسجل عليه فاحشة.

إن ما جاء به محمد ﷺ إن لم يكن ديناً لكان في أخلاق الناس حسناً...

هذا ما كان يتردد بينهم إذ لم يسلم محمد إلى قريش حتى ولو ماتوا جوعاً وعطشاً.

فلما رأت قريش ذلك اجتمعوا وائتمروا أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب على أن لا ينكحوا إليهم ولا يُنكِحوهم ولا يبيعونهم شيئاً ولا يبتاعوا منهم ، فلما اجتمعوا لذلك كتبوه في صحيفة ، ثم تعاقدوا وتواثقوا على ذلك ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم.

فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثاً حتى جهدوا .. لا يصل إليهم شيءٌ إلا سراً مستخفياً ممن أراد صلتهم من قريش.

وذكر ابن هشام أن رسول الله ﷺ قال لأبي طالب : يا عم .. إن ربي الله قد سلط الأرضة على صحيفة قريش فلم تدع فيها اسماً هو لله إلا أثبتته فيها ونفت منه الظلم والقطيعة والبهتان.

فقال : أربك أخبرك بهذا ؟..

قال : نعم.

قال : فوالله ما يدخل عليك أحد.

ثم خرج إلى قريش فقال :

«يا معشر قريش إن ابن أخي أخبرني بكذا وكذا فهلم صحيفتكم ، فإن كان كما قال ابن أخي فانتهوا عن قطيعتنا وانزلوا عما فيها ، وإن يكن كاذباً دفعت إليكم ابن أخي».

فقال القوم : رضينا.

فتعاقدوا على ذلك ، ثم نظروا ، فإذا هي كما قال رسول الله ﷺ فزادهم ذلك شراً.

فعند ذلك صنع الرهط من قريش في نقض الصحيفة ما صنعوا.

فقال أبو طالب في ذلك :

ألا هل أتى بحْرِيِّنا[1] صُنْعُ ربنا على نأيهم والله بالناس أرود
فيخبرهم أن الصحيفة مزقت وأن كل ما لم يرضه الله مفسد
تراوحها إفك وسحر مجمع ولم يلف سحر آخر الدهر يصعد[2]

نقضت الصحيفة ولكن قريشاً استمرت في عدوانها وتسلطها وأبو طالب يقف خلف رسول الله ﷺ أن يناله أحد بأذى أو يصيبه بمكروه، واستمر على ذلك حتى كان يوم لم يستطع أبو طالب أن يغادر داره أو يشارك قومه فيما هم فيه من جد الحياة ولعبها.. لقد أصابه المرض ونزلت به الأدواء، ولم يستطع لذلك تحركاً. وما هي إلا أيام معدودة حتى فارقت روحه جسده واتجه إلى ربه ليحاسبه على ما قدمت يداه وما اكتسب في حياته من خيرٍ أو شرٍ.

(١) بحرينا: يريد به من كان هاجر من المسلمين إلى الحبشة في البحر. وأورد معناه: أرفق.
(٢) سيرة ابن هشام جـ ١ ص ٤٠٠.

أسباب نزول الآيات

عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال :

لما حضرت أبا طالب الوفاة ، دخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية .

فقال : أي عم ، قل معي : لا إله إلا الله «كلمة» أحاجّ لك بها عند الله .

فقال أبو جهل وابن أبي أمية : يا أبا طالب ... أترغب عن ملة عبد المطلب؟ ..

فلم يزالا يكلمانه حتى قال آخر شيئ كلمهم به : على ملة عبد المطلب .

فقال النبي ﷺ : «لأستغفرن لك ما لم أُنهَ عنك» .

فنزل قول الله تعالى :

﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أُولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم﴾[1] .

وعن محمد بن كعب القرظي قال :

بلغني أنه لما اشتكى أبو طالب شكواه التي قبض فيها قالت قريش :

---

(١) صحيح البخاري جـ ٦ ص ٦٩ ، ورواه الامام مسلم في صحيحه جـ ١ ص ٤ . والآية سورة التوبة آية ١١٣ .

«يا أبا طالب أرسل إلى ابن أخيك فيرسل إليك من هذه الجنة التي ذكرها ما يكون لك شفاء».

فخرج الرسول حتى وجد رسول الله ﷺ وأبا بكر جالساً معه، فقال: يا محمد.. إن عمك يقول لك: إني كبير ضعيف سقيم، فارسل إليَّ من جنتك هذه التي تذكر من طعامها وشرابها شيئاً يكون لي فيه شفاء.

فقال أبو بكر: إن الله حرمها على الكافرين...

فرجع إليهم الرسول فقال: بلَّغت محمداً الذي أرسلتموني به، فلم يحر إليَّ شيئاً، وقال أبو بكر. «إن الله حرم على الكافرين طعامها وشرابها».

ثم قام عليه السلام حتى دخل بيت أبي طالب فوجده مملوءاً رجالاً فقال: «خلوا بيني وبين عمي».

فقالوا: ما نحن بفاعلين. ما أنت أحق به منا... إن كانت لك قرابة فلنا مثل قرابتك.

فجلس إليه فقال: يا عم أعني على نفسك بكلمة واحدة أشفع لك بها عند الله يوم القيامة.

قال: وما هي يا ابن أخي؟..

قال: قل لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

فقال: إنك لي ناصح. والله لولا أن تعيرني قريش بها فيقال: جزع عمك من الموت.. لأقررت بها عينك.

قال: فصاح القوم: يا أبا طالب أنت رأس الحنيفية ملة الأشياخ.

فقال: لا تحدث نساء قريش أن عمك جزع عند الموت.

فقال رسول الله ﷺ: «لا أزال أستغفر لك ربي حتى يردّني».

واستغفر له بعد أن مات.

فقال المسلمون : ما يمنعنا أن نستغفر لآبائنا ولذي قراباتنا ؟ .. قد استغفر إبراهيم لأبيه .. وهذا محمد ﷺ يستغفر لعمه ، فاستغفروا للمشركين حتى نزل :

﴿ ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى ﴾[1] .

(١) سورة التوبة آية رقم ١١٣

تذييل . . .

لماذا توقف أبو طالب عن النطق بكلمة : «لا إله إلا الله»؟.. واستمر على دين الآباء والأجداد طوال حياته، وهو الذي كان خير معين ومدافع عن الرسول ﷺ ؟..

أكان يعتبر أن ما يدعو إليه ابن أخيه لغواً من القول وباطلاً لا يؤدي إلى خير؟..

أم أنه كان يشك في صدق محمد؟..

إن من يستقرئ وقائع التاريخ يرى أنه من المحال أن يشك أبو طالب في صدق محمد، لأنه كان أقرب الناس إلى طفولة محمد وشبابه، ورأى من الآيات البينات، ودلائل البركات التي أحاطت بالطفل الصغير ما لا يدع في قلبه أدنى مجال للشك أو الريبة.

لقد رأى أبو طالب بركة محمد عندما كان يجلس مع أبنائه لتناول الطعام...

ورأى يمن طالعه عندما كان يصحبه للتجارة أو خصائص الأعمال.

وعرف سلوكه وأحواله طفلاً وشاباً فلم يجرب عليه ما يعاب.

وشاهده وهو يحسم النزاع ويوقف نزيف الدم الذي أوشكت أن تتردى فيه قريش عند اختلافها على وضع الحجر الأسود.

وسمع من الراهب بحيرى الكثير عن مستقبل هذا الغلام ، وأنه سيكون له شأن عظيم.

وشاهد بنفسه الغمامة وهي تظلله من وقدة الشمس وشدة لهيبها عند رجوعهما من رحلة الشام.

حتى عندما دعا محمد ﷺ قومه إلى كلمة التوحيد.. ما كان أبو طالب يشك لحظة في أن ابن أخيه ينقل عن ربه.

إذن لماذا أصر عبد المطلب على كفره؟..

ولماذا توقف فلم يسارع إلى الإسلام؟..

وما هي الأشياء التي حالت بينه وبين ذلك؟..

أهو الخوف من أن تتحدث النساء بذلك؟.. وتقول : لقد جزع أبو طالب من الموت ، كما قال للرسول ﷺ؟..

أم أنه آثر السلامة وفضل أن يخوض مع قومه فيما يخوضون فيه؟..

وأي سلامة هذه ، وهو الذي وقف في وجه قريش وصناديدها؟..ورفض المغريات والعروض التي عرضتها عليه ، حتى يترك محمداً ويتخلى عن نصرته..

ولما يئسوا من استجابته لمطالبهم آذوه في نفسه وماله ، وفرضوا عليه هو وبقية بني هاشم حصاراً شاقاً.. حصاراً أرهقهم وأضناهم .واستمروا على ذلك من المقاطعة لا يباعون ولا يبتاعون ولا يصهر إليهم قرابة أعواماً ثلاثة.

ومع ذلك لم تلن له قناة ، ولم يتهاون لحظة في الدفاع عن محمد وأصحابه ، وعندما علم أبو طالب بما فعله النجاشي ملك الحبشة من الحفاوة والتكريم للمهاجرين إليه ، والفارين بدينهم إلى بلاده ، بعث إليه شعراً يعدد فيه مآثره ، ويطلب له النصر والتأييد قائلاً :

تعلم أبيت اللعن أنك ماجد كريم فلا يشقى لديك المجانب[1]
تعلم بأن الله زادك بسطة وأسباب خير كلها بك لازب[2]
وأنك فيض ذو سجال عزيزة ينال الأعادي نفعها والأقارب

فلماذا وقف أبو طالب هذه المواقف؟..

أكان يقفها دفاعاً عن ابن أخيه؟.. ويفعل ذلك بدافع العصبية والقبلية؟.. ويرفض أن تمتد يد، مهما بلغت من القوة والصولجان، إلى يتيم بني هاشم؟..

أم كان يفعل ذلك ويعرض نفسه وأهله للخطر والتنكيل لاقتناعه بالإسلام وإيمانه بهذا الدين؟..

إن القرآن يحسم هذه القضية ويرفض كل التعليلات التي تلتمس عذراً لأبي طالب ويقرر حقيقته ويبين موقفه بقوله:

﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أُولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم. وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم﴾[3].

لقد جاء هذا الدين ليقرر كلمة التوحيد. ومعنى «لا إله إلا الله» أن الحاكمية لله تعالى وإفراده بالعبادة، ونزع السلطان الذي يزاوله الكهان والأصنام والأمراء والحكام وردُّه لله وحده.

هذا هو المقصود.. ولم يأت القرآن ليقرر إثبات وجود الله، لأن العرب أنفسهم ما كانوا ينكرون ذلك بل كانوا يقرُّون بوجوده سبحانه ويصفونه بأنه الخالق الرازق المالك المحيي والمميت، إلى غير ذلك من الصفات. ولكن انحرافهم الذي وصمهم

(١) المجانب: الذي يكون بجواره ويحتمي به.
(٢) لازب: الملاصق.
(٣) سورة التوبة آية رقم ١١٣، ١١٤.

بصفة الشرك ـ هو أنهم كانوا يشركون غير الله في حياتهم وشئونهم ومستقبلهم وأرزاقهم. يقول الله تعالى حاكياً عن معتقداتهم في حقيقة الألوهية بقوله:

﴿ولئن سألتهم مَن خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله﴾ (١).

اعتراف كامل بحقيقة الألوهية وهيمنته الكاملة على الكون، ومع ذلك كانوا يلجأون إلى الأصنام، وإلى الكهان، وإلى النجوم والكواكب وإلى مردة الجن. قال تعالى: ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ (٢).

وفي عصرنا الراهن ما أكثر الذين ينحرفون عن الطريق السوي.. طريق التوحيد.. ويترددون في مهاوي الشرك.

يصدق ذلك على الأفراد والجماعات والدول.. نجد بعض الأفراد، وما أكثرهم، يعتقدون أن غيرهم من البشر هو الرازق المعطي، وهو الضار النافع.. فيتقدمون له بالولاء ويدينون له بالطاعة، ويدفعون له القرابين.. كما كان يفعل جهال مكة مع أصنامهم.

وما أكثر الجماعات والدول التي تؤله فرداً بعينه.. تعد كلماته إن نطق، وينخلع قلبها إن وعد، وتحوطه بالتقديس والرعاية في حياته، وتنصب له صنماً بعد وفاته.. يتبرك به العباد، ويزوره القصاد.

وصدق ربي في قوله: ﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون﴾ (٣).

---

(١) سورة العنكبوت آية رقم ٦١.

(٢) سورة الزمر آية رقم ٣.

(٣) سورة الأعراف آية رقم ١٧٩.

الوليد بن عقبة

رضي الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن
تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ۝٦ وَٱعْلَمُوٓاْ
أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَـٰكِنَّ
ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ
وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧ ﴾

صدق الله العظيم

[سورة الحجرات آية رقم ٦ – ٧]

أقوال العُلماء في نزول الآيات

قال بعض المفسرين : إن هذه الآيات نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط .

قال ذلك الإمام الطبري	جـ ٢٦ ص ٧٨.
والإمام القرطبي	جـ ١٦ ص ٣١١.
وصاحب الدر المنثور	جـ ٦ ص ٨٧.
وذكره صاحب سيرة ابن هشام	جـ ٣ ص ٣٠٨، ٣٠٩.

وصاحب تفسير الخازن والبغوي بهامشه جـ ٦ ص ١٨٤ ، ١٨٥ .

وذكره الإمام الواحدي في أسباب نزول القرآن ص ٤١٢.

فمن هو الوليد بن عقبة؟..

الوَليد بن عقبة

هو الوليد بن عقبة بن أبي معيط.

فارس عرفته ظهور الخيل، وقائد له خبرة ودراية بقيادة المعارك وإدارة دفة الحروب.

وأحد الولاة الذين عرفوا تدبير الحكم، وخبروا شئون السياسة.

أسلم يوم فتح مكة، عندما زحف الرسول ﷺ إلى عصبة الكفر بعشرة آلاف مقاتل، وأخذ الأرض عليهم من أقطارها.

أما عن والده فهو عقبة بن أبي معيط، أحد الذين كان لهم دور كبير في الصد عن دين الله وتعذيب المستضعفين، وإيذاء الرسول ﷺ بالقول والفعل.

حتى أراد الله ووقع عقبة أسيراً في أيدي المسلمين في غزوة بدر الكبرى فأمر الرسول ﷺ بقتله، وقتل جماعة معه ممن كان لهم دور في إخراج الفئة المؤمنة من ديارها، والاستيلاء على أموالهم وديارهم..

فقال عقبة. أتقتلني يا محمد من بين قريش؟..

قال: نعم، لأنك يهودي من أصل صفورية...(١).

---

(١) كتاب المعارف لابن قتيبة تحقيق ثروت عكاشة ص ٣١٨ – ٣١٩.

ثم التفت الرسول ﷺ وقال :

«أتدرون ما صنع بي هذا»؟..

«جاء وأنا ساجد خلف المقام فوضع رجله على عنقي ، وغمزها فما رفعها حتى ظننت أن عيني ستخرجان»..

«وجاء مرة أخرى بسلا شاة فألقاه على رأسي وأنا ساجد ، فجاءت فاطمة فغسلته عن رأسي...»[1] .

هذا بعض ما فعله عقبة مع الرسول ﷺ أما ما فعله مع أتباعه ، فهو أكثر من أن يحصى أو يعد ، وقد نال جزاء ما فعل في الدنيا حيث نَفَذَ فيه أمر الرسول ﷺ فقتل صبراً بالسيف[2] .

وأم الوليد ، أروى بنت كريز بن ربيعة والدة عثمان بن عفان رضي الله عنه .

فالوليد أخ للخليفة عثمان بن عفان لأمه[3] .

ولقد كان عثمان ــ رضي الله عنه ــ سباقاً إلى الإسلام كريماً . أما الوليد فكان بخيلاً ينفر من دعوة الإسلام ، وكان عثمان عوناً للإسلام والمسلمين ، ويكفيه أنه جهز جيشاً لغزوة تبوك ــ الذي سمي جيش العسرة ــ حتى قال الرسول ﷺ : «ما ضر عثمان ما فعل بعد ذلك» .

وكان الوليد معوقاً ومثبطاً عن الدعوة لدين الله .

وأخت الوليد ، أم كلثوم بنت عقبة عرف الإسلام طريقه إلى قلبها مبكراً فأسلمت وحسن إسلامها وفرّت بدينها إلى يثرب .

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير جـ ٣ ص ٣٠٦.

(٢) البداية والنهاية جـ ٣ ص ٣٠٦.

(٣) طبقات ابن سعد جـ ٦ ص ٢٤.

ويتفق رجال السيَر على أنها أول من هاجر من النساء إلى المدينة بعد صلح الحديبية ، وفيها نزل قول الله تعالى :

﴿يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن ، فإن علمتموهنَّ مؤمنات فلا ترجعوهنَّ إلى الكفار﴾[1] .

وعندما علم الوليد بهجرتها أقسم ليأتين بها مهما كلفه ذلك من مشقة وجهد ، فخرج هو وأخوه عمارة بن عقبة إلى المدينة ، حتى قدما على الرسول ﷺ وطلبا منه أن يدفع إليهما أختهما تنفيذاً للعهد الذي كان بينه وبين قريش في صلح الحديبية

ولكن الرسول ﷺ ردهما رداً كريماً وقال لهما :

«أبى الله ذلك»[2] .

وعادا إلى مكة واستمر الوليد فيها حتى فتحت فأسلم وحسن إسلامه وتابع الرسول ﷺ في حله وترحاله ، وأخذ يتفقه في دينه ، ويتعرف على شريعة ربه .

وفي يوم من الأيام وقع اختيار الرسول عليه ليرسله إلى بني المصطلق ليجمع منهم زكاة أموالهم ، فسار إليهم حتى إذا كان قريباً من منازلهم شاهد جموعهم ، وهم يحملون السلاح فخافهم على نفسه ، وظن أنهم يريدون به شراً ، فعاد إلى الرسول ﷺ قائلاً له : إن بني المصطلق منعوني زكاة أموالهم وهموا بقتلي...

وسرت مقالته في صفوف المسلمين فتحفزوا لقتالهم ، عندها أمر الرسول ﷺ بالتجهيز لغزوهم ، وأرسل خالد بن الوليد على رأس مجموعة من الفرسان ليكشف حقيقة هذا الأمر.

---

(١) سورة الممتحنة آية رقم ١٠.

(٢) طبقات ابن سعد جـ ٨ص ٢٣١.

وذهب خالد فوجد القوم على إسلامهم ، وقد خرجوا جميعاً ليكونوا في انتظار مبعوث الرسول ﷺ ولكن الوليد عندما رآهم على هذه الصورة كرَّ راجعاً[1] .

وأنزل الله في ذلك :﴿يا أيهاالذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾[2] .

وتنقطع أخبار الوليد بن عقبة بعد هذه الحادثة . وتصمت كتب التاريخ فلا تتحدث عنه في قليل أو كثير..

أشارك في غزوات الرسول ﷺ بعد ذلك؟..

أكان له دور في حروب المسلمين التي خاضوها دفاعاً عن دينهم؟..

إن المراجع التي بين أيدينا لم تفصح عن ذلك.

حتى إذا كانت خلافة أبي بكر الصديق — رضي الله عنه — ومعارك المسلمين على أشدها في أرض العراق يظهر الوليد — بعد انتصار المسلمين في موقعة «المزار» وهو يحمل بقية خمس الغنائم وبشرى الفتح إلى المدينة[3] .

فلما قدم الوليد على أبي بكر الصديق رضي الله عنه وجهه إلى القائد عياض بن غنم وأمده به.

فسار إلى وجهته حتى وصل إلى دومة الجندل ، فوجد عياضاً محاصراً الأعداء فيها.. وهم محاصروه من خارجها ، وقد أخذوا عليه الطريق.

فقال الوليد لعياض : الرأي في بعض الحالات خير من جند كثيف ، ابعث إلى خالد فاستمده ، ففعل عياض[4] .

---

(١) تفسير البيضاوي جـ ٥ ص ٨٧.

(٢) سورة الحجرات آية ٦ ، ٧.

(٣) تاريخ الطبري جـ ٢ ص ٢٧٧.

(٤) تاريخ الطبري جـ ٢ ص ٥٧٨.

واستسلمت دومة الجندل، وعاد الوليد مرة أخرى إلى الخليفة أبي بكر الصديق، فولاه صدقات قضاعة، ثم خيَّره بين أن يبقى جابياً وبين أن يكون غازياً..

وأجابه الوليد بإيثار الجهاد[1] فوجهه إلى العراق، واستمر بها مدة خلافته..

ولما جاء عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — كتب إلى سعد بن أبي وقاص أن يولي الوليد على عرب الجزيرة.

ومن أول أن وضع قدمه عندهم، وأخذت الخلافات تدب بينه وبين أهل الجزيرة...

فهم عرب ولا يقبل منهم إلا الإسلام، وهم يأبون ذلك، ولما تشدد معهم، فرّ بعضهم إلى هرقل.

وكتب عمر إلى هرقل ليردّهم إليه.

فاستجابوا لأمره، وتوجه وفد منهم إليه، وفي المدينة وضعوا أمام خليفة المسلمين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قضيتهم مع الوليد، فقرر عمر عزله، كيما يطمئن إلى استتباب الأمن واستقرار الطمأنينة في ربوعهم[2].

وبقي الوليد بعد عزله في بيته، لم يشارك في معركة، ولم يسند إليه شيئ من أمور المسلمين حتى كانت خلافة عثمان رضي الله عنه. فولاه الكوفة وعزل منها سعد بن أبي وقاص — رضي الله عنه —، وفي الكوفة يلتقي سعد بن أبي وقاص صاحب معركة القادسية، وأول من رمى بسهم في سبيل الله بالوليد، ويعلم سعد أنه جاء أميراً.

فيقول له سعد:

---

(١) تاريخ الطبري جـ ٢ ص٥٧٨.

(٢) ابن الاثير جـ ٢ ص٢٠٦ وانظر البلاذري ص ١٨٥ وما بعدها.

«والله ما أدري أكست بعدنا أم حمقنا بعدك»[1] .

فقال الوليد :

«لا تجزعن أبا إسحاق ، فإنما هو الملك يتغداه قوم ويتعشاه آخرون»[2]

هكذا يتحدث الوليد عن الملك ولم يمض على وفاة عمر بن الخطاب إلا فترة وجيزة..

قال الوليد هذه الكلمة بعد أن ودع الدنيا الرجل الذي حطم دولة القياصرة والكياسرة ، الكبيرتين.. وأزال من كل أرض فتحها الإسلام الملوك وتيجانهم ، لأن الإسلام لا يعرف الملوك المستبدين ولا الأباطرة ، ولكنه يعرف خادم الأمة الذي ينفذ شرع الله في الأرض ، ويقيم العدل بين الناس.

ولو كان عمر حياً هل كان الوليد يقول هذه الكلمة التي قالها من توليه الملك وإقامة الصولجان؟...

ولكنه قالها... وانعكست آثارها على الأمة الإسلامية حتى وقتنا الحاضر، عندها قال له سعد :

«أراكم والله ستجعلونها ملكاً»[3] .

فهل تحقق ما قاله سعد؟..

ويفاجأ عبد الله بن مسعود بالوليد بن عقبة في دار الحكم بالكوفة فقال له :

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب جـ ٤ ص ١٥٥٤.

(٢) المصدر السابق.

(٣) أسد الغابة جـ ٥ ص ٩١ والأغاني جـ ٤ ص ٣٤٤.

«ما جاء بك»؟قال: جئت والله أميراً[1].

ويتعجب ابن مسعود من التغير المفاجئ الذي طرأ على الأمة الإسلامية بعد وفاة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيقول:

«والله ما أدري أصلحت بعدنا أم فسد الناس»؟..

بل فسد الناس يا ابن مسعود.

وأنت امرؤ معلم كما أخبر عنك رسول الله ﷺ.

ويبدأ الوليد عمله بالكوفة بعزل عتبة بن فرقد السلمي عن «أذربيجان» وعتبة هذا صحابي شهد مع الرسول ﷺ خيبر وبقية الغزوات بعدها، وكان له دور كبير في حروب الردة، فثار أهل «أذربيجان» على ما فعله الوليد، فجهز جيشاً وسار إليهم ثم صالحهم على ثمانمائة ألف درهم وانقادوا له.

وفي طريق عودة الوليد من «أذربيجان» إلى الكوفة أتاه كتاب عثمان بن عفان وفيه الآتي:

«أما بعد، فإن معاوية بن أبي سفيان قد كتب إليّ أن الروم قد أجلبت على المسلمين بجموع عظيمة، وقد رايت أن يمدهم إخوانهم من أهل الكوفة، فإذا أتاك كتابي هذا فابعث رجلاً.. من ترضى نجدته وبأسه، وشجاعته وإسلامه في ثمانية آلاف أو عشرة آلاف من المكان الذي يأتيك فيه رسولي والسلام»[2]

فقام الوليد في الناس فحمد الله واثنى عليه ثم قال:

«أما بعد أيها الناس فإن الله قد أكرم المسلمين في هذا الوجه حسناً رد عليهم بلادهم التي كفرت، وفتح بلاداً لم تكن افتتحت، وردّهم سالمين غانمين،

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب جـ ٤ ص ١٥٥٥.

(٢) الطبري جـ ٣ ص ٣٠٨ وابن الأثير جـ ٣ ص ٢٣.

مأجورين ، فالحمد لله رب العالمين. وقد كتب إليّ أمير المؤمنين يأمرني أن أندب منكم ما بين العشرة آلاف إلى الثمانية آلاف تمدون إخوانكم من أهل الشام ، فإنهم قد جاشت عليهم الروم ، وفي ذلك الأجر العظيم والفضل المبين فانتدبوا رحمكم الله مع سلمان بن ربيعة الباهلي»[1] .

فانتدب ثمانية آلاف تحركوا في اليوم الثالث من وصول كتاب عثمان بن عفان رضي الله عنه ، واستقبلتهم أرض الشام ، وخاضوا مع إخوانهم المعارك الضارية حتى فتح الله عليهم ، ونصرهم نصراً مؤزراً.

...وفي الكوفة عاش الوليد بن عقبة كما يعيش الملوك الذين باعوا آخرتهم بدنياهم لا جهاد يبعده عما فيه من النعيم.

ولا انشغال لسياسة الرعية وهي مطيعة قانعة.

ولا اتجاه في التفقه في دين الله ومعرفة أصوله.

وإنما هو البزخ والنعيم ، وجنات وعيون ، تغدق عليه وعلى حاشيته.

حتى كان يوم وهو يصلي بالمسلمين صلاة الصبح .. وكأنه أتى في ليلته تلك أموراً لا تتفق وشرع المسلمين ولا تليق بحكامهم ، الأمر الذي أظهر خبيئته وعراه عن إهابه.

فانكشف الوليد أمام الرعية ، وسفر للناس ما كان محجوباً عنهم. يقول ابن شوذب أحد رجالات الإسلام :

«صلى الوليد إماماً وخلفه أهل الكوفة صلاة الصبح أربع ركعات ، ثم التفت اليهم فقال : أأزيدكم؟...

---

(١) الطبري جـ ٣ ص ٣٠٩ ، وابن الأثير جـ ٣ ص ٣٢.

فقال عبد الله بن مسعود: ما زلنا معك في زيادة منذ اليوم»؟...[1]

ويصور الشاعر العربي هذه الحادثة على لسان الحطيئة قائلاً:

شهد الحطيئة يوم يلقى ربه   أن الوليد أحق بالعذر
نادى وقد تمت صلاتهمو   أأزيدكم سكراً وما يدري
فأبوا أبا وهب ولو أذنوا   لقرنت بين الشفع والوتر
كفوا عنانك إذ جريت ولو   تركوا عنانك لم تزل تجري

لقد أصيب المسلمون بشرخ كبير هز وحدتهم وكيانهم، وكان بداية ذلك عندما أخذ يثب على ولاية المسلمين من له قرابة أو مصاهرة، أو صاحب حظوة لدى الحاكم»[2].

لقد رفض محمد ﷺ أن يولي عمه العباس ولاية من الولايات ورفض أن يوليه على الصدقات، وعندما ألح عليه في ذلك قال له:

«يا عباس أنت عمي ولا أغني عنك من أمر الله شيئاً ولكن سل ربك العفو والعافية»[3].

واقتدى بهدى الرسول ﷺ وسار على نهجه أبو بكر الصديق رضي الله عنه، لم نسمع عنه أنه ضعف أمام أحد من أقاربه وكذلك فعل عمر بن الخطاب.. فما بال خليفة رسول الله عثمان بن عفان يولي أخاه على الكوفة، ويعزل الرجل الذي كان يقول عنه الرسول ﷺ: هذا خالي فليرني امرؤ خاله...».

ويعزل عمرو بن العاص عن ولاية مصر، ويولي أخاه عبد الله بن سعد بن أبي السرح ـ الذي أمر الرسول ﷺ بقتله حتى لو وجد متعلقاً بأستار الكعبة.

(١) الاستيعاب جـ ٤ ص ١٥٥٥ وابن الأثير جـ ص ٤٠ والأغاني جـ ٤ ص ٣٧٥.
(٢) المصدر السابق.
(٣) طبقات ابن سعد جـ ٣.

وانتشرت حادثة الأمير وأصبحت حديث السمار في مجالس الكوفة وتناولها الشعراء بالزيادة والنقصان وكثر الهمس حتى أصبح جهراً، إذن ماذا بعد ذلك؟..

أيصبر أهل الكوفة على هذا الوالي؟..

إنهم لا يرضون عن الولاة إذا كانوا صالحين، فكيف بهم إذا كانوا أمثال الوليد ابن عقبة؟

أيقبلون حاكماً يشرب الخمر ويجاهر بها، ويؤم المصلين فيفسد عليهم صلاتهم؟..

وينطلق وفد من أهل الكوفة إلى المدينة، ويلتقي الوفد بالخليفة عثمان ويخبره بما كان من أمر الوليد، وتتجمع لدى عثمان الأدلة على إدانته فيقول لعلي رضي الله عنه بعد أن أحضر الوليد من الكوفة: «أقم عليه الحد..»[1].

فقال الإمام علي كرم الله وجهه لعبد الله بن جعفر: قم أيا ابن أخي فنفذ فيه حد الشرب...

فأخذ السوط وجلده، وعثمان يعدّ عليه حتى بلغ أربعين..

فقال علي — رضي الله عنه — «أمسك يا ابن أخي، جلد الرسول ﷺ في الخمر أربعين، وجلد أبو بكر أربعين، وجلد عمر ثمانين، وكل سنّة».

ثم أصدر عثمان بن عفان أمره بعزل الوليد، وولى بدلاً منه سعيد بن العاص وأوصاه بنصائحه، وأمره باتباع سنّة رسول الله ﷺ.

ولكن أهل الكوفة لم يوافق هواهم سعيد بن العاص، كما رفضوا كثيراً من الولاة قبله، وفي ذلك قال شاعرهم:

فررت من الوليد إلى سعيد كأهل الحجر إذا جزعوا فباروا

(١) أسد الغابة جـ ٥ ص ٩١ والاستيعاب جـ ٢ ص ١٥٥٦.

يلينا من قريش كل عام أمير محدث أو مستشار
لنا نار تحوفنا فنخشى وليس لهم ولا يخشون نار[1]

ثم ماذا؟.. أقام الوليد بالمدينة فترة لم يطب له فيها المقام، فنزل الكوفة وبنى بها داراً. فلما قُتل عثمان نزل البصرة، ثم خرج إلى الرقة واعتزل علياً ومعاوية[2].

ولكن بعض الروايات تقول: إنه حرض على قتال علي كرم الله وجهه.

ولماذا التحريض على تقاتل المسلمين..؟ إذا صدقت هذه الرواية.. وعلى الإمام علي بالذات؟.. ألأنه ابن عم رسول الله ﷺ؟..

والذي فداه بنفسه يوم الهجرة، واستمر على ذلك طوال صحبته لرسول الله ﷺ، ولقد أحس الرسول عليه السلام بما يكنه له عليٌ من الحب والتقدير فقال له يوم تبوك:

«أنت مني يا علي بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»[3].

وإذا لم تكن هناك أدلة مادية تدين الوليد بن عقبة في أمر هذه الفتنة التي مزقت أمر المسلمين وجعلت بأسهم بينهم شديداً.

فإن كتب السيَر والتاريخ، تحتوي على قصيدة تنسب إلى الوليد بن عقبة يخاطب فيها معاوية قائلاً:

فإن كتب السيَر التاريخ، تحتوي على قصيدة تنسب إلى الوليد ابن عقبة يخاطب فيها معاوية قائلاً:

فوالله ما هند بأمك إن مضى النهار ولم يثأر بعثمان ثائر

---

(١) المصدر السابق.

(٢) الطبري جـ ٣ ص ٣٣٠ والاستيعاب جـ ٣ ص ١٥٥٧.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير جـ ٧ ص ٣٤٠

أيقتل عبد القوم سيد أهله ولم يقتلوه ليت أمك عاقر
وأنا متى تقتلهم لا يقد بهم مقيد وقد دارت عليه الدوائر

وهناك شعر آخر ينسب إليه :

ألا من ليل لا تغور نجومه إذا غار نجم لاح نجم يراقبه
بني هاشم ردوا سلاح أخيكم ولا تنهبوه لا تحل مناهبه
بني هاشم لا تعجلينا فإنه سواء علينا قاتلوه وسالبه
فإنا واياكم وما كان بيننا كصدع الصفا لا يرأب الصدع شاعبه
لعمرك لا أنسى أين أروى وقتله وهل ينسين الماء ما عاش شاربه
هم قتلوه كي يكونوا مكانه كما غدرت يوماً بكسرى مرازبه[1]

أقال الوليد حقاً هذا الشِّعر.. ؟

إن أغلب المراجع تنسبه إليه. ولكن لنا وقفة بالنسبة لما يشاع عنه من دعوته للقتال ومطالبته معاوية بالثأر لعثمان..

فنقول : إذا كان الوليد يطالب بثأر عثمان ، فما الداعي لأن يطلب من معاوية القيام بتلك المهمة ؟.. وهوأقرب إلى عثمان من معاوية

إن الإنسان يفهم أن يطالب الأخ بدم أخيه ويتخذ الوسائل لذلك ثم يستعين.. بعد ذلك بمن يريد.. أما أن يجلس في بيته ، ويحرض الآخرين على قتلة اخيه فهذا شيء غير مقبول..لماذا يفعل الوليد ذلك وله باع طويل ، وخبرة ودراية في المعارك ومواقع شهدت له بالبطولة ؟..

وأيضاً كان يوجد بجوار الوليد عبدالله بن أبي السرح ، وهو أخ لعثمان وله دور مشهور في موقعة «ذات الصواري» ولا ينكر عليه أحد صولاته في فتح أفريقيا؟

---

(١) الأغاني جـ ٤ ص ٣٤١ والاستيعاب جـ ٤ ص ١٥٥٧.

لماذا لم يتفق الوليد مع أخيه هذا للمطالبة بدم عثمان — وهذا أكرم لهما من أن يطلبا من معاوية هذا الطلب.

الحقيقة أن هذه القضية — قضية اتهام الوليد — بالتحريض على القتال والمطالبة بدم عثمان في حاجة إلى تمحيص حتى يتجلى فيها وجه الحق..

وإن كانت المراجع تروي شعراً على لسان الفضل بن العباس بن عتبة.. بن أبي لهب رداً على الشعر السابق.. فتكاد تكون قضية الشعر واضحة، وإن كان يخلو الشعر الذي ينسب إلى الفضل من اسم المخاطب به، ولو ذكر فيه ذلك — لكفان مؤونة البحث في هذه القضية.

ويقول أبو الفضل:

فلا تسألونا بالسلاح فإنه أضيع وألقاه لدى الروع صاحبه
وشبهته كسرى وما كان مثله شبيهاً بكسرى هديه وضرائبه[1]

يقول صاحب أسد الغابة:

كان الوليد من أكثر رجال قريش ظرفاً وحلماً وشجاعة وأدباً، وكان له خلق ومروءة، وكان شريب خمر ولكنه يتستر على نفسه في شربه[2]، وتوفي الوليد في خلافة معاوية بن أبي سفيان ببلدة «الرقة» قريباً من البصرة وقبره معروف بها[3]. رحم الله الوليد، وكفّر له ذنوبه وخطاياه، جزاء ما قام به من نشر دين الله، في أرض الله.

(1) الاستيعاب جـ ٣ ص ١٥٥٧.
(2) أسد الغابة جـ ٥ ص ٩١.
(3) طبقات ابن سعد جـ ٧ ص ٤٧٧.

أسباب نزول الآيات

يقول الإمام أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي[1] :

نزلت هذه الآية في الوليد بن عقبة بن أبي معيط .

بعثه رسول الله ﷺ إلى بني المصطلق مصدقاً وكان بينه وبينهم عداوة في الجاهلية ، فلما سمع القوم به تلقوه تعظيماً لله ولرسوله محمد ﷺ .

فحدثه الشيطان أنهم يريدون قتله فهابهم . فرجع من الطريق إلى رسول الله ﷺ . وقال : بنو المصطلق قد منعوا صدقاتهم وأرادوا قتلي . فغضب الرسول وهمَّ أن يغزوهم ، فبلغ القوم رجوعه ، فأتوا رسول الله ﷺ وقالوا : سمعنا برسولك فخرجنا نتلقاه ونكرمه ونؤدي إليه ما قبلنا من حق الله تعالى فبدا له الرجوع فخشينا أن يكون إنما رده من الطريق كتاب جاء منك بغضب غضبته علينا و إنا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله .

فأنزل الله تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ ﴾[2] .

يعني الوليد بن عقبة[3] .

---

(١) أسباب نزول القرآن ص ٤١٣ والاستيعاب جـ ٤ . (٢) سورة الحجرات الآية ٦ .

(٣) تفسير الطبري جـ ٢٦ ص ٧٨ والقرطبي جـ ١٦ ص ٣١١ والدر المنثور جـ ٦ ص ٨٧ وسيرة ابن هشام جـ ٣ ص ٣٠٨ .

ويروي الحاكم أبو عبد الله بسنده عن الحارث بن ضرار يقول:

قدمت على رسول الله ﷺ فدعاني إلى الإسلام فدخلت في الإسلام وأقررت فدعاني إلى الزكاة فأقررت بها، فقلت: يا رسول الله ارجع إلى قومي فأدعوهم إلى الإسلام وأداء الزكاة، فمن استجاب لي جمعت زكاته، فترسل لأبان[1] كذا وكذا لآتيك بما جمعت من الزكاة.

فلما جمع الحارث بن ضرار ممن استجاب له وبلغ الأبان الذي أراد أن يبعث إليه رسول الله ﷺ احتبس عليه الرسول فلم يأته. فظن الحارث أنه قد حدث فيه سخطة من الله ورسوله. فدعا سروات[2] قومه فقال لهم: إن رسول الله ﷺ قد كان وقّت لي وقتاً ليرسل إليّ ليقبض ما كان عندي من الزكاة وليس من رسول الله ﷺ الخلف، ولا أرى حبس رسوله إلا من سخطة؛ فانطلقوا فنأتي رسول الله ﷺ.

وبعث رسول الله ﷺ — الوليد بن عقبة — إلى الحارث ليقبض ما كان عنده مما جمع من الزكاة، فما أن سار الوليد حتى بلغ بعض الطريق فَرِقَ فرجع[3].

فقال: يا رسول الله، إن الحارث منعني الزكاة وأراد قتلي.

فضرب رسول الله البعث إلى الحارث.

وأقبل الحارث بأصحابه فاستقبل البعث وقد فصل من المدينة فلقيهم الحارث، فقالوا: هذا الحارث.

فلما غشيهم قال لهم: إلى مَن بُعثتم؟..

قالوا: إليك.

---

(١) الوقت المحدد أو الموعد.

(٢) سروات القوم عظماء القوم وأهل الرأي فيهم.

(٣) أسباب نزول القرآن للواحدي ص ٤١٤ وسيرة ابن هشام جـ ٣ ص ٣٤٠.

قال : ولمَ؟..

قالوا : إن رسول الله ﷺ كان قد بعث إليك الوليد بن عقبة فرجع إليه فزعم أنك منعته الزكاة وأردت قتله.

قال : لا والذي بعث محمداً بالحق ما رأيته ولا أتاني..

فما أن دخل الحارث على رسول الله ﷺ قال :

لا والذي بعثك بالحق ما رأيت رسولك ولا أتاني ولا أقبلت إلا حين احتبس عليَّ رسولك خشية أن تكون سنخطة من الله ورسوله[1].

قال : فنزلت في الحجرات :

﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾[2].

---

(١) المصدر السابق وسيرة ابن هشام جـ ٣ ص ٣٤١.

(٢) سورة الحجرات آية رقم ٦

تذييل . . .

الحاكم في الإسلام مسئول عن رعيته وخادم لها . ومنفذ لشرع الله فيها . يهيء لها الأمن فلا تخاف ، ويحمي ثغورها وحدودها فلا يقتحمها غاز أو مغامر. يوفر لها المطعم والمشرب فلا تسغب ، ويعدّ لها المسكن فلا تتشرد ، ويستر عورتها ويصون حرية ديارها فلا تنتهك بالتلصص أو التجسس.

الحاكم في الإسلام يصلي ويؤم رعيته في الصلاة ، يصوم شهر رمضان ويرقب حرمة هذا الشهر في المجتمع ، يدفع زكاة أمواله ويحرص على جمعها من الآخرين.

هذه بعض واجبات الحاكم في الإسلام ، ومع هذا ليست له حقوق أكثر من سواه أو مزايا لكونه حاكماً تقدمه على غيره ، فهو فرد كلّف من الرعية بهذه المهمة ، فعليه أن يؤديها .. وحمل أمانة الحكم وواجبه يحتم عليه أن يقوم فيه بما يتفق وشريعة الإسلام ، وهو عرضة للمساءلة والحساب ، والتفتيش على أعماله وإيقاع العقوبة عليه إن قصَّر أو تهاون.

يكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى عمرو بن العاص : «سلام الله عليك أما بعد فقد بلغني أنه فشت لك فاشية من خيل وإبل وغنم وبقر ، وعهدي بك قبل ذلك ولا مال لك ، فاكتب إليَّ من أين أصل هذا المال ولا تكتمه».

فأجابه عمرو بن العاص رضي الله عنه : «يا أمير المؤمنين إن أرضنا أرض مزروع ومتجر فنحن نصيب فضلاً عما نحتاج إليه لنفقتنا».

فأجابه عمر : « إني خبرت من عمال السوء ما كفى وكتابك إليّ كتاب من أقلقه الأخذ بالحق ، وقد سؤت بك ظناً ، وبعثت إليك محمد بن مسلمة فشاطره مالك فإنكم أيها الرهط الأمراء جلستم على عيون المال لم يفزعكم عذر ، تجمعون لأبنائكم وتمهدون لأنفسكم ، أما إنكم تجمعون العار ، وتورثون النار ، والسلام » .

ومحمد بن مسلمةيشبه في عصرنا الحاضر وزير دولة — كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يكلفه بمعرفة أحوال الرعية وتفقد أحوال الوالي عليهم ، ومحاسبته إن قصَّر ، أو عزله إن لم ترضَ عنه الرعية ، أو رأى في تصرفاته بعض الشطط أو الخروج عن القواعد التي رسمها الإسلام للوالي المسلم.

وكانت وظيفة الوالي محددة .. هي إقامة شرع الله ، وتبصير الناس بأمور دينهم ، وإشاعة العدل بينهم ، وعدم إرهاقهم بما لا يطيقون.

خطب الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : « يا أيها الناس إني والله لا أرسل إليكم عمالاً ليضربوا أبشاركم ، ولا ليأخذوا من أموالكم ، ولكني أرسلتهم إليكم ليعلموكم دينكم وسنَّتكم فمن فعل به شيءٌ من ذلك فليرفعه إليّ فوالذي نفس عمر بيده لأقصنه منه » .

فوثب عمرو بن العاص فقال : « يا أمير المؤمنين ، أريتك إن كان رجل من أمراء المسلمين على رعيته ، فأدب بعض رعيته ، إنك تقتص منه ؟ .. » .

قال عمر : « أي والذي نفسي بيده ، إذن لأقصنه منه ، وكيف لا أقص منه وقد رأيت رسول الله ﷺ يقص من نفسه :

« ألا لا تضربوا الناس فتذلوهم ، ولا تجمروهم فتفتنوهم ، ولا تمنعوهم حقهم فتكفروهم » .

والوليد بن عقبة كان والياً على الكوفة من قبل عثمان رضي الله عنه ، وكان للوليد ماضيه في الجهاد والكفاح والعمل على تجييش الجيوش وتأمير القادة لنشر دين الله في أرض الله .

ولكنه أخطأ خطأ لا يليق بالرجل المسلم الذي يعتز بدينه فضلاً أن يكون حاكماً تقتدي به رعيته وتأتي من الأمور ما يأتي وتدع ما يدع. وعندما علم خليفة المسلمين عثمان بن عفان رضي الله عنه بما ارتكبه هذا الوالي من تعاطيه الخمر وهي محرمة تحريماً قاطعاً في كتاب الله، أصدر أمره بعزله.. عزله عن الولاية وتجريده من كل مناصبه. ولم يكتف بذلك بل قرر إقامة الحدّ عليه. ونفذ فيه حدّ الله كأي فرد من أفراد الرعية. وهذه هي العدالة المطلقة التي يعتز بها الإسلام وتاريخ المسلمين. ومجتمعهم مجتمع العدالة والحب، مجتمع يقوم على أن تكون الحاكمية فيه لله وحده، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. ولا فضل لإنسان على إنسان إلا بالتقوى والجدّ والصلاح.. مجتمع يحفظ كرامة الإنسان فلا يذل بحاجة ولا يرضى بظلم. ولا يكون رقماً شائعاً أو آلة تدور لا تدري متى يصدر لها الأمر بالتوقف.

والذي فعله عثمان رضي الله عنه مع الوليد بن عقبة من عزله عن الولاية وإقامة الحد عليه، فعله قبله عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع خالد بن الوليد في أوج انتصاره ودحره لقواعد البغي والتسلط فوق أرض الروم، فقد أصدر أمره بعزله عن القيادة ومقاسمته ماله.

لم يشفع له أنه سيف من سيوف الله.

ولم يحل بينه وبين العزل أنه القائد الذي لم يهزَم قط.

ولم يترك له ماله وليس فيه أدنى شبهة حرام لأنه أسرف فيه.

ولم يتوقف هذا العدل المطلق في تاريخ المسلمين عند عمر وعثمان، ولكنه استمر كالسيل المنهمر يملأ الأرض بالنماء والخير في كل عصور المسلمين التي كانوا يطبقون فيها شرع الله. ومن ذلك أنه ما كاد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يتولى أمور المسلمين حتى أمر بإلقاء القبض على والي العراق السابق يزيد بن أبي المهلب بن أبي صفرة ــ لأنه نما إليه أن استولى على أموال كثيرة من بيت المال.

وعندما يؤتى بيزيد مكبلاً إلى عمر يسأله الخليفة عن الأموال التي كان قد كتب بها إلى سليمان بن عبد الملك — الخليفة المتوفى — فيجيبه يزيد :

«كنت من سليمان بالمكان الذي قد رأيت ، وإنما كتبت إلى سليمان لأسمع الناس به وقد علمت أن سليمان لم يكن ليأخذني بشيء ولا بأمر أكرهه» .

ويجيء جواب الخليفة : «ما أجد في أمرك إلا حبسك . فاتق الله وأدّ ما قبلك فإنها حقوق المسلمين ولا يسعني تركها» ...

ومن ثم يرسل بيزيد إلى السجن ، ولا يمضي وقت طويل حتى يقدم ابنه مخلد من خراسان ، وفي طريقه يوزع الأموال على القرى والمدن كي يستميل أهاليها ، ثم يصل دمشق ويقابل الخليفة ويقول :

«إن الله يا أمير المؤمنين صنع لهذ الأمة بولايتك عليها ، وقد ابتلينا بك ، فلا نكن أشقى الناس بولايتك .. علام تحبس هذا الشيخ ؟ أنا أتحمل ما عليه ، فصالحني على ما إياه تسأل .

ويجيبه عمر : لا . إلا أن تحمل جميع ما نسأله إياه .

ويجيبه الابن : يا أمير المؤمنين إن كانت لك بينة فخذ بها ، وإن لم تكن بينة فصدق مقالة يزيد ، وإلا فاستحلفه ، فإن لم يفعل فصالحه على مقدار من المال .

ولكن الخليفة الراشد يقول : ما أجد إلا أخذه بجميع المال .

إن أقدار الشعوب واقتصادياتها لا تترك لكل من يقدر على السلب والنهب حتى إذا تكشف أمره اكتفى بعزله عن الولاية .

فيكون هذا مدعاة لكل حاكم أن يسلك ما سلكه سلفه والنتيجة معروفة وهو خروجه من الحكم بعد أن يكون أفقر الشعب وأغنى نفسه وأنصاره وأصهاره ...

ولقد حدث هذا ويحدث في كثير من بلاد المسلمين وفي عصرنا الراهن

كل من يقدر على الوثوب على الحكم يحظى به ، ولا يتركه إلا بعد أن يستنزف

أموال الدولة ويسرق أقوات الأمة ، ويخرب كل اقتصادياتها . لقد كان من رأي عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قتل الإمام الظالم ، فخطب يوماً فقال : أما والله لوددت أني وإياكم في سفينة في لجة البحر تذهب شرقاً وغرباً فلن يعجز الناس أن يولوا رجلاً منهم فإن استقام اتبعوه ، وإن جنف قتلوه.

فقال طلحة : وما عليك لو قلت إن تعوج عزلوه؟..

فقال : لا . القتل أنكل من بعده[1] .لماذا.لا يقدَّم هؤلاء اللصوص المرتزقة إلى المحاكمة ، ليرتدع مَن يأتي بعدهم ويرعى حقوق الله وحقوق الأمة؟...

لماذا لا نحاكم هؤلاء الأوغاد الذين سلموا أجزاء غالية من أوطانهم للأعداء؟...

أم أننا أصبحنا في عصر ليس فيه للشرفاء موضع ولا للمخلصين مكان؟..

إن الأمة الإسلامية الآن في حاجة ماسة إلى ابن خطاب جديد يعزل القائد في أوج انتصاره ويقاسمه أمواله ما دامت خمرة النصر قد قلبت موازينه فأسرف فيما أعطاه.

وإلى عثمان آخر لم تمنعه صلة الرحم أن يعزل أخاه عن ولاية الكوفة .ويقيم عليه حد الشرب في الميدان العام.

وإلى حاكم من نوع فريد كعمر بن عبد العزيز يحبس الولاة المعزولين حتى يدفعوا لخزينة الدولة آخر درهم أخذوه بغير حقه ، أو استولوا عليه بطريقة غير مشروعة.

فمتى نعثر على أمثال هؤلاء الحكام؟... متى يا رب؟...

(١) تاريخ الكامل لابن الأثير جـ ٣ ص ٣٠ وتاريخ الطبري جـ ٤ ص ٢١٣.

عبد الله بن أُمَيَّة بن المغيرة

رَضِيَ اللهُ عَنه

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى :

﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا
﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ
خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا
أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ
أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا
نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ ﴾

صدق الله العظيم

[سورة الإسراء من ٩٠ : ٩٣]

أقوال العلماء في نزول الآيات

قال بعض المفسرين منهم :

تفسير البغوي والخازن جـ ٤ ص ١٤٩.

ـــ والإمام الطبري جـ ١٥ ص ١١٠ ص ١١١.

ـــ والإمام ابن كثير جـ ٣ ص ٦٢، ٦٣.

ـــ والقرطبي جـ ١٠ ص ٣٢٨.

ـــ وسيرة ابن هشام جـ ١ ص ٣١٥.

ـــ وكتاب أسباب النزول لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي ص ٣٠٣.

إن هذه الآية نزلت في :

«عبد الله بن أمية».

فمن هو عبد الله بن أمية...؟

عَبد الله بن أميَّة بن المغيرة

صنديد من صناديد قريش ، وفارس من فرسانها الأبطال ، وأحد رجالات دار الندوة ممن كان لهم الحل والعقد قبل الإسلام.

سمع ما نادى به محمد ﷺ من الدعوة إلى التوحيد ونبذ الأصنام ، فأقلقه وأقض مضجعه ، وكان يثير حفيظته وغضبه كثرة المستجيبين لدعوة محمد الملبين لها وتكاثر عددهم كل يوم.

فكان يشتد بوطأته عليهم ، منفراً عنهم الأتباع ، داعياً إلى كساد تجارتهم إن كانوا تجاراً ، ويُسمع سادتهم هجر القول وقوارص الكلام ، ويعذب عبيدهم وخدمهم بحرّق أبشارهم[1] ويجلد أجسادهم.

هذا هو عبدالله بن أمية بن المغيرة قبل الدخول في الإسلام.

فإذا أردنا أن نعرف شيئاً عن نسبه..

فوالده : أمية بن المغيرة كان كريماً مفضالاً ينفق ماله ويقدم زاده ، حتى لقبته قريش بزاد الركب. وإن كان الكلبي يزعم أن أزواد الركب ثلاثة إلا أن مصعب والعدوي يجزمان بأن قريشاً وقبائلها لا تعرف زاد الركب إلا أبا أمية بن المغيرة وحده.

وسمي بذلك لأنه كان إذا سافر معه أحد كان زاده عليه[2].

---

(١) ظاهر الجلد للإنسان.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب جـ ٣ ص ٨٦٨.

وأخته : أم سلمة[1] — رضي الله عنها — زوج رسول الله ﷺ والتي كان لها دورها في بيت النبوة من القيام بواجبات الزوجية للرسول والعمل على مساعدات المسلمات المؤمنات من الجيل الأول على التفقه في شرع الله والاستجابة لأوامر الله سبحانه وتعالى.

وأمه : عاتكة بنت عبد المطلب بن هاشم.. اختلف المؤرخون في إسلامها. وهي صاحبة الرؤيا المشهورة قبل غزوة بدر والتي كان من أمرها ما كان.

وخلاصة الرؤيا كما ترويها أوثق المصادر : أنها رأت رؤيا أفزعتها، فبعثت إلى أخيها العباس بن عبد المطلب فقالت له :

يا أخي، إني رأيت الليلة رؤيا أفزعتني وتخوفت أن يدخل على قومك منها شر ومصيبة فاكتم عني ما أحدثك به..

فقال لها : وما رأيت؟...

قالت : رأيت راكباً أقبل على بعير له حتى وقف بالأبطح[2] ثم صرخ بأعلى صوته ألا انفروا يا غُدر[3] لمصارعكم في ثلاث. فأرى الناس اجتمعوا إليه ثم دخل المسجد والناس يتبعونه كلهم، فبينما هم حوله قام به بعيره حتى استوى على ظهر الكعبة ثم صرخ بمثلها...

ألا انفروا يا غدر لمصارعكم في ثلاث.

ثم قام به بعيره على رأس جبل أبي قبيس[4] فصرخ بمثلها..

---

(١) طبقات ابن سعد جـ ٨ ص ٨٦.

(٢) مكان بمكه.

(٣) غدر : كثير الغدر.

(٤) جبل مشهور خارج مكة سمي بذلك لقبيس بن شامخ الذي هلك فيه.

ثم أخذ صخرة فأرسلها فأقبلت تهوي حتى إذا كانت بأسفل الجبل تفرقت فما بقي بيت من بيوت مكة ولا دار إلا دخلتها منها فلقة[١] .

قال العباس : والله إن هذه لرؤيا ، وأنت فاكتميها ولا تذكريها لأحد[٢] .

ثم خرج العباس فلقي الوليد بن عتبة بن ربيعة ، وكان صديقاً له ، فذكر له الرؤيا إياها ، فذكرها الوليد لأبيه عتبة ففشا الحديث بمكة حتى تحدثت به قريش في أنديتها .

قال العباس : فغدوت لأطوف بالبيت وأبو جهل بن هشام في رهط من قريش قعود يتحدثون برؤيا عاتكة ، فلما رآني أبو جهل قال :

يا أبا عبد الله إذا فرغت من طوافك فأقبل إلينا ..

فلما فرغت أقبلت حتى جلست معهم فقال لي أبو جهل :

يا بني عبد المطلب ، متى حدثت فيكم هذه النبية ؟ ..

قلت وما ذاك ؟ ...

قال : تلك الرؤيا التي رأت عاتكة .

قال : فقلت : وما رأت ؟ ...

قال : يا بني عبد المطلب أما رضيتم أن يتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم ؟ ..

قد زعمت عاتكة في رؤياها أنه قال : انفروا في ثلاث ، فسنتربص بكم هذه الثلاث فإن يك حقاً ما تقول فسيكون ، وإن تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيءٌ ، نكتب عليكم كتاباً أنكم أكذب بيت في العرب[٣] .

---

(١) فلقة : قطعة .

(٢) سيرة ابن هشام جـ ٢ ص ٢٤٠ والروض الأنف ص ٨٤.

(٣) سيرة ابن هشام جـ ٢ ص ٣٢٤٥ والروض الأنف جـ ٥ ص ٨٤.

قال العباس : فوالله ما كان مني إليه كبير — يعني لم يغلظ في الرد على مقالته — إلا أني جحدت ذلك وأنكرت أن تكون رأت شيئاً.

قال : ثم تفرقنا..

فلما أمسيت لم تبق امرأة من بني عبد المطلب إلا أتتني ، فقالت : أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم ، حتى تناول النساء وأنت تسمع ثم لم يكن عندك غير شيء[1] .مما سمعت.

قال : قلت : قد والله فعلت ، ما كان مني إليه من شيء ، ولكن وايم الله لأتعرض له فإن عاد لأكفينكه.

قال : فغدوت في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة ، وأنا حديد مغضب أرى أني قد فاتني منه أمر أحب أن أدركه منه.

قال : فدخلت المسجد فرأيته فوالله إني لأمشي نحوه أتعرضه ليعود لبعض ما قال فأقع به ، وكان رجلاً خفيفاً حديد الوجه ، حديد اللسان ، حديد النظر..

قال : إذ خرج نحو باب المسجد يشتد..

قال : فقلت في نفسي : ما له — لعنه الله — أكل هذا فرق مني أن أشاتمه ؟...

قال : وإذا هو قد سمع ما لم أسمع صوت ضمضم بن عمر الغفاري وهو يصرخ ببطن الوادي واقفاً على بعيره وقد جدع أنفه وحوّل رحله ، وشق قميصه ، وهو يقول :

يا معشر قريش.. اللطيمة ، اللطيمة ، أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه لا أرى أن تدركوها.. الغوث ، الغوث...

وتحققت رؤيا عاتكة..

(١) في رواية غيره.

وخرجت قريش لتجابه محمداً وأصحابه، وتعلنها عليه حرباً ضارية ليكون عبرة لأمثاله فلا يعترض أحد بعدها طريق قوافلهم.

ورفض رأس الكفر — أبو جهل — كل العروض التي عرضت عليه ليعود إلى مكة بعد أن سلمت القافلة.

رفض أبو جهل العودة وتشدد في رفضه، لماذا؟..

لأن الله سبحانه وتعالى أراد أمراً، وكان النصر المؤزر والفتح المبين للفئة المؤمنة الصابرة.

هذا هو عبد الله بن أمية.

ابن زاد الركب، كما وصفته قريش.

وأخو أم سلمة زوج رسول الله ﷺ.

وأمه آمنة بنت عبد المطلب صاحبة السيرة الصافية والرؤيا الصادقة وأم الرجال الأبطال.

وهو من قبل هذا ومن بعده.. سفير العصبة من قريش.. ورجال دار الندوة فيها وحكمائها إلى محمد ﷺ.

وعندما رفض الرسول ﷺ ما عرضته عليه قريش، وفشلت في الوصول معه إلى حل يرضي كفرها وعنادها هاجمه عبد الله وأغلظ له القول وأسمعه ما يكره من فحش القول وهجره واستمر على كفره وعناده وغلظة قلبه.

شارك قريشاً في عدوانها على المستضعفين..

وتقرب إلى الأصنام بالنذور والقرابين..

ونفّر من دعوة التوحيد.. وصد عن الإسلام.. حتى كانت الانتصارات والهزائم التي حدثت بين قريش والرسول ﷺ في غزوة بدر وأحد والخندق. ورأى فيها آيات باهرات أوشكت أن ترقق قلبه وتفتح بصيرته، ولكنه لم يعلن إسلامه.

فلما اعتدت قريش على حلفاء الرسول ونقضت العهد الذي أخذته على نفسها في صلح الحديبية أذن الله سبحانه وتعالى لرسوله بفتح مكة. وتجهز المسلمون لذلك، وخرجت كتائب الرحمن في جيش تعداده عشرة آلاف مقاتل اتجهت صوب مكة.

وعندما علم عبد الله بما عزم عليه الرسول ﷺ تساءل بينه وبين نفسه: أيبقى في مكة حتى يوم الفتح؟..

وماذا يكون مصيره؟..

أيشهر سلاحه في وجه هذا الرجل؟..

ومَن له بالقوة لحربه؟...

إن محمداً تؤيده السماء وتؤازره ملائكة الرحمن..

إذن محمد على الحق... وغيره على الباطل.

ومحال أن يتغلب باطله على حق محمد..

واطمأن إلى هذه النتيجة. وعقد عزمه على مبايعة محمد والدخول في دينه.

عندها ركب عبد الله راحلته ميمماً شطر المدينة.

وفي الطريق بين مكة والمدينة في مكان بين «السقيا والعرج»[1] التقى بالرسول ﷺ، وكان معه أبو سفيان بن حرب فأعرض الرسول عنهما. فدخل على أخته أم سلمة وحدثاها في الدخول على رسول الله ﷺ فكلمته أم سلمة فيهما.

فقالت: يا رسول الله.. ابن عمك وابن عمتك وصهرك.

---

(١) مكان بعد الجحفة من ناحية مكة.

قال : لا حاجة لي بهما .. أما ابن عمي فهتك عرضي ، وأما ابن عمتي وصهري فهو الذي قال بمكة ما قال[1] .

فلما خرج الخبر إليهما بذلك ومع أبي سفيان بني له .

فقال : والله ليأذن لي أو لآخذ بيد بني هذا ثم لنذهبن في الأرض حتى نموت عطشاً وجوعاً[2] .

فقال علي بن أبي طالب لأبي سفيان : ائت رسول الله من قبل وجهه فقل له ما قال إخوة يوسف ليوسف : ﴿ تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين ﴾[3] . فإنه لا يرضى أن يكون أحد أحسن منه فعلاً ولا قولاً . ففعل ذلك ، فقال له رسول الله ﷺ : «لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين»[4] ،وقربهما فأسلما ..

وشهد عبد الله مع الرسول ﷺ فتح مكة .. وفي غزوة حنين أخذت المسلمين قسوة المفاجأة والمباغتة التي قام بها الأعداء ، ففروا هاربين..

ولكن عبد الله ثبت مع الرسول ﷺ وأخذ يجندل الأبطال ، ويصاولهم وكأنه يبحث عن قدره في تلك الموقعة ولكن الله سلم ، فلم يصب بسوء ، لأنه لم تزل في العمر بقية له .

وتوجه الرسول إلى الطائف فتحصنوا بحصونهم وقلاعهم ، فحاصرهم الجيش الإسلامي خمس عشرة ليلة .. فلم تفتح حصونهم وكأنهم أعدوا لهذا الحصار عدته من مؤن وعتاد..

(١) تاريخ الطبري جـ ٢ ص ٥٠ وسيرة ابن هشام جـ ٣ ص ١٨ والبداية والنهاية جـ ٤ ص ٢٨٧.

(٢) المصدر السابق.

(٣) سورة يوسف آية ٩١.

(٤) سورة يوسف آية ٩٢.

وهاجمهم المسلمون حتى أحدثوا في جدار الطائف شزخة وتمكن بعض الرجال من خلالها الدخول إلى داخل الحصن فأرسلت عليهم ثقيف سكك الحديد محماة بالنار فخرجوا من تحتها، فرمتهم بالنبل حتى قتل رجال كثير من أصحاب رسول الله ﷺ..

وكان عبد الله بن أمية على قمة هؤلاء الرجال الأبرار الذين استشهدوا في حصار الطائف..

لقد عاش عبد الله فترة من حياته كارهاً للإسلام، مبغضاً للدعوة الجديدة، منفراً منها. ولكن الله أراد به الخير في أخريات حياته. فصفى نفسه وروحه من أدران الشرك والكفر.. وتفتح قلبه للدعوة الجديدة فركب راحلته مهاجراً إلى الرسول ﷺ، ونطق بين يديه الشهادة، وأسلم وحسن إسلامه، ثم بلغ الكتاب أجله فكان من الشهداء المجاهدين، بعد أن ظفر بصحبة الرسول وقضى معه فترة وجيزة، وأياما معدودة..

إنها لحظات خاطفة في حساب الزمن ولكنها كبيرة ومباركة في ميزان الإسلام والمسلمين..

أسباب نزول الآيات

في دار الندوة، في ليلة من الليالي المقمرة اجتمع نفر من سادة قريش هم عتبة وشيبة ابنا ربيعة[1] وأبو سفيان بن حرب[2].

والنضر بن الحارث[3].

والأسود بن عبد المطلب.

والوليد بن المغيرة[4]. وأبو الحكم «أبو جهل بن هشام»[5].

وعبد الله بن أمية بن المغيرة. وأمية بن خلف[6].

إنهم يمثلون قريشاً وأصحاب الكلمة فيها والأمر والنهي.. وتداولوا في أمر محمد. إن معسكره يكسب كل يوم جديداً، ودعوته تسري بين قبائل العرب، وهذا أمر لا يمكن السكوت عليه. وقرروا أن يجتمعوا به ليحدثوه عله يستمع إليهم. واختاروا له ابن عمته سفيراً له — عبد الله بن أمية بن المغيرة — فذهب إليه وأخبره باجتماعهم في دار الندوة، ودعاه ليلبي دعوتهم. فلم يعارض الرسول ﷺ في ذلك وجاءهم

---

(١) قتلا في غزوة بدر.

(٢) والد معاوية بن أبي سفيان أحد كتاب الوحي للرسول ﷺ ووالد أم حبيبة زوج الرسول ﷺ.

(٣) أحد كفار قريش وصناديدها.

(٤) والد خالد بن الوليد رضي الله عنه وسيف الله المسلول.

(٥) راجع حديثنا عنه في هذا الجزء.

(٦) نزل فيه قول الله تعالى: ﴿وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم﴾.

سريعاً وهو يظن أن قد بدا لهم فيما كلمهم فيه بداء. وكان ﷺ حريصاً على إسلامهم، يحب رشدهم ويعز عليه صدهم حتى جلس إليهم.

فقالوا له: يا محمد إنا قد بعثنا إليك لنكلمك، وإنا والله ما نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه مثل ما أدخلت على قومك.

لقد شتمت الآباء.. وعبت دين الأجداد وسخرت من الآلهة وسفهت الأحلام، وفرقت الجماعة.

فما بقي أمر قبيح إلا قد جئته فيما بيننا وبينك، فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب مالاً.. جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً. وإن كنت إنما تطلب به الشرف فينا فنحن نسودك علينا وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً تراه قد غلب عليك، وكانوا يسمون التابع من الجن رئياً، فربما كان ذلك بذلنا لك أموالنا في طلب الطب حتى نبرئك منه أو نعذر فيك.

فقال لهم رسول الله ﷺ: «ما بي ما تقولون، ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم، ولكن الله بعثني إليكم رسولاً وأنزل عليَّ كتاباً، وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم، فإن تقبلوا مني ما جئتكم به.فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه عليَّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم».

قال أبو جهل: يا محمد، فإن كنت غير قابل منا شيئاً مما عرضناه عليك فإنك قد علمت أنه ليس من الناس أحد أضيق بلداً، ولا أقل مالاً ولا أشد عيشاً منا فسل ربك الذي بعثك بما بعثك به فليسر عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا وليبسط لنا بلادنا وليفجر لنا فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق وليبعث لنا مَن مضى من آبائنا، وليكن فيمن يبعث لنا منهم قصي بن كلاب فإنه شيخ صدق فنسألهم عما تقول أحق هو أم باطل؟... فإن صدقوك وصنعت ما سألناك صدقناك وعرفنا به منزلتك من الله، وأنه بعثك رسولاً كما تقول.

فقال لهم رسول الله ﷺ : «ما بهذا بعثت إليكم إنما جئتكم من الله بما بعثني به وقد بلّغتكم وما أُرسلت به إليكم . فإن تقبلوه فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردوه عليَّ أصبر لأمر الله تعالى حتى يحكم الله بيني وبينكم»[1].

قال أبو سفيان بن حرب : فإذا لم تفعل ما قاله أبو الحكم فخذ لنفسك .. سل ربك أن يبعث معك ملكاً يصدقك بما تقول ، ويراجعنا عنك ، وسله فليجعل لك جناناً وقصوراً وكنوزاً من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك تبتغي فإنك تقوم بالأسواق كما نقوم وتلتمس المعاش كما نلتمسه حتى نعرف فضلك[2] ومنزلتك من ربك إن كنت رسولاً كما تزعم.

فقال رسول الله ﷺ : «ما أنا بفاعل ، وما أنا بالذي يسأل ربه هذا وما بُعثت إليكم بهذا ولكن الله بعثني بشيراً ونذيراً».

قال الوليد بن المغيرة : يا ابن أخي إنك لم تستجب لما قاله لك أبو الحكم ولم تقنع بما عرضه عليك أبو سفيان. وليس في يدك حل تقوله برضينا فإذا لم تفعل فأسقط السماء علينا كسفاً كما زعمت إن ربك إن شاء فعل ، فإنا لا نؤمن لك إلا أن تفعل.

فقال رسول الله ﷺ : ذلك إلى إن شاء أن يفعله بكم فعل.

قال النضر بن الحارث : يا محمد ، أفما علم ربك أنّا سنجلس معك ونسألك عما سألناك عنه ، ونطلب منك ما تطلب... فيتقدم إليك فيعلمك ما تراجعنا به ويخبرك ما هو صانع في ذلك بنا إذا لم نقبل منك ما جئتنا به.

قال عتبة بن ربيعة : إنه قد بلغنا أنك إنما يعلمك هذا الرجل باليمامة يقال له : الرحمن ، وإننا والله لا نؤمن بالرحمن أبداً فقد أعذرنا إليك يا محمد..

---

(١) راجع تفسير الامام ابن كثير جـ ٤ ص ٣٥٠ وتفسير القرطبي جـ ٦ ص ١٥٠ وسيرة ابن هشام جـ ٢ ص ٤٢٣.

(٢) راجع البداية والنهاية لابن كثير جـ ٣ ص ٢٧.

وهنا قال أمية بن خلف : يا محمد ، إنا والله لا نتركك وما بلغت حتى نهلك أو تهلكنا أو تتركنا وما نحن فيه وتترك هذه البلاد فنحن نعبد الملائكة وهي بنات الله.

وكان آخر من تكلم في هذا المجلس شيبة بن ربيعة قائلاً : يا محمد ، لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلاً»[1] .

عند ذلك عرف رسول الله ﷺ أنهم لا يبغون الخير فقام عنهم ، وقام معه عبد الله بن أمية — وهو كما قلنا ابن عمته.

فقال له : يا محمد ، عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم ثم سألوك لأنفسهم أموراً ليعرفوا بها منزلتك من الله كما تقول ، ويصدقوك ويتبعوك فلم تفعل ، ثم سألوك أن تأخذ لنفسك ما يعرفون به فضلك ويتبعوك فلم تفعل — أو كما قال له :

فوالله لا أؤمن بك أبداً حتى تتخذ إلى السماء سلماً ثم ترقى فيه ، وأنا أنظر إليك حتى تأتيها... ثم تأتي معك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول ، وأيم الله ، لو فعلت ذلك كله وأكثر منه ، ما ظننت أني أصدقك.

ثم انصرف عن رسول الله ﷺ.

وانصرف الرسول ﷺ إلى أهله حزيناً آسفاً لما فاته مما كان يطمع فيه من قومه حين دعوه.. ولما رأى من مباعدتهم إياه[1] .

عند ذلك نزل قوله تعالى :

﴿ وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً ، أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً ﴾[2] .

---

(١) المصدر السابق.

(١) تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٣٥٠.

(٢) سورة الإسراء الآيات ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢.

تذييل...

أمة العرب من قبل الإسلام هي أمة محاربة ، والمتعرض لتاريخ العرب يرى أنه عبارة عن سلسلة من المعارك والحروب المتلاحقة.. من أجل ذلك كان من أخص خصائصهم أن ينشئوا أبناءهم نشأة حربية ، ويعوّدوهم في سن مبكرة على استعمال أدوات الحرب ، ويدفعوهم إلى ظهور الخيل دفعاً ، حتى إذا ما جد الجد ودعا نفير القتال ، تسابق الجميع إلى ساحة الوغى رجالاً وشباباً ، لا يتخلف منهم أحد.

وكثيراً ما كانت تنتهي إحدى المعارك بقتل جميع من يقدر على حمل السلاح من قبيلة معينة ، وتبقى نساء القبيلة مع أطفالهن يلقنوهن أسليب الحرب والطعان ، ويدفعوهن إلى اصطناع المعارك مع بعضهم البعض ليكون هذا مدعاة لتدريب جيل جديد ، يتسلم زمام القيادة ويأخذ بثأر الآباء ، ويعيد للقبيلة مجدها وعزها وبطولاتها.

ولما جاء الإسلام أحس الذين دخلوا فيه أفواجاً من أبناء الجزيرة العربية أنهم في حاجة ماسة إلى جيش قوي ، جيش يحمل كلمة التوحيد وينداح بها في أركان المعمورة ليخرج البشرية كلها والإنسانية قاطبة من ظلام الجهل إلى نور الإيمان ، ومن عبادة الأفراد إلى عبادة الواحد الأحد...

وأصبح مسجد الرسول ﷺ بالمدينة ، المكان الفسيح الذي يجتمع فيه الرجال والشباب فيتلقون أصول الحرب ، ويتدربون على استعمال الأسلحة ، ويعرفون الكثير عن أساليب الحرب النفسية ، لتكون عوناً لهم — بعد الله سبحانه وتعالى — في

تطويق الطغاة، ومحاصرة الجبابرة الذين كانوا يقفون أمام الدعوة الجديدة ويحولون بينها وبين وصولها إلى أتباعهم أو رعيتهم...

حتى أصبح جيش الإسلام هو القوة الضاربة على رقعة فسيحة من الأرض، وما فعله هذا الجيش في دولتي الفرس والروم خير شاهد على ما نقول. ويؤيد ذلك ما قاله أحد المؤرخين الأجانب معبراً عن السرعة الفائقة التي استطاع المسلمون أن يفتحوا بها تلك البلاد: «إن الأرض كانت تطوى تحت أقدامهم».

ولقد صدق في ذلك، لأن التاريخ — وهو خير شاهد — يحدثنا عن قوة المسلمين الخارقة، وعزيمتهم الصلبة — في نشر دينهم — حتى ضاقت الأرض عن آمالهم، أو بعبارة أخرى، لم تبق أمامهم بلاد يتجهون إليها.. حتى قال بعض قوادهم: «لو أعلم أن خلف هذا البحر المحيط قوماً لا يؤمنون بالله ولا يصدقون بمحمد لخضت إليهم بهذا الفَرَس».

ولقد كان الجندي في الصدر الأول من الإسلام لا يعرف أنصاف الحلول فإما النصر وإما الشهادة. حتى اولئك الذين كان عهدهم قريب من الإسلام كانوا يندفعون إلى ساحة القتال وهم في شوق غامر إلى نيل الشهادة أو القتال حتى تكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا هي السفلى.

وعبد الله بن أمية بن المغيرة أحد أولئك الرجال الذين أسلموا ورضي الرسول ﷺ عنه ودعا له الرسول حتى أصبح وكأنه خلق جديد لا يربطه بأساليب الجاهلية أو عاداتها أي رباط.

وما كادت تسنح له فرصة للقتال في حصار الطائف، حتى اندفع إلى ساحة المعركة يجندل فرسانها ويقتل أبطالها، وكأنه بسيفه البتار يزيل من على وجه الأرض ما تبقى من ركام الكفر والجهل.

ولم يثنه عن عزمه أو يفت في عضده ما أقامته عصابة الكفر من أسياخ الحديد المحماة ولا القلاع أو الحصون التي تطاول الجبال وتعترض طريق جيش الإيمان، ولم

يبق في خلده إلا شيءٌ واحد هو إزالة هذا الحصن الذي يحول بينه وبين نشر كلمة الله فيمن خلفه لأناس لم يسمعوا بتلك الدعوة، أو سمعوا بها وحال الجبابرة بينهم وبين اعتناقها.

وما هي إلا لحظات حتى سقط شهيداً في أرض المعركة، ليقام من جسده وأجساد أمثاله من الأبطال الشرفاء جسر يعبر عليه الجيش الفاتح.

فما بال الأحفاد لم يسيروا على سنّة الأجداد؟...

وما بال المسلمين في كل أرض هم القلة الضعيفة، أو في مؤخرة الركب، وتنوشهم الرياح الهوج من كل جانب؟...

لماذا يقبلون الظلم وكان الآباء ينفرون منه؟...

لماذا استكانوا حتى أصبحوا في ذيل القافلة؟...

قيل لأعرابي: أيما أحب إليك.. أن تلقى الله ظالماً أو مظلوماً؟...

قال: ظالماً.

قيل له: ويحك، ولمَ؟...

قال: ما عذري إذا قال لي: خلقتك سوياً قوياً، لمَ لم تشتد؟...

وكأنه يعني بهذا قول الله تعالى:

﴿إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيمَ كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض. قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها﴾[1].

وكان «الخارجي» يخرج وحده للقاء جيش بكامله، فيخشى عليه صحبه من هلاك مؤكد، ويجيئونه بابنه عسى أن يراه فيحن إليه فينثني عما هو فيه.

ماذا ترى يقول؟...

---

(١) سورة النساء آية رقم ٩٧.

هل يتخاذل؟...

هل يتقاعس؟...

هل ينكفئ؟...

هل يتحمل لنفسه المعاذير؟...

هل يتخلف عما يراه جهاداً في سبيل الله؟...

يقول مخاطباً من جاؤوه بابنه رجاء أن يثنوه عن حلمه الكبير الذي يعيش من أجله ويموت من أجله:

«والله يا قوم إني إلى طعنة نافذة أتقلب فيها على كعوب الرمح أحب إليّ من ابني»...

أعجز أحفاد هؤلاء الرجل عن قتال اليهود الذين قالوا لنبيهم موسى عندما دعاهم لدخول فلسطين:

﴿ اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون ﴾[1].

كيف يجبنون أمام الجبناء، ويفرون من أمامهم، ويسلمونهم أرضهم وديارهم؟...

ألأن اليهود أصبحوا الآن أقوياء؟...

لا والله...

ولكن المسلمين هم الذين أصبحوا غير مسلمين... فحل بهم الهوان والعار، وأصبحوا في نظر بعض اليهود حيوانات متوحشة أو ضفادع مقلقة.

يقول «هرتسل» في كتابه «الدولة اليهودية»:

«لنفترض أننا نريد أن نطهر بلداً من الوحوش الضارية، إننا لن نتسلح بالسيف

(١) سورة المائدة آية رقم ٢٤.

ونذهب فرادى ، بل سننظم حملة صيد جماعية عتيدة مجهزة ، ونطرد الحيوانات. ولا يمكن إقامة الدولة دون مساعدة مجدية من الحكومات ذات المصالح التي تعود عليها حركتنا بالمنافع الجمة».

فمتى يعقل العرب والمسلمون هذا الكلام ويعيدوا تخطيط حياتهم واستراتيجياتهم على نمط جديد؟...

متى يحدث ذلك؟...

إنا لمنتظرون...

الجلاس بن سويد

رضي الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى :

﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ
خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

صدق الله العظيم

[سورة التوبة آية رقم ٦١]

أقوال العلماء في نزول الآيات

قال كثير من العلماء والمفسرين ورجال السير نزلت في الجلاس بن سويد

قال ذلك الواحدي في أسباب النزول ١٤٣

وأورده الطبري ١٤ : ٣٢٩ — ٣٣٠

وأورده السيوطي في الدر المنثور ٣ : ٢٥٣

وأورده القرطبي في التفسير ٨ : ١٩٣

فمن هو الجلاس بن سويد..؟

الجلاس بن سويد

من الجلاس بن سويد هذا..؟

متى كانت ولادته، وفي أي البقاع كانت نشأته..؟

كيف تعرف على الاسلام ومن الذي دله عليه.؟

هل كان له دور في غزوات الرسول ﷺ؟ هل شارك في غزوة بدر..؟ وهل كان له دور في غزوة أحد...؟ وأين كان والمسلمون يحفرون الخندق وينتظرون جيوش الكفر والالحاد..؟

إن الجلاس ممن أنزل الله فيهم قرآناً، ومع ذلك لا يذكره التاريخ ولا يتناوله كتاب السير إلا بنتف هنا وهناك.

إنهم لا يتلفتون إليه إلا في غزوة تبوك. وإذا كان ذلك كذلك فيطيب لنا أن نستعرض تلك الغزوة، ونتعرف على ظروفها لعلنا من خلال ذلك تتكون لدينا صورة عن الجلاس بن سويد.

لقد كانت تلك الغزوة في السنة التاسعة من الهجرة، والأسباب الجوهرية لها تتلخص في أن الرسول ﷺ علم أن الروم قد جمعت جموعها وأعدت جيوشها وأرسلت طلائعها إلى البلقاء.

إن بني الأصفر يريدون شيئاً ويعدون العدة لأمر هو الزحف على الجزيرة العربية، وتأديب هؤلاء الذين يتبعون محمد بن عبد الله.

عندها دعا الرسول ﷺ المسلمين إلى الخروج وأعلمهم المكان الذي يريد ليتأهبوا لذلك.

إن المسلمين في عسر من الأمر، والحرارة تذيب الرؤوس وتحرق الأخضر واليابس، والشقة بعيدة. فطلب من الموسرين بالتبرع وتجهيز هذا الجيش الذي سمي جيش العسرة.

روى الإمام أحمد بسنده عن عبد الرحمن بن حباب السلمي. قال:

«خطب رسول الله ﷺ فحث على جيش العسرة»

فقال عثمان بن عفان — رضي الله عنه: عليَّ مائة بعير بأحلاسها وأقتابها قال: ثم حثَّ. فقال عثمان:

«عليَّ مائة بعير أخرى بأحلاسها وأقتابها».

قال: ثم نزل مرقاة من المنبر ثم حثَّ. فقال عثمان بن عفان:

«عليَّ مائة بعير أخرى بأحلاسها وأقتابها».

قال: فرأيت رسول الله ﷺ قال بيده — هكذا يحركها وأخرج عبد الصمد يده كالمتعجب

«ما على عثمان ما عمل بعد هذا»

ويقول عبد الرحمن بن سمرة: جاء عثمان — رضي الله عنه — إلى النبي ﷺ بألف دينار في ثوبه — حتى جهز النبي — ﷺ جيش العسرة.

قال: فصبها في حجر النبي ﷺ فرأيت النبي ﷺ يقلبها بيده ويقول:

«ما ضرَّ ابن عفان ما عمل بعد اليوم» يرددها مراراً.

وتتابع المسلمون في التبرع وفي تجهيز جيش العسرة ومع ذلك بقي أعداد من المسلمين لا يجدون ما يحملون عليه للذهاب مع الرسول ﷺ قال تعالى:

﴿ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين
لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله
ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم
ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما
أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع
حزناً ألّا يجدوا ما ينفقون﴾[1].

ومع هؤلاء الذين لا يجدون ما يحملون عليه هناك المنافقون الذين لديهم الظهور والسلاح ومع ذلك جاءوا إلى الرسول ﷺ يطلبون منه أن يأذن لهم في التخلف قال تعالى:

﴿ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين﴾.

روى ابن اسحاق بسنده عن عاصم بن قتادة. قال: قال رسول الله ﷺ ذات يوم وهو في جهازه للجد بن قيس أخي بن سلمة:

«هل لك يا جدّ العام في جلاد بني الأصفر..؟

فقال: يا رسول الله أو تأذن لي ولا تفتني، فوالله لقد عرف قومي ما رجل أشد عجباً بالنساء مني، وإني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصبر عنهن».

فأعرض عنه رسول الله ﷺ وقال:

«قد أذنت لك»

ففي الجد بن قيس نزلت هذه الآية.

---

(١) سورة التوبة آية رقم ٩١ — ٩٢

وكان الجد بن قيس من أشراف بني سلمة ، وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال لهم : من سيدكم يا بني سلمة..؟

قالوا : الجد بن قيس على أنا نبخله.

فقال رسول الله ﷺ :

«وأي داء أدوأ من البخل.. ؟؟ ولكن سيدكم الفتى الجعد الأبيض بشر بن البراء بن معرور».

وتخلف مجموعة أخرى من المنافقين وظنوا أن الله غافل عنهم وأن الرسول ﷺ لا يعلم حقيقتهم وينزل قول الله تعالى كاشفاً هؤلاء معرياً حقيقتهم ومبيناً نفاقهم قال تعالى :

﴿ لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً لاتبعوك
ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا
لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم إنهم لكاذبون
عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا
وتعلم الكاذبين، لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله
واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله
عليم بالمتقين، إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله
واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون ﴾[1] .

وقبل أن يتحرك الجيش إلى وجهته استخلف الرسول ﷺ علياً بن أبي طالب على المدينة.

---

(١) سورة التوبة الآيات رقم ٤٢ ، ٤٥

فقال الامام علي : أتخلفني في الصبيان والنساء.. ؟

قال عليه السلام : ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس نبي بعدي» .

ثم قال يا علي : اخلفني في أهلي ، واضرب ، وخذ ، وعظ ، ثم دعا نساءه فقال : اسمعن لعلي وأطعن .

وسار الجيش على بركة الله ، وفي منتصف الطريق تخلف عبد الله بن أبي ومن كان معه ، وتخلف نفر من المسلمين من غير شك ولا ارتياب منهم كعب بن مالك — رضي الله عنه

وهلال بن ربيع — رضي الله عنه

ومرارة بن الربيع — رضي الله عنه

وأبو خيثمة السالمي — رضي الله عنه

وأبو ذر الغفاري — رضي الله عنه

وفي الطريق برز بعض المنافقين وأخذوا في تثبيط همة المسلمين ، منهم وديعة بن ثابت أخو بني أمية ، ومخشي بن حمير ، وغيرهم . وقالوا :

أتحسبون جلاد بني الأصفر كقتال العرب بعضهم بعضاً ، والله لكأنابكم غداً مقرنين في الحبال» .

ارجافاً وترهيباً للمؤمنين

فقال مخشي : والله لوددت أن أقاضي على أن يضرب كل رجل منا مائة جلدة وإننا نغلب أن ينزل فينا قرآن لمقالتكم هذه

وقال رسول الله ﷺ لعمار بن ياسر :

«أدرك القوم فإنهم قد احترقوا ، فاسألهم عما قالوا فإن أنكروا فقل بلى قلتم كذا وكذا» .

«أدرك القوم فإنهم قد احترقوا ، فأسألهم عما قالوا فإن أنكروا واقفل بلى قلتم كذا وكذا» .

فانطلق إليهم عمار فقال ذلك لهم .

فأتوا رسول الله ﷺ يعتذرون إليه .

فقال وديعة بن ثابت ورسول الله ﷺ واقف على راحلته فجعل يقول — وهو آخذ بحقبها :

«يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب» .

فنزل قول الله تعالى

«ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب

قل أبالله وآيته ورسوله كنتم تستهزئون» .

وقال مخشي بن حمير يا رسول الله قعد بي اسمي واسم أبي فكان الذي عفا عنه في هذه الآية مخشي بن حمير ، فتسمى عبد الرحمن ، وسأل الله أن يقتل شهيداً لا يعلم بمكانه . فقتل يوم اليمامة ولم يوجد له أثر .

وسار الرسول ﷺ بأصحابه حتى وصل تبوك في ثلاثين ألفاً من الناس ، والخيل عشرة آلاف فرس ، فأقام بها عشرين ليلة يصلي بها ركعتين

هنا يظهر الجلاس بن سويد ويلتفت التاريخ إليه ، لقد كان من هؤلاء الفرسان الذين رافقوا رسول الله ﷺ في جيش العسرة ، وكان معه بنوه وأقاربه — وربيبه عمير بن سعيد .

فقال الجلاس لبنيه في إحدى الليالي وهم يسمرون :

«والله لئن كان ما يقول محمد حقاً لنحن شيء من الحمير» .

فسمع هذه القالة ربيبه عمير بن سعيد فقال له :

أي عم ، تب إلى الله ، وجاء الغلام إلى النبي ﷺ فأخبره ، فأرسل النبي ﷺ إليه ، فجعل يحلف ويقول : والله ما قلته يا رسول الله.

فقال الغلام : يا عم بلى والله لقد قلته فتب إلى الله ، ولولا أن ينزل القرآن فيجعلني معك ما قلته.. ؟؟

ونزل قول الله تعالى :

«يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة

الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهموا بما لم

ينالوا».

ونزل أيضاً : فإن يتوبوا يك خيراً لهم وإن يتولوا يعذبهم الله عذاباً أليماً».

هنا فقط يعترف الجلاس أنه قال ما قال : ويقول : لقد عرض الله عليَّ التوبة فأنا أتوب. فقبل الرسول ﷺ ذلك منه. وحسنت توبته.

لقد أراد الرسول ﷺ أن يبعث خالد بن الوليد في أربعمائة وعشرين فارساً إلى أكيدر بن عبد الملك بدومة الجندل.

وسار الجلاس مع خالد إلى الوجهة التي حددها لهم رسول الله ﷺ حتى التقوا بأكيدر وأخيه حسان في ليلة مقمرة يطاردان بقراً لها. فاستأسر أكيدر وامتنع حسان وقاتل حتى قتل ، وهرب من كان معهما.

واقتحم الجلاس الحصن مع خالد بن الوليد وتم أسر أكيدر وأخيه مصاد وقدمها الجلاس إلى رسول الله ﷺ فصالحها على الجزية وحقن دمه ودم أخيه ، وخلى سبيلهما

وعاد الرسول ﷺ إلى المدينة فقال :

«الحمد لله على ما رزقنا في سفرنا هذا من أجرٍ وحسبة» عاد الجيش أما جماعة

المسلمين فازدادوا إيماناً بنصر الله وتوفيقه ، وأما جماعة المنافقين فانصهر نفاقهم في أتون المعركة وعادوا مؤمنين وجنوداً مخلصين عاملين لنصرة الله ونصرة رسوله .

وكان من المتخلفين المؤمنين كعب بن مالك .

يقول الجلاس : قال الرسول ﷺ وهو جالس بتبوك ما فعل كعب .. ؟

فقال رجل من بني سلمة : يا رسول الله حبسه برداه ، ونظره في عطفه . فقال معاذ بن جبل : بئس ما قلت ، والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيراً .

فسكت رسول الله ﷺ

فلما جاء إلى المدينة ، جاء كعب حتى جلس بين يدي الرسول ﷺ .

فقال له : ألم تكن قد ابتعت ظهرك .. ؟

قال : بلى ، إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن سأخرج من سخطه بعذر ، ولقد أعطيت جدلاً ، ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به ليوشكن الله أن يسخطك علي ، ولئن حدثتك حديث صدق تجد عليَّ فيه إني لأرجو عفو الله .

ثم تابع كعب حديثه قائلاً :

« لا والله ما كان لى من عذر ، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك .

فقال رسول الله ﷺ أما هذا فقد صدق . فقم حتى يقضي الله فيك .

وتمر الأيام وتكر الليالي بطيئة على هؤلاء المتخلفين الذين أمر الله الرسول ﷺ بمقاطعتهم — حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم .

يقول الجلاس وفي يوم وأنا جالس في مسجد الرسول ﷺ سمعت عبد الله بن مسعود يقرأ بصوته المحلق قول الله سبحانه وتعالى :

﴿ لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار
الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ
قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رءوف رحيم
وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض
بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ
من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب
الرحيم ﴾ (١).

وآمن الجلاس ايماناً لا تزحزحه الجبال أن الله معهم في كل وقت وحين يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور. وأن الدنيا .قنطرة إلى الآخرة حيث الفردوس والنعيم للمؤمنين، والنار والعذاب للجاحدين.

وحرص على أن ينال الشهادة في سبيل الله — وأخذ يعمل لها فهل نالها..؟ وفي أي المواقع..؟ لا أحد يدري..؟ لأن التاريخ غفل عن الكثير من حياة الجلاس رحمه الله واسكنه فسيح جنانه.

(١) سورة التوبة آية رقم ١١٧، ١١٨

أسباب نزول الآيات

قال قتادة نزلت في عبد الله بن أبي ، وذلك أنه اقتتل رجلان جهني ، وأنصاري فعلا الجهني على الأنصاري .

فقال عبد الله بن أبي : ألا تنصروا أخاكم .. ؟ والله ما مثلنا ومثل محمد إلا كما قال القائل : «سمن كلبك يأكلك» ، وقال : لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل . فسعى بها رجل من المسلمين إلى النبي ﷺ فأرسل إليه فسأله فجعل يحلف بالله ما قاله فأنزل الله فيه هذه الآية .

وروى اسماعيل بن ابراهيم بن عقبة عن عمه موسى بن عقبة قال : فحدثني عبد الله بن الفضل أنه سمع أنس بن مالك — رضي الله عنه يقول : حزنت على من أصيب بالحرة من قومي فكتب إلى زيد بن أرقم ، وبلغه شدة حزني ، يذكر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول :

«اللهم اغفر للأنصار ولأبناء الأنصار» وشك ابن الفضل في «أبناء أبناء الأنصار» .

فسأل أنس بعض من كان عنده عن زيد بن أرقم فقال : هو الذي يقول له رسول الله ﷺ «أوفى الله له بإذنه» قال : وذلك حين سمع رجلاً من المنافقين يقول : ورسول الله ﷺ يخطب : لئن كان صادقاً فنحن شر من الحمير .

فقال زيد بن أرقم : فهو والله صادق ولأنت شر من الحمار. ثم رفع ذلك إلى رسول الله ﷺ فجحده القائل فأنزل الله هذه الآية تصديقاً لزيد يعني قوله : لئن كان محمد صادقاً فنحن شر من الحمير.

وقد رماه محمد بن فليح عن موسى بن عقبة باسناده ثم قال : قال ابن شهاب وذكر ما بعده عن موسى بن شهاب. والمشهور في هذه القصة أنها كانت في غزوة بني المصطلق فلعل الراوي وهم في ذكر الآية، وأراد أن يذكر غيرها فذكرها والله أعلم.
قال الأموي في مغازيه : حدثنا محمد بن اسحاق عن الزهري، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه عن جده قال :

«لما قدم رسول الله ﷺ أخذني قومي فقالوا إنك امرؤ شاعر فإن شئت أن تعتذر إلى رسول الله ﷺ ببعض الغلة ثم يكون ذنباً تستغفر الله منه، وذكر الحديث بطوله إلى أن قال : وكان ممن تخلف من المنافقين ونزل فيه القرآن منهم ممن كان مع النبي ﷺ الجلاس بن سويد بن الصامت، وكان على أم عمير بن سعد، وكان عمير في حجره فلما نزل القرآن وذكرهم بما ذكر مما نزل في المنافقين قال الجلاس :

والله لئن كان هذا الرجل صادقاً فيما يقول لنحن شر من الحمير».

فسمعها عمير بن سعد فقال :

«والله يا جلاس إنك لأحب الناس وأحسنهم عندي بلاء، وأعزهم عليّ أن يصله شيء يكرهه، ولقد قلت مقالة لئن ذكرتها لتفضحني، ولئن كتمتها لتهلكني ولإحداهما أهون عليّ من الأخرى».

ثم مشى إلى رسول الله ﷺ فذكر له ما قال الجلاس، فلما بلغ الجلاس ذلك، خرج حتى أتى النبي ﷺ فحلف بالله ما قال عمير بن سعد، ولقد كذب عليّ.

فأنزل الله عز وجل فيه :

«يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم» إلى آخر الآية

فوقفه رسول الله ﷺ عليها، فزعموا أن الجلاس تاب فحسنت توبته، ونزع فأحسن النزوع».

هكذا جاء هذا مدرجاً في الحديث متصلاً وبه وكأنه والله أعلم من كلام ابن اسحاق نفسه لا من كلام كعب بن مالك.

وقال عروة بن الزبير نزلت هذه الآية في الجلاس بن سويد بن الصامت أقبل هو وابن امرأته مصعب من قباء فقال الجلاس:

«إن كان ما جاء به محمد حقاً فنحن أشر من حمرنا هذه التي نحن عليها».

فقال مصعب: أما والله يا عدو الله لأخبرن رسول الله ﷺ بما قلت، فأتيت النبي ﷺ وخفت أن ينزل فيَّ القرآن أو تصيبني قارعة أو أن أخلط بخطيئة. فقلت يا رسول الله:

«أقبلت أنا والجلاس من قباء فقال كذا وكذا، ولولا مخافة أن أخلط بخطيئة أو تصيبني قارعة ما أخبرتك.

قال: فدعا الجلاس فقال:

«يا جلاس أقلت الذي قاله مصعب..؟ فحلف فأنزل الله تعالى:

«يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم». وقال محمد ابن اسحاق: كان الذي قال تلك المقالة فيما بلغني الجلاس بن سويد بن الصامت فرفعها عليه رجل كان في حجره يقال له عمير بن سعد، فأنكرها، فحلف بالله ما قالها. فلما نزل فيه القرآن تاب ونزع وحسنت توبته فيما بلغني. وقال الامام أبو جعفر ابن جرير، حدثني أيوب بن إسحاق بن إبراهيم، حدثنا عبد الله بن رجاء، حدثنا إسرائيل، عن سماك عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ جالساً تحت ظل شجرة فقال:

«إنه سيأتيكم إنسان فينظر إليكم بعين الشياطين فإذا جاء فلا تكلموه»

فلم يلبثوا أن طلع رجل أزرق فدعاه رسول الله ﷺ فقال : علام تشتمني أنت وأصحابك . . ؟

فانطلق الرجل فجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما قالوا حتى تجاوز عنهم فأنزل الله عز وجل :

«يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم» . الآية . وقوله : وهموا بما لم ينالوا . قيل أنزلت في الجلاس بن سويد ، وذلك أنه هم بقتل ابن امرأته حين قال : لأخبرن رسول الله ﷺ ، وقيل في عبد الله بن أبي ، همَّ بقتل رسول الله ﷺ .

وقال السدي : نزلت في أناس أرادوا أن يتوجوا عبد الله بن أبي وإن لم يرض رسول الله ﷺ وقد ورد أن نفراً من المنافقين هموا بالفتك بالنبي ﷺ وهو في غزوة تبوك في بعض تلك الليالي في حال السير ، وكانوا بضعة عشر رجلاً . قال الضحاك : فيهم نزلت هذه الآية ، وذلك بين فيما رواه الحافظ أبو بكر البيهقي في كتاب دلائل النبوة من حديث محمد بن إسحاق عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي البختري عن حذيفة بن اليمان — رضي الله عنه قال :

«كنت آخذاً بخطام ناقة رسول الله ﷺ أقود به ، وعمار يسوق الناقة ، أو أنا أسوقه وعمار يقوده ، حتى إذا كنا بالعقبة فإذا أنا باثني عشر راكباً قد اعترضوه فيها قال : فأنبهت رسول الله ﷺ بهم فصرخ بهم فولوا مدبرين .

فقال لنا رسول الله ﷺ :

«هل عرفتم القوم . . ؟»

قلنا لا يا رسول الله قد كانوا متلثمين . ولكنا قد عرفنا الركاب قال :

«هؤلاء المنافقون إلى يوم القيامة وهل تدرون ما أرادوا . . ؟»

قلنا : لا .

قال : أرادوا أن يزاحموا رسول الله ﷺ في العقبة فيلقوه منها .

قلنا : يا رسول الله أفلا نبعث إلى عشائرهم حتى يبعث إليك كل قوم برأس صاحبهم .. ؟

قال : لا أكره أن تتحدث العرب بينها أن محمداً قاتل بقوم حتى إذا أظهره الله بهم أقبل عليهم يقتلهم . ثم قال :

« اللهم ارمهم بالدبيلة » .

قلنا : يا رسول الله وما الدبيلة .. ؟

قال : شهاب من نار يقع على نياط قلب أحدهم فيهلك .

وقال الإمام أحمد — رحمه الله — حدثنا يزيد ، أخبرنا الوليد بن عبد الله بن جميع عن أبي الطفيل قال :

لما أقبل رسول الله ﷺ من غزوة تبوك أمر منادياً فنادى إن رسول الله ﷺ أخذ العقبة فلا يأخذها أحد ، فبينما رسول الله ﷺ يقوده حذيفة . ويقوده عمار ، إذ أقبل رهط متلثمون على الرواحل فغشوا عماراً وهو يسوق برسول الله ﷺ فأقبل عمار — رضي الله عنه — يضرب وجوه الرواحل . فقال رسول الله ﷺ لحذيفة « قدقد » حتى هبط رسول الله ﷺ نزل ، ورجع عمار .

فقال : يا عمار هل عرفت القوم .. ؟

فقال : لقد عرفت عامة الرواحل ، والقوم متلثمون .

قال : هل تدري ما أرادوا .. ؟

قال : الله ورسوله أعلم .

قال : أرادوا أن ينفروا برسول الله ﷺ راحلته فيطرحوه

قال : فسأل عمار رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ فقال :

« نشدتك بالله كم تعلم كان أصحاب العقبة .. ؟ »

قال : أربعة عشر رجلاً .

فقال : إن كنت منهم فقد كانوا خمسة عشر.

قال : فعد رسول الله ﷺ منهم ثلاثة.

قالوا : والله ما سمعنا منادي رسول الله ﷺ وما علمنا ما أراد القوم.

فقال عمار : أشهد أن الاثني عشر الباقين حرب لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد.

تذييل . . .

لماذا تخلفت الأمة الإسلامية عن قيادة البشرية..؟

للإجابة على هذا السؤال علينا أن نذهب سوياً في رحلة متأنية عبر التاريخ لنتعرف على حقيقتنا حقيقة العرب قبل الاسلام.

ونتساءل هل كانت لهم السيادة والقيادة على العالم في ذلك الوقت..؟

هل كانوا يضارعون دولة الفرس حضارة ومدنية..؟

هل كانت لهم قوة كقوة الروم تكسر شوكة الدول، وتزيل تيجان الملوك..؟

وأخيراً هل كانت لهم قيم كقيم الإسلام، وأخلاق كأخلاق القرآن، ومبادئ كمبادئ الايمان..؟

للإجابة على ذلك، والقول الفصل في هذه القضية بينه لنا البطل الشهيد جعفر بن أبي طالب — رضي الله عنه — عندما وقف أمام النجاشي ملك الحبشة يدافع عن نفسه وأصحابه الذين فروا بدينهم من قريش.

قال جعفر — رضي الله عنه:

«أيها الملك كنا قوماً على الشرك نعبد الأوثان

ونأكل الميتة، ونسيئ الجوار، يستحل المحارم

بعضنا من بعض في سفك الدماء وغيرها ، لا نحل
ولا نحرم فبعث الله إلينا نبياً من أنفسنا نعرف
وفاءه وصدقه وأمانته فدعانا إلى أن نعبد
الله وحده لا شريك له ، ونخلع ما كنا نعبد
نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان
وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة
الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء
ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال
اليتيم ، وقذف المحصنة وأمرنا بالصلاة والزكاة
والصيام » .

هذه حقيقة العرب قبل الاسلام ، فماذا فعل الدين الجديد لأمة العرب .. ؟حتى كانت لهم السيادة والقيادة على أمم العالم في فترة من فترات التاريخ .. ؟

الحقيقة أنه لا شيء سوى الايمان ، وكلمة التوحيد التي استقرت في قلوبهم ، وبعدها كانوا خير أمة أخرجت للناس .

لماذا كانوا خير أمة .. ؟

لأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .

خير أمة لأنهم دعاة التوحيد والحق ..

خير أمة لأنهم ورثة آخر كتاب سماوي أنزله الله سبحانه وتعالى على عباده ليكون لهم هدى ونور .

وبهذا الكتاب صاروا أمة وسطاً قال تعالى :

﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً ﴾ .

فلماذا تخلفت هذه الأمة عن قيادة البشرية..؟

ألأنها انقطعت عن مستودع النور فعاشت في ظلام الجاهلية، وابتعدت عن شرع الله ففقدت مقومات القيادة..؟

أم لأنها دخلت في معارك طاحنة مع بعضها البعض، معارك بالحق وبالباطل..

معارك بددت قوتهم وشتت شملهم، وأضرت بالإسلام والمسلمين.

معارك حطمت دولة بني أمية

معارك حطمت دولة بني العباس.

والحقيقة التي يجب أن يعرفها أبناء المسلمين الآن، أن الأمر لم يكن أمر تحطيم دولة، وقيام دولة أخرى بديلة، وإنما الأمر كان أعمق من ذلك وأكبر، إنه تخريب لذاتية الأمة الإسلامية كلها وانهزامها من الداخل وكانت نتيجة تحكيم الهوى والغرض، وعدم الاحتكام إلى كتاب الله أن فتحت أبواب بغداد — عاصمة الإسلام — أمام جحافل التتار والمغول بيد الحزب المناوئ للحزبي الحاكم في ذلك الوقت.

وفي مصر العاصمة الثانية للاسلام — في ذلك الوقت — أرسل الوزير الفاطمي المسلم رسالة إلى الصليبين ليستعين بهم على حكام مصر المسلمين.

وفي الأندلس كان حكامها المسلمون يستعينون على بعضهم البعض بمن كان يجاورهم من حكام الفرنجة.

فهل هؤلاء يصلحون أن يكونوا حكاماً للمسلمين..؟ فضلاً عن أن يكون لهم القيادة والريادة للبشرية كلها.؟

ارجو أن يحتفظ كل منا بالإجابة لنفسه بعض الوقت.

تخلف المسلمون عن قيادة البشرية عندما بدأت الدعوات الانفصالية تسيطر على

الولاة المسلمين من حكام المسلمين، وأصبح الخليفة رمزاً يحكم ولا يملك وتحول العالم الإسلامي الكبير إلى دويلات صغيرة على رأس كل منها ملك هزيل ضعيف.

وضاعت دولة الخلافة.. ؟؟

ضاعت دولة الخلافة عندها سهلت المهمة أمام الذئاب الهائجة لصيد الحملان الوادعة فالتهمت فرنسا الجزائر، والمغرب، وتونس، واستولت ايطاليا على ليبيا.

وانقضت انجلترا على مصر، والسودان، والعراق، وقسمت بقية الدول الاسلامية بين بلجيكا، وفرنسا، وإيطاليا، وتحول القائد إلى مقود، والتابع إلى متبوع. تخلف المسلمون عن قيادة البشرية عندما أصبح الاسلام عند أبنائه اسماً لا رسماً، وتحول أتباعه إلى واجهة مزيفة للاسلام.

تخلف المسلمون عن القيادة عندما قطعوا ما بينهم وبين كتاب ربهم من صلات فلم يحكموه في شؤونهم السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية. واستعاضوا عن ذلك بالنظريات المستوردة، نظريات «فرويد» و «دارون» في علم الاجتماع، وعلم النفس.

و «ماركس» و «انجلز» في السياسة والاقتصاد.

و «جون دوي» و «دور كايم» في التربية والأخلاق فانقطع ما بينهم وبين مستودع النور فعاشوا في ظلام الجاهلية، يتخبطون، ولا يصلون إلى طريق وينهزمون في كل معاركهم ولا يحققون النصر.

فإن أرادوا العودة إلى سابق عهدهم.

فعليهم أن يحكموا كتاب الله في كل شؤونهم — تعد إليهم قيادة البشرية فهل نحن فاعلون... ؟

أُمُّ كُلْثُوم بِنْتُ عُقْبَة

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾

صدق الله العظيم

[سورة الممتحنة آية رقم ١٠]

أقوال العلماء في نزول الآيات

قال بعض رجال التفسير وكتّاب السير والتاريخ.

نزلت هذه الآية في أم كلثوم بنت عقبة بن معيط.

قال ذلك صاحب الدر المنثور جـ ٦ ص ٢٠٦.

وقاله ابن كثير في تفسيره جـ ٦ ص ٤٨٥.

وقاله الإمام القرطبي جـ ١٢ ص ٦١.

وقاله ابن سعد في طبقاته جـ ٨ ص ٢٣١.

وقاله صاحب كتاب الاستيعاب في معرفة الأصحاب جـ ٤ ص ١٩٥٣.

فمن هي أم كلثوم..؟

أم كلثوم بنت عقبة

رضي الله عنها

مؤمنة قانتة، وزوجة صابرة، وأم بارّة بأبنائها.. عرف الإيمان طريقه إلى قلبها مبكراً فعاشت له.

ورأت الأوثان لا تنفع ولا تضرّ فكفرت بها.

وشاهدتها تزحم جنبات الكعبة، فسخرت من عقول سدنتها وعبادها.

وضاقت عليها مكة بوديانها ففرت إلى ربها — وهاجرت إلى يثرب — مدينة الرسول ﷺ.

والدها — عقبة بن أبي معيط — أحد الذين كان لهم دور كبير في الصد عن دين الله، وتعذيب المستضعفين، وايذاء الرسول ﷺ بالقول والفعل.

حتى أراد الله ووقع عقبة أسيراً في أيدي المسلمين في غزوة بدر الكبرى فأمر الرسول ﷺ بقتله، وقتل جماعة كان لهم دور في إخراج الفئة المؤمنة من ديارها، والاستيلاء على أموالهم وديارهم.

فقال عقبة: أتقتلني يا محمد من بين قريش..؟

قال : نعم لأنك يهودي من أصل صفوريه.

ثم التفت الرسول ﷺ وقال : أتدرون ما صنع هذا بي..؟ جاء وأنا ساجد خلف المقام فوضع رجله على عنقي ، وغمزها فما رفعها حتى ظننت أن عينيَّ ستخرجان..؟؟[1].

وأمها : أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب.

وأخوها : الوليد بن عقبة الذي نزل فيه قول الله تعالى ﴿ يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى ما فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾[2].

كانت تعيش في مكة وشاهدت نور الإيمان عندما أوحى إلى الرسول ﷺ بقوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وَدَاعِياً إلى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِراجاً مُنِيراً ﴾[3].

فأسلمت وحسن إسلامها.. وكانت تتسمع إلى كلمات الوحي من أفواه الفئة المؤمنة. واستمرت على ذلك. حتى أذن الله بالهجرة إلى رسوله — وفرّ المسلمون إلى مكة. واشتاقت أذناها إلى كلمات الكتاب العزيز وظمأت روحها إلى رؤية الرسول ﷺ فقررت الهجرة إلى يثرب وفي ليلة من الليالي المقمرة أحست بانشغال أهلها عنها — فركبت راحلتها ميمّمة شطر معقل الايمان ، وفي الطريق التقت برجل من خزاعة وجهته المدينة ، فرافقته حتى وصلت إلى مأمنها.

وعلم أهلها بهجرتها فخرج في أثرها أخواها الوليد وعمارة ابنا عقبة فقدما المدينة من الغد يوم قدمت.

---

(١) كتاب المعارف لابن قتيبة — تحقيق ثروت عكاشه ص ٣١٨ — ٣١٩.

(٢) سورة الحجرات آية رقم ٦.

(٣) سورة الأحزاب آية رقم ٤٥.

فقالا : يا محمد فِ لنا بشرطنا ، وما عاهدتنا عليه .

وقالت : أم كلثوم : يا رسول الله أنا امرأة وحال النساء ما قد علمت .

فقال : رسول الله ﷺ للوليد وعمارة ابني عقبة : «قد نقض الله العهد في النساء بما قد علمتماه فانصرفا»[1] .

وفي المدينة تقدم لخطبتها الزبير بن العوام ، وزيد بن حارثة ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعمرو بن العاص ..[2] .

كيف تختار بين الخطاب الاربعة ..؟ وكيف تفاضل بينهم .

أتختار زيداً الذي قال فيه رسول الله ﷺ : «يا زيد أنت مولاي ومني وأحب القوم إليَّ»[3] .

أم تختار الزبير بن العوام لأنه فارس ولبّى دعوة الرسول ﷺ عندما قال :

«مَن يأتيني بخبر القوم ..؟

فقال الزبير : أنا .

فقال : مَن يأتيني بخبر القوم ..؟

فقال الزبير : أنا .

فقال : مَن يأتيني بخبر القوم ..؟

فقال الزبير : أنا .

فقال النبي ﷺ :

«إن لكل نبي حوارياً وإن حواريي الزبير»[4] .

---

(1) الاستيعاب في معرفة الأصحاب جـ ٤ ص ١٩٥٤ .

(2) الطبقات الكبرى لابن سعد جـ ٨ ص ٢٣ .

(3) انظر البخاري ٥ / ٢٢٣ ، وأحمد ١ / ١٠٨ ، وابن سعد ٣ / ١٠٢ .

(4) أخرجه البخاري ٦ / ٣٩ ، ومسلم (٢٤١٥) ، وابن ماجه (١٢٢) في المقدمة ، وأحمد ١ / ٨٩ .

أم تختار عبد الرحمن بن عوف الرجل المكافح الذي يعرف أساليب التجارة وأبى أن يكون عالة على أحد من الأنصار عندما هاجر إلى المدينة..؟

فقد روي، أن رسول الله ﷺ آخى بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري، فقال له سعد:

«أخي أنا أكثر أهل المدينة مالاً فانظر شطر مالي فخذه، وتحتي امرأتان فانظر أيّهما أعجب إليك حتى أطلقها لك.

فقال عبد الرحمن بن عوف:

«بارك الله لك في أهلك ومالك. دلوني على السوق، فدلوه على السوق فاشترى وباع فربح حتى قال: فلقد رأيتني ولو رفعت حجراً رجوت أن أصيب تحته ذهباً أو فضة».

أم تختار عمرو بن العاص الذي قال فيه رسول الله ﷺ عندما قدم المدينة هو وخالد بن الوليد، وعثمان بن طلحة مسلمين. «قد رمتكم مكة بأفلاذ كبدها»[1].

واحتارت ماذا تفعل..؟

فاستشارت أخاها لأمها عثمان بن عفان فأشار عليها أن تأتي النبي ﷺ.

وعندما عرضت عليه أمرها. أشار عليها رسول الله ﷺ بزيد بن حارثة. فتزوجته. وعاشت معه فترة طويلة. ولدت له خلالها زيد بن زيد ورقية.

فهلك زيد وهو صغير. وماتت رقية في حجر عثمان.

فطلقها زيد.

وما كادت تنتهي عدتها حتى تقدم لخطبتها الزبير بن العوام رضي الله عنه فولدت له زينب.

وعاشت له ولابنتها ولكن سفينة الزواج كانت تتقاذفها ريح هوج وكان يقال

---

(١) سيرة ابن هشام.

بأن الزبير بن العوام كانت فيه شدة على النساء. فكانت تتحمله على مضض، وتترضاه فلا يرضى.

حتى برح فطلبت منه الطلاق فرفض.. فألحّت عليه. فكان يأبى وفي يوم من الأيام وأوشكت أن تضع حملها ألحت عليه وهو يتوضأ للصلاة فطلقها تطليقة.

ثم خرجت فوضعت حملها.

فأدركه إنسان من أهل بيته فأخبره أنها قد وضعت.

فقال: خدعتني خدعها الله.

ثم أتى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له.

فقال: سبق فيها كتاب الله فاخطبها.

قال: لا ترجع إليّ أبداً..

وعلم عبد الرحمن بن عوف بها فتقدم إليها وتزوجها، وعاشت معه عيشة هانئة راضية.. وولدت له ابراهيم وحميداً.

وكان ابن عوف من الأغنياء الموسرين وكان كريماً مفضالاً قال له رسول الله ﷺ:

«يا ابن عوف. إنك من الأغنياء ولن تدخل الجنة إلا زحفاً، فاقرض الله يطلق لك قدميك.

قال ابن عوف: وما الذي أقرض الله يا رسول الله..؟

قال: تبدأ بما أمسيت فيه.

قال: أمن كله أجمع يا رسول الله..؟

قال: نعم.

قال: فخرج ابن عوف وهو يهم بذلك فأرسل إليه رسول الله ﷺ فقال:

«إن جبريل قال: مر ابن عوف فليضف الضيف، وليطعم المسكين، وليعطِ السائل، ويبدأ بمن يعول. فإنه إذا فعل ذلك كان تزكية ما هو فيه»[1].

فكان لهذا.. يعطي من ماله.. وييسر على أولاده، ويكرم زوجاته وينفق مما أعطاه الله.

واستمرت أم كلثوم زوجة لعبد الرحمن بن عوف ـــ رضي الله عنه ـــ حتى وافاه أجله.

فتقدم لزواجها عمرو بن العاص ـــ رضي الله عنه ـــ فعاشت معه ما عاشت حتى وافاها أجلها رحمها الله ـــ وأسكنها فسيح جناته. فهي المهاجرة الفاتنة. الملبية لنداء الله ـــ عندما دعى الداعي إليه.

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» ٤/ ٣١١، وابن سعد في «الطبقات» ٣/ ١٣١، ١٣٢.

تذييل...

أم كلثوم مسلمة مهاجرة، وزوجة صالحة، لها خبرة ودراية بشئون الحياة الزوجية، ومعرفة كاملة بمعاملة الزوج، فلقد كان لها أكثر من تجربة في الحياة الأسرية.

... فلو أرادت إحدى الفتيات المسلمات أن تستعين بخبرتها في الحياة، وبتجربتها في معاملة زوجها — حتى تقام حياة أسرية سعيدة — فماذا تراها قائلة لها..

إننا نتصور أن تبدأ حديثها معها بقولها:

ابنتي المسلمة: إن العلاقة بينك وبين زوجك يجب أن تقوم على الحب والمودة، بحيث يأتلف بها قلباكما، وتتصل بها روحاكما وحتى يصبح كلاكما موضع سرّ الآخر وشريكه في البؤس والرخاء.. ويجب أن يكون بينك وبين زوجك من الملازمة والاتصال الأبدي ما يكون بين الجسد والثوب. فأنت وكل زوجة، موضع الراحة والسكينة لأزواجكن، ولا أتصوّر لكنّ وظيفة فطرية إلا أن تهيّيء كل منكن لزوجها أمنه وسكينته وراحته.

وأول نصيحة أقدمها لك:

«أن تطيعي زوجك فيما يأمرك به سراً وعلانية، لأن الطاعة مجلبة للهناء والرضا، والمخالفة تولد الشحناء والبغضاء.

وطاعة الزوج أمر من الرسول ﷺ عندما قال لأم سلمة :

«إذا أدت المرأة فريضة ربها وأطاعت زوجها ، وحركت المغزل كانت كأنها تسبح لله»[1] .

وقال عليه السلام : جهاد المرأة «حسن التبعل» أي طاعة الزوج والتزين له .

وقيل له : يا رسول الله : أي النساء أفضل؟ .

فقال : ﷺ : التي تطيع زوجها إذا أمر وتسره إذا نظر»[2] .

وطاعة المرأة لزوجها يقيم الأسرة المتماسكة التي يكون فيها الولدان قدوة لأولادهما ، فينشئوا على طاعة الوالدين لما يرون في برّ الوالدين وطاعتّهما النموذج الكريم للتطاوع وعدم التخالف .

وكم يسيء إلى الأولاد موقف الأم النشاز من أمر الوالد ويثير فيهم النفور والتمزق ، وربما دفع إلى عدم احترام الوالدين على الكبر ، مما يرون في الوالدين من خلاف ونزاع وشقاق .

ولكي تعرفي ما في طاعة الزوج من إرضاء لله وإرضاءً للرسول ﷺ وإقامة دعائم البيت على المحبة والولاء .. أضع بين يديك هذه الواقعة التي حدثت في عهد الرسول عليه السلام .

«... قدم معاذ بن جبل من الشام وعندما رأى رسول الله ﷺ سجد بين يديه . فقال عليه السلام : ما هذا ..؟

قال : يا رسول الله قدمت الشام فرأيتهم يسجدون لبطارقتهم وأساقفتهم فأردت أن أفعل ذلك بك .

---

(١) تقدم تخريجه ص ٢٠ ت (٢) .

(٢) تقدم تخريجه ص ٢٠ ت (٣) .

قال: فلا تفعل فإني لو أمرت شيئاً أن يسجد لشيء لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها»[1]. ثم قال عليه السلام:

«والذي نفسي بيده لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها»[2].

ثانياً يا بنيتي:

لا تغادري بيت زوجك إلا بأمره، ولا تذهبي إلى أهلك إلا بإذنه لأن خروجك من بيتك إلى أي مكان بغير علم زوجك.. فيه إشارة إلى عدم الاهتمام به أو المحافظة عليه. ويذكرني موقفك هذا بالمرأة التي أرادت أن تتزوج فجاءت إلى الرسول ﷺ وقالت يا رسول الله ما حق الزوج..؟

إنها أرادت أن تعرف حقوق زوجها — قبل الارتباط به — حتى تؤديها وتعود نفسها على القيام بها فقال:

«إن من حق الزوج على الزوجة إذا أرادها وراودها عن نفسها وهي على ظهر بعير لا تمنعه. ومن حقه ألا تعطي شيئاً من بيته إلا بإذنه فإن فعلت كان الوزر عليها والأجر له. ومن حقه ألا تصوم تطوعاً إلا بإذنه، فإن فعلت جاعت وعطشت ولم يتقبّل منها. وإن خرجت من بيتها بغير إذنه لعنتها الملائكة حتى ترجع إلى بيته أو تتوب».

إن خروجها يهدّد العش الآمن الدافئ المستقر الراضي بالآلام والمخاوف والقلق، وهذه هي معاول الهدم للسعادة الأسرية.

ثالثاً يا بنيتي:

أرى أن تهتمي بتربية أولادك وتعويدهم على اتباع الأخلاق الفاضلة والسلوك الحسن، ولا شك أن زوجك يضرب في فجاج الأرض ليهيّئ لك ولأولادكما حياة هانئة مستقرة.. فعليك أن تكوني راعية في بيتك ومسئولة عن رعيتك.

---

(١) أخرجه ابن ماجه باب [٤] حق الزوج على المرأة، أحاديث رقم ١٨٥٢ — ١٨٥٤، جـ١ ص ٥٩٥.

(٢) أخرجه أحمد ٤ / ٣٨١، وابن ماجه (١٨٥٣).

وقد امتدح النبي ﷺ نساء قريش معللًا فضلهنّ على غيرهن. بأنهن أحناهنّ على ولد.

والمرأة التي تترك أولادها للخدم أو الشارع إنما ترمي في الهاوية بمستقبلها ومستقبل أبنائها.

إن الطفل — يا بنيّتي — يتعلم من أمه كل شيء. والأم التي تملأ البيت صراخاً إنما تصبّ في هذا القالب المرذول من الصوت الصاخب أسلوب أبنائها في الحديث.

والأم الصادقة — والتي تنكر ذاتها من أجل الغير — تورث أبناءها هذه الصفة التي يحتاجها المجتمع الإسلامي.

والأم التي تحترم زوجها وتقدر أهل الفضيلة والدين، وتتحاشى الرذيلة وتنفر منها ومن صحبة أهليها، تورث هذه العادة أبناءها وبناتها فيشبّون على الفضيلة نافرين من الرذيلة.

والأم التي تحرص على النظافة في نفسها وبيتها كما تحرص على ترتيب وتنظيم الأثاث وتنسيقه، إنما تزرع هذه العادة في أبنائها فلا يستثقلون أعباء النظافة والنظام، لأنهم سوف لا يجدون لهم راحة ولا يهنأ لهم مقام إلا إذا نهضوا إلى النظافة والنظام.

... ثم لا تنسي أن تعتني بمرأى زوجك ومسمعه.. وذلك بأن يرى بيتك نظيفاً رتيباً وأن يرى النظام والذوق في متاعه.. وأن يرى في أولاده التربية والأدب.

رابعاً يا بنيتي:

أن تقومي بخدمة بيتك، لأنه واجب عليك، ولا شك أن العمل منك في داخل البيت أول دليل على تعاون الأسرة وتماسكها. ولتعلمي أنك لست أول واحدة تقوم بخدمة بيتها ولن تكوني الأخيرة يستوي في ذلك الغنية والفقيرة.

وتعالي معاً نستمع إلى قصة أسماء بنت أبي بكر الصديق — رضي الله عنها — وهي تتحدث عن خدمتها في بيتها. قالت:

تزوجني الزبير، وما له في الأرض من مال غير فرسه وناقته. فكنت أعلف فرسه وأسوسه، وأدق النوى لناقته، وأستقي الماء وأخبط الدلو وأعجن وكنت أنقل النوى على رأسي من ثلثي فرسخ — حتى أرسل إليّ أبو بكر بخادم فكان يكفيني سياسة الفرس فكأنما أعتقني، فجئت يوماً والنوى على رأسي فدعاني رسول الله ﷺ لأركب خلفه على ناقته — فاستحييت أن أسير مع الرجال وذكرت الزبير وغيرته — وكان أغير الناس — فعرف رسول الله اني استحييت فلم يثقل عليّ[1].

وسأدلك يا بنيتي على أم شريك فهي امرأة وصفها القرآن بأنها مؤمنة — لتكمل معك — واجبات الزوجة نحو بيتها وزوجها وأولادها.. فإلى أم شريك يا بنيّتي.

---

(١) إسناده صحيح، وهو في «طبقات ابن سعد» ٨ / ٢٥٠، وأخرجه البخاري ٩ / ٢٨١، ٢٨٢، ومسلم (٢١٨٢)، وأحمد ٦ / ٣٤٧ و٣٥٢.

أمّ شريك غزيّة بنت جابر الدّوسيّة

رَضِيَ ٱللَّهُ عَنهَا

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ
أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ وَبَنَاتِ
عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي
هَاجَرۡنَ مَعَكَ وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ
ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةٗ لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ قَدۡ
عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ وَمَا مَلَكَتۡ
أَيۡمَٰنُهُمۡ لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا
رَّحِيمٗا ﴾

صدق الله العظيم

[سورة الأحزاب آية رقم ٥٠]

أقوال العلماء في نزول الآيات

قال بعض رجال التفسير والحديث وكتّاب الطبقات نزلت هذه الآية في أم شريك الدوسية.

قال ذلك الإمام ابن كثير في تفسيره جـ ٥ ص ٤٨٤.

وقاله صاحب الطبقات الكبرى جـ ٨ ص ١٥٥.

وقاله صاحب كتاب أسباب نزول القرآن للإمام الواحدي ص ٢٤١.

وقاله الإمام السيوطي في كتاب: لباب المنقول في أسباب النزول ص ١٨١.

وقاله ابن عبد البر في كتاب الاستيعاب في معرفة الأصحاب جـ ٤ ص ١٩٤٢.

من هي أم شريك..؟

أم شريك غزية بنت جابر الدّوسية

امرأة مؤمنة ، ومهاجرة صابرة ، تحملت في سبيل إسلامها الكثير من العذاب والتنكيل. على أن تترك هذا الدين ، فأبت ، فأكرمها الله سبحانه وتعالى.. وأنقذها من العذاب.

تسمى : غزية بنت جابر الدوسية.

وهي امرأة من الأزد من قبيلة دوس.

وكانت دوس كباقي العرب وثنية مشركة ، وقد نصبت لها صنماً تعبده تسميه «ذا الخَلَصَة» وقع ذكره في حديث النبي ﷺ إذ أخرج البخاري بسنده إلى أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال :

«لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس على ذي الخلصة»[1] . يقول أبو هريرة معقباً : «وذو الخلصة طاغية دوس التي كانوا يعبدونها في الجاهلية».

أما كيف دخلت دعوة التوحيد إلى هذه القبيلة.. فهذا ما يحدثنا عنه الطفيل بن عمرو الدوسي[2] .

---

(١) رواه البخاري ٣/ ٦٦ ، ومسلم (٢٩٠٦).

(٢) دفاع عن أبي هريرة... عبد المنعم صالح العلي.

قال : قدمت مكة — ورسول الله — ﷺ بها فمشى إليَّ رجال من قريش. فقالوا لي :

«يا طفيل إنك قدمت بلادنا ، وهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد اشتد أمره ، وقد فرق جماعتنا ، وشتت أمرنا ، وإنما قوله كالسحر يفرق بين الرجل وبين أبيه. وبين الرجل وبين أخيه ، وبين الرجل وبين زوجته . وإنّا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا . فلا تكلمه ولا تسمعن منه شيئاً .

قال : فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت ألّا أسمع منه شيئاً ولا أكلمه ، حتى حشوت في أذني حين غدوت إلى المسجد قطناً خوفاً من أن يبلغني شيء من قوله : وأنا لا أريد أن أسمعه .

قال : فغدوت إلى المسجد فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلي عند الكعبة . قال :

فقمت منه قريباً ، فأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله . فسمعت كلاماً حسناً فقلت في نفسي : واثكل أمي ، والله إني لرجل لبيب شاعر ما يخفى عليَّ الحسن من القبيح ، فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول..؟

فإن كان الذي جاء به حسناً قبلته ، وإن كان قبيحاً تركته . فمكثت حتى انصرف رسول الله ﷺ إلى بيته ، فاتبعته حتى إذا دخل بيته دخلت عليه فقلت : يا محمد ، إن قومك قد قالوا كذا وكذا للذي قالوا ، فوالله ما برحوا يخوفونني أمرك حتى سددت أذني بقطن لئلا أسمع قولك . ثم أبى الله إلا أن يسمعني قولك فسمعته قولاً حسناً فأعرض علي أمرك .

قال : فعرض علي رسول الله ﷺ الإسلام وتلا عليَّ القرآن ، فلا والله ما سمعت قولاً قط أحسن منه ، ولا أمراً أعدل منه قال : فأسلمت وشهدت شهادة الحق .

وقلت : يا نبي الله إني امرؤ مطاع في قومي . وأنا راجع إليهم وداعيهم إلى الاسلام . فادع الله أن يجعل لي آية تكون لي عوناً عليهم فيما أدعوهم إليه .

قال رسول الله ﷺ اللهم اجعل له آية[1].

قال: فخرجت إلى قومي حتى إذا كنت بثنية تطلعني على الحاضر، وقع نور بين عيني مثلُ الصباح.

قلت: اللهم في غير وجهي، اني أخشى أن يظنوا أنها مثلة وقعت في وجهي لفراق دينهم.

قال: فتحول النور في سوطي كالقنديل المعلّق. وأنا أهبط عليهم من المكان المرتفع. حتى جئتهم. فأصبحت فيهم، فلما نزلت أتاني أبي وكان شيخاً كبيراً فقلت:

«إليك عني يا أبت فلست منك ولست مني».

قال: لمَ يا بني..؟

قلت: أسلمت وتابعت دين محمد ﷺ.

قال: أي بني فديني دينك.

قلت: فاذهب فاغتسل وطهّر ثيابك ثم تعال حتى أعلمك ما عُلِّمت فذهب فاغتسل وطهّر ثيابه. ثم جاء فعرضت عليه الاسلام فأسلم. ثم أتتني زوجتي.

فقلت: إليك عني فلست منك ولست مني.

قالت: لِمَ بأبي أنت وأمي.

قلت: فرق بيني وبينك الإسلام. وتابعت دين محمد ﷺ.

قالت: فديني دينك.

قلت: فاذهبي فتطهّري.

فذهبت فاغتسلت، ثم جاءت فعرضت عليها الإسلام فأسلمت، ثم دعوت

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب جـ ٢ ص ٧٥٧ — ٧٥٨.
(وزارة المعارف — المكتبات المدرسية).

دوساً إلى الإسلام فأبطئوا علي. ثم جئت إلى رسول الله ﷺ بمكة فقلت له: يا نبي الله، إنه غلبني على دوس اللهو فادع الله عليهم.

فقال: اللهم اهدِ دوساً[1].

ثم أمرني أن أعود إليهم وأدعوهم برفق:

وكان ممن أجاب هذه الدعوة الصحابي الجليل أبو هريرة رضي الله عنه، وأبو العكر — هكذا يسمّى — وهو زوج غزية بنت جابر الدوسية وهاجرا إلى الرسول ﷺ.

وبقيت زوجته في داره حتى يعود إليها — وكانت قد أسلمت وحسن إسلامها — عندما دعاهم إلى الإسلام الطفيل.

قالت أم شريك: فجاءني أهل أبي العكر فقالوا: لعلك على دينه..؟

قلت: أي والله إني لعلى دينه.

قالوا: لا جرم والله لنعذبنّك عذاباً شديداً. فارتحلوا بنا من دارنا وساروا يريدون منزلاً، وحملوني على جمل ثقال شر ركابهم وأغلظه يطعموني الخبز بالعسل، ولا يسقوني قطرة من ماء.

حتى إذا انتصف النهار وسخنت الشمس — ونحن قائظون — فنزلوا فضربوا أخبيتهم وتركوني في الشمس حتى ذهب عقلي وسمعي وبصري ففعلوا ذلك بي ثلاثة أيام.

فقالوا لي في اليوم الثالث:

«اتركي ما أنت عليه».

---

(١) أخرجه البخاري ٨/ ٧٩ في المغازي، ومسلم (٢٥٢٤) في فضائل الصحابة.

قالت : فما دريت ما يقولون إلا الكلمة بعد الكلمة. فأشير بإصبعي إلى السماء بالتوحيد.

قالت : فوالله إني لعلى ذلك ، وقد بلغني الجهد إذا وجدت برد دلو على صدري فأخذته فشربت منه نفساً واحداً ثم انتزع مني.

فذهبت أنظر فإذا هو معلق بين السماء والأرض فلم أقدر عليه ثم دلي إليَّ ثانية فشربت منه نفساً ثم رفع.

فذهبت أنظر فإذا هو بين السماء والأرض.

ثم دلّي إليَّ الثالثة فشربت منه حتى رويت وأهرقت على رأسي ووجهي وثيابي.

قالت : فخرجوا فنظروا فقالوا :

من أين لك هذا يا عدوة الله..؟

قلت لهم : إن عدوة الله غيري من خالف دينه ، وأما قولكم من أين هذا.. فمن عند الله رزق رزقنيه الله.

قالت : فانطلقوا سراعاً إلى قربهم وأدواتهم فوجدوها كما هي لم تحل.

فقالوا : نشهد إن ربك هو ربنا وان الذي رزقك ما رزقك في هذا الموضع بعد أن فعلنا بك ما فعلنا هو الذي شرع الإسلام. فأسلموا وهاجروا جميعاً إلى رسول الله ﷺ[1]. هاجروا عندما وضح لهم نور الإيمان ، واستبان لهم طريق الهدى.

إنها امرأة ولكن كانت لها إرادة صلبة ، ورزقها الله قلباً عامراً بالإيمان. فاستمسكت بهدي ربها.. وكان من جراء ذلك أن هدى الله قومها على يديها.

إنها امرأة مؤمنة كما وصفها القرآن الكريم — فلنتابع رحلتنا معها في مجلس الرسول ﷺ.

(١) طبقات ابن سعد جـ٨ ص ١٥٤ — ١٥٥.

تذييل...

نقول لو كان في الإمكان أن تقطع الفتاة المسلمة التي تريد أن تعمل لإسعاد زوجها — رحلة في داخل الزمن — حتى تلتقي بالمهاجرة المؤمنة أم شريك الدوسية. وحدثتها عن لقائها بالمؤمنة الفاضلة أم كلثوم بنت عقبة وألقت الفتاة بين يدي أم شريك بالنصائح الغالية التي زودتها بها أم كلثوم، وطلبت منها المزيد من هذه النصائح والحكم التي تعمل على سعادة الزوجين — مما يتلاءم مع طبيعة هذا العصر الذي نعيش فيه — وبالتالي لا تشذّ قيد أنملة عن منهج الاسلام في قيام الأسرة والمجتمع فماذا تراها قائلة..؟

تقول لها: يا بنتي:

«النظافة للمرأة ألزم من الجمال. لأن الجمال لا يلبث أن يزول متى زالت نضارة الشباب، وأما النظافة فعادة باقية ما بقيت المرأة ولذا حثّ عليها الإسلام.

ولا شك أن المرأة التي تهمل نظافة نفسها تعمل على إبعاد زوجها بيدها ليرتمي في أحضان أخرى نظيفة. إذ يجب على المرأة أن تنظف منزلها وجسدها ثم تلبس ملابسها الفاخرة قبل حضور زوجها. وتحضرني يا بنيتي هذه الوصية التي أوصت بها امرأة بنتها فقالت يا بنيّتي: لا تنسي نظافة بدنك. فإن نظافته تحبّب زوجك إليك ونظافة بيتك تشرح صدرك، وتصلح مزاجك، وتنير وجهك، وتجعلك جميلة

ومحبوبة ومكرمة عند زوجك، ومشكورة من أهلك، ومن ذويك وأترابك وزائراتك. وكل من يراك نظيفة الجسم والبيت تطيب نفسه ويسرّ خاطره.

هذا فضلاً عما للنظافة من تأثير في توطيد أركان الصحة والصفاء، وما للقذارة من أثر في جلب الأمراض والشقاء»[1].

وإياك يا بنيتي والكذب على زوجك. لأن الكذب يوجد في نفس الرجل الشك والارتياب وهما سم الحياة الزوجية.

وإياك وشدة الانفعالات العصبية فهي تجعل البيت شبه جحيم وتجعل زوجك يفر منه. ويهرب من البقاء فيه.

لا تسرفي يا بنيتي في التجميل متى كان زوجك غيوراً لأن ذلك يغضب الغيور، ويثيره، ويلقي في قلبه أن زوجه تتجمل لسواه حتى ولو لم تكن في الواقع ذلك.

وإياك والإسراف في مدح أي رجل غريب أمام زوجك، فلا يصدر المدح منك بحسن نية، ولكن الزوج يكره أن تمدح امرأته رجلاً غريباً على مسمع منه، بل ولا يحب أن يسمع تفضيل مخلوق عليه.

وإياك يا بنيتي: والبطنة — الأكل الكثير — فإنه يفسد الجمال، ويجلب السمنة، وينحدر بالمرأة إلى مصاف الحيوان.

وبمناسبة الطعام والتخمة.. أذكرك بالمحافظة على صحتك، وتجنبي ما يشوّه نضارتك من الأصباغ المغرية التي تدخل المسام وتلتصق حتى إذا ما سقطت تركت مكانها ثقوباً صغيرة في الجلد، تزداد مرة بعد مرة حتى تفقد الجلد لمعته الطبيعية التي تشاهد في الوجوه النضرة الشابة والتي لم تلابسها الأصباغ والمساحيق.

وقد لوحظ أن الأصباغ التي تلوّن بها الشفاه تتبلور مع اللعاب فتفرزها الكلى

(١) سعادة الزوجين جـ١.

سموماً ، بسببها تتكاثر ظاهرة الإجهاض وتشنجات الحمل في المستعملات المساحيق أكثر منها في غيرهن.

ومن النصائح التي أوصت بها أمريكية ابنتها قولها :

لا يبرح من ذهنك أنك تزوجت بإنسان لا بكائن فوق البشر فلا تأخذك دهشة مما ترينه فيه من النقص والعيب.

وقد يكون زوجك بلا قلب ، ولكن له على كل حال معدة يجب إرضاؤها بتهيئة ما تشتهيه من الأطعمة.

واتركي له من آن إلى آخر الكلمة الأخيرة ، والقول الفصل.. ففي هذا ما يسره ولا يضرك.

ودعيه يعتقد — من آن إلى آخر — انه أكثر منك علماً وأغزر معرفة فإن في هذا الاعتقاد ما يسره ، ويرضي عواطفه — باعتبار كونه رجلاً».

وأخيراً تيقني أنك لا تقدرين على محاربة الرجل بسلاحه «قوته في لفظه وكفه وعناده»[1] .

لأنه ثقيل في يديك النضيرة ، وإنك لتتعبين من حمله ، وسيريك الزمان أن أسلحة المرأة الماضية «الحادة» هي الجمال والاستسلام والحلم واللطف والسكينة والاتكال والخل والحنان والبكاء. ولعلك تظنينها أسلحة ضعيفة.. ولكن أؤكد لك أنها إذا شحذتها الحمية والأمانة كانت ماضية جداً ، كافية لأن ترقرق الطباع الخشنة وتخفض من غرور الرجل ، وتحط من كبريائه حتى يأتي إليك بقلبه الكبير وببسمته العريضة التي تشيع في داخلك الأمن والطمأنينة وتملأ حياتك بالبهجة والسرور.

وهنا قالت الفتاة أكلّ هذا واجبات تقوم بها الزوجة؟ فماذا ترى الواجبات التي يقوم بها الرجل..؟

---

(١) المرأة في التصور الإسلامي. عبد المتعال الجابري.

فقالت لها : واجبات الرجل كثيرة لا تحصى ، متشعبة لا يمكن حصرها فمن الواجبات التي يقوم بها الرجل :

الانفاق على قدر حالته المادية : قال تعالى ﴿لِيُنْفِقْ ذو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِّرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتاهُ اللهُ ، لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلَّا ما آتَاها سَيَجْعَلُ اللهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً﴾(١) .

وسأل رجل رسول الله ﷺ قائلاً : ما حق زوجة أحدنا عليه قال :

«أن تطعمها إذا طعمت ، وتكسوها إذا اكتسيت ، ولا تضرب الوجه ولا تقبح ، ولا تهجر إلا في البيت»(٢) .

ومن الواجبات المعاشرة بالمعروف قال تعالى ﴿وعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾(٣) . ومن المعاشرة بالمعروف أن يتحبّب إليها ويناديها بأحبّ الأسماء إليها وأن يكرمها بما يرضيها . قال ﷺ :

«ما أكرم النساء إلا كريم» .

ومنها أن يحلم عليها إذا غضبت ، ويصبر عليها إذا حمقت ومنها أن يستمع إلى حديثها ويحترم رأيها ويأخذ بمشورتها إذا أشارت عليه برأي جيد . ولقد أخذ رسول الله ﷺ برأي أم سلمة يوم الحديبية فكان في ذلك سلامة المسلمين» .

ومن تلك المعاشرة بالمعروف أن يقدم لها هدايا مناسبة في مناسبات يدخل بذلك السرور على قلبها ، ويبلغ قصده من رضاها قال ﷺ :

«خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي»(٤) .

---

(١) سورة الطلاق آية رقم ٧ .

(٢) أخرجه ابن ماجه (١٨٥٠) في النكاح : باب حق المرأة على الزوج .

(٣) سورة النساء آية رقم ١٩ .

(٤) أخرجه الترمذي (٣٨٩٢) ، والدارمي ١ / ١٥٩ ، وابن ماجه ، حديث رقم ١٩٧٧ ، جـ ١ ص ٦٣٦ .

ومنها أن يعلمها دينها ومكارم الأخلاق وعن علي رضي الله : قال : «علموا أنفسكم وأهليكم الخير وأدبوهم».

ومن واجبات الرجل : أن يغار عليها في دينها ونفسها وكرامتها : لأن الزوجة أعظم ما يكنزه المرء ، ولا يجوز أن يجعلها مضغة في الأفواه تلوكها الألسنة ، وتتقحمها الأعين ، وتجرحها الأفكار والخواطر. والغيرة من أخص صفات الرجل الشهم الكريم ، وإن تمكنها منه ليدل دلالة فعلية على رسوخه في مقام الرجوله الحقة الشريفة ، ومن هنا كان كرام الرجال وأفذاذ الشجعان يتمدحون بالغيرة على نسائهم والمحافظة عليهن وأن من شرّ صفات السوء ضعف الغيرة وموت النخوة ولا يركن إلى ذلك إلا الأرذلون.

يقول صاحب كتاب المرأة المسلمة : ولكن ما معنى الغيرة وما دلالاتها؟ هل الغيرة سوء ظن بالمرأة واتهام لها بالفطرة كما كان يزعم اليونان قديماً ومن جاء بعدهم من الذين يقولون عند كل جريمة فتش عن المرأة. لا : إن المرأة في الاسلام أخت الرجل وهي مسئولة مسئولية كاملة عند الله عما قدمت وأخرت. وقد نظم الاسلام هذا الأمر فيما يلي :

١ — أن لا تأذن لأحد بدخول بيته من رجل أو امرأة قريبة أو بعيدة إلا بإذنه فهو أدرى بمصلحة الأسرة لأنه القيّم عليها فقد يكون في دخول أبيها وأخيها وأمها مفسدة عليه في أسرته.

أما الأجنبي فلا تأذن بدخوله ، ولو أذن الزوج لأنه إثم ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

ولا يدخل هو عليها من لا يخاف الله تعالى ، فقد يخون بنظرة أو كلمة ويرمي في البيت شرارة فتنة قال رسول الله ﷺ «إياكم والدخول على النساء قالوا يا رسول

الله، أرأيت الحمو..؟ قال الحمو الموت[1].. والحمو أقارب الزوج أو الزوجة.

وقال ﷺ ثلاثة لا يدخلون الجنة:

مدمن الخمر.

والعاق لوالديه.

والديوث: الذي يقر الخبث في أهله او لا يبالي من دخل على أهله»[2].

وألا تخالط بغير حضوره أقاربه وأصدقائه فربما أرادوها بسوء، وربما بلغوا منها ما يريدون من السوء مع وقوع الإثم بمجرد الاختلاط بهم.

وقيل لأعرابية شريفة: كيف زنيت وأنت كريمة في قومك..؟

قالت: قرب الوساد وطول السواد.

.. وبعد: هذه بعض الأسس التي وضعها الإسلام لقيام الأسرة المسلمة وسعادتها.. وما أحرى المجتمع الإسلامي في عصرنا الراهن أن يتمسك بها ويسير على هديها — حتى لا تحلّ به الهموم والنكبات التي حلّت بالأمم الأخرى عندما ساروا وراء شهواتهم ورغباتهم فهل تراهم سعدوا بذلك...؟

إن الإحصائيات لتدلّ على أنهم فقدوا السعادة، وتحولوا إلى آلات صماء

---

(١) أخرجه البخاري ٩ / ٢٩٠ في النكاح، ومسلم (٢١٧٢) في السلام، والترمذي (١١٧١) في الرضاع.

(٢) أخرجه الحاكم ١ / ٧٢ من طريق عبد الله بن عمر، بلفظ: ثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق بوالديه، والديوث، ورجلة النساء، وصححه ووافقه الذهبي، وأخرجه النسائي ٥ / ٨٠ في الزكاة عن ابن عمر أيضاً بلفظ: ثلثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه، والمرأة المترجلة، والديوث، وثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه، والمدمن للخمر، والمنان بما أعطى.

تنقصها الروح.. وكثرت فيهم الأمراض العصبية.. والنفسية بالرغم مما بلغوه من أوج الحضارة المادية..

فهل نحن معتبرون بذلك..؟ لنعود الى كتاب الله..؟ ونقيم حياتنا على هديه.. نرجو ذلك من الله...

ثبتٌ بالمراجع

١. القرآن الكريم.
٢. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الشعب، مصر.
٣. أسباب نزول القرآن للواحدي: تحقيق الاستاذ أحمد صقر.
٤. تفسير القرآن العظيم: للحافظ أبي الفداء اسماعيل بن كثير، دار الاندلس، بيروت.
٥. تفسير الطبري: لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار المعارف، مصر.
٦. الجامع لأحكام القرآن: لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٦٠ هـ — ١٩٤١ م.
٧. الدر المنثور: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، المكتبة الاسلامية، طهران.
٨. في ظلال القرآن: سيد قطب، دار احياء التراث العربي: بيروت ١٣٨٦ هـ.
٩. تفسير القرآن العظيم: لأبي الفداء اسماعيل بن كثير.
١٠. تفسير الدر المنثور: للإمام السيوطي.
١١. تفسير الجلالين: جلال الدين السيوطي وزميله.
١٢. أسباب نزول القرآن: لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي.
١٣. فتح الباري بشرح البخاري: للحافظ أبي الفضل العسقلاني: المعروف بابن حجر.
١٤. صحيح الإمام مسلم، بشرح النووي، المطبعة المصرية بالأزهر ١٣٤٧ هـ — ١٩٢٩ م.
١٥. مسند الإمام أحمد: شرح أحمد محمد شاكر: دار المعارف بمصر ١٣٦٨ هـ — ١٩٤٩ م.
١٦. صحيح الترمذي، بشرح ابن العربي: المطبعة المصرية بالأزهر ١٣٥٠ هـ — ١٩٣١ م.

١٧. **المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي** : أ. ي. ونسنك ، تعريب محمد فؤاد عبد الباقي ، مطبعة بريل في مدينة لندن ١٩٦٢م.
١٨. **الجامع الصغير** : للامام السيوطي ، مطبعة البابي الحلبي — القاهرة.
١٩. **كشف الخفا ومزيل الالباس** : اسماعيل بن محمد العجلوني ، مكتبة التراث الإسلامي — حلب.
٢٠. **تهذيب التهذيب** : لابن حجر العسقلاني : دار صادر — بيروت.
٢١. **الكامل في التاريخ** : لابن الأثير ، دار صادر — بيروت ١٣٨٥هـ — ١٩٦٥م.
٢٢. **تاريخ الرسل والملوك** : لأبي جعفر محمد الطبري ، دار القلم الحديث — بيروت.
٢٣. **البداية والنهاية** : الحافظ ابن كثير ، مكتبة بيروت — ومكتبة النصر — الرياض.
٢٤. **الطبقات الكبرى** : ابن سعد ، صيدا — دار بيروت ١٣٧٧.
٢٥. **سيرة النبي لابن هشام** : تحقيق محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية — القاهرة.
٢٦. **الروض الأنف** : عبد الرحمن السهيلي ، دار الكتب الحديثة — القاهرة.
٢٧. **مروج الذهب** : للمسعودي ، دار الأندلس — بيروت — مكتبة نهضة مصر.
٢٨. **الاستيعاب في معرفة الأصحاب** : لابن عبد البر ، دار الاندلس — بيروت — مكتبة نهضة مصر.
٢٩. **أخبار عمر وأخبار عبد الله بن عمر** : علي الطنطاوي وناجي الطنطاوي ، دار الفكر بيروت — الطبعة الثالثة ١٣٩٢هـ — ١٩٧٣م.
٣٠. **خلفاء الرسول** : خالد محمد خالد ، دار الكتاب العربي — بيروت — لبنان الطبعة الثانية ١٣٩٤هـ — ١٩٧٤م.
٣١. **العبقريات** : لعباس محمود العقاد.
٣٢. **علي بن ابي طالب** — بقية النبوة — وخاتم الخلافة : للأستاذ عبد الكريم الخطيب — دار المعرفة للطباعة والنشر — بيروت.
٣٣. **هذا هو الطريق** : د. عبد الرحمن عميرة ، دار التراث مصر — ١٩٧٣.
٣٤. **مع الالحاد وجهاً لوجه** : د. عبد الرحمن عميرة ، دار الحلبي — القاهرة.
٣٥. **أشهر مشاهير الاسلام** : رفيق العظم.
٣٦. **الاعلام** : للزركلي.

٣٧. الأغاني: للأصفهاني..
٣٨. تاريخ الخلفاء: للإمام عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، مصر ـــ ١٣٠٥.
٣٩. تفسير الخازن والبغوي: المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل والبغوي المسمى معالم التنزيل، دار الفكر ـــ بيروت ـــ لبنان.
٤٠. تلبيس ابليس: لابن الجوزي، مصر ـــ ١٣٤٧ هـ.
٤١. الروض الأنف: للإمام السهيلي.
٤٢. الرياض النضرة في مناقب العشرة: للمحب الطبري.. مصر.
٤٣. سنن الترمذي: حققه وصححه عبد الرحمن عثمان، الناشر محمد عبد المحسن الكتبي، صاحب المكتبة السلفية: المدينة المنورة.
٤٤. سنن الحافظ ابي عبد الله محمد بن يزيد القزويني «ابن ماجه»، حققه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، ١٣٩٥ هـ ـــ ١٩٧٥ م ـــ دار احياء التراث العربي.
٤٥. تراث الانسانية: مجموعة من العلماء، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة.

فهرس الموضوعات للجزء الحادي عشر

رجال ونساء
أنزل الله فيهم قرآناً

الجزء الثانى عشر

د. عبدالرحمن عميره

أوّلاً

آياتُ القرآنِ الكريم

رقم متسلسل	الآيــة	رقم الصفحة
	الجزء الأول	
١	قال تعالى : ﴿ والذين تَبَوَّأُوا الدَّارَ والإيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ، وَلَا يَجِدُونَ في صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ، وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فأُولَئِكَ هُمُ المفْلِحُونَ. ﴾ **سورة الحشر آية ٩**	٣٧
٢	قال تعالى : ﴿ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِم خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً وآخَرَ سَيِّئاً عَسَى اللهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ. ﴾ **سورة التوبة آية ١٠٢**	٤٩
٣	قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللهَ والرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وأَنْتُم تَعْلَمُونَ. ﴾ **سورة الأنفال آية ٢٧**	٥٢
٤	قال تعالى : يَا أَيُّها النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فاسْتَمِعُوا لَهُ ! إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً ولو اجْتَمَعُوا له وإِنْ يَسْلُبْهُم الذُّبَابُ شَيْئاً لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ والمَطْلُوبُ. ﴾ **سورة الحج آية ٧٣**	٧٣

رقم متسلسل	الآيــة	رقم الصفحة
٥	قال تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا لِعَهْدِ اللهِ إذا عَاهَدْتُم وَلَا تَنْقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِها وقد جَعَلْتُم اللهَ عَلَيْكُم كَفِيلاً إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا تَفعَلُونَ. **سورة النحل آية رقم ٩١**	٥٣
٦	قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُم أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بما جَاءَكُم مِنَ الحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا باللهِ رَبِّكُم إِنْ كُنْتُم خَرَجْتُم جِهَاداً فِي سَبِيلِي وابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّون إِلَيْهِمْ بِالمَوَدَّةِ وأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُم وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ». **سورة الممتحنة آية رقم ١**	٦٨
٧	قال تعالى : ﴿ لا يَسْتَوِى القَاعِدُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ والمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وأَنْفُسِهِم فَضَّلَ اللهُ المُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِم وَأَنْفُسِهِم عَلَى القَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلّاً وَعَدَ اللهُ الحُسْنَى وَفَضَّلَ اللهُ المُجَاهِدِينَ عَلَى القاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً. ﴾ **سورة النساء آية رقم ٩٥**	
٨	قال تعالى : عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى. ﴾ **سورة عبس الآيات ١ ــ ٣**	٨٧

رقم متسلسل	الآيــة	رقم الصفحة
٩	قال تعالى : ﴿ إِذْ جَاؤُكُم مِنْ فَوْقِكُم وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُم وإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ القُلُوبُ الحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا ﴾ سورة الأحزاب آية ١٠	١٠٦
١٠	قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّها الَّذينَ آمَنُوا آذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُم إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وكانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً. ﴾ سورة الأحزاب آية ٩	١٠٨
١١	قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ فَسَيُنْفِقُونَها ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ والَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ. ﴾ سورة الأنفال آية ٣٦	١٢٠
١٢	قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُها عِبَادِى الصَّالِحُونَ. ﴾ سورة الأنبياء آية ١٠٥	١٢٤
١٣	قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ، وأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴾ سورة الحاقة آية ٥ ــ ٦	١٢٤

رقم متسلسل	الآيـــة	رقم الصفحة
١٤	قال تعالى : ﴿ إِذْ جَاؤُكُم مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ القُلُوبُ الحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا هُنالِكَ ابْتُلِيَ المُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزالاً شَدِيدا. ﴾ سورة الأحزاب آية ١٠ ـــ ١١	١٣٦
١٥	قال تعالى : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى. ﴾ سورة النجم آية ٣ ـــ ٤	١٣٨
١٦	قال تعالى : ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُم أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمْ الوَارِثِينَ. ﴾ سورة القصص آية ٥	١٤٠
١٧	قال تعالى : ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ. ﴾ سورة النحل آية ١٠٦	١٤٧
١٨	قال تعالى : ﴿ لَتَدْخُلَنَّ المَسْجِدَ الحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحاً قَرِيباً، هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللهِ شَهِيداً ﴾. سورة الفتح آية ٢٧، ٢٨	١٦٩

رقم متسلسل	الآيـــة	رقم الصفحة
١٩	قال تعالى : ﴿ ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ والمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بالَّتي هِيَ أَحْسَنُ. ﴾ سورة النحل آية ١٢٥	١٧٥
٢٠	قال تعالى : ﴿ لَا إِكْرَاهَ في الدِّين قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ. ﴾ سورة البقرة آية ٢٥٦	١٧٥
٢١	قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِي الصَّالِحُونَ. ﴾ سورة الأنبياء آية ١٠٥	١٧٨
٢٢	قال تعالى : ﴿ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ وَنِعْمَةٍ كانوا فِيهَا فَاكِهِينَ كَذلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْماً آخَرِينَ. ﴾ سورة الدخان آية ٢٥ ــ ٢٧	١٨٢
٢٣	قال تعالى : ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ المُؤْمِنينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما فإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ. ﴾ سورة الحجرات آية ٩	
٢٤	قال تعالى : ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنا وأَبْنَاءَكُم ونِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ. ﴾ سورة آل عمران آية ٦١.	٨٧

رقم متسلسل	الآيــة	رقم الصفحة
٢٥	قال تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً ﴾ سورة العنكبوت آية ٨	
٢٦	قال تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُون شَهْراً حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ، وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ. ﴾ سورة الأحقاف آية ١٥	١٨٩
٢٧	قال تعالى : ﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الغَاوُونَ ﴾ سورة الشعراء آية ٢٢٤	٢٠٢
٢٨	قال تعالى: ﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذين خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِما رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ. ﴾ سورة التوبة آية ١١٨	٢١٢

الجزء الثاني

رقم متسلسل	الآيــة	رقم الصفحة
٢٩	قال تعالى : ﴿ قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللهِ، واللهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ. ﴾ سورة المجادلة آية ١	١٥

رقم متسلسل	الآيــة	رقم الصفحة
٣٠	قال تعالى : ﴿ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ واللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ.﴾ سورة البقرة آية ٢٤٩	٢٥
٣١	قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا اليَهُودَ والنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ، وَمَنْ يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُم إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِى القَوْمَ الظَّالِمِينَ. فَتَرَى الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِم يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِى أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ. ﴾ سورة المائدة الآيات ٥١ ــ ٥٤	٣١
٣٢	قال تعالى: ﴿ إِنْ يَعْلَمِ اللهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْراً يُؤْتِكُمْ خَيْراً مِمَّا أُخِذَ مِنْكُم وَيَغْفِرْ لَكُمْ واللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ. ﴾ سورة الأنفال آية ٧٠	٥٦
٣٣	قال تعالى : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً لِّيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً وَيَنْصُرَكَ اللهُ نَصْراً عَزِيزاً. ﴾ سورة الفتح آية ١	٦١
٣٤	قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللهُ وَمَن اتَّبَعَكَ مِنَ المُؤْمِنينَ يَا أَيُّها النَّبِيُّ حَرِّضِ المُؤْمِنينَ عَلَى القِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِّنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ	٧٥

رقم متسلسل	الآيــة	رقم الصفحة
	مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ. ﴾	
	سورة الانفال الآيات ٦٤ ــ ٦٥	
٣٥	قال تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ. ﴾	٨٠
	سورة النحل آية ١٢٥	
٣٦	قال تعالى : ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا. ﴾	١٠٠
	سورة التوبة آية ٤٠	
٣٧	قال تعالى : ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ. ﴾	١٠٥
	سورة المجادلة آية ٢٢	
٣٨	قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ. ﴾	١١٠
	سورة التوبة آية ٢٨	
٣٩	قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ، وَعْداً عَلَيْهِ حَقاً فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ. ﴾	١٢٠
	سورة التوبة آية ١١١	

رقم متسلسل	الآيـــة	رقم الصفحة
٤٠	قال تعالى : ﴿ والشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الغَاوُونَ. ﴾ سورة الشعراء آية ٢٢٤	١٢٥
٤١	قال تعالى: ﴿ وَإِنْ مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيًّا. ﴾ سورة مريم آية ٧١	١٢٨
٤٢	قال تعالى : ﴿ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَو أَعْجَبَتْكُمْ. ﴾ سورة البقرة آية ٢٢١	١٣٢
٤٣	قال تعالى : ﴿ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ .وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُم فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُم وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُم وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذىً مِّنْ مَّطَرٍ أَو كُنْتُم مَّرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ. ﴾ سورة النساء آية ١٠٢	١٣٤ـــ ١٣٥
٤٤	قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً. ﴾ سورة النساء آية ٧٤ .	١٣٦

رقم متسلسل	الآيـــة	رقم الصفحة
٤٥	قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ. ﴾ سورة الحجرات آية ١١	١٤٦
٤٦	قال تعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُم عَلَى أَعْقَابِكُمْ. ﴾ سورة آل عمران آية ١٤٤	١٥٣
٤٧	قال تعالى : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ. ﴾ سورة يونس آية ٣٩	١٥٥
٤٨	قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُم فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ. ﴾ سورة الحجرات آية ٢	١٥٦
٤٩	قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى. ﴾ سورة الحجرات آية ٣	١٥٧
٥٠	قال تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ. ﴾ سورة الواقعه آية ٧٧ ــ ٨٠	١٧٥

رقم متسلسل	الآيــة	رقم الصفحة
٥١	قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ. ﴾ سورة آل عمران آية ١٠٠	١٨٨
٥٢	قال تعالى : ﴿ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلَّا فِي قُرىً مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ ﴾ سورة الحشر آية ١٤	١٩١
٥٣	قال تعالى : ﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَّدْخُلَهَا أَبَداً مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ. ﴾ سورة المائدة آية ٢٤	١٩٢
٥٤	قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَهُم قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُم مُّؤْمِنِينَ. ﴾ سورة البقرة آية ٩١	١٩٣
٥٥	قال تعالى : ﴿ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُم وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِى ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً. ﴾ سورة النور آية ٥٥	١٩٤

رقم متسلسل	الآيــة	رقم الصفحة
٥٦	قال تعالى : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ. ﴾ سورة الشعراء آية ٢١٤	٢٠٣
٥٧	قال تعالى : ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهاً آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ، فَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ، وَآخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. ﴾ سورة الشعراء آية ٢١٣ ــ ٢١٥	٢٠٤
٥٨	قال تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ، قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ، وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللهِ، وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ. ﴾ سورة البقرة آية ٢١٧	٢١٢
٥٩	قال تعالى : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْناً. ﴾ سورة البقرة آية ١٢٥	٢١٥
٦٠	قال تعالى : ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِم طَيْراً أَبَابِيلَ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّنْ سِجِّيلٍ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾. سورة الفيل آية ٣ ــ ٥	٢١٦
٦١	قال تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُم أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً. ﴾ سورة البقرة آية ١٤٣	٢١٧

رقم متسلسل	الآيــة	رقم الصفحة
٦٢	قال تعالى : ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾. سورة المائدة آية ٢	٢١٨

الجزء الثالث

٦٣	قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَاباً مُّؤَجَّلاً ﴾ سورة آل عمران آية ١٤٥	٢٠
٦٤	قال تعالى : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً ﴾ سورة النساء آية ٤١	٢٢
٦٥	قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُم تُوعَدُونَ، نَحنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا ما تَدَّعُونَ نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ، وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ. ﴾ سورة فصلت آية ٣٠ ــ ٣٣	٢٨

رقم متسلسل	الآيــة	رقم الصفحة
٦٦	قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ سورة فاطر آية ٢٨	٣٠
٦٧	قال تعالى : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً. ﴾ سورة الزمر آية ٥٣	٣١
٦٨	قال تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ. ﴾ سورة الأنعام آية ٥٢	٣٢
٦٩	قال تعالى : ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً. ﴾ سورة الفرقان آية ٢	٣٥
٧٠	قال تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ. ﴾ سورة القمر آية ٤٩	٣٥
٧١	قال تعالى : ﴿ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً ﴾. سورة النساء آية ١٩	٣٦
٧٢	قال تعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ. ﴾ سورة آل عمران آية ١١٠	٣٨

رقم متسلسل	الآيــة	رقم الصفحة
٧٣	قال تعالى : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئاً وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللهُ وَلِيُّ المُتَّقِينَ. ﴾ سورة الجاثية الآيتان ١٨ ــ ١٩	٣٩
٧٤	قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُه وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُه وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً، مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً. ﴾ سورة الأحزاب آية ٢٢ ــ ٢٤	٥٢
٧٥	قال تعالى : ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُم كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُم شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ. سورة التوبة آية ٢٥	٥٥
٧٦	قال تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ وَاللهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾. سورة البقرة آية ٢٠٧	٥٧
٧٧	قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُم وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْه حَقاً فِي التَّوْرَاةِ والإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ	٥٨

رقم متسلسل	الآيـة	رقم الصفحة
	وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِى بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ. ﴾ سورة التوبة آية ١١١	
٧٨	قال تعالى : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ والبَنِينَ والْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ والْفِضَّةِ. ﴾ سورة آل عمران آية ١٤	٥٩
٧٩	قال تعالى : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخواناً عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ. ﴾ سورة الحجر آية ٤٧	٨٠
٨٠	قال تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا. ﴾ سورة الحشر آية ٧	٨٣
٨١	قال تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ للهِ فَإِنْ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ. ﴾ سورة البقرة آية ١٩٣	٨٦
٨٢	قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ للهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ. ﴾ سورة آل عمران آية ١٩٩	١٠٣

رقم متسلسل	الآيــة	رقم الصفحة
٨٣	قال تعالى : ﴿ إِنِّى عَبْدُ اللهِ آتَانِى الْكِتَابَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا، وَجَعَلَنِى مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِى بِالصَّلَاةِ والزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا وَبَرّاً بِوَالِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّاراً شَقِيًّا ، والسَّلَامُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ. ﴾ سورة مريم آية ٢٩ ــ ٣٤	١٠٥
٨٤	قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ. ﴾ سورة البقرة آية ١٤٦	١١٨
٨٥	قال تعالى : ﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِى إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. سورة آل عمران آية ٩٣	١١٩
٨٦	قال تعالى : ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِى الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ. ﴾ سورة القصص آية ٥	١٢١
٨٧	قال تعالى : ﴿ ادْعُوهُم لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللهِ. ﴾ سورة الأحزاب آية ٥	١٢٩
٨٨	قال تعالى : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ، خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. ﴾ سورة العلق الآيات من ١ ــ ٤	١٣٣

رقم متسلسل	الآيــة	رقم الصفحة
٨٩	قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ. ﴾ **سورة المدثر الآيات ١ ـ ٤**	١٣٤
٩٠	قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُه أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ، وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُّبِيناً. ﴾ **سورة الأحزاب آية ٣٦**	١٣٤
٩١	قال تعالى : ﴿ وإِذْ تَقُولُ لِلَّذِى أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ واللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِى أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً وَكَان أَمْرُ اللهِ مَفْعُولاً. ﴾ **سورة الأحزاب الآية ٣٧**	١٣٨
٩٢	قال تعالى : ﴿ ادْعُوهُم لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِى الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ ﴾. **سورة الأحزاب آية ٤، ٥.**	
٩٣	قال تعالى : ﴿ سُنَّةَ اللهِ فِى الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ. ﴾ **سورة الأحزاب آية ٣٨**	١٤٢

رقم متسلسل	الآيـــة	رقم الصفحة
٩٤	قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيراً مِنَ الأَحْبَارِ والرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ والَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ والْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ سورة التوبة آية ٣٤	١٥٣
٩٥	قال تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُم مَسَّتْهُمُ البَأْسَاءَ والضَّرَّاءَ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ والَّذِينَ آمَنُوا مَعَه مَتَى نَصْرُ اللهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ. ﴾ سورة البقرة آية ٢١٤	١٦٢
٩٦	قال تعالى : ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ بِهِ أَذىً مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ. ﴾ سورة البقرة آية ١٩٦	١٨٢

الجزء الرابع

رقم متسلسل	الآيـــة	رقم الصفحة
٩٧	قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِّنَ الحَقِّ ﴾. سورة الممتحنة آية ١	٢١

رقم متسلسل	الآيــة	رقم الصفحة
٩٨	قال تعالى : ﴿ أَتَتَّخِذُ أَصْنَاماً آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ سورة الأنعام آية ٧٤	٣٩
٩٩	قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ. ﴾ سورة الأنعام آية ٧٧	٣٩
١٠٠	قال تعالى : ﴿ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ واللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ. ﴾ سورة البقرة آية ٢٥٨	٤٠
١٠١	قال تعالى : ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ، وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ، وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ. ﴾ سورة المجادلة آية ٧	٤١
١٠١	قال تعالى : ﴿ يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ، فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ، وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ. ﴾ سورة البقرة آية ٩ ــ ١٢	٤٣

رقم متسلسل	الآيـــة	رقم الصفحة
١٠٢	قال تعالى : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ الَّذِى عَلَّمَ بِالقَلَمِ عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ. ﴾ سورة العلق الآية ١ ـــ ٥.	٤٨
١٠٣	قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً. ﴾ سورة النور آية ٤	٦٣
١٠٤	قال تعالى : ﴿ والَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُم وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ، والْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَةَ اللهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الكَاذِبِينَ. ﴾ سورة النور آية ٦ و٧	٦٥
١٠٥	قال تعالى : ﴿ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى البِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ. ﴾ سورة النور آية ٣٣	٦٦
١٠٦	قال تعالى : ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً شَدِيداً أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا	٨٣

رقم متسلسل	الآيـــة	رقم الصفحة
	لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ، إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ، وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ. ﴾	
	سورة النمل آية ٢٠ ــ ٢٤	
١٠٧	قال تعالى : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ. ﴾	١٠٣
	سورة آل عمران آية ٦١	
١٠٨	قال تعالى : ﴿ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً. ﴾	١٠٤
	سورة الكهف آية ١٠٤	
١٠٩	قال تعالى : ﴿ أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ﴾	١١٨
	سورة الزمر آية ٢٢	
١١٠	قال تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَّوْقُوتاً. ﴾	١١٩
	سورة النساء آية ١٠٣	

رقم متسلسل	الآيــة	رقم الصفحة
١١١	قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا آرَاكَ اللهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً، وَاسْتَغْفِرِ اللهِ إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً، وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّاناً أَثِيماً يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطاً. ﴾ **سورة النساء آية ١٠٥ ـــ ١٠٨**	١٢٥
١١٢	قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً. ﴾ **سورة النساء آية ١١٥**	١٢٦
١١٣	قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً. ﴾ **سورة الطلاق آية ٢ ـــ ٣.**	١٢٨
١١٤	قال تعالى : ﴿ قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللهِ واللهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ. ﴾ **سورة المجادلة آية ١**	١٣٦

رقم متسلسل	الآيـــة	رقم الصفحة
١١٥	قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً. ﴾ **سورة الفتح آية ٧**	١٤٠
١١٦	قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الغَالِبُونَ. ﴾ **سورة الصافات آية ١٧٣**	١٤٠
١١٧	قال تعالى : ﴿ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً والزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ. ﴾ **سورة النور آية ٣**	١٤٣
١١٨	قال تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ والنَّسْلَ واللهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ. ﴾ **سورة البقرة آية ٢٠٤ ــ ٢٠٥**	١٤٤
١١٩	قال تعالى : ﴿ كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ. ﴾ **سورة الذاريات آية ١٧**	١٤٧
١٢٠	قال تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ، وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ واللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ. ﴾ **سورة البقرة آية ٢١٦**	١٤٨

رقم متسلسل	الآيـــة	رقم الصفحة
١٢١	قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ. ﴾ سورة الحجر آية ٩	١٦٢
١٢٢	قال تعالى : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ والأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ. ﴾ سورة الإسراء آية ٤٤	١٦٤
١٢٣	قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ والإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ. ﴾ سورة الذاريات آية ٥٦	١٦٨
١٢٤	قال تعالى : ﴿ لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّاً وَلَا سُوَاعاً وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً. ﴾ سورة نوح آية ٢٣	١٦٩
١٢٥	قال تعالى : ﴿ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ. ﴾ سورة هود آية ٦٧	١٧٠
١٢٦	قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ آمَنَّا بِاللهِ واشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ. ﴾ سورة آل عمران ٥٢	١٧١

رقم متسلسل	الآيـــة	رقم الصفحة
١٢٧	قال تعالى : ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهاً آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ. ﴾ سورة الشعراء الآيات ٢١٣ ـــ ٢١٥	١٨١
١٢٨	قال تعالى : ﴿ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ. ﴾ سورة الشعراء آية ٧٢ ـــ ٧٣	١٨٣
١٢٩	قال تعالى : ﴿ وإن عَاقَبْتُم فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ. ﴾ سورة النحل آية ١٢٦	١٩٠
١٣٠	قال تعالى : ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً. ﴾ سورة الأحزاب آية ٢٣	١٩١

الجزء الخامس

رقم متسلسل	الآيـــة	رقم الصفحة
١٣١	قال تعالى : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ. ﴾ سورة سبأ آية ٤٦	٢٠

رقم متسلسل	الآيــة	رقم الصفحة
١٣٢	قال تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِيناً. ﴾ سورة المائدة آية ٣	٣١
١٣٣	قال تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ. ﴾ سورة آل عمران آية ١٤٤	٣٢
١٣٤	قال تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِم إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ. ﴾ سورة التوبة آية ١٠٣	٤٤
١٣٥	قال تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ. ﴾ سورة الأنبياء آية ٣٤	٤٧
١٣٦	قال تعالى : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُواً إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ. ﴾ سورة فاطر آية ٦	٤٨
١٣٧	قال تعالى : ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ. ﴾ سورة ق آية ١٩	٥٥

رقم متسلسل	الآيـة	رقم الصفحة
١٣٨	قال تعالى : ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ. ﴾ سورة الأحقاف آية ١٥	٥٨
١٣٩	قال تعالى : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ . ﴾ سورة البقرة آية ٢٥٦	٥٩
١٤٠	قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ. ﴾ سورة الحجرات آية ١٣	٦١
١٤١	قال تعالى : ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ. ﴾ سورة الممتحنة آية ٨	٦٢
١٤٢	قال تعالى : ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ. ﴾ سورة الأنفال آية ٦١	٦٣
١٤٣	قال تعالى : ﴿ إِنَّنِي أَنَا اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي. ﴾ سورة طه آية ١٤	٧٨

رقم متسلسل	الآيــة	رقم الصفحة
١٤٤	قال تعالى : ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ. ﴾ سورة الحج آية ٤٠	٨٢
١٤٥	قال تعالى : ﴿ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ واشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِم فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ. ﴾ سورة يونس آية ٨٨	٨٧
١٤٦	قال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ. ﴾ سورة الأحزاب آية ٥٣	٩٠
١٤٧	قال تعالى : ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَداً وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ. ﴾ سورة التوبة آية ٨٤	٨٤
١٤٨	قال تعالى : ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ. ﴾ سورة الشعراء آية ٢٢٧	٩٣
١٤٩	قال تعالى : ﴿ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إليها وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً. ﴾ سورة الروم آية ٢١	١١٥

رقم متسلسل	الآيــة	رقم الصفحة
١٥٠	قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِم أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ. ﴾ سورة النساء آية ٦٦	١٤٠
١٥١	قال تعالى : ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِى إِلَّا بِاللهِ. ﴾ سورة هود آية ٨٨	١٤٠
١٥٢	قال تعالى : ﴿ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِى السُّوءُ. ﴾ سورة الأعراف آية ١٨٨	١٤٣
١٥٢	قال تعالى : ﴿ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَاراً فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً. ﴾ سورة النساء آية ٢٠	١٥٢
١٥٣	قال تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُم خَاصَّةً. ﴾ سورة الأنفال آية ٢٥	١٥٣
١٥٤	قال تعالى : ﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُم فِى سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ واللهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ. ﴾ سورة البقرة آية ٢٦١	١٦٨

رقم متسلسل	الآيــة	رقم الصفحة
١٥٥	قال تعالى : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً. ﴾ سورة الفتح آية ١٨	١٧٣
١٥٦	قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُم نَادِمِينَ. ﴾ سورة الحجرات آية ٦	
١٥٧	قال تعالى : ﴿ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً. ﴾ سورة المائدة آية ٣٢	
١٥٨	قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ والإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو القُوَّةِ المَتِينُ. ﴾ سورة الذاريات آية ٥٦ ــ ٥٧ ــ ٥٨	
١٥٩	قال تعالى : ﴿ إِنَّما الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ. ﴾ سورة الحجرات آية ١٠	

رقم متسلسل	الآيـــة	رقم الصفحة

الجزء السادس

١٦٠ قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ والإِحْسَانِ وإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ والْمُنْكَرِ والْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ. ﴾

سورة النحل آية ٩٠

١٦١ قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّها النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَو اجْتَمَعُوا لَهُ وإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ والْمَطْلُوبُ. ﴾

سورة الحج آية ٧٣

١٦٢ قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ. ﴾

سورة المائدة آية ٨٧

١٦٣ قال تعالى : ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمْ اللهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدْتُّمُ الأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ واحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ. ﴾

سورة المائدة آية ٨٩

رقم متسلسل	الآيــة	رقم الصفحة
١٦٤	قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلافٍ مِّنَ المَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ، بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ. ﴾ سورة آل عمران آية ١٢٣ ــ ١٢٥	
١٦٥	قال تعالى : ﴿ مِنكُم مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُم مَّنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ. ﴾ سورة آل عمران آية ١٥٢	
١٦٦	قال تعالى : ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ. ﴾ سورة الأحزاب آية ٢٣	
١٦٧	قال تعالى : ﴿ وَالْعَادِيَاتُ ضَبْحاً فالْمُورِيَاتُ قَدْحاً، فَالْمُغِيرَاتُ صُبْحاً، فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً. ﴾ سورة العاديات آية ١ ــ ٥	
١٦٨	قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ. ﴾ سورة التوبة آية ١١١	

رقم متسلسل	الآيــة	رقم الصفحة
١٦٩	قال تعالى : ﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُم لَا تَشْعُرُونَ. ﴾ سورة الزمر آية ٥٣ ــ ٥٥	
١٧٠	قال تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَداً أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْداً كَلاَّ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا، وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْداً. ﴾ سورة مريم الآيات ٧٧ ــ ٨٠	
١٧١	قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ. ﴾ سورة الأنبياء آية ١٠٥	
١٧٢	قال تعالى : ﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ، وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ، وَمَا نَقَمُوا مِنْهُم إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ، الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ. ﴾ سورة البروج الآيات ٤ ــ ٩	

رقم متسلسل	الآيـــة	رقم الصفحة
١٧٣	قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ كِتَاباً مُؤَجَّلاً. ﴾ سورة آل عمران آية ١٤٥	
١٧٤	قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيراً. ﴾ سورة النساء آية ٥١ ــ ٥٢ .	١١٧
١٧٥	قال تعالى : ﴿ وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللهُ قَوِيّاً عَزِيزاً وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقاً تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقاً. ﴾ سورة الأحزاب آية ٢٥ ــ ٢٦	١١٨
١٧٦	قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّها النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهِ عَلِيمٌ خَبِيرٌ. ﴾ سورة الحجرات آية ١٣	١٢٢

رقم متسلسل	الآيـــة	رقم الصفحة
١٧٧	قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُم وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ. ﴾ سورة التوبة آية ١١١	١٣٦
١٧٨	قال تعالى : ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ. ﴾ سورة البقرة آية ٢٣٢	١٤٥
١٧٩	قال تعالى : ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ. وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ. ﴾ سورة البقرة آية ٢٢١	١٤٨
١٨٠	قال تعالى : ﴿ وَإِنْ خِفْتُم شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَماً مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحاً يُوَفِّقِ اللهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيماً خَبِيراً. ﴾ سورة النساء آية ٣٥	١٤٩

رقم متسلسل	الآيــة	رقم الصفحة
١٨١	قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ . ﴾ سورة الذاريات آية ٥٦ ــ ٥٧	١٦٢
١٨٢	قال تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَل أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ. ﴾ سورة آل عمران آية ١٦٩ ــ ١٧٠	١٦٥
١٨٣	قال تعالى : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ والذين معهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ. ﴾ سورة الفتح آية ٢٩	١٧١
١٨٤	قال تعالى : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقاً مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ. ﴾ سورة البقرة آية ١٨٨	١٧٦
١٨٥	قال تعالى : ﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُوا عَلَيْهِم فَلْيَتَّقُوا اللهَ وَلْيقولُوا قَوْلاً سَدِيداً إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُون فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً. ﴾ سورة النساء آية ٩ ــ ١٠	١٧٧

رقم متسلسل	الآيــة	رقم الصفحة
١٨٦	قال تعالى : ﴿ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِى الزُّبُرِ. ﴾ سورة القمر آية ٤٣	١٩٣
١٨٧	قال تعالى : ﴿ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُم ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ. ﴾ سورة محمد آية ٣٨	٢٠٠

الجزء السابع

رقم متسلسل	الآيــة	رقم الصفحة
١٨٨	قال تعالى : ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا ،وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا. ﴾ سورة الأعراف آية ١٧٩	١٧
١٨٩	قال تعالى : ﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللهِ وَلِيُخْزِىَ الْفَاسِقِينَ. ﴾ سورة الحشر آية ٥	٢٢
١٩٠	قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِى اخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِم لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَّانِعَتُهُم حُصُونُهُم مِّنَ اللهِ فَآتَاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِى الْأَبْصَارِ. ﴾ سورة الحشر آية ٢	٢٣

رقم متسلسل	الآيــة	رقم الصفحة
١٩١	قال تعالى : ﴿ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً لِّتَبْتَغُوْا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ. ﴾ سورة النور الآية ٣٣	٢٥
١٩٢	قال تعالى : ﴿ وَإِذَا لَقُوْا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ. ﴾ سورة البقرة آية ١٤	٢٦
١٩٣	قال تعالى : ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَداً وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ. ﴾ سورة التوبة آية ٨٤	
١٩٤	قال تعالى : ﴿ وَلَو نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ. ﴾ سورة محمد آية ٣٠	٣٢
١٩٥	قال تعالى : ﴿ يُخَادِعُونَ اللهَ والَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ. ﴾ سورة البقرة آية ٩	٣٣
١٩٦	قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم لَا تُفْسِدُوا فِى الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ. ﴾ سورة البقرة آية ١١	٣٤

رقم متسلسل	الآيــة	رقم الصفحة
١٩٧	قال تعالى : ﴿ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا ﴾ **سورة المنافقون آية ٧**	
١٩٨	قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ كِتَاباً مُؤَجَّلاً. ﴾ **سورة آل عمران آية ١٤٥**	٣٦
١٩٩	قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ. ﴾ **سورة المنافقون آية ٧**	٣٦
٢٠٠	قال تعالى : ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ، هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ، مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ. ﴾ **سورة القلم آية ١٠ ــ ١٢**	٤٣
٢٠١	قال تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى. ﴾ **سورة العلق آية ٦ ــ ٧**	٤٧
٢٠٢	قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ. ﴾ **سورة البقرة آية ٢٧٨**	٤٧

رقم متسلسل	الآيــة	رقم الصفحة
٢٠٣	قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ. ﴾ **سورة الزخرف آية ٣١ ــ ٣٢**	٤٨
٢٠٤	قال تعالى : ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ. ﴾ **سورة الحجر آية ٩٥**	
٢٠٥	قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ، وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ. ﴾ **سورة الحجر آية ٩٧ ــ ٩٩**	٤٩
٢٠٦	قال تعالى : ﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ، ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ، ثُمَّ نَظَرَ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ، ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ، فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ. ﴾ **سورة المدثر آية ١٨ ــ ٢٥**	٥٣
٢٠٧	قال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِياً وَنَصِيراً. ﴾ **سورة الفرقان آية ٣١**	٥٥

رقم متسلسل	الآيـــة	رقم الصفحة
٢٠٨	قال تعالى : ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضاً سُخْرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ. ﴾ سورة الزخرف آية ٣٢	٥٦
٢٠٩	قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَر قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ. ﴾ سورة الحجرات آية ١١	٥٧
٢١٠	قال تعالى : ﴿ إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الْأَثِيمِ كَالْمُهْلِ يَغْلى فِى الْبُطُونِ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ. ﴾ سورة الدخان آية ٤٣ ــ ٤٦	٦٩
٢١١	قال تعالى : ﴿ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ. ﴾ سورة المؤمنون آية رقم ٧٠	٧٤
٢١٢	قال تعالى : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ واللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ. ﴾ سورة الأنفال آية ٣٠	٧٥

رقم متسلسل	الآيـة	رقم الصفحة
٢١٣	قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيراً أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً أَوْ تَأْتِيَ بِاللهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلاً أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَراً رَسُولاً. ﴾ **سورة الإسراء الآيات ٩٠ ــ ٩٣**	٨١
٢١٤	قال تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى، إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى، أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْداً إِذَا صَلَّى أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى، أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى، أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ يَرَى كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعاً بِالنَّاصِيَةِ، نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ، فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ، سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ، كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ. ﴾ **سورة العلق الآيات ٦ ــ ١٩**	٨٤
٢١٥	قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ. ﴾ **سورة الأنفال آية ٣٦**	١٠١

رقم متسلسل	الآيـــة	رقم الصفحة
٢١٦	قال تعالى : ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِى لَهُ. ﴾ سورة يس آية ٦٩	١٠٧
٢١٧	قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ، وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ، وَمَنْ يَلْعَنِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيراً. ﴾ سورة النساء آية ٥١ ـــ ٥٢	١٢٧
٢١٨	قال تعالى : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْد ذَلِكَ فَهِىَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً. ﴾ سورة البقرة آية ٧٤	١٣٣
٢١٩	قال تعالى : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِى الْعِظَامَ وَهِىَ رَمِيمٌ، قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِى أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ، وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ، الَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنْتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ، أَوَلَيْسَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ. ﴾ سورة يس آية ٧٨ ـــ ٨١	١٤٣
٢٢٠	قال تعالى : ﴿ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ . ﴾ سورة يوسف آية ٤١	١٤٥

رقم متسلسل	الآيــة	رقم الصفحة
٢٢١	قال تعالى : ﴿ حم تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ، بَشِيراً وَنَذِيراً فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ. ﴾ سورة فصلت الآيات ١ ــ ٥	١٤٧
٢٢٢	قال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّها الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ، وَلَا أَنْتُم عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُّمْ، وَلَا أَنْتُم عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِي دِينِي. ﴾ سورة الكافرون الآيات ١ ــ ٦	١٤٨
٢٢٣	قال تعالى : ﴿ أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ. ﴾ سورة القمر آية ٢٥	١٥٣
٢٢٤	قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ. ﴾ سورة الأنبياء آية ٤١	١٥٤
٢٢٥	قال تعالى: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُوناً فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ. ﴾ سورة القمر الآيات ١٠ ــ ١٢	١٥٥

رقم متسلسل	الآيــة	رقم الصفحة
٢٢٦	قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ. ﴾ سورة القمر آية ١٩ ــ ٢١	١٥٥
٢٢٧	قال تعالى : ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللهِ إِلَهاً آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ. ﴾ سورة الحجر آية ٩٥	١٥٦
٢٢٨	قال تعالى : ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا. ﴾ سورة الكهف آية ٤٦	١٥٧
٢٢٩	قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ. ﴾ سورة الحجرات آية ٦	١٦٥
٢٣٠	قال تعالى : ﴿ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً. فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً. ﴾ سورة الكهف آية ١٠ ــ ١١	١٧٠
٢٣١	قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ وَاذْكُرْ رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ	١٧١

رقم متسلسل	الآيـــة	رقم الصفحة
	رَبِّى لأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَداً، وَلَبِثُوا فِى كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعاً. ﴾ سورة الكهف آية ٢٣ ــ ٢٥	
٢٣٢	قال تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً. ﴾ سورة الإسراء آية ٨٥	١٧١
٢٣٣	قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِى اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً. ﴾ سورة الفرقان آية ٢٧	١٧٦
٢٣٤	قال تعالى : ﴿ رَبَّنَا إِنِّى أَسْكَنتُ مِنْ ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِى إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ. ﴾ سورة ابراهيم آية ٣٧	١٧٨
٢٣٥	قال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّي فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ . ﴾ سورة البقرة آية ١٨٦	١٧٨

رقم متسلسل	الآيـــة	رقم الصفحة
٢٣٦	قال تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ. ﴾ سورة القصص آية ٧	١٧٩
٢٣٧	قال تعالى : ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ. ﴾ سورة القصص آية ١١	١٧٩
٢٣٨	قال تعالى : ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللهِ. ﴾ سورة آل عمران آية ٣٧	١٨٠
٢٣٩	قال تعالى : ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً. ﴾ سورة الجن آية ٢٦ ــ ٢٧	١٨١
٢٤٠	قال تعالى : ﴿ سَوَاءٌ مِّنْكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ. ﴾ سورة الرعد آية ١٠	٢٠٠

رقم متسلسل	الآيـــة	رقم الصفحة
٢٤١	قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ. ﴾ سورة الأنبياء آية ٣٠	٢٠١
٢٤٢	قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِى مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَـذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً وَحِجْراً مَّحْجُوراً. ﴾ سورة الفرقان آية ٥٣	٢٠٣
٢٤٣	قال تعالى : ﴿ هَذَا خَلْقُ اللهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ. ﴾ سورة لقمان آية ١١	٢٠٤
٢٤٤	قال تعالى : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ. ﴾ سورة الاسراء آية ٤٤	٢٠٥
٢٤٥	قال تعالى : ﴿ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ. ﴾ سورة النور آية ٤١	٢٠٥

الجزء الثامن

٢٤٦	قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ. ﴾ سورة الأنفال آية ٣٦	١٤

رقم متسلسل	الآيــة	رقم الصفحة
٢٤٧	قال تعالى : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ. ﴾ سورة الزلزلة آية ٧، ٨	١٥
٢٤٨	قال تعالى : ﴿ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً. ﴾ سورة الكهف آية ٤٩	١٥
٢٤٩	قال تعالى : ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى. ﴾ سورة العلق آية ٦	١٦
٢٥٠	قال تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا. ﴾ سورة التوبة آية ١٠٣	١٦
٢٥١	قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَاكُم شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا. ﴾ سورة الحجرات آية ١٣	١٧
٢٥٢	قال تعالى : ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ. ﴾ سورة الرعد آية ٢٨	١٨
٢٥٣	قال تعالى : ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ. ﴾ سورة التوبة آية ١٠٨	١٩

رقم متسلسل	الآيــة	رقم الصفحة
٢٥٤	قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ. ﴾ سورة الأحزاب آية ٣٦	٢٠
٢٥٥	قال تعالى : ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ. ﴾ سورة التوبة آية ٧٥	٢٢
٢٥٦	قال تعالى : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ. ﴾ سورة الحشر آية ٩	٢٤
٢٥٧	قال تعالى : ﴿ مَّنْ ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ. ﴾ سورة البقرة آية ٢٤٥	٢٥
٢٥٨	قال تعالى : ﴿ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ. ﴾ سورة الحديد آية ٧	٢٦
٢٥٩	قال تعالى : ﴿ وَصَاحِبْهُمَا فِى الدُّنْيَا مَعْرُوفاً. ﴾ سورة لقمان آية ١٥	٤٤

رقم متسلسل	الآيــة	رقم الصفحة
٢٦٠	قال تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ. ﴾ سورة الجاثية آية ٢٣	٦٥
٢٦١	قال تعالى : ﴿ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ. ﴾ سورة الأنعام آية ٨٢	٦٥
٢٦٢	قال تعالى : ﴿ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُم ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ. ﴾ سورة محمد آية ٣٨	٧١
٢٦٣	قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ. ﴾ سورة الحجرات آية ١٠	٧٣
٢٦٤	قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّون مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ. ﴾ سورة الحشر آية ٩	٧٤
٢٦٥	قال تعالى : ﴿ يس وَالْقُرآنِ الْحَكِيمِ، إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ. ﴾ سورة يس الآيات ١ ــ ٤	٩٤

رقم متسلسل	الآيــة	رقم الصفحة
٢٦٦	قال تعالى : ﴿ وَلَا تَطْرُدُ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ. ﴾ سورة الأنعام آية ٥٢	١٠٧
٢٦٧	قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ. ﴾ سورة الحجر آية ٢٦	١٢٣
٢٦٨	قال تعالى : ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ. ﴾ سورة الأنفال آية ٤٨	١٢٩
٢٦٩	قال تعالى : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ. ﴾ سورة الإسراء آية ٤٤	١٣١
٢٧٠	قال تعالى : ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا. ﴾ سورة البقرة آية ١٠٦	

رقم متسلسل	الآيـــة	رقم الصفحة
٢٧١	قال تعالى : ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ. ﴾ سورة الأنفال آية ٢٢	١٣٦
٢٧٢	قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ سورة البقرة آية ١٥٩ ـــ ١٦٠	١٣٧
٢٧٣	قال تعالى : ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ. ﴾ سورة البقرة آية ٤٢	١٣٧
٢٧٤	قال تعالى : ﴿ وَجَادِلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ. ﴾ سورة غافر آية ٥	١٣٨
٢٧٥	قال تعالى : ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ. ﴾ سورة النحل آية ٤٣	١٣٨
٢٧٦	قال تعالى : ﴿ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ	١٤٦

رقم متسلسل	الآيـــة	رقم الصفحة
	عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ، وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً. ﴾	
	سورة الأحزاب آية ٥	
٢٧٧	قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ. ﴾	١٥٣
	سورة المائدة آية ٨٧	
٢٧٨	قال تعالى : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ. ﴾	١٦٦
	سورة الحجر آية ٩٤	
٢٧٩	قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ. ﴾	١٦٩
	سورة الأنفال آية ٣٢	
٢٨٠	قال تعالى : ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا. ﴾	١٦٩
	سورة مريم آية ٦٤	
٢٨١	قال تعالى : ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ	١٧١

تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ. ﴾

سورة التوبة آية ٤٠

الجزء التاسع

٢٨٢ قال تعالى : ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ. ﴾

سورة النحل آية ٥٨، ٥٩

٢٨٣ قال تعالى : ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ. ﴾ ٩

سورة التكوير آية ٨، ٩

٢٨٤ قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا. ﴾ ١٤

سورة النساء آية ١

٢٨٥ قال تعالى : ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَّفْرُوضاً. ﴾ ١٤

سورة النساء آية ٧

رقم متسلسل	الآيـــة	رقم الصفحة
٢٨٦	قال تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً. ﴾ سورة الروم آية ٢١	١٥
٢٨٧	قال تعالى : ﴿ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا. ﴾ سورة التوبة آية ٤٠	٢٠٩
٢٨٨	قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْراً عَظِيماً. ﴾ سورة الأحزاب آية ٢٨، ٢٩	٤٢
٢٨٩	قال تعالى : ﴿ تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ. ﴾ سورة الأحزاب آية ٥١	٤٤
٢٩٠	قال تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ. ﴾ سورة القلم آية ٤	٤٦
٢٩١	قال تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا. ﴾ سورة البقرة آية ١٥٨	٤٧

رقم متسلسل	الآيــة	رقم الصفحة
٢٩٢	قال تعالى : ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُوْلِى الْقُرْبَى. ﴾ سورة النور آية ٢٢	٧٢
٢٩٣	قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيراً. ﴾ سورة الفرقان آية ٥٤	٨٧
٢٩٤	قال تعالى : ﴿ يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ. ﴾ سورة الرعد آية ٣٩	٨٧
٢٩٥	قال تعالى : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ. ﴾ سورة الأنعام آية ٥٢	٩٠
٢٩٦	قال تعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِى اللهُ الشَّاكِرِينَ. ﴾ سورة آل عمران آية ١٤٤	١٠٠

رقم متسلسل	الآيــة	رقم الصفحة
٢٩٧	قال تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً. ﴾ سورة المائدة آية ٣	١٠١
٢٩٨	قال تعالى : ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ. ﴾ سورة المائدة آية ٥٠	١٠٢
٢٩٩	قال تعالى : ﴿ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ. ﴾ سورة مريم آية ٦	١٠٣
٣٠٠	قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً. ﴾ سورة الأحزاب آية ٣٣	١٠٧
٣٠١	قال تعالى : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَأَنَّ للهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى والْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنتُم آمَنْتُمْ بِاللهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. ﴾ سورة الأنفال آية ٤١	١١٩
٣٠٢	قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُّبِيناً. ﴾ سورة الأحزاب آية ٣٦	١٢٢

رقم متسلسل	الآيـــة	رقم الصفحة
٣٠٣	قال تعالى : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِى أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا لِكَى لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولاً. ﴾ سورة الأحزاب آية ٣٧	١٢٥
٣٠٤	قال تعالى : ﴿ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللهِ فَإِنْ لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ. ﴾ سورة الأحزاب آية ٥	١٢٦
٣٠٥	قال تعالى : ﴿ وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى السَّبِيلَ. ﴾ سورة الأحزاب آية ٤	١٢٦
٣٠٦	قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُم فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى النَّبِيَّ فَيَسْتَحْى مِنكُمْ وَاللهُ لَا يَسْتَحْى مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ. ﴾ سورة الأحزاب آية ٥٣	١٢٧

رقم متسلسل	الآيـــة	رقم الصفحة
٣٠٧	قال تعالى : ﴿ يَا بَنِى آدَمَ قد أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِى سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشاً. ﴾ سورة الأعراف آية ٢٦	١٣٦
٣٠٨	قال تعالى : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ، وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا. ﴾ سورة النور آية ٣٠ ـــ ٣١	١٣٩
٣٠٩	قال تعالى : ﴿ ثُمَّ نُنَجِّى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا. ﴾ سورة مريم آية ٧٢	١٥٣
٣١٠	قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ تَبْتَغِى مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ قَدْ فَرَضَ اللهُ لكم تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ. ﴾ سورة التحريم آية ١ ـــ ٢	١٥٦
٣١١	قال تعالى : ﴿ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا. ﴾ سورة التحريم آية ٤	١٥٨
٣١٢	قال تعالى : ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ. ﴾ سورة البقرة آية ١٨٧	١٦٤

رقم متسلسل	الآيــة	رقم الصفحة
٣١٣	قال تعالى : ﴿ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِّنْهُم مَّوَدَّةً. ﴾ سورة الممتحنة آية ٧	١٨٥
٣١٤	قال تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. ﴾ سورة البقرة آية ١٥٥ ـــ ١٥٦	١٨٩
٣١٥	قال تعالى : ﴿ كَمْ مِّنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ. ﴾ سورة البقرة آية ٢٤٩	١٩٧
٣١٦	قال تعالى : ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحاً حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً وَآتُوهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِى آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ. ﴾ سورة النور آية ٣٣	٢٠٥
٣١٧	قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً. ﴾ سورة الطلاق آية ٢، ٣	٢٠٨

رقم متسلسل	الآيـــة	رقم الصفحة
	الجزء العاشر	
٣١٨	قال تعالى : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ، وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. ﴾ **سورة الشعراء آية ٢١٤ ــ ٢١٥**	١٤
٣١٩	قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً، إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا، هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً، وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً. ﴾ **سورة الأحزاب آية ٩ ــ ١٢**	١٩
٣٢٠	قال تعالى : ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللهِ وَاللهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ. ﴾ **سورة التوبة آية ١٩**	٢٨
٣٢١	قال تعالى : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ. ﴾ **سورة الأنبياء آية ٤٧**	٢٩

رقم متسلسل	الآيــة	رقم الصفحة
٣٢٢	قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ. ﴾ **سورة المائدة آية ٨**	٣١
٣٢٣	قال تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ. ﴾ **سورة القلم آية ٤**	٣٢
٣٢٤	قال تعالى : ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ. ﴾ **سورة الأنفال آية ٢٦**	٣٥
٣٢٥	قال تعالى : ﴿ إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ. ﴾ **سورة الحجرات آية ٦**	٤٥
٣٢٦	قال تعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ. ﴾ **سورة آل عمران آية ١١٠**	٥١
٣٢٧	قال تعالى : ﴿ وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ، مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ. ﴾ **سورة ص آية ٦، ٧**	٦١

رقم متسلسل	الآيــة	رقم الصفحة
٣٢٨	قال تعالى : ﴿ كَمْ مِّنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ. ﴾ سورة البقرة آية ٢٤٩	٧٠
٣٢٩	قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِناً تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا. ﴾ سورة النساء آية ٩٤	٨٠
٣٣٠	قال تعالى : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ. ﴾ سورة البقرة آية ١٨٨	١٠٢
٣٣١	قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِىءٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِى تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ، لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْراً وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ. ﴾ سورة النور آية ١١، ١٢	١١٥
٣٣٢	قال تعالى : ﴿ لَا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ. ﴾ سورة النور آية ١١	١١٦
٣٣٣	قال تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً. ﴾ سورة المائدة آية ٣	١٢١

رقم متسلسل	الآيـــة	رقم الصفحة
٣٣٤	قال تعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِى اللَّهُ الشَّاكِرِينَ. ﴾ سورة آل عمران آية ١٤٤	١٢٢
٣٣٥	قال تعالى : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ. ﴾ سورة الشورى آية ٣٠	١٢٧
٣٣٦	قال تعالى : ﴿ انفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ. ﴾ سورة التوبة آية ٤١	١٣٦
٣٣٧	قال تعالى : ﴿ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ. ﴾ سورة البقرة آية ٢٧٠	١٤٢
٣٣٨	قال تعالى : ﴿ أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ. ﴾ سورة يونس آية ٩٩	١٧٢
٣٣٩	قال تعالى : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِى الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ. ﴾ سورة البقرة آية ٢٥٦	١٧٢

رقم متسلسل	الآيـــة	رقم الصفحة
٣٤٠	قال تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ. ﴾ سورة النحل آية ١٢٥	١٧٣
٣٤١	قال تعالى : ﴿ لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ. ﴾ سورة الممتحنة آية ٨	١٧٥
٣٤٢	قال تعالى : ﴿ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ. ﴾ سورة الأنفال آية ٦١	١٧٦

الجزء الحادى عشر

رقم متسلسل	الآيـــة	رقم الصفحة
٣٤٣	قال تعالى : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ. ﴾ سورة الشعراء آية ٢١٤	١٨
٣٤٤	قال تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ. ﴾ سورة التوبة آية ١١٣	٢٤

رقم متسلسل	الآيــة	رقم الصفحة
٣٤٥	قال تعالى : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى. ﴾ سورة الزمر آية ٣	٣٠
٣٤٦	قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ. ﴾ سورة الأعراف آية ١٧٩	٣٠
٣٤٧	قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ. ﴾ سورة الممتحنة آية ١٠	٣٩
٣٤٨	قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُم نَادِمِينَ. ﴾ سورة الحجرات آية ٦	٤٠
٣٤٩	قال تعالى : ﴿تَاللهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ. ﴾ سورة يوسف آية ٩١	٧١

رقم متسلسل	الآيـــة	رقم الصفحة
٣٥٠	قال تعالى : ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ. ﴾ **سورة يوسف آية ٩٢**	٧١
٣٥١	قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَنْ نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نُّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيراً أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً أَوْ تَأْتِيَ بِاللهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلاً. ﴾ **سورة الإسراء آية ٩٠ ــ ٩٢**	٧٦
٣٥٢	قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ﴾ **سورة النساء آية ٩٧**	٧٩
٣٥٣	قال تعالى : ﴿ فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَا هُنَا قَاعِدُونَ. ﴾ **سورة المائدة آية ٢٤**	٨٠
٣٥٤	قال تعالى : ﴿ لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا للهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ. ﴾ **سورة التوبة آية ٩١**	٩١

رقم متسلسل	الآيـــة	رقم الصفحة
٣٥٥	قال تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ عَرَضاً قَرِيباً وَسَفَراً قَاصِداً لَّاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ، عَفَا اللهُ عَنكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ. ﴾ سورة التوبة آية ٤٢ ــ ٤٣	٩٢
٣٥٦	قال تعالى : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ. ﴾ سورة التوبة آية ٦٥	٩٤
٣٥٧	قال تعالى : ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا. ﴾ سورة التوبة ٧٤	٩٥
٣٥٨	قال تعالى : ﴿ لَّقَدْ تَّابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ. ﴾ سورة التوبة آية ١١٧	٩٧

رقم متسلسل	الآيـــة	رقم الصفحة
٣٥٩	قال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً. ﴾ سورة البقرة آية ١٤٣	
٣٦٠	قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وَدَاعِياً إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً. ﴾ سورة الأحزاب آية ٤٥ ــ ٤٦	٢١٠
٣٦١	قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُم فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ. ﴾ سورة الحجرات آية ٦	٢١٠
٣٦٢	قال تعالى : ﴿ لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللهُ، لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللهُ بَعدَ عُسْرٍ يُسْراً. ﴾ سورة الطلاق آية ٧	٢٣٠

ثانيًا

الحديث

رقم متسلسل	الحديث	رقم الصفحة

الجزء الأول

رقم متسلسل	الحديث	رقم الصفحة
	وأتقاكم له، ولكني أصوم وأفطر وأصلى وأرقد، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى. »	
٨٢	قال رسول الله ﷺ : « إن لكل نبى حوارياً وإن حواريى الزبير. »	٧٥
٨٣	قال رسول الله ﷺ : « من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار. »	٨٠
٨٤	قال رسول الله ﷺ : « قل آمنت بالله ثم استقم. »	٨٣
٨٥	قال رسول الله ﷺ : « اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن. »	٨٤
٨٦	قال رسول الله ﷺ : « لو خرجتم الى أرض الحبشه فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم مخرجاً مما أنتم فيه. »	٩٥
٨٧	قال رسول الله ﷺ : « اخرجوا فصلوا على أخ لكم مات بغير أرضكم. »	١٠٢
٨٨	قال رسول الله ﷺ : « أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام. »	١١٦
٨٩	قال رسول الله ﷺ : « أنت أخونا ومولانا. »	١٢٩
٩٠	قال رسول الله ﷺ : « يا من حضر المشهد اشهدوا أن زيداً ابنى يرثنى وأرثه. »	١٣٣
٩١	قال رسول الله ﷺ : « أخذ زيد الراية فقاتل حتى قتل	

رقم متسلسل	الحديث	رقم الصفحة
٩٨	قال رسول الله ﷺ : « لقد أشبع سليمان علماً. »	١٦٦
٩٩	قال رسول الله ﷺ : « لتكن بلغة أحدكم من الدنيا مثل زاد الراكب. »	١٦٧

الجزء الرابع

١٠٠	قال رسول الله ﷺ : « اللهم ارض عن عثمان فإني عنه راض. »	٦٠
١٠١	قال رسول الله ﷺ : « كن أبا خيثمة ».	٦١
١٠٢	قال رسول الله ﷺ : « كم من ضعيف مستضعف ذى طمرين لا يؤبه له لو أقسم الله لا يره، منهم البراء بن مالك. »	٦٧
١٠٣	قال رسول الله ﷺ : « إن جاءت به أصيهب أريسح، حمش الساقين فهو لهلال وإن جاءت به أورق جعداً جمالياً خدلج الساقين سابغ الأليتين فهو للذى رميت به. »	٧١
١٠٤	قال رسول الله ﷺ : « ستكون فتن كقطع الليل المظلم يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسى مؤمناً ويصبح كافراً، القاعد فيها خير من القائم والقائم فيه خير من الماشى، والماشى فيها خير من الساعى فكسروا قسيكم وقطعوا أوتاركم واضربوا بسيوفكم الحجارة. »	٩٨

رقم متسلسل	الحديث	رقم الصفحة
١٠٥	قال رسول الله ﷺ : « من حلف على يمين وهو فيها فاجر ليقطع بها مال امرىء مسلم لقى الله وهو عليه غضبان. »	١٠٠
١٠٦	قال رسول الله ﷺ : « ارم فداك أبى وأمى. »	١١٦
١٠٧	قال رسول الله ﷺ : « اللهم اكسبها جمالاً » لعين قتادة — رضى الله عنه.	١١٧
١٠٨	قال رسول الله ﷺ : « خذها فسيضىء أمامك عشراً وخلفك عشراً. »	١١٨
١٠٩	قال رسول الله ﷺ : « والذى نفسى بيده إنها لتعدل ثلث القرآن. »	١١٩
١١٠	قال رسول الله ﷺ : « صلاة الرجل فى الجماعة تضعف على صلاته فى بيته وفى سوقه خمساً وعشرين درجة، وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج الى المسجد لا يخرجه إلا الصلاة لم يخط خطوة إلا رفعت له بها درجة، وحط عنه بها خطيئة فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلى عليه ما دام في مُصلاه. »	١١٩
١١١	قال رسول الله ﷺ : « يا معشر قريش ما ترون أنى فاعل فيكم... ؟ » قالوا : خيراً أخ كريم وابن أخ كريم. قال عليه السلام : « اذهبوا فأنتم الطلقاء. »	١٢١

رقم متسلسل	الحـديـث	رقم الصفحة
١١٢	قال رسول الله ﷺ : « إن سركم أن تقبل صلاتكم فليؤمكم خياركم فإنهم وفدكم فيما بينكم وبين ربكم. »	
١١٣	قال رسول الله ﷺ : « من ظلم من الأرض شبراً طوقه الله يوم القيامة من سبع أرضين. »	١٥٨
١١٤	قال رسول الله ﷺ : « من يأتنى بخبر سعد بن الربيع... ؟ فإنى رأيت الأسنة قد أشرعت اليه ؟ » فلما جاءه أبى بالخبر قال : « رحمه الله نصح لله ولرسوله حياً وميتاً. »	١٥٩
١١٥	قال رسول الله ﷺ : « أقرأ أمتى أبى بن كعب. »	١٦٠
١١٦	قال رسول الله ﷺ : « إن الله أمرنى أن أقرئك هذه السورة. »	١٦٦
١١٧	قال رسول الله ﷺ : « ما رأيت بمكة أحداً أحسن لمة، ولا أرق حلة، ولا أنعم نعمة من مصعب بن عمير. »	١٨٠
١١٨	قال رسول الله ﷺ : « أيها الناس زوروهم وأتوهم وسلموا عليهم فوالذى نفسى بيده لا يسلم عليهم مسلم الى يوم القيامة إلا ردوا عليه السلام ».	١٩١
١١٩	قال رسول الله ﷺ : « لما أصيب اخوانكم بأحد، جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر، ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها، وتأوى الى قناديل من ذهب معلقة فى ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم	١٩٣

الجزء الخامس

رقم متسلسل	الحديث	رقم الصفحة
	اليك... قال : عائشة. قلت : إنما أعنى الرجال. قال : أبوها. »	
١٢٥	قال رسول الله ﷺ : « مروا أبا بكر فليصل بالناس. »	٣٣
١٢٦	قال رسول الله ﷺ : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فإن قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله. »	٤٥
١٢٧	قال رسول الله ﷺ : « من قتل دون عرضه فهو شهيد ومن قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد. »	٦١
١٢٨	قال رسول الله ﷺ : « بينما أنا نائم رأيتنى على قليب عليها دلو فنزعت منها ما شاء الله ثم أخذها ابن أبى قحافة فنزع منها ذنوباً أو ذنوبين وفي نزعه ضعف ـــ والله يغفر له، ثم جاء عمر فاستقى فاستحالت غرباً فلم أر عبقرياً من الناس يفرى فريه، حتى روى الناس وضربوا بعطن. »	٧٠
١٢٩	قال رسول الله ﷺ : « اللهم أيد الاسلام بأحد العمرين. »	٧١
١٣٠	قال رسول الله ﷺ : « انه قد كان فيما مضى قبلكم من الأمم ناس محدثون وإنه إن كان فى أمتى هذه منهم فإنه عمر بن الخطاب. »	٩١

رقم متسلسل	الحديث	رقم الصفحة
	صنعاء الى حضرموت لا يخشى إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم قوم تعجلون. »	
١٥٢	قال رسول الله ﷺ : « يا عمرو بايع فإن الاسلام يجب ما كان قبله، وإن الهجرة تجب ما كان قبلها. »	١٢١
١٥٣	قال رسول الله ﷺ : « خذوها يا بنى أبى طلحة بأمانة الله لا ينزعها منكم إلا ظالم. »	١٢٥
١٥٤	قال رسول الله ﷺ : « لا يحل لامرى يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسقى ماءه زرع غيره — يعنى اتيان الحبالى من السبايا حتى يستبرئها — ولا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يصيب امرأة من السبى حتى يستبرئها. ولا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يركب دابة من فىء المسلمين حتى إذا أعجفها ردها فيه. »	١٣٨
١٥٥	قال رسول الله ﷺ : « تنكح المرأة لثلاث لمالها ولحسبها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك. »	١٤٨
١٥٦	قال رسول الله ﷺ : « اقبل الحديقة وطلقها تطليقة. »	١٥١
١٥٧	قال رسول الله ﷺ : « أفلا أبشرك بما لقى الله به أباك... ؟ قلت : بلى يا رسول الله. قال : إن الله أحيا أباك وكلمه كفاحاً وما كلم أحداً قط إلا من وراء حجاب. فقال يا عبدى تمن أعطك. قال : يا رب تردنى الى الدنيا	١٦٦

الجزء السابع

رقم متسلسل	الحديث	رقم الصفحة
١٧٨	قال رسول الله ﷺ : « إني رأيت بقراً فأولتها خيراً، ورأيت في ذباب سيفي ثلماً ورأيت أني أدخلت يدى في درع حصينة فأولتها المدينة. »	٦٧
١٧٩	قال رسول الله ﷺ : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله، ولا يحقره بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله. »	٧٣
١٨٠	قال رسول الله ﷺ : « نعم المرء بلال هو سيد المؤذنين ولا يتبعه إلا مؤذن والمؤذنون أطول الناس اعناقاً يوم القيامة. »	
١٨١	قال رسول الله ﷺ : « إذا نسيتم الصلاة فصلوها إذا ذكرتموها فإن الله عز وجل يقول : وأقم الصلاة لذكرى. »	١٠١
١٨٢	قال رسول الله ﷺ : « ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل إلا بالتقوى أو بعمل صالح. »	١٠٩
١٨٣	قال رسول الله ﷺ : « يرحمك الله فأنت امرؤ معلم. »	١٢٠
١٨٤	قال رسول الله ﷺ : « والله لو شئتم لقلتم فصدقتم : أتيتنا مكذَّباً فصدقناك ومخذولاً فنصرناك، وطريداً فآويناك، وعائلاً فواسيناك أوجدتم يا معشر الأنصار في	١٢٢

رقم متسلسل	الحديث	رقم الصفحة
	أنفسكم لعاعة من الدنيا تألفت بها قوماً ليسلموا ووكلتكم إلى اسلامكم... ؟ أفلا ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله إلى رحالكم. والذي نفسي بيده لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار ولو سلك الناس شعباً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار، اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار. »	
١٨٥	قال رسول الله ﷺ : « يأتى معاذ بن جبل يوم القيامة أمام العلماء. »	١٢٤
١٨٦	قال رسول الله ﷺ : « ارحم أمتى بأمتى أبو بكر، وأشدهم فى أمر الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان واقرؤهم لكتاب الله أبي بن كعب، وأفرضهم زيد بن ثابت وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ألا وان لكل أمة أميناً وإن أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح. »	١٣٦
١٨٧	قال رسول الله ﷺ : « كيف بك يا سراقة اذا سورت بسوارى كسرى ؟ »	١٤٨
١٨٨	قال رسول الله ﷺ : « إنه كان يقول فى كتاب الله عز وجل ما يقول وأمر رسول الله ﷺ بقتله. »	١٧٤

الجزء التاسع

رقم متسلسل	الحديث	رقم الصفحة
١٩٨	قال رسول الله ﷺ : « إن بنى هاشم بن المغيرة استأذنونى أن ينحكوا ابنتهم على بن أبى طالب فلا آذن لهم ثم لا آذن لهم ثم لا آذن لهم، اللهم إلا أن يحب ابن أبى طالب أن يطلق ابنتى وينكح ابنتهم، فإن ابنتى بضعة يريبنى ما أرابها ويؤذينى ما آذاها، وإنى اتخوف أن تفتن في دينها. »	
١٩٩	قال رسول الله ﷺ : « أوما علمت أن بكاءه يؤذينى. »	٩٧
٢٠٠	قال رسول الله ﷺ : « كل ذلك لم يكن ولكن ابنى ارتحلنى فكرهت أن أعجله حتى يقضى حاجته. »	٩٧
٢٠١	قال رسول الله ﷺ : « ترق ترق، افتح فاك. فيقبله ـــ ﷺ ـــ وهو يقول : اللهم أحبه فإنى أحبه. »	٩٨
٢٠٢	قال رسول الله ﷺ : « نحن الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة. »	١٠٣
٢٠٣	قال رسول الله ﷺ : « رضاء فاطمة من رضائى وسخط فاطمة من سخطى، فمن أحب فاطمة ابنتى فقد أحبنى، ومن أرضى فاطمة فقد أرضانى ومن أسخط فاطمة فقد أسخطنى. »	١٠٥
٢٠٤	قال رسول الله ﷺ : « جهاد المرأة حسن التبعل. » وقيل له : أى النساء أفضل ؟ فقال : « التي تطيع زوجها إذا أمر وتسره إذا نظر. »	١١٢

الجزء العاشر

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
٢٢٨	قال رسول الله ﷺ : « إن الله أمرني بحب أربعة من أصحابي ، وأخبرني أنه يحبهم فقيل يا رسول الله من هم... ؟ قال : علي بن أبي طالب. والمقداد بن الأسود. وسلمان الفارسي. وأبو ذر ـــ والذي قال عنه « ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر. »	٧٨
٢٢٩	قال رسول الله ﷺ : « خلوا زمامها فإنها مأمورة. »	١١١
٢٣٠	قال رسول الله ﷺ : « أما أول أشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق الى المغرب وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فهو زيادة كبد الحوت وأما الولد ، فإذا سُبق ماء المرأة نزع الولد ، فإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزعت الولد. »	١١٣
٢٣١	قال رسول الله ﷺ : « أيها الناس : ما بال رجال يؤذونني في أهلي ، ويقولون عليهم غير الحق ، والله ما علمت منهن إلا خيراً ، ويقولون ذلك لرجل ، والله ما علمت منه إلا خيراً وما دخل بيتاً من بيوتي إلا وهو معي. »	١١٤
٢٣٢	قال رسول الله ﷺ : « إن فتنة تكون يموت فيها قلب	١٢٨

رقم متسلسل	الحـــديـــث	رقم الصفحة
	الرجل كما يموت فيها بدنه يمسى فيها مؤمناً ويصبح فيها كافراً، ويصبح فيها كافراً ويمسي مؤمناً. »	
٢٣٣	قال رسول الله ﷺ : « اللهم اهد قلبه، وسدد لسانه. »	١٣٣
٢٣٤	قال رسول الله ﷺ : « هذه بقية أهل بيتى. »	١٥٤
٢٣٥	قال رسول الله ﷺ : « من سره أن يتزوج امرأة من أهل الجنة فليتزوج ام أيمن. »	١٥٤
٢٣٦	قال رسول الله ﷺ : « يا عائشة أميطى عنه الدم. »	١٥٤
٢٣٧	قال رسول الله ﷺ : « لو كان اسامة جارية لكسوته وحليته حتى انفقه. »	١٥٥
٢٣٨	قال رسول الله ﷺ : « اللهم ارحمهما فإنى أرحمهما. »	١٥٥
٢٣٩	قال رسول الله ﷺ : « لولا أنه أجل محدود، ووقت مقلوم لجزعنا عليك أشد مما جزعنا، إن العين تدمع، والقلب يحزن ولا نقول إن شاء الله إلا ما يرضى الرب وإنا عليك يا ابراهيم لمحزونون. »	١٥٧
٢٤٠	قال رسول الله ﷺ : « إن الشمس لا تخسف لموت أحد ولا لحياته. »	١٥٧
٢٤١	قال رسول الله ﷺ : « ألا شققت عن قلبه فتعلم صادق هو أم كاذب. »	١٥٩
٢٤٢	قال رسول الله ﷺ : « مرها فلتجعل تحتها غلالة، إنى أخاف أن تصف حجم عظامها. »	١٦٠

الجزء الحادى عشر

ثالثاً

الشعر

الجزء الأول

رقم متسلسل	الشعر	رقم الصفحة
	وذلك أن دينك دينُ صِدقٍ	
	وذُو حقٍ أتيت به وعــدلِ	
٨	قَضَيْنا من تهامـــةَ كل وتـــر	٢٠١
	وخيبر ثم أجمعنـــا السُّيوفَـــا	
	نسائلُهـا ولـو نَطَـقَت لقـــالت	٢٠٢
	قواطعـن « دوساً » أو ثقيفـــا	
٩	وفينـا رسولُ الله نتبـع آمـــرَهُ	٢٠٣
	إذا قال فينـا القـولَ لا نتظلـعُ	
	تدلى عليه الروحُ من عندِ ربه	
	ينـزل من جوِّ السمـاء ويرفـعُ	
	نُشَاوِرُه فيمـا نريـد وقصرنــــا	
	إذا ما اشتهى ان نطيع ونسمعُ	
	وقال رسول الله لما بدوا لنـا	
	ذروا عنكم هولَ المنياتِ واطمعوا	
	وكونوا كمن يَشرى الحياة تقرباً	
	الـى ملك يحيـا لديـه ويرجـعُ	
	ولكن خُذوا أسيَافَكُم وتوكلـوا	
	علـى الله إنَّ الأمـرَ لله أجمـعُ	
١٠	فلما تلاقينا ودارت بنا الرَّحى	٢٠٤
	ولـيس لأمـر حمـه الله مدفـعُ	

رقم متسلسل	الشعر	رقم الصفحة

ضربناهم حتى تركنا سُراتهم
كأنهم بالقاع خشبٌ مصرعُ
ونحن أناسٌ لا نرى القتلَ سُبَّةً
على كل من يحمى الذمارَ ويمنعُ
جلاد على ريْب الحوادثِ لا نرى
على هالك عينا لنا الدهرَ تدمعُ
بنو الحرب لا نعيا بشيء نقوله
ولا نحن مما جرت الحربُ نجزعُ
بنو الحرب إن نظفر فلسنا بفحش
ولا نحن من أظفارها نتوجَّعُ

١١ قد علمت خيبر أنى مرحب ٢٠٤
شاكى السلاحِ بطلٌ مجرَّبُ
أطعن أحياناً وحيناً أضرب
إذ الليوثُ أقبلَتْ تحرب
إن حمايَ للحمى لا يقربُ
يحجم عن صولتى المجرَّبُ

١٢ قد علمت خيبر أنى كعب ٢٠٤
مفرج الغمى جرىء صلبُ
إذا شبت الحربُ تلتها الحربُ
معى حسام كالعقيق عضبُ

الجزء الثاني

رقم متسلسل	الشعــر	رقم الصفحة
	وهل ينهضُ البازي بغير جَناحِه وإن جُذَّ يوماً ريشه فهو واقعُ	
١٦	يا هاشمَ الخيرِ إن الله فضلكم على البريـة فضلاً ما له غيـرُ إنى تفرستُ فيك الخيرَ أعرفـه فراسةً خالفتهم فى الذى نظرُوا ولو سألت أو استنصرت بعضِهم فى جُل أمرك ما آووا ولا نصروا فثبت الله ما آتـاكَ من حسن تثبيت موسى ونصراً كالذى نصروا	١٢٥
١٧	يا رب لولا أنت ما اهتدينـا ولا تصدقنـا ولا صلينـا فانـزل سكينـةً علينـا وثـبت الأقـدام إن لاقينـا إن الكفـارَ قد بغـوا علينـا وان أرادوا فتنـةً أبينـا	١٢٥
١٨	خلوا بنى الكفـار عن سبيلـه خلـوا فكـل الخيـر مع رسولِـهِ نحـن ضربناكـم على تأويلـه كمـا ضربناكـم علـى تنزيلـه	١٢٦

رقم متسلسل	الشعر	رقم الصفحة
	ضرباً يزيل الهامَ عن مقيلـه ويذهـل الخليـل عن خليلـهِ	
١٩	لكننى أسأل الرحمٰن مغفـرةً وضربةً ذات فرعٍ تقذف الزبدَا أو طعنـةً بيـدى حران مجهـزةً بحربـة تنفـذُ الأحشاءَ والكبـدا حتى يقالَ إذا مروا على جدثى أرشدَه اللهُ من غازٍ وقد رشدا	١٢٨
٢٠	فثبت الله ما آتـاك من حسنٍ تثبيت موسى ونصراً كالذى نصروا إنى تفرست فيك الخيـر أعرفـه فراسةً خالفتهم فى الذى نظروا أنت الرسول فمن يحرم نوافلَـه والوجه منه فقد أزرى به القدرُ	١٢٩
٢١	يا حبذ الجَنّة واقترابَها طيبـة وبـارداً شرابَهـا	١٣٠
	والروم روم قد دنا عذابها كافـرة بعيـدة أنسابَهـا على إن لاقيتها ضرابها	١٣١
٢٢	أقسمت يا نفس لتنزلنه لتنزلـن أو لتكرهنَّـه إن أجلب الناس وشدوا الرنه ما لى أراك تكرهين الجنَّه قد طال ما قد كنت مطمئنه هل أنت إلا نطفةٌ فى شنه	١٣١

رقم متسلسل	الشعـــر	رقم الصفحة
٢٣	يا نفسُ إن لا تُقْتلى تموتـــى هذا حمام الموت قد صُلِيتِ وما تمنـيت فقـــد أُعْطِـــيتِ إن تفعلـــى فعالهـــــا هُديتِ	١٣١
٢٤	نحـن الكـرامُ فلا حىٌّ يعاذُلُنـــا من الملوكُ وفينا تُنْصَبُ البِيَعُ ونطعم الناس عند القحط مكرمةً ونؤنس الضيفَ إن أمسى به فزعُ إذا أبينـا فلا يأبـى لنـا أحـــدٌ إنـا كذلك عنـد الفخـر نرتفـعُ	١٥١
٢٥	نصرنا رسولَ الله والدين عنـوةً على الرغم باد من معد وحاضرِ ألسنا نخوض الموت فى حومة الوغى إذا طاب وردُ الموت بين العساكرِ ونضرب هام الدارعيـن ونتتمـى الى حسب من جذم غسان قاهرِ فلـولا حيـاءُ الله قلنـــا تكرمـــاً على الناس بالخفين هل من منافرِ فأحياؤنا من خيرِ من وطىء الحصى وأمواتُنا من خيـرِ أهـل المقابـر	١٥٢

رقم متسلسل	الشعـــر	رقم الصفحة
٢٦	تعدون قتلاً في الحرام عظيمـة وأعظم منه لو ترى الرشد راشدُ صدودكـم عمـا يقـول محمـــد وكفـــر به والله راء وشاهـــدُ واخراجكم من مسجد الله أهله لئلا يرى الله فى البيت ساجدُ فإنيـا وإن عيرتمونـــا بقتلــــه وارجفَ بالاسلام باغٍ وحـاسدُ سقينا من ابن الحضرمى رماحَنا بنخلة لمـا أوقـدَ الحـربَ واقـدُ	٢١٣

الجزء الثالث

رقم متسلسل	الشعـــر	رقم الصفحة
٢٧	يا راكباً بَلِّغَنْ عنـى مغلغلـــةً من كان يرجو بلاغَ الله والدينِ كلُّ امرىءٍ من عباد الله مضطهدٌ ببطـنِ مكَّـةَ مقهـورٌ ومفتـــونُ انـا وجدنـــا بلادَ اللهِ واسعـــةً تنجى من الذلِ والمخزاةِ والهونِ فلا تقيموا على ذُلِ الحياة وخز ىٍ فى الممات وعيبٍ غيرِ مأمون	٩٧

رقم متسلسل	الشعـــر	رقم الصفحة
٢٨	تَعَلَّمْ أبيت اللعن أنك ماجدٌ كريمٌ فلا يسقى لديك المجانبُ تعلـــم بأن الله زادكَ بسطـــة وأسباب خير كلها بك لازبُ وأنك فيض ذو سجال غزيرةٍ ينال الأعادى نفعَها والأقاربُ	٩٨
٢٩	بمدرسة النبى نمـــا شبـــاب عباقرة لهم فى الخُلدِ ذكـــرُ صحائفهم على الأجيال تتلى وليس وراء ما صنعوه فخـــرُ سجود ركع عنـــد المصلـــى وحين الحرب أبطـــال تكـــرُّ وقفتُ أسائل التاريخ عنهـــم فطالعنى من الأمجـــاد سفـــرُ	١٠٧
٣٠	بكيتُ على زيدٍ ولم أدرِ ما فعل أحى فيرجى أم أتى دونه الأجلُ فوالله ما أدرى وإنـــى لسائـــل أغالك بعدى السهل أم غالك الجبلُ ويا ليت شعرى هل لك الدهر أوبة فحسبى من الدنيا رجوعُك لى بجلُ	١٣٠

تذكرنيه الشمس عند طلوعها
وتعرض ذكراه إذا غربها أفلْ
وإن هبت الريحُ هيجن ذكره
فيا طول ما حزنى عليه وما وجلُ
سأعمل نص العيش فى الأرض جاهداً
ولا أسأم التطواف أو تسأم الإبلُ
حياتـى أو تأتــى علــىَّ منيتــى
فكـلُ امـرىءٍ فانٍ وإن غرَّهُ الأمـلُ

٣١ أحـنُّ الـى قومـى وإن كنت نائبـاً ١٣٢
فإنـى مقيـدُ البيت عنـد المشاعرِ
فكفوا من الوجدِ الذى قد شجاكم
ولا تعملوا فى الأرض نص الأباعرِ
فإنـى بحمـد الله فى خيـــر أسرةٍ
كرامٍ معـد كابراً بعـــد كابـــرِ

الجزء الرابع

٣٢ إذا أدنيتنـى وحمــلت رحلــى ٢٢
مسيـرة أربـعٍ بعـــد الـــحساءِ
فشأنك فانعمـــى وخـــلاك ذم
ولا أرجـع الـى أهلـى ورائـــى

رقم متسلسل	الشعر	رقم الصفحة

وآب المسلمون وغادرونى
بأرض الشام مشتهى الاواءِ
وردك كل ذى نسب قريب
الى الرحمن منقطع الرجاءِ
هنالك لا أبالى طلع بعل
ولا نخلُ أسافلها رواءِ

٣٣ سبحوا لله شرق كل صباح ٤٠
طلعت شمسهُ وكلُّ هلالِ
عالم السر والبيان لدينا
ليس ما قال ربنا بضلال
وله الطير تستريد وتأوى
فى وكور آمنات الجبالِ
وله الوحش بالفلاة تراها
فى حقاف وفى ظلالِ الرمالِ
وله هوَّدت يهود ودانت
كل دين إذا ذكرت عضال
وله شمَّس النصارى وقاموا
كل عيد لهم واحتفالِ
وله الراهبُ الحبيسُ تراه
رهنَ بؤسٍ وكان ناعم بالِ

يا بنى الأرحام لا تقطعوها
وصلوها قصيرة من طوالِ
واتّقوا اللهَ فى ضِعاف اليتامى
ربما يستحلُّ غيرُ الحلالِ
واعلموا أن لليتيم وليّاً
عالماً يهتدى بغير سؤالِ
ثم مال اليتيم لا تأكلوه
إن مال اليتيم يرعاه والى
يا بنىَّ التخوم لا تخزلوها
إن خزل التخوم ذو عقالِ
يا بنى الأيام لا تأمنوها
واحذروا مكرها ومرَّ الليالى
واجمعوا أمركم على البر والتقوى
وتركِ الخنا وأخذِ الحلالِ

٣٤ لما رأيتُ النّاسَ فى الدين نافقوا ٦١
أتيت التى كانت أعفَّ وأكرمَا
وبايعت باليمنى يدى لمحمد
فلم اكتسب إثماً ولم أغش محرّمَا
تركت خضيباً فى العريش وصرمةً
صفايا كراماً بُسرها قد تحمَّمَا

رقم متسلسل	الشعـــر	رقم الصفحة
	وكنت اذا شك المنافقُ اسمحت الى الدين نفسى شطره حيث يمَّمَا	
	أسرت سهيــلاً فلا أبتغـــى أسيراً به من جميـع الأمـمِ وخِنـدف تعلـمُ أن الفتـى فتاهـا سهيـل إذا يظلـمِ ضربت بذى الشفر حتى انثنى واكرهت نفسى على ذى العلمِ	٦٥
٣٥	أنا ابن الذى سالت على الخد عينه فردت بكف المصطفى أحسن الردِّ فعادت كما كانت لأول أمرهـا فيا حسن ما عين ويا حسن ما ردٌّ	١١٧
٣٦	تلك المكارمُ لا قعبان من لبن شيبا بمـاء فعـادت بعـد أبـوالا	١١٧
٣٧	ما علتى وأنا جلد نابل والقوس فيها وتر عُنابلُ تزل عن صفحتها المعابل والموت حق والحياة باطلُ وكـل ما هم الالـه نازلٌ بالمـرء والمـرء إليـه آيـلُ إن لم أقاتلكم فأمى هابلُ	١٣٩

رقم متسلسل	الشعر	رقم الصفحة
٣٨	فلست أبالى حينَ أقتَلُ مسلماً على أى شق كان فى الله مصرعى وذلك فى ذات الإلَه وإن يشأ يبارك على أوصال شلوٍ ممزعِ	١٤١

الجزء الخامس

٣٩	فى الذاهبين الأولين من القرون لنا بصائرُ لما رأيت موارداً للموت ليس لها مصادرُ ورأيتُ قومى نحوها يسعى الأكابر والأصاغرُ أيقنت أنى لا محالة حيث صار القوم صائرُ	١٦، ١٧
٤٠	اطعنا رسول الله إذ كان بيننا فواعجباً ما بال مُلكُ أبى بكرِ	٤٤
٤١	لعمرُكَ ما يغني الثراءُ عن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاقَ بها الصَّدرُ	٥٤
٤٢	وكنا كندمانىْ جُذَيْمَة حقبةً من الدهر حتى قيل لن يتصدَّعَا فلما تفرقنا كأنى ومالكاً لطول اجتماع لم نبت ليلةً معا	٧٣

رقم متسلسل	الشعر	رقم الصفحة
٤٣	تَطَاولَ هذا اللَّيلُ واخضلَّ جانبُه وأرقنى أن لا خليل ألاعبُهْ ألاعِبُه طوراً وطوراً كأنما بدا قمرٌ فى ظلمة الليل حاجبُهْ يسر به من كان يلهو بقربه لطيف الحشى لا تحتويه أقاربُهْ فوالله لولا الله لا ربَّ غيره لحرك من هذا السرير جوانبُهْ مخافة ربى والحياء يصدنى واكرام زوجى أن تنالَ مراكِبُهْ ولكننى أخشى رقيباً موكلاً بأنفسنا لا يفتر الدهر كاتِبُهْ	١٣١
٤٤	هل من سبيلٍ الى خمرٍ فأشربها أو من سبيل الى نصر بن حجاجِ الى فتى ماجدِ الأعراقِ مقتبلٍ سهلِ المحيا كريمٍ غيرِ ملجاجِ نمته أعراق صدق حتى تنسبَه أخى حفاظ عن المكروب فراجِ	١٣٩
٤٥	لا عيشَ إلا عيش الآخِرَهْ اللّهم ارحم الأنصارَ والمهاجرَهْ	١٦٩

رقم متسلسل	الشعر	رقم الصفحة
	لا يستوى من يعمر المساجدَا يدأبُ فيهـا قائمـاً وقاعـدَا ومن يرى عن الغبارِ حائـدا	

الجزء السادس

رقم متسلسل	الشعر	رقم الصفحة
٤٦	فى الذاهبين الأوليـن من القرون لنا بصائرُ لمـا رأيت مواردأ للموت ليس لها مصادرُ ورأيت قومى نحوهـا يسعى الأكابرُ والأصاغرُ أيقنت أنى لا محالة حيث صار القوم صائرُ	١٧
٤٧	اذا شهدوا الوغى كانوا كماةً يدكـون المعاقـلَ والحصونـا وان جُنَّ المساءُ فلا تراهـم من الاشفاق إلا ساجدينـا	١٩
٤٨	أأخرجتنى من بطنِ مكةَ آمناً واسكنتنى فى صرح بيضاء تقذعُ تريشُ نبالاً لا يُؤاتيك ريشُها وتبرى نبالاً ريشُها لك أجمعُ وحاربتُ أقواماً كراماً أعـزة وأهلكت أقواماً بهم كنت تفزعُ	١٨

رقم متسلسل	الشعر	رقم الصفحة
	سَتَعْلَمُ إن نابتك يوماً ملمة وأسلمك الأوباشُ ما كنت تصنعُ	
٤٩	أنا الذى عاهدنى خليلى ونحن بالسفح لدى النخيلِ أن لا أقوم الدهر فى الكُبولِ أضربُ بسيف الله والرسولِ	٤٥
٥٠	ويهاً بنى عبد الدّارِ ويهاً حماة الأدْبارِ ضرباً بكل بَتّارِ إن تقبلوا نعانقْ ونفرش النمارقْ أو تدبروا نفارقْ فراقٌ غيرُ وَامِقْ	١١٦
٥١	وكنا كندمانَىْ جُذيْمَةَ حقبة من الدهر حتى قيل لن يتصدَّعَا فلما تَفَرَّقْنا كأنى ومالكاً لطول اجتماع لم نبت ليلةً معا	١٩٥

رقم متسلسل	الشعر	رقم الصفحة

الجزء السابع

٥٢ إن كنت كاذبةً بما حدثتني ٦٥

فنجوت منجى الحارث بن هشامِ

ترك الأحبة أن يقاتل دونهم

ونجا برأس طمرةٍ ولجامِ

فقال يعتذر :

الله يعلم ما تركتُ قتالَهم

حتى رموا فرسى بأشعر مزبدِ

ووجدت ريحَ الموت من تلقائهم

فى مأزقٍ والخيلُ لم تتبدد

٥٣ فعلمتُ أنى إن أقاتلْ واحداً ٦٦

أقتل ولا ينكى عدوى مشهدى

فصدفتُ عنهم والأحبةُ دونهم

طمعاً لهم بعقاب يوم مفسدِ

٥٤ ما تنقم الحرب العوان منى بازل عامين حديث سنى ٧٨

لمثل هذا ولدتنى أمّى

٥٥ أراجلُ أنت لم تحلل بمنقبة ١١٨

وتارك أم الفضل بالحرمِ

صفراءُ رائعةٌ لو تعصر انعصرت

من ذى القوارير والحناء والكتمِ

يرتج ما بين كعبيها ومرفقها
إذا تأنت قياماً ثم لم تَقُم
أشباهُ أم حكيم إذ توصلنا
والحبل منها متينٌ غيرُ منجذمِ
إحدى بنى عامر جُنّ الفؤاد بها
ولو تشاء شفت كعباً من السَّقَمِ
فرعُ النساءِ وفرعُ القومِ والدها
أهل التجلة والابقاء بالذِّمَمِ
لم أرَ شمساً بلَيلٍ قبلَها طلَعَت
حتى تجلت لنا في ليلة الظلَمِ

٥٦ صرختُ به فلم يعرضْ لصوتى ١٢٤
ووافى طالعاً من رأس جدرِ
فعدت له فقال من المنادى
فقلت أخوك عبَّاد بن بشْرِ
وهذى درعُنا رهناً فخذها
لشهر إنْ وفى أو نصف شهْرِ
فقالَ معاشر سغبوا وجاعوا
وما عدلوا الغنى من غير فَقْرِ
فأقبل نحوَنا يَهوى سريعاً
وقال لنا لقد جئتم بأمْرِ

رقم متسلسل	الشعر	رقم الصفحة
	وفي أيماننا بيضٌ حدادٌ	
	مُجَرَّدةٌ بها الكفارَ نفرِى	
	فعانقه ابنُ مسلمةَ المردى	
	به الكفار كالليثِ الهِزَبْرِ	
	وشدَّ بسيفِه صلتاً عليه	
	فقطره أبو عبس بن جبْرِ	
	وكان اللهُ سادسَنا فأبنا	
	بأنعم نعمة وأعز نَصْرِ	
	وجاء برأسه نفرٌ كرام	
	همو ناهيكَ من صدق وَبْرِ	
٥٧	إنك لو شهدتَ يومَ الخندمه	١٤٤
	إذ فر صفوان وفرَّ عَكْرَمَهْ	
	واستقبلنا بالسيوف المسلمه	
	يقطعن كل ساعد وجمجُمَه	

الجزء الثامن

٥٨	أبلغ قريشاً من أبى جُندُلِ	٣٤
	أنى بذى الرَّبوة بالساحلِ	
	فى معشرٍ تخفق أيمانُهم	

بالبيض فيها والقنا الذابلِ
يأبون أن تبقى لهم رفقةٌ
من بعد اسلامهم الواصلِ
أو يجعل الله لهم مخرجاً
والحقُّ لا يُغلبُ بالباطلِ

* * *

أسَرْتُ سهيلاً فما ابتغي
أسيراً به من جميع الأُمَمِ
وخندف تعلم أنّ الفَتَى
سهيلاً فتاها إذا تُصطَلَمِ
ضربت بذى الشفر حتى انثنى
واكرهتُ سيفي على ذى العلمِ

* * *

بمدرسةِ النبى نما شبابٌ
عباقرةٌ لهم فى الخلد ذكرُ
صحائِفُهم على الأجيالِ تُتلَى
وليس وراءَ ما صَنَعُوه فخرُ

* * *

العجزء التاسع

هلّا سألتِ الخيلَ يا ابنةَ مالكٍ
إن كنت جاهلةِ بما لم تعلمى

يخبرْك من شهدَ الوقيعةَ أنني
أغشى الوغى وأعف عند المغنمِ

* * *

وذى حاجةٍ قلنا لا تبح بها
فليس إليها ما حييتَ سبيلُ
لنا صاحبٌ لا ينبغى أن تخونه
وأنت لأخرى صاحب وخليلُ

* * *

الجزء العاشر

ألَا عَلِّلانى قبل جيشِ أبى بكرِ 97
لعل منايانا قريبٌ ولا ندرى
ألَا عَلِّلانى بالزجاج وكدراً
على كميت اللون صافية تُجرَى
ألا عللانى من سلافة قهوة
تُسلّى همومَ النفسِ من جيد الخَمْرِ
أظُنُّ خُيولَ المسلمين وخالداً
ستطرقكم قبل الصباح مع النسرِ
فهل لكم فى السير قبل قتالِكُم.. ؟
وقبل خروجِ المعصرات من الخدرِ...؟

* * *

رقم متسلسل	الشعر	رقم الصفحة
	قفْ بالديـار وقـوفَ حابسِ	١٠٠
	وتـأن إنك غيـرُ آيسِ	
	لعـبت بهـن العاصفـاتُ	
	الرائحـات من الـروامس	
	ماذا علـيك من الوقـوفِ	
	بهامـد الطلليـن دارسِ	
	يا رب باكيـة علـىَّ	
	ومـنشدٌ لى فى المجـالسِ	
	أو قائـلٍ يا فارساً	
	ماذا رزئت من الفـوارسِ	
	لا تعجبـوا أن تسمعـوا	
	* * *	
	هلل امرؤُ القـيس بنُ عابسِ	١٤٣
	انفقْ من الصبرِ الجميلِ فإنَّهُ	
	لم يخشَ فقراً منفقٌ من صبرِهِ	
	والمرْءُ ليس ببالـغ فى أرضِهِ	
	كالصَّقر ليس بِصَائِد فى وكرِهِ	
	* * *	

رقم متسلسل	الشعر	رقم الصفحة

الجزء الحادى عشر

اللَّهُم إما يَغْزُون طالبٍ ١٣
فى مقنب من هذه المقانبِ
فليكن المغلوب غيرَ الطالبِ
وليكن المسلوبُ غير السالبِ

* * *

الا هل أتى بحرينا صنعُ ربِّنا ٢٣
على تأبهم والله بالناس أرودِ
فيخبرهم أن الصحيفة مزقت
وأن كل ما لم يرضه الله مفسدِ
تراوحها إفكٌ وسحرٌ مجمع
ولم يلف سحر آخر الدهر يصعدِ

* * *

تعلم أبيتَ اللعنَ أنك ماجدُ
كريم فلا يشقى لديك المجانبُ ٢٩
تعلم بأن الله زادك بسطةً
وأسباب خير كلها بك لازبُ
وأنك فيض ذو سجالٍ عزيزةٍ
ينال الأعادى نفعَها والأقاربُ

* * *

رقم متسلسل	الشعر	رقم الصفحة

شهدَ الحُطيئةُ يوم يَلقى ربَّه ٤٥
أن الوليــد أحــقُّ بالعــذرِ
نادى وقــد تمت صلاتهمُــوا
أأزيدكـم سكــراً ومــا يدرِى
فأبوا أبا وهب ولــو أذنُــوا
لقرنت بين الشفــع والوتــرِ
كفوا عنانك إذ جريت ولــو
تركوا عنانِكَ لم تزل تجرِى

* * *

فررتَ من الوليدِ الى سعيــدِ ٤٦ — ٤٧
كأهل الحِجْر إذا جزعوا فباروا
يلينـــــا من قريش كل عامٍ
أميــر محـــــدثٌ أو مستشارُ
لنــا نار تخوفنــا فنـــخشى
وليس لهـــم ولا يخشون نارُ

* * *

فوالله ما هندُ بأمك إن مضى النهارُ
ولــم يثــأر بعثمــان ثائــرُ
أيقتلُ عبدُ القوم سيِّدَ أهْلِــهِ
ولـم يقتلوه ليت أمك عاقــرُ

وأنا متى تقتلهم لا يقد بهمْ
مقيدٌ وقد دارت عليه الدوائرُ

* * *

٤٨ ألا من ليل لا تغورُ نجومــه
اذا غار نجم لاح نجم يراقبُهْ
بني هاشم ردوا سلاح اخيكم
ولا تنهبوه لا تحــل مناهِبُــهْ
بنـي هاشم لا تعجلينــا فإنــه
سواء علينــا قاتلــوه وسالِبُــهْ
فإنـا وإياكـم ومــا كان بيننـــا
كصدعِ الصفا لا يرأب الصدع شاعِبُهْ
لعمرك لا أنسَى أين أروى وقتلَهُ
وهل ينسين الماء ما عاش شارِبُهْ
هم قتلوه كى يكونوا مكانَهُ
كما غدرت يوماً بكسرى مرازِبُه

* * *

٤٩ فلا تسألونـا بالسُّلاح فإنّـهُ
أضيع وألقاه لدى الروع صاحِبُهْ
وشبهته كسرى وما كان مثلَهُ
شبيهاً بكسرى هديه وضرائبُه

رابعاً

الإعلام

حرف الألف

حرف الباء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الضاد

حرف الطاء

حرف العين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

خامساً

الكنى

سادساً

الأبناء والأمّهات

الأبناء

الأمهات

سابعًا

الأماكن والبلدان

حرف الألف

حرف الباء

حرف التاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الراء

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الطاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

رقم الإيداع ٢٠٠١/١٤٦٣٠
I.S.B.N. 977 - 01 - 7505 - 6





بين الحلم والواقع كانت مسافة زمنية ربما بدت لى طويلة أو مختلفة ولكن الأهم أن الحلم أصبح واقعًا ملموسًا حيًا يتأثر ويؤثر، وهكذا كانت مكتبة الأسرة تجربة مصرية صميمة بالجهد والمتابعة والتطوير، خرجت عن حدود المحلية وأصبحت باعتراف منظمة اليونسكو تجربة مصرية متفردة تستحق أن تنتشر فى كل دول العالم النامي وأسعدنى انتشار التجربة ومحاولة تعميمها فى دول أخرى. كما أسعدنى كل السعادة احتضان الأسرة المصرية واحتفائها وانتظارها وتلهفها على إصدارات مكتبة الأسرة طوال الأعوام السابقة.

ولقد أصبح هذا المشروع كيانًا ثقافيًا له مضمونه وشكله وهدفه النبيل. ورغم اهتماماتى الوطنية المتنوعة في مجالات كثيرة أخرى إلا أننى أعتبر مهرجان القراءة للجميع ومكتبة الأسرة هى الإبن البكر، ونجاح هذا المشروع كان سببًا قويًا لمزيد من المشروعات الأخرى.

ومازالت قافلة التنوير تواصل إشعاعها بالمعرفة الإنسانية، تعيد الروح للكتاب مصدرًا أساسيًا وخالدًا للثقافة. وتوالى «مكتبة الأسرة» إصداراتها للعام الثامن علي التوالى، تضيف دائمًا من جواهر الإبداع الفكرى والعلمى والأدبى وتترسخ على مدى الأيام والسنوات زادًا ثقافيًا لأهلى وعشيرتى ومواطنى أهل مصر المحروسة مصر الحضارة والثقافة والتاريخ.

سوزان مبارك



مكتبة الأسرة 2001
مهرجان القراءة للجميع

الثمن ٧ جنيهات
مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

